تفسیر قرآن

تفسیر بیضاوی

تفسیر قرآن
بازرسی شد
۲۶ - ۳۷
تفسیر بیضاوی
کتابخانه مجلس شورای ملی
کتاب: تفسیر
مؤلف: بیضاوی
موضوع
شمارهٔ قفسه
شماره ثبت کتاب
۳۵۴۵
بازدید شد
۱۳۸۲

سورة مريم مكية الا اية السجدة وهي ثمان او تسع وتسعون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص اما لا ابو عمرو والهاء لان الفات اسماء التهجي يا ات وابن عامر وحمزة اليا والكسائي وابو بكر كليهما ونافع بين وبين وابن كثير ونافع وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال والباقون يدغمونها ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ خبر ما قبله اول بالسورة او القران فانه مشتمل عليه او خبر محذوف اى هذا المتلو ذكر رحمة ربك او مبتدا حذف خبره اى فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على الماضي وذكر على الامر عَبْدَهُ مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد زَكَرِيَّا بدل منه او عطف بيان له اِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا لان الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء اشد اخباتا واكثر اخلاصا او لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبراء لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم او لان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف في سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون قَالَ رَبِّ اِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه ولانه

اصلب

اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر ونظيره كمل في الحركات الثلث وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم اخرج مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الراس الذي هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعيين المراد يغني عن التقييد وَلَمْ اَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن له معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه وَاِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ يعني بني عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم مِنْ وَرَائِي بعد موتي وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف او بمعنى الموالي اى خفت فعل الموالي من ورائي وقرئ خفت الموالي من ورائي اى قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدي او خفوا ودرجوا قدامي فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت وَكَانَتِ امْرَاَتِي عَاقِرًا لا تلد فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ فان مثله لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فاني وامراتي لا تصلح للولادة وَلِيًّا من صلبي يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائي على انهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل يرثني الحبورة فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك

من الرحمة فاسق

وهو يعقوب بن اسحق عليه السلام وقيل يعقوب كان اخا زكريا او عمران بن
ماثان من نسل سليمان ع وقيل يرثني وارث ال يعقوب على الحال
من احد الضميرين وأويرث بالتصغير لصغره ووارث من ال يعقوب
على انه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد في علم البيان لانه جرد عن المذكور
اولا مع انه المراد واجعله رب رضيا ترضاه قولا وعملا يا زكريا انا نبشرك
بغلام اسمه يحيى جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته
تشريفا له لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد يحيى قبله وهو شاهد بان
التسمية بالاسامي الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله هل
تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان في الاسم والاظهر انه اعجمي وان كان
عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر قيل سمي لانه حيي به رحم امه او لان
دين الله حيي بدعوته قال رب انى يكون لى غلام وكانت امرأتي
عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا جساوة وقحولا في المفاصل واصله
عتوو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو
الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرا حمزة والكسائي وحفص
عتيا بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا
بان المؤثر فيه كمال قدرته وان الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك
قال اى الله او الملك المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك اى الامر كذلك
ويجوز ان يكون الكاف منصوبة بقال في قال ربك وذلك اشارة
الى مبهم يفسره هو على هين ويؤيد الاول قراءة من قرا وهو على هين
اى الامر كما قلت اى كما وعدت وهو على هين على اى كما وعدت

وهو علي

وهو على هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال
الثاني محذوف اى افعل ذلك وهو على هين وقد خلقتك من قبل
ولم تك شيئا بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس
بشيء وقرا حمزة والكسائي وقد خلقناك قال رب اجعل لى اية علامة
اعلم بها وقوع ما بشرتني به قال ايتك ان لا تكلم الناس ثلث ليال
سويا سوى الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالي هنا والايام
في ال عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد
للذكر والشكر ثلثة ايام ولياليهن فخرج على قومه من المحراب من المصلى
او من الغرفة فاوحى اليهم فاومى اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم
على الارض ان سبحوا ان صلوا او نزهوا ربكم بكرة وعشيا طرفي
النهار ولعله كان مامورا بان يسبح ويامر قومه بان يوافقوه وان
يحتمل ان تكون مصدرية فان يكون مفسرة يا يحيى على تقدير
القول خذ الكتاب التورية بقوة بجد واستظهار بالتوفيق واتيناه
الحكم صبيا يعني الحكمة وفهم التورية وقيل النبوة احكم الله عقله
في صباه واستنباه وحنانا من لدنا ورحمة منا عليه او رحمة
وتعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما عطف على الحكم وزكوة
وطهارة من الذنوب او صدقة اى تصدق الله به على ابويه او مكنه
ووفقه على التصدق للناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن
المعاصي وبرا بوالديه وبارا بهما ولم يكن جبارا عصيا عاقا
او عاصي ربه وسلام عليه من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان

بما ينال به بني ادم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا
من عذاب النار وهول القيمة واذكر في الكتاب في القران
مريم يعني قصتها اذ انتبذت اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال
لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم قصتها
وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف لمضاف مقدر وقيل
اذ بمعنى ان المصدرية كقولك لا اكرمك اذ لم تكرمني فيكون بدلا
لا محالة من اهلها مكانا شرقيا شرقي بيت المقدس او شرقي دارها
ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول لان
انتبذت متضمنه بمعنى اتت فاتخذت من دونهم حجابا سترا
فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قيل تعدت في
شرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بشيء يسترها وكانت تتحول من
المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فبينا هي
في مغتسلها اتاها جبرئيل متمثلا بصورة شاب امرد سوي الخلق
لتستانس بكلامه ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها
قالت اني اعوذ بالرحمن منك من غاية عفافها ان كنت تقيا
تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله
فاني عائذة منك او فتتعظ بتعويذي او فلا تتعرض لي ويجوز ان يكون
للمبالغة اى ان كنت تقيا متورعا فاني اعوذ منك فكيف اذا لم تكن
كذلك قال انما انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب لك غلاما
لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقول

الله

ای بغیا من سنا الرجس عن الجرم

الله تعالى ويؤيده قراءة ابي عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب بالياء زكيا
طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير والصلاح قالت انى يكون لى
غلام ولم يمسسني بشر ولم يباشرني رجل بالحلال فان هذه الكنايات
انما تطلق فيه اما الزنا فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده
عطف قوله ولم اك بغيا هو عليه فعول من البغي قلبت واوه ياء وادغمت
ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم
تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب كطالق قال كذلك قال ربك
هو على هين ولنجعله اية اى ونفعل ذلك ولنجعله او لنبين به قدرتنا
ولنجعله وقيل عطف على لنهب على طريق الالتفات اية للناس علامة لهم
وبرهانا على كمال قدرتنا ورحمة منا على العباد يهتدون بارشاده وكان
امرا مقضيا تعلق به قضاء الله تعالى في الازل وقدر وسطر في اللوح او كان
امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لكونه اية ورحمة سبعة اشهر وقيل ستة وقيل
ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها
ثلث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به فاعتزلت
وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا والجار والمجرور في موضع الحال
مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار فاجاءها المخاض فالجاها
كاتى في اعطاه وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المراة اذا تحرك
الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة و
هو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا راس لها ولا خضرة وكان
الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثم غيرها وكانت كالمتعالم

عندالناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من اياتها ما يسكن روعتها ويطعمها
الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتنى مت قبل هذا
استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر
مت من مات يموت وكنت نسيا ما من شانه ان ينسى ولا يطلب ونظيره
ذبح لما يذبح وقراة حمزة وحفص بالفتح فهو لغة فيه او مصدر سمى به وقرا
به وبالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلته منسيا منسى الذكر
بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع فناديها من تحتها عيسى
وقيل جبرئيل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرا نافع
وحمزة والكسائى وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على ان فى نادى
ضمير احدهما وقيل الضمير فى تحتها للنخلة الا تحزنى اى بان لا تحزنى قد جعل
ربك تحتك سريا جدولا هكذا روى مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو
عيسى وهزى اليك بجذع النخلة وامليه اليك والباء مزيدة للتاكيد او
وافعلى الهز والامالة به او هزى الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع
تساقط عليك تتساقط فادغمت التاء الثانية فى السين وحذفها حمزة
وقرا يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ
تتساقط وتسقط ويسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع رطبا جنيا تمييز
او مفعول روى انها كانت نخلة يابسة لا راس لها ولا ثمر وكان الوقت
شتاء فهزتها فجعل الله لها راسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما
فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب
الفواحش والمنبهة لمن راها عليه على ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة فى

الشتا

الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل ولانه ليس ببدع من شانها مع ما فيه من
الشراب والطعام وكذلك رتب عليه الامرين فقال فكلى واشربى اى من الرطب
وماء السرى او من الرطب وعصيره وقرى عينا وطيبى نفسك وارفضى عنها
ما احزنك وقرئ قرى بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا
رات ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة
ودمعة الحزن حارة ولذلك قرة العين وسخنها للمحبوب والمكروه فاما ترين
من البشر احدا فان ترى ادميا وقرئ ترئن على لغة من يقول لبات بالحج لتاخ
بين الهمزة وحرف اللين فقولى انى نذرت للرحمن صوما صمتا وقد قرئ به او صياما
وكانوا لا يتكلمون فى صيامهم فلن اكلم اليوم انسيا بعد ان اخبرتكم بنذرى و
انما اكلم الملائكة واناجى ربى وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة
المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى ع فانه قاطع فى قطع الطاعن فاتت به مع ولدها
قومها راجعة اليهم بعد ما طهرت من النفاس تحمله حاملة اياه قالوا يا مريم
لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا من فرى الجلد يا اخت هرون يعنون هرون
النبى وكانت من اعقاب من كان معه فى طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان
بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان فى زمانهم شبهوها به تهكما
او لما راوا قبل من صلاحها او شبهوها به ما كان ابوك امرا سوء وما
كانت امك بغيا تقرير لان ما جاءت به فرى وتنبيه على ان الفواحش من
اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه الى عيسى اى كلموه ليجيبكم قالوا
كيف نكلم من كان فى المهد صبيا ولم نعهد فى المهد صبيا كلمه
عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة

او دائمة كقوله وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار قال انى عبد الله انطقه
الله به اولا لانه اول المقامات وللرد على من يزعم ربوبيته اتانى الكتاب
الانجيل وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا نفاعا معلما للخير اينما كنت حيث
كنت والتعبير بلفظ الماضى اما باعتبار ما سبق فى قضائه او بجعل المحقق وقوعه
كالواقع وقيل كمل الله عقله واستنبأه طفلا واوصانى وامرنى بالصلوة
والزكوة زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل ما دمت حيا
وبرا بوالدتى وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف
به او منصوب بفعل دل عليه اوصانى وكلمنى به ويؤيده القراءة بالكسر والجر
عطفا على الصلوة ولم يجعلنى جبارا شقيا عند الله من فرط تكبره والسلام
على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى والتعريف
للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام
على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه
تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ذلك عيسى بن مريم اى الذى
تقدم نعته هو عيسى بن مريم لا ما تصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه
على الوجه الابلغ والطريق البرهانى حيث جعله الموصوف باضداد ما يصفونه
ثم عكس الحكم قول الحق خبر محذوف اى هو قول الحق الذى لا ريب فيه والاضافة
للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله
او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرا عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب
على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول الذى فيه يمترون
فى امره يشكون او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى

ابن الله

ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب
للنصارى وتنزيه لله عما بهتوه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
تبكيت لهم بان من اذا اراد شيئا اوجده بكن كان منزها من شبه الخلق و
الحاجة فى اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرا ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب
وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق تفسيره فى
ال عمران وقرا الحجازيان والبصريان ان بالفتح على ولان وقيل انه معطوف على
الصلوة فاختلف الاحزاب من بينهم اليهود والنصارى او فرق النصارى
نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية
قالوا هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم من شهود
يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيمة او من وقت الشهود او من مكانه
فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم واذانهم
بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به
فى عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب معناه ان اسماعهم وابصارهم يوم ياتوننا
اى يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما بعدما كانوا صما عميا فى الدنيا او التهديد
بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك
اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول فى موضع الرفع وعلى الثانى
فى موضع النصب لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين اوقع الظالمين
موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين
نفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال مبين وانذرهم يوم الحسرة
يوم يتحسر الناس المسىء على اساءته والمحسن على قلة احسانه اذ قضى الامر

فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف
للحسرة وهم في غفلة وهم لا يؤمنون حال متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما
اعتراض او بانذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنا للتعليل انا
نحن نرث الارض ومن عليها اي لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او
نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه والينا يرجعون
يردون للجزاء واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا ملازما للصدق
كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله نبيا استنبأه
الله اذ قال بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او صديقا نبيا لابيه
يا ابت التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانما
يذكر للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك
ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ولا يغني عنك شيئا في جلب نفع ودفع ضر
دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشقه برفق وحسن
ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف
به العقل الصريح ويابى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا
تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت
المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح
والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن ممكنا
لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة
والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة فكيف اذا كان جمادا
لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق القويم والصراط المستقيم

لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال يا ابت اني قد جاءني
من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط
ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما
كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه بالحقيقة عبادة الشيطان
من حيث انه الامر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان استهجن ذلك وبين وجه الضر فيه
بان الشيطان مستعص على ربك المولي للنعم كلها بقوله ان الشيطان كان
للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان تسترد منه
النعم وينتقم ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجره اليه فقال يا ابت اني
اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا في اللعن
او العذاب تليه ويليك او ثابتا في موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان
رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة او
لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جنايته لارتقاء همته
في الربانية اولانه ملاكها او لانه من حيث انه ينبغي معاداته لادم وذريته
منبه عليها قال اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم قابل استعطافه ولطفه
في الارشاد بالفظاظة وغلظ العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني
واخره وقدم الخبر على المبتدأ وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب
من التعجب كانها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال لئن لم تنته عن
مقالك فيها او الرغبة عنها لارجمنك باللسان يعني الشتم والذم او
بالحجارة حتى تموت او تبعد مني واهجرني عطف على ما دل عليه لارجمنك
اي فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب

قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا
اقول لك بعد ما يؤذيك ولكن سأستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة والايمان
فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر
تقريره في سورة التوبة انه كان بي حفيا بليغا في البر والالطاف واعتزلكم
وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني وادعوا ربي واعبده وحده
عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء
الهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على ان
الاجابة والاثابة تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب فلما
اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة الى الشام وهبنا له اسحق
ويعقوب بدل من فارقهم من الكفرة قيل انه لما قصد الشام اتى اولا حران
وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر
لانهما شجرة الانبياء او لانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد وكلا
جعلنا نبيا وكلا منهما او منهم ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والاموال و
الاولاد وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم
استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الاخرين والمراد باللسان ما يوجد
به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو ~~للدلالة على~~
انهم للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد
الاعصار وتحول الدول وتبدل الملل واذكر في الكتاب موسى انه
كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله واخلص
نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على ان الله اخلصه وكان رسولا نبيا

ارسله الله الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى وناديناه
من جانب الطور الايمن من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى
او جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه تقريب
تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته نجيا مناجيا حال من احد الضميرين
وقيل مرتفعا من النجو وهو الارتفاع لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع
صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا اخاه
معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي فانه كان
اسن من موسى باربع سنين وهو مفعول او بدل على تقدير ان تكون من
للتبعيض هرون عطف بيان له نبيا حال منه واذكر في الكتاب اسمعيل
انه كان صادق الوعد ذكره بذلك لانه المشهور به الموصوف باشياء في
هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدني
ان شاء الله الصابر فوفى وكان رسولا نبيا يدل على ان الرسول لا يلزم ان يكون
صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم كانوا على شريعته وكان يأمر اهله بالصلوة
والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس
اليه بالتكميل قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا
انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته فان الانبياء اباء الامم وكان عند
ربه مرضيا لاستقامة اقواله وافعاله واذكر في الكتاب ادريس
وهو سبط شيث وجد ابي نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس من
الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من
ذلك فلقب به لكثرة دراسته اذ روي انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول

من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ
مَكَانًا عَلِيًّا يعني شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة
او الرابعة أُولَٰئِكَ اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس
الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بانواع النعم الدينية والدنيوية مِنَ النَّبِيِّينَ
بيان للموصول مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون فيه
التبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ
اي ومن ذرية من حملنا مع نوح خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابراهيم
كان من ذرية سام بن نوح وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ الباقون وَإِسْرَائِيلَ عطف على
ابراهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى
وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وَمِمَّنْ هَدَيْنَا ومن جملة
من هديناه الى الحق وَاجْتَبَيْنَا للنبوة والكرامة إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ
الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفته واستيناف
ان جعلته خبرا لبيان خشيتهم من الله واخباتهم له مع ما لهم من علو
الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه
اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود جمع
ساجد وقرئ تتلى بالياء لان التانيث غير حقيقي وقرا حمزة والكسائي
بكيا بكسر الباء فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء
يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون أَضَاعُوا الصَّلَاةَ تركوها
او اخروها عن وقتها وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت
من الاب والانهماك في المعاصي وعن علي رضي الله عنه واتبعوا الشهوات من بنى الشديد

وركب

٣٥

وركب المنظور ولبس المشهور فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا شرا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس
امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما او جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما او غيا
عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها إِلَّا مَنْ تَابَ
وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا يدل على ان الاية في الكفرة فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ
وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من ادخل وَلَا
يُظْلَمُونَ شَيْئًا ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيئا
على المصدر وفيه تنبيه بان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جَنَّاتِ
عَدْنٍ بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع
على انه خبر مبتدا محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم او علم للعدن
بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ
عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ اي وعدها اياهم وهي غائبة عنهم او هم غائبون عنها
او وعدهم بايمانهم بالغيب إِنَّهُ ان الله كَانَ وَعْدُهُ الذي هو الجنة مَأْتِيًّا
ياتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا اي مفعولا منجزا
لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا فضول كلام إِلَّا سَلَامًا ولكن يسمعون قولا يسلمون
فيه من العيب والنقيصة او الا تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض
على الاستثناء المنقطع او على ان معنى التسليم ان كان لغوا فلا
يسمعون لغوا سواه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من
قراع الكتائب او على ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه
فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَ
عَشِيًّا على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام

الرزق ودروره تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا نبقيها عليهم
من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل في
التملك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد ولا
اسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا
زيادة في كراماتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ حكاية
قول جبرئيل حين استبطاه رسول الله صلى الله عليه وآله لما سئل عن قصة اصحاب
الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطا
عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم
نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول
مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى ما نتنزل وقتا غب وقت الا بامر الله على ما
يقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا
خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين لا ننتقل من مكان
الى مكان او لا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته وَمَا كَانَ رَبُّكَ
نَسِيًّا تاركا لك اي ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله
لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة راها فيه وقيل اول الاية حكاية
قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى ما ننزل الجنة الا بامر الله ولطفه وهو
مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفه
وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم اي وما كان ناسيا لاعمال
العاملين وما وعد لهم من الثواب عليها وقوله رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربك فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ

لعبادته

لِعِبَادَتِهِ خطاب للرسول مرتب عليه اي لما عرفت ربك انه لا ينبغي له ان ينساك
او اعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحي
وهزء الكفرة وانما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما تورد
عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا
مثلا يستحق ان يسمى الها واحدا يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم
الها لكن لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته وتعالي ذاته عن المماثلة بحيث
لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اي اذا صح ان لا احد مثله ولا يستحق
العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على
مشاقها وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ المراد الجنس باسره فان المقول مقول فيما بينهم وان
لم يقل كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم المعهود
وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث
بعد ما نموت أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا من الارض او من حال الموت وتقديم
الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحيوة و
انتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا
مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض
فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وروي عن ابن ذكوان اذا ما مت بهمزة واحدة
مكسورة على الخبر أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ عطف على يقول وتوسط همزة
الانكار بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان يتقدمها للدلالة على ان المنكر بالذات
هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشا منه فانه لو تذكر وتامل ذلك فانه اجب
من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان منها من الاعراض وقرا نافع وابن عامر

وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على
الاصل فوربك لنحشرنهم والشياطين اقسام باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا
للامر وتفخيما لشان الرسول والشياطين عطف او مفعول معه لما روي ان الكفرة
يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه في سلسلة
وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا
وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم
حول جهنم ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسرورا
وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء
عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع
او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب و
اهل الموقف جاثون لقوله تعالى وترى كل امة جاثية على المعتاد في مواقف
التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف
الى شاطئ جهنم اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة وقرا حمزة
والكسائي وحفص جثيا بكسر الجيم ثم لننزعن من كل شيعة من كل امة شاعت
دينا ايهم اشد على الرحمن عتيا من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم
فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا من اهل العصيان
ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم
في النار على الترتيب او يدخل كلا طبقتها التي تليق به فايهم مبني على الضم
عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل
وبعض للزوم الاضافة فاذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه

منصوب

منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتداء على
انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة
الذين يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم
او مستانفة والفعل واقع على من كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض
كل شيعة واما بشيعة لانه بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء
في قوله تعالى ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي نحن اعلم بالذين هم اولى
بالصلي او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا
رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف بضلالهم واضلالهم وقرا حمزة والكسائي
وحفص صليا بكسر الصاد وان منكم وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده
انه قرئ وان منهم الا واردها الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون
وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه صلى الله عليه وآله سئل عنه فقال
اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار
فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد
عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها كان على ربك
حتما مقضيا كان ورودهم واجبا اوجبه الله تعالى على نفسه وقضى بان وعد
به وعدا لا يمكن خلفه وقيل قسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا فيساقون الى الجنة
وقرا الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ ثم بالفتح اي هناك ونذر
الظالمين فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود
الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة
فيها منهارا بهم على هيئاتهم واذا تتلى عليهم آياتنا بينات مرتلات الالفاظ

مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول او واضحات الاعجاز قال الذين كفروا
للذين آمنوا لاجلهم او معهم اي الفريقين المؤمنين والكافرين خير مقاما
موضع قيام او مكانا وقرا ابن كثير بالضم اي موضع اقامة ومنزل واحسن نديا
مجلسا ومجمعا والمعنى انهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها
والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال
بان زيادة حظهم فيها يدل على فضلهم وحسن حالهم عند الله تعالى لقصور
نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحيوة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد
نقضا بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا وكم مفعول
اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمي اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم من بعدهم
وهم احسن صفة لكم واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد
منه والخرثي ما رث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرا
نافع وابن عامر ريا على قلب الهمزة وادغامها او على انه من الري الذي هو
النعمة وقرا ابو بكر وريا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزي
وهو الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بين ان تمتيعهم استدراج وليس باكرام وانما
العيار على الفضل والنقص ما يكون في الآخرة بقوله قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه
على لفظ الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغي ان يفعله استدراجا وقطعا للمعاذير
كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وكقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
حتى اذا راوا ما يوعدون غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين
آمنوا اي الفريقين خير حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة

تفصيل

تفصيل للموعود فانه اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم
اياهم قتلا واسرا واما يوم القيمة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال فسيعلمون
من هو شر مكانا من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه وعاد ما
متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى واضعف
جندا اي فئة وانصارا قابله به احسن نديا من حيث ان حسن النادي باجتماع
وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم ويزيد الله الذين اهتدوا
هدى عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر
وتمتيعه بالحيوة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن فيها
ليس لنقصه بل لان الله عز وجل اراد به ما هو خير وعوضه عنه وقيل عطف على
فليمدد لانه في معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله تعالى في ضلالته ويزيد
المقابل له هداية والباقيات الصالحات الطاعات التي تبقى عائدتها
ابد الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا عائدة مما متع به الكفرة من النعم
المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما ومالها النعيم المقيم ومال هذه
الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله وخير مردا والخير هاهنا اما
لمجرد الزيادة او على طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره منه
في برده افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا نزلت في
العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد
قال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئتني
فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار

استعمل رايت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرء حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كاسد في اسد او لغة فيه كالعرب والعرب اطلع الغيب اقد بلغ من عظمة شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتى في الاخرة مالا وولدا وتالى عليه ام اتخذ عند الرحمن عهدا او اتخذ من عالم الغيوب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه كلا ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره لنفسه سنكتب ما يقول سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا يتاخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ونمد له من العذاب مدا ونطول له من العذاب ما يستاهله او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه واستهزائه على الله تعالى ولذلك اكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد ويأتينا يوم القيمة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله تعالى وشفعاء عنده كلا ردع وانكار لتعززهم بها سيكفرون بعبادتهم ستجحد الالهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا كقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها كقوله ثم لم تكن

فتنتهم

فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا يؤيد الاول الا اذا فسر الضد ضد العز اي يكونون عليهم ذلا او ضدهم على معنى انها تكون معونة عذابهم بان توقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اي يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذي به مضادتهم فانهم بذلك كالشيء الواحد نظير قوله عليه الصلوة والسلام وهم يد على من سواهم وقرء كلا بالتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف الاطلاق في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن او على معنى كل هذا الرأي كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين بان سلطناهم عليهم او قيضنا لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب الرسول عليه السلام من اقاويل الكفرة وتماديهم في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الايات المتقدمة فلا تعجل عليهم بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم انما نعد لهم ايام اجالهم عدا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة يوم نحشر المتقين نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي غمرهم برحمته والاختيار هذا الاسم في هذه السورة شان ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها وفدا وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التي ترد الماء لا يملكون

الشفاعة الضمير فيه للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا الا من تحلى بما يستعد به ويستاهل ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله او الا من اخذ من الله اذنا فيها لقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امر به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف اي الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجرءة على الله والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر واداني اثقلني وعظم علي تكاد السموات وقرء نافع والكسائي بالياء يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى وقرء ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل للتكلف وتنشق الارض وتخر الجبال هدا تهد هدا او مهدودة او لانها تهد اي تكسر وهو تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك

ان دعوا

ان دعوا وفاعل هدى اي هدها دعاء الولد للرحمن وهو من دعى بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعي له ولدا او من دعي بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ولا يليق به اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله ان كل من في السموات والارض اي ما منهم الا اتي الرحمن عبدا الا وهو مملوك له ياوي اليه بالعبودية والانقياد وقرء اتي الرحمن على الاصل لقد احصاهم حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته وعدهم عدا عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شيء عنده بمقدار وكلهم اتيه يوم القيمة فردا منفردا عن الاتباع والانصار فلا يجانسه شيء من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبي صلى الله عليه اذا احب الله عبدا يقول لجبرئيل احببت فلانا فاحبه فيحبه جبرئيل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعد ذلك اذا دجى الاسلام او لان الموعود في القيمة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل فانما يسرناه بلسانك بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله

لتقصيرينا معنى انزلنا اى انزلناه بلغتك لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ الصائرين الى التقوى
وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا اشداء الخصومة اخذين فى كل لدد اى شق من المراء
لفرط لجاجهم فبشر به وانذر وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ تخويف للكفرة و
تجسير للرسول عليه السلام على انذارهم هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ هل تشعر باحد منهم وتراه
أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا وقرء تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفى واصل التركيب
هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه فى الارض والركاز المال المدفون عن رسول
الله صلى الله عليه وآله من قرء سورة مريم اعطى عشر حسنات بعدد من كذب
زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وساير الانبيا المذكورين فيها وبعدد من دعاء الله فى الدنيا

سورة طه مكية ومن لم يدع الله وهى مائة واربع وثلثون ايه

بسم الله الرحمن الرحيم

طه فخمهما قالون وابن كثير وابن عامر ويعقوب وحفص على الاصل وفخم الطاء
وحده ابو عمرو وورش لاستعلائه واما لهما الباقون وهما من اسماء الحروف و
قيل معناه يا رجل على لغة عك فان صح ولعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب
والاختصار والاستشهاد بقوله ان السفاهة طه فى خلائقكم لا قدس الله اخلاق
الملاعين ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على انه امر
للرسول بان يطاء الارض بقدميه فانه كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه
وان اصله طاء فقلبت همزته هاء او قلبت فى يطاء الفا كقوله لا هناك المرتع
ثم بنى عليه الامر وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طاها
والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية عن الارض لكن يرد ذلك كتبتهما على صورة
الحرف وكذا التفسير بيا رجل والاكتفاء بشطرى الكلمتين وهما طا وها وعبر عنهما

باسميهما

باسميهما مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى خبر طه ان جعلته مبتداء على انه مأول
بالسورة او القرآن والقرآن فيه واقع موقع العايد وجواب ان جعلته مقسما
به ومنادى له ان جعلته نداء واستينافا ان كانت جملة فعلية او اسمية
باضمار مبتداء او طائفة من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب
بفرط تاسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ او بكثرة الرياضة وكثرة
التهجد والقيام على ساق والشقاء شايع بمعنى التعب ومنه اشقى من رائض
المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه ليسعد و
قيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك
ديننا وان القرآن انزل عليك لتشقى به إِلَّا تَذْكِرَةً لكن تذكيرا وانتصابها
على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين
ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر
فى موضع الحال من الكاف او القرآن او مفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف
هو صفة القرآن اى ما انزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه الا تذكرة
لِمَنْ يَخْشَى لمن فى قلبه خشية ورقة تتاثر بالانذار او لمن علم الله منه انه يخشى
بالتخويف منه فانه المنتفع به تَنْزِيلًا نصب باضمار فعله او بيخشى او على المدح
او البدل من تذكرة ان جعل حالا وان جعل مفعولا له لفظا او معنى فلا لان الشئ
لا يعلل بنفسه ولا بنوعه مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى مع ما بعده الى قوله
له الاسماء الحسنى تفخيم لشان المنزل بعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على
ترتيب الذى هو عند العقل فبداء بخلق الارض والسموات التى هى اصول العالم
وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا

تانيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكاينات وتدبير امرها بان قصد العرش
فاجرى منه الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسب
ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته فقال الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَهُ مَا
فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ليدل بذلك على
كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهى لا تنفك عن العلم
عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على سواء فقال
وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى اى وان تجهر بذكر الله ودعائه
فاعلم انه غنى عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه
على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله تعالى بل لتصوير النفس بالذكر
ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجوار ثم لما ظهر
بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية ثم بين انه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها
فقال اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ومن فى ممن خلق صلة لتنزيلا او
صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن فى الكلام وتفخيم المنزل من وجهين
اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشان ونسبته الى المختص بصفات الجلال
والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا
شانه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبرئيل عليه السلام والملائكة النازلين
معه وقرئ الرحمن على الجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف
وكذا ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا و
الثرى طبقة الترابية من الارض وهى اخر طبقاتها والحسنى تانيث الاحسن و
فضل بعض اسماء الله تعالى على ساير الاسماء فى الحسن لدلالتها على معان هى اشرف

المعانى

المعانى وافضلها وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى قفى تمهيد نبوته قصة موسى عليه السلام
لياتم به فى تحمل اعباء الوحى وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد
فان هذه السورة من اوائل ما نزل إِذْ رَأَى نَارًا ظرف للحديث لانه حدث او
مفعول لاذكر قيل انه استاذن شعيبا عليه السلام فى الخروج الى امه وخرج باهله
فلما وافى وادى طوى وفيه الطور ولد له ابن فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة و
كانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ راى من جانب الطور
نارا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا اقيموا مكانكم وقرء حمزة لاهله امكثوا ههنا وفى القصص
بضم الهاء فى الوصل والباقون بكسرها فيه إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ابصرتها ابصارا
لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يونس به لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ بشعلة
من النار وقيل جمرة أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى هاديا يدلنى على الطريق او يهدينى
ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها فى كل ما يعن لهم ولما كان حصولها
مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه
لهم بان ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء فى على النار ان اهلها مشرفون
عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه فى مررت بزيد انه لصوق
بمكان بقرب منه فَلَمَّا أَتَاهَا اتى النار وجد نارا بيضاء تتقد فى شجرة خضراء
نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فتحه ابن كثير وابو عمرو واى باى وكسره الباقون
باضمار القول واجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه
لما نودى قال من المتكلم قال انى انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان
فقال انا عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء
وهو اشارة الى انه عليه السلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك

الكلام لبدنه واشتغل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص ببعض وجهه
فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ امره بذلك لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف
حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ
قلبك من الاهل والمال اِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس
يحتمل المعنيين طُوًى عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتاويل المكان
وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي نداءين او قدس مرتين
وَاَنَا اخْتَرْتُكَ اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة وانا اخترناك فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحٰى
للذي يوحى اليك للوحي واللام يحتمل التعلق بكل من الفعلين اِنَّنِي اَنَا اللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا
اَنَا فَاعْبُدْنِي بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى
العلم والامر بالعبادة التي هي كمال العمل وَاَقِمِ الصَّلٰوةَ لِذِكْرِي خصها بالذكر
وافردها بالامر للعلة التي اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب
واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك
بالثناء او لذكري خاصة لا ترائي بها ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لاوقات
ذكري وهي مواقيت الصلوة او لذكر صلوتي لما روي انه عليه السلام قال من نام عن
صلوة او نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول واقم الصلوة لذكري
اِنَّ السَّاعَةَ اٰتِيَةٌ كائنة لا محالة اَكَادُ اُخْفِيهَا اريد اخفاء وقتها او اقرب
ان اخفيها فلا اقول انها اتية ولولا ما في الاخبار باتيانها من اللطف وقطع
الاعذار لما اخبرت بها او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاه ويؤيده
القراءة بالفتح من خفاه اذا اظهره لِتُجْزٰى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعٰى متعلق باتية
او باخفيها على المعنى الاخير فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا عن تصديق الساعة او عن الصلوة

من لا يؤمن

مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا نهي الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه ان يتصد عنها
كقوله لا اركبك ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها
ولم يعرض عنها وانه ينبغي ان يكون راسخا في دينه فان صد الكافر انما يكون
بسبب ضعفه فيه وَاتَّبَعَ هَوٰيهُ ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة
فقصر نظره عن غيرها فَتَرْدٰى فتهلك بالانصداد بصده وَمَا تِلْكَ استفهام
يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب بِيَمِينِكَ حال من معنى الاشارة وقيل
صلة تلك يَا مُوسٰى تكرير لزيادة الاستيناس والتنبيه قَالَ هِيَ عَصَايَ وقرئ
عصى على لغة هذيل اَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على راس
القطيع وَاَهُشُّ بِهَا عَلٰى غَنَمِي واخبط الورق بها على رؤس غنمي وقرئ اهش
وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر
الغنم اي انحي عليها زاجرا لها وَلِيَ فِيهَا مَاٰرِبُ اُخْرٰى حاجات اخر مثل ان كان اذا
سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها
الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه
قاتل بها وكانه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال ان يذكر حقيقتها او ما يرى
من منافعها حتى اذا راها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص
اخرى خارقة للعادة مثل ان تشتعل شعبتاه بالليل مثل الشمع وتصير دلوا
عند الاستسقاء وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها
وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها اعلم ان ذلك ايات باهرات
ومعجزات قاهرة احدثها الله تعالى لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها و
منافعها مفصلا ومجملا على انها من جنس العصي تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه

الغرض الذي فهمه قَالَ اَلْقِهَا يَا مُوسٰى فَاَلْقٰيهَا فَاِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعٰى قيل
لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك
سماها جانا تارة نظرا الى المبدا وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى
بالاسم الذي يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك
قال كانها جان قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ فانها لما راها حية تسعى وتبتلع الحجر والشجر
خاف وهرب منها سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْاُولٰى هيأتها وحالتها المتقدمة وهي
فعلة من السير يجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض او على ان
اعاد منقول من عاد بمعنى عاد اليه او على الظرف اي سنعيدها في طريقتها او
على تقدير فعلها اي سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها
ما كنت تنتفع قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمانت نفسه حتى ادخل يده في
فمها واخذ بلحييها وَاضْمُمْ يَدَكَ اِلٰى جَنَاحِكَ الى جنبك تحت العضد يقال لكل
ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي الطائر سميا بذلك لانه
يجنحهما عند الطيران تَخْرُجْ بَيْضَاءَ كانها مشعة مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ من غير عاهة وقبح
كنى به عن البرص كما كنى بالسوءة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه اٰيَةً اُخْرٰى
معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول بإضمار
خذ ايتها باضمار خذ او دونك لِنُرِيَكَ مِنْ اٰيَاتِنَا الْكُبْرٰى متعلق بهذا المضمر
او بما دل عليه اية او القصة اي دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة
اياتنا او مفعول لنريك ومن اياتنا حال منها اِذْهَبْ اِلٰى فِرْعَوْنَ بهاتين الايتين
وادعه الى العبادة اِنَّهُ طَغٰى عصى وتكبر قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي
اَمْرِي لما امره الله تعالى بخطب عظيم امر جسيم ساله ان يشرح صدره ويفسح

قلبه

قلبه لتحمل اعبائه والصبر على مشاقه والتلقي لما ينزل عليه ويسهل الامر عليه باحداث
الاسباب ورفع الموانع وفائدة لي ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه بذكر
الصدر والامر تاكيدا ومبالغة وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي
فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك
ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت اسية انه
صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في
فيه ولعل تبييض يده كان لذلك وقيل احترقت يده واجتهد فرعون في علاجها
فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت
عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك
ومن لم يقل احتج بقوله واخي هرون هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين
واجاب عن الاول بانه لم يسال حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام
ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر ومن لساني يحتمل ان يكون صفة
عقدة وان يكون صلة احلل وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ اَهْلِي هٰرُونَ اَخِي
يعينني على ما كلفتني به واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن
اميره او من الوزر وهو الملجا لان الامير يعتصم برايه ويلتجئ اليه في اموره ومنه
الموازرة وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير
والجليس قلبت همزته كقلبها في موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهرون
قدم ثانيهما للعناية به ولي صلة او حال او لي وزيرا وهرون عطف بيان للوزير
او وزيرا من اهلي ولي تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه
بدل من هرون او مبتدا خبره اُشْدُدْ بِهِ اَزْرِي وَاَشْرِكْهُ فِي اَمْرِي على لفظ الامر

وقرأ ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا
فان التعاون مما يهيج الرغبات ويؤدي الى تكاثر الخير وتزايده انك كنت
بنا بصيرا عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا وان هرون نعم المعين
لي فيما امرتني به قال قد اوتيت سؤلك يا موسى اي مسؤلك فعل بمعنى مفعول
كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والماكول ولقد مننا عليك مرة اخرى انعمنا
عليك في وقت اخر اذ اوحينا الى امك ما يوحى بالهام او في منام او على
لسان نبي في وقتها او ملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم ما يوحى لا
يعلم الا بالوحي او مما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام به
ان اقذفيه في التابوت بان اقذفيه او اي اقذفيه لان الوحي بمعنى القول
فاقذفيه في اليم والقذف يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف في قلوبهم
الرعب وكذلك الرمي كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا فليلقه اليم با
لساحل لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل
البحر كانه ذو تمييز مطيع امر بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان تجعل
الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم والمقذوف في البحر والملقى الى الساحل
وان كان التابوت بالذات فموسى بالعرض ياخذه عدو لي وعدو له جواب
فليلقه وتكرير عدو للمبالغة او لان الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار
المتوقع قيل انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته في
اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة في البستان
وكان فرعون جالسا على راسها مع امراته اسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح
فاذا هو صبي اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال والقيت عليك محبة

محبة مني

مني اي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من
رآك فلذلك احبك فرعون ويجوز ان يتعلق مني بالقيت اي احببتك ومن احبه الله
احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء
يسحله فالتقط منه لكن لا يبعد ان يؤول الساحل بجنب فوهة نهره ولتصنع على
عيني ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة
مثل ليتعطف عليك او على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك
وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب وفتح
التاء اي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن امري اذ تمشي اختك
ظرف لالقيت او لتصنع او بدل من اذ اوحينا على ان المراد بها وقت متسع فتقول
هل ادلكم على من يكفله وذلك لانه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت
اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها
فرجعناك الى امك وفاء بقولنا انا رادوه اليك كي تقر عينها بلقائك
ولا تحزن هي بفراقك او انت على فراقها وفقد اشفاقها وقتلت نفسا
نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي فنجيناك من الغم غم قتله
خوفا من عقاب الله او قصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين
وفتناك فتونا وابتليناك ابتلاء او فتونا من الابتلاء على انه جمع فتن
او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجزة وبدرة فخلصناك
مرة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة
الالاف والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى غير ذلك اوله
ولما سبق ذكره فلبثت سنين في اهل مدين لبثت فيهم عشر سنين قضاء

لاوفى الاجلين ومدين على ثماني مراحل من مصر ثم جئت على قدر يا موسى قدرته لان
اكلمك واستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر او على مقدار من السن
يوحى فيه الى الانبياء يا موسى كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك
واصطنعتك لنفسي واصطفيتك لمحبتي مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه
الملك واستخلصه لنفسه اذهب انت واخوك باياتي بمعجزاتي ولا تنيا ولا تفترا
ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء في ذكري لا تنسياني حيث ما تقلبتما وقيل في
تبليغ ذكري والدعاء الي اذهبا الى فرعون انه طغى امر به اولا موسى وحده
وههنا اياه واخاه فلا تكرير قيل اوحي الى هرون ان يتلقى موسى وقيل سمع
بمقبله فاستقبله فقولا له قولا لينا مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك
فتخشى فانه دعوة في صورة عرض ومشورة حذرا ان تحمله الحماقة على ان يسطو عليكما
او احتراما لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلث كنى ابو العباس و
ابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول الا بالموت لعله يتذكر
او يخشى متعلق باذهبا او قولا اي باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر ولا يخيب
سعيكما فان الراجي مجتهد والآيس متكلف والفائدة في ارسالهما والمبالغة
عليهما في الاجتهاد مع علمه بانه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ما
حدث في تضاعيف ذلك من الايات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك
قدم الاول اي ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى قالا
ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى
تمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل
وقرئ ان يفرط من افرطته اذا حملته على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل من استكبار

اوخوف

او خوف على الملك او شيطان انسي او جني على المعاجلة بالعقاب ويفرط من
الافراط في الاذية او ان يطغى ان يزداد طغيانا فيتخطى الى ان يقول فيك ما لا
ينبغي لجراته وقساوته واطلاقه من حسن الادب قال لا تخافا انني معكما بالحفظ
والنصرة اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فاحدث في كل حال
ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى
انني حافظكما سامعا ومبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ فاتياه
فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل اطلقهم ولا تعذبهم
بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا في ايدي القبط يستخدمونهم
ويتعبونهم في العمل ويقتلون ذكور اولادهم في عام دون عام وتعقيب الاتيان
بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز
ان يكون للتدريج في الدعوة قد جئناك باية من ربك جملة مقررة لما تضمنه
الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الاية وكان معه ايتان لان
المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك
قوله قد جئتكم ببينة فأت باية او لو جئتك بشيء مبين والسلام على من
اتبع الهدى والسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين والسلامة
في الدارين لهم انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى
ان عذاب المنزلين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد
والتوكيد فيه لان التهديد في اول الامر اهم وانجع وبالواقع اليق قال فمن ربكما
يا موسى اي بعدما اتياه وقالا له ما امرا به ولعله حذف لدلالة الحال فان المطيع
اذا امر بشيء فعله لا محالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء لانه الاصل و

هارون وزيره وتابعه او لانه عرف ان له رتة ولاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله تعالى ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذي اعطى كل شيء من الانواع خلقه صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له او اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به فقدم المفعول الثاني لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة المضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثاني محذوفا اي اعطى كل مخلوق ما يصلحه ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته على ان الغني القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ما عداه مفتقر اليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذي كفر وافحم عن الدخل عليه فلم ير الا صرف الكلام عنه قال فما بال القرون الاولى فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة قال علمها عند ربي اي انه غيب لا يعلمه الا الله وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به في كتاب مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده لا يضل ربي ولا ينسى والضلال ان تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله تعالى بالاشياء كلها وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت

عنده لا يضل ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا مرفوع صفة لربي او خبر محذوف او منصوب على المدح وقرأ الكوفيون هنا وفي الزخرف مهدا اي كالمهد تتمهدونها وهو مصدر سمي به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش او جمع مهد ولم يختلفوا في الذي في النبأ وسلك لكم فيها سبلا وحصل منافعها وانزل من السماء ماء مطرا فاخرجنا به عدل به من لفظ الغيبة الى صيغة المتكلم على الحكاية لكلام الله عز وجل تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان او صفة لازواجا وكذلك شتى ويحتمل ان يكون ذلك صفة لنبات فانه من حيث انه مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى اي متفرقات في الصور والاعراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك كلوا وارعوا انعامكم وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا انعامكم والمعنى معديها لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية منها خلقناكم فان التراب اصل خلقة اول آبائكم واول مواد ابدانكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء ومنها نخرجكم تارة اخرى بتأليف اجزائكم المفتتة المختلطة بالتراب على الصور السابقة ورد الارواح اليها ولقد اريناه آياتنا بصرناه اياها او عرفناه صحتها كلها تأكيد لشمول الانواع

او لشمول الافراد على ان المراد بآياتنا آيات معهودة هي الآيات التسع المختصة بموسى او انه عم اراه آياته وعدد عليه ما اوتي غيره من المعجزات فكذب موسى من فرط عناده وابى الايمان والطاعة لعتوه قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا ارض مصر بسحرك يا موسى هذا تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان الساحر لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه فلنأتينك بسحر مثله مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا انت مكانا فان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد بها المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار وان يحشر الناس ضحى عطف على اليوم او الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون وبالياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون على ان الخطاب لقومه فتولى فرعون فجمع كيده ما يكاد به يعني السحرة وآلاتهم ثم اتى بالموعد قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا آياته سحرا فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستأصلكم

به وقرء حمزة والكسائي وحفص ويعقوب برواية رويس بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز وقد خاب من افترى كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقي الملك عليه فلم ينفعه فتنازعوا امرهم بينهم اي تنازعت السحرة في امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم هذا ليس من كلام السحرة واسروا النجوى بان موسى ان غلبنا اتبعناه او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا في السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله قالوا ان هذان لساحران تفسير لاسروا النجوى كانهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا يدخل خبر المبتدأ وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرأ ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على انها هي المخففة واللام هي الفارقة او النافية واللام بمعنى الا ويشدد ابن كثير نون هذان يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بالاستيلاء عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله تعالى اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم فاجمعوا كيدكم فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم وقرأ ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير في قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم

ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع
كل منهم حبل وعصى واقبلوا عليه اقبالة واحدة وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى
فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ
نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى اى بعدما اتوا مراعاة للادب وان بما بعدها منصوب
بفعل مضمر او مرفوع بخبرية محذوف اى اختر القاءك او القاءنا اولا قَالَ بَلْ
أَلْقُوا مقابلة ادب بادب وعدم مبالات بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا من
الميل الى البدء بذكر الاول في شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ ولان يبرزوا
ما معهم ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق
على الباطل فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى اى
فالقوا فاذا حبالهم وهى للمفاجاة والتحقيق انها ايضا ظرفية تستدعى متعلقا
ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجاة و
الجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجاء موسى وقت تخييل سعى حبالهم وعصيهم
من سحرهم وذلك بانهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليه الشمس اضطربت فخيل
اليه انها تتحرك وقرء ابن عامر برواية ابن ذكوان وروح تخيل بالتاء على اسناده
الى ضمير الحبال والعصى وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل
بالياء على اسناده الى الله وتخيل بمعنى تتخيل فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً
مُوسَى فاضمر فيها خوفا من مفاجاته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية او من ان
يخالج الناس شك فلا يتبعوه قُلْنَا لَا تَخَفْ ما توهمت إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى
تعليل للنهى وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستيناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير
وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل وَأَلْقِ مَا فِي

يَمِينِكَ ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اى لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويدة
التى في يدك او تعظيما لها اى لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها وان في يمينك
ما هو اعظم منها اثرا فالقه تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا تبتلعه بقدرة الله واصله تتلقف
فحذفت احدى التائين وتاء المضارعة تحتمل التانيث والخطاب على اسناد الفعل
الى المسبب وقرء ابن عامر برواية ابن ذكوان بالرفع على الحال او الاستيناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته إِنَّمَا صَنَعُوا ان الذى زوروا و
افتعلوا كَيْدُ سَاحِرٍ وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرء حمزة
والكسائى سحر بمعنى ذى سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد
الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك
قال وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ اى هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج
يوم ترى النفوس ما اعدت ۞ في سعى دنيا طال ما قد مدت ۞ كانه قيل انما صنعوا
كيد سحرى حَيْثُ أَتَى حيث كان واين اقبل فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا اى فالقى
فتلقفت فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو من ايات الله ومعجزة من معجزاته
فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا واعتابا وتعظيما لما
راوا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى قدم هارون لكبر سنه او لروى
الاى او لان فرعون ربى موسى او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر
هارون على الاستتباع روى انهم راوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قَالَ
آمَنْتُمْ لَهُ اى لموسى واللام لتضمن الفعل معنى الاتباع وقرء قنبل وحفص
امنتم له على الخبر والباقون على الاستفهام قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ في الايمان
له إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ لعظيمكم في فنكم واعلمكم به او لاستاذكم الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ

والبزي بتشديد التاء

وانتم تواطأتم على ما فعلتم فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ
اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتداء من مخالفة العضو
العضو وهى مع المجرور بها في حيز النصب على الحال اى لاقطعنها مختلفات وقرء
لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ شبه تمكن المصلوب
بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو اول من صلب وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا يريد
نفسه وموسى لقوله امنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله تعالى اراد به توضيع
موسى والهزء به فانه لم يكن من التعذيب في شئ وقيل رب موسى الذى امنوا به
أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى وادوم عقابا قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ اى لن نختارك عَلَى مَا
جَاءَنَا موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيه لما مِنَ الْبَيِّنَاتِ المعجزات الواضحات
وَالَّذِي فَطَرَنَا عطف على ما جاءنا او قسم فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ما انت
قاضيه اى صانعه او حاكمه إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا انما تصنع ما تهواه
او تحكم بما تراه في هذه الدنيا كقولك صمت يوم الجمعة إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا
خَطَايَانَا من الكفر والمعاصى وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ في معارضة المعجزة
روى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا
بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى جزاء
او خير ثوابا وابقى عقابا إِنَّهُ ان الامر مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا بان يموت على كفره
وعصيانه فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا فيستريح وَلَا يَحْيَى حيوة مهناة وَمَنْ
يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ في الدنيا فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى
المنازل الرفيعة جَنَّاتُ عَدْنٍ بدل من الدرجات تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار وَذَلِكَ جَزَاءُ

مَنْ تَزَكَّى تطهر من ادناس الكفر والمعاصى والايات الثلث يحتمل ان تكون من
كلام السحرة وان تكون ابتداء كلام من الله وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ
بِعِبَادِي اى من مصر فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما
فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله فِي الْبَحْرِ يَبَسًا يابسا مصدر وصف به يقال يبس
يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس التى جف
لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف على فعل كصعب وجمع يابس كصحب
وصف به الواحد مبالغة كقوله شعر كان قتود رحلى حين ضمت ۞ حوالب غرزا
ومعا جياعا ۞ او لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا لَا تَخَافُ دَرَكًا
حال من المامور اى امنا من ان يدرككم العدو او ثانية والعائد محذوف و
قرء حمزة لا تخف على انه جواب الامر وَلَا تَخْشَى استيناف اى وانت لا تخشى او عطف
عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى
ولا تخشى الغرق فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ وذلك ان موسى خرج بهم اول الليل
فاخبر فرعون بذلك فقص اثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف
المفعول الثانى وقيل فاتبعهم بمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده
فحذف المفعول ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى
فاتبعهم جنوده وزادهم خلفهم فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ الضمير لجنوده
او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة اى غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف
كنهه الا الله وقرئ فغشاهم ما غشاهم اى غطاهم ما غطاهم والفاعل
هو الله تعالى او ما غشاهم او فرعون لانه الذى ورطهم للهلاك وَأَضَلَّ
فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى اى اضلهم في الدين وما هداهم وهو تهكم به

في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او اضلهم في البحر وما نجا يا بني اسرائيل
خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا او الذين
منهم في عهد النبي صلى الله عليه وآله بما فعل بآبائهم قد انجيناكم من عدوكم
فرعون وقومه وواعدناكم جانب الطور الايمن لمناجاة موسى وانزال التورية
عليه وانما عدى المواعدة اليهم وهي لموسى او له وللسبعين المختارين للملابسة
ونزلنا عليكم المن والسلوى يعني في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم
لذائذه او حلالاته وقرأ حمزة والكسائي انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على التاء
وقرئ ووعدتكم ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب ولا
تطغوا فيه فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف
والبطر والمنع عن المستحق فيحل عليكم غضبي فيلزمكم عذابي ويجب لكم
من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى فقد تردى
وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل
اذا نزل واني لغفار لمن تاب عن الشرك وآمن بما يجب الايمان به وعمل
صالحا ثم اهتدى ثم استقام على الهدى المذكور وما اعجلك عن
قومك يا موسى سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها حيث انها نقيصة في
نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك اجاب موسى
عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه اهم قال هم اولاء على اثري ما تقدمتهم
الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم
بها الرفقة بعضهم بعضا وعجلت اليك رب لترضى فان المسارعة الى
امتثال امرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك قال فانا قد فتنا قومك من بعدك

ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون
وكانوا ستمائة الف وما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا واضلهم
السامري باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم اي اشدهم ضلالة
لانه كان ضالا مضلا وان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة
وحسبوها باياما اربعين وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب
كان له عند مقدمه اذ ليس في الاية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله له عن
المترقب بلفظ الواقع على عادته فان اصل وقوع الشيء ان يكون في علمه ومقتضى مشيته
والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من
كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى الى قومه
بعدما استوفى الاربعين واخذ التورية غضبان عليهم اسفا حزينا بما فعلوا
قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التورية فيها هدى
ونورا افطال عليكم العهد اي الزمان يعني زمان مفارقته لهم ام اردتم
ان يحل عليكم يجب عليكم غضب من ربكم بعبادة ما هو مثل في الغباوة
فاخلفتم موعدي وعدكم اياي بالثبات على الايمان بالله والقيام على ما امرتكم
به وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في وعدي
لكم بالعود بعد الاربعين وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على الشيء الذي
يليه ولا جوابهم له قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بان ملكنا امرنا اذ لو
خلينا وامرنا ولم يسول لنا السامري لما اخلفناه وقرأ نافع وعاصم بملكنا
بالفتح وحمزة والكسائي بالضم وثلثها في الاصل لغات في مصدر ملكت
الشيء ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم احمالا من حلي القبط

التي استعاروها منهم حين هموا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا لعيد
كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل هي ما القاه البحر على الساحل
بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها آثام فان الغنائم لم تكن تحل
بعد ولانهم مستأمنين وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربي فقذفناها اي في
النار فكذلك القى السامري اي ما كان معه منها روي انهم لما حسبوا ان العدة
قد كملت قال لهم السامري انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو
حرام عليكم فالرأي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها
ففعلوا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف
فاخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلي المذابة له خوار صوت العجل فقالوا يعني
السامري ومن افتتن به اول ما رآه هذا الهكم واله موسى فنسي اي فنسيه موسى
وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من اظهار الايمان
افلا يرون افلا يعلمون ان لا يرجع اليهم قولا انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم
جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان ان الناصبة لا يقع بعد افعال اليقين
ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم ولقد قال لهم
هرون من قبل رجوع موسى او قول السامري كانه اول ما وقع عليه بصره حين
طلع من الحفيرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم يا قوم انما فتنتم به بالعجل وان
الرحمن لا غير فاتبعوني واطيعوا امري في الثبات على الدين قالوا لن نبرح عليه
على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا موسى وهذا الجواب يؤيد
الوجه الاول قال يا هرون اي قال له موسى لما رجع ما منعك اذ رأيتهم ضلوا
بعبادة العجل الا تتبعن ان تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به

او ان تأتي عقبي وتلحقني ولا مزيدة كما في قوله ما منعك الا تسجد افعصيت امري بالصلابة في الدين والمحاماة عليه قال يا ابن ام خص الام استعطافا وترقيقا وقيل
لانه كان اخاه من الام والجمهور على انهما كانا من اب وام لا تأخذ بلحيتي ولا
برأسي بشعر رأسي فقبض عليهما يجره اليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله تعالى
وكان عليه السلام حديدا خشنا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون
العجل اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل لو قاتلت او فارقت بعضهم
ببعض ولم ترقب قولي حين قلت اخلفني في قومي واصلح فان الاصلاح كان في حفظ
الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم فتتدارك الامر برأيك قال
فما خطبك يا سامري اي ثم اقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك اي ما طلبك
له وما الذي حملك عليه وهو مصدر خطب الشيء اذا طلبه قال بصرت بما لم يبصروا
به وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب اي علمت ما لم تعلموه وفطنت ما لم
تفطنوا له وهو ان الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس اثره شيئا الا احياه
او رأيت ما لم تروه وهو ان جبرئيل عليه السلام جاءك على فرس الحيوة قيل انما
عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبرئيل يغذوه
حتى استقل فقبضت قبضة من اثر الرسول من تربة موطئه والقبضة المرة من
القبض واطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول للاخذ بجميع الكف
والثاني للاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبرئيل ولعله
لم يسمه لانه لم يعرف انه جبرئيل او اراد ان ينبه على الوقت حين ارسل اليه ليذهب
به الى الطور فنبذتها في الحلي المذاب او في جوف العجل حتى حيي وكذلك سولت
لي نفسي زينته وحسنته لي قال فاذهب فان لك في الحيوة عقوبة على

بما فعلت ان تقول لا مساس من خوف ان يمسك احد فتاخذك الحمى ومن مسك فتحامى الناس وتحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشي النافر وقرى لا مساس كفجار وهو علم للمسة وان لك موعدا في الاخرة لن تخلفه لن يخلفه الله وينجزه لك في الاخرة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرء ابن كثير والبصريان بكسر اللام ان تخلف الوعد اياه وستاتيه لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعود ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرى بالنون على حكاية قول الله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا ظللت على عبادته مقيما فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرء بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها لنحرقنه اى بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه اى بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه ثم لننسفنه نسفا لنذرينه رمادا او مبرودا وقرى بضم السين في اليم نسفا فلا يصادف منه شيء والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر انما الهكم الله الذي لا اله الا هو اذ لا احد يماثله او يدانيه في كمال العلم والقدرة وسع كل شيء علما وسع علمه كل ما صح ان يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وان كان حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة وقرى وسع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه وان انتصب على التميز والمشهور لكنه فاعل في المعنى فلما عدى الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا كذلك نقص مثل ذلك الاقتصاص يعني اقتصاص قصة موسى نقص عليك من انباء ما قد سبق من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين

من امتك

وقد اتيناك من لدنا ذكرا كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس من اعرض عنه عن الذكر الذي هو القران الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله تعالى فانه يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما خالدين فيه في الوزر او حمله والجمع فيه والتوحيد في اعرض للحمل على المعنى واللفظ وساء لهم يوم القيمة حملا اى بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اى ساء حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعل ساء بمعنى احزن والضمير الذي فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى يوم ينفخ في الصور وقرء ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الامر به تعظيما له او للنافخ وقرى وقرى بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لكنه المشهور بذلك وقرى في الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ وقرى يحشر المجرمين زرقا زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوء الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدى اعدائهم وهو زرق ولذلك قالوا في صفة العدو واسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا فان حدقة الاعمى تزراق يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم الا عشرا اى في الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم

مدة الاخرة او لتاسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى اخر الايات نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رايا او عملا ان لبثتم الا يوما استرجاح لقول من يكون اشد تقالا منهم ويسئلونك عن الجبال عن مالها وقد سال عنها رجل من ثقيف فقل ينسفها ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها فيذرها فيذر مقارها والارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك عليها من دابة قاعا خاليا صفصفا مستويا كان اجزاءها على صف واحد لا ترى فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا ان تاملت فيها بالمقياس الهندسي وثلاثتها احوال مرتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص بالمعاني والامت وهو النتوء اليسير وقيل ترى استيناف مبين للحالين يومئذ اذ يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيمة يتبعون الداعي داعي الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج له اى لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن خفضت لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن الاستثناء من الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن او من اعم المفاعيل اى الا من اذن في ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع بالبدلية وعلى الثاني منصوب على المفعولية واذن يحتمل

ان يكون

ان يكون من الاذن او من الاذن ورضي له قولا اى ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة او رضي لاجله قول الشافع في شانه يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام بدل الاضافة ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما وهو يحتمل الحال والاستيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن اذ الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات فلا يخاف ظلما منع ثواب مستحق بالوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرء ابن كثير فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص اى مثل ذلك الانزال او مثل انزال هذه الايات المتضمنة للوعيد انزلناه قرانا عربيا كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد مكررين فيه ايات الوعيد لعلهم يتقون المعاصي فيصير التقوى لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القران فتعالى الله في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق في ملكوته يستحقه لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال

في تلقي الوحي عن جبرئيل ومساوقته في القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال
على سبيل الاستطراد وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان ياتي بيانه وقل
رب زدني علما اي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فانما اوحي اليك
تناله لا محالة ولقد عهدنا الى ادم لقد امرناه يقال تقدم الملك اليه واوعز
اليه وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة
ادم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس بني ادم على العصيان
وعرقهم راسخ في النسيان من قبل من قبل هذا الزمان فنسي العهد ولم يعن
به حتى غفل عنه او ترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة ولم نجد له عزما
تصميم رأي وثبات على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم
يستطع تغريره ولعل ذلك كان في بدء امره قبل ان يجرب الامور ويذوق شريها
واريها وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو وزنت احلام بني ادم بحلم ادم
لرجح حلمه وقد قال الله ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه اخطأه
ولم يتعمده ونجد ان كان من الوجود الذي بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان من
الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما او متعلق بنجد واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لادم مقدر باذكر اي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك انه نسي ولم يكن
من اولي العزيمة والثبات فسجدوا الا ابليس قد سبق القول فيه ابى جملة مستانفة
لبيان ما منعه من السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا او المعنى اظهر الاباء عن
المطاوعة فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما
فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب
الشيطان الى اخراجهما من الجنة فتشقى افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشتراكهما

في الخروج

في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث انه قيم عليها محافظة على الفواصل
او لان المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله
ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمؤ فيها ولا تضحى لانه بيان وتذكير
لما له في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري و
الكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل اعواض ما عسى ينقطع ويزول
منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر منها وقرأ نافع وابو بكر
وانك لا تظمؤ بكسر الهمزة والباقون بفتحها والعاطف وان ناب عن ان لكنه
ناب من حيث انه حرف عامل لا من حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان
امتناع دخول ان عليه فوسوس اليه الشيطان فانهى اليه وسوسته
قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد الشجرة التي من اكل منها خلد ولم
يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانه سببه بزعمه وملك لا يبلى
لا يزول ولا يضعف فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان
عليهما من ورق الجنة اخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو
ورق التين وعصى ادم ربه باكل الشجرة فغوى فضل عن المطلوب
وخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة او عن المامور به او عن الرشد حيث
اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل اذا اتخم من اللبن و
في النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لاولاده
عنها ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق له
من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل
الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته لما تاب وهدى الى الثبات على

التوبة والتشبث باسباب العصمة قال اهبطا منها جميعا الخطاب لادم وحواء
او له ولابليس ولما كانا اصل الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال بعضكم لبعض عدو
لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب او لاختلال حال كل من النوعين
بواسطة الاخر ويؤيد الاول قوله فاما ياتينكم مني هدى كتاب ورسول
فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ومن اعرض عن ذكري
عن الهدى الذاكر لي والداعي الي فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان
مجامع همته ومطامح نظره يكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا
على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للاخرة مع انه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر
ويوسع ببركة الايمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو انهم اقاموا
التورية والانجيل ولو ان اهل القرى امنوا الايات وقيل هو الضريع والزقوم
في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم
عطفا على محل فان له معيشة لانه جواب الشرط يوم القيمة اعمى البصر او القلب
ويؤيد الاول قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقد امالهما حمزة
والكسائي لان الالف منقلبة من الياء وفرق ابو عمرو بان الالف الاول رأس الاية
ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير قال كذلك اي مثل ذلك فعلت ثم فسره
فقال اتتك اياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور
اليها وكذلك ومثل تركك اياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب
وكذلك نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات والاعراض عن الايات ولم
يؤمن بايات ربه بل كذبها وخالفها ولعذاب الاخرة وهو الحشر على العمى
وقيل عذاب النار اي وللنار بعد ذلك اشد وابقى من ضنك العيش

او منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله او مما فعله من
ترك الايات والكفر بها افلم يهد لهم مسند الى الله او الرسول او ما دل
عليه كم اهلكنا قبلهم من القرون اي اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل
على الاولين معلق يجري مجرى اعلم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم
ويشاهدون اثار هلاكهم ان في ذلك لايات لاولي النهى لذوي العقول الناهية
وهي العدة بتاخير عذابهم
عن التغافل والتعامي ولولا كلمة سبقت من ربك وهذه الامة الى الاخرة
لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر
وصف به او اسم آلة سمي به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم واجل مسمى
عطف على كلمة اي ولولا العدة بتاخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم
وهو يوم القيمة او يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال
كل منهما بنفي لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن في كان اي لكان الاخذ
العاجل واجل مسمى لازمين له فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك وصل
وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه او نزهه عن الشرك وساير ما يضيفون
اليه من النقايص حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولي النعم كلها قبل
طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما في اخر النهار
العصر واناء
او العصر وحده ومن اناء الليل ومن ساعاته جمع اني بالكسر او بالفتح
والمد فسبح يعني المغرب والعشاء وانما قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد
الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة وكانت العبادة
فيه احمز ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا
واطراف النهار تكرير لصلوتي الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه

بلفظ الجمع لامن الالباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين اولوصلوة الظهر فانه نهاية
النصف الاول لغ النهاد وبداية الاسم الاخير وجمعه باعتبار النصفين او لان النهاد
جنس اويك لنطوع فى اجزاء النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اى سبح فى هذه الاوقات
طمعا ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك وقرء الكسائى وابو بكر بالبناء للمفعول
اى يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اى نظر عينيك الى ما متعنا به استحسانا
له وتمنيا ان يكون لك مثله ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان
يكون حالا من الضمير والمفعول منهم اى متعنا به الى الذى متعنا به وهو اصناف
بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف دل عليه متعنا
او به على تضمنه معنى اعطينا او بالبدل من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف
بدونه او بالجر اوجمع زاهر وصفهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم بها دبهم
بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم
فى الاخرة بسببه ورزق ربك وما ادخره فى الاخرة او ما رزقك من الهدى
والنبوة خير مما منحهم فى الدنيا وابقى فانه لا ينقطع وامر اهلك بالصلوة
امره بان يامر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعد ما امر بها ليتعاونوا
على الاستعانة بها على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة فلا يلتفتوا لفت ادباب
الثروة واصطبر عليها وداوم عليها لا نسئلك رزقا ان ترزق نفسك
ولا اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الاخرة والعاقبة المحمودة
للتقوى لذوى التقوى روى انه عليه السلام اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة
وتلا هذه الاية وقالوا لولا يأتينا باية من ربه باية تدل على صدقه
فى ادعاء النبوة او باية مقترحة انكارا لما جاء به من الايات او للاعتداد به

تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقران الذى هو ام المعجزات واعظمها وانفعها
لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعى النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق
للعادة ولا شك ان العلم اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان من
هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين من وجوه الاعجاز المختصة بهذا الباب
فقال اولم تأتهم بينة ما فى الصحف الاولى من التورية والانجيل وساير
الكتب السماوية فان اشتمالها على زبدة ما فيها من العقايد والاحكام الكلية
مع ان الاتى بها امى لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار
بانه كما دل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك
ليست كذلك بل هى مفتقرة الى ما يشهد على صحتها وقرء نافع وابو عمرو وحفص
اولم تاتهم بالتاء وقرء الباقون بالياء وقرئ الصحف بالتخفيف ولو
انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد او البينة والتذكير لانها
فى معنى البرهان او المراد بها القران لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا
رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل بالقتل والسبى فى الدنيا ونخزى
بدخول النار يوم القيمة وقد قرئ بالبناء للمفعول قل كل كل واحد منا
ومنكم متربص منتظر لما يؤل اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا
فستعلمون من اصحاب الصراط السوى المستقيم وقرء السواء اى
الوسط الجيد والسوى والسوء اى الشر والسوى وهو تصغير ومن
اهتدى من الضلالة ومن فى الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع
بالابتداء ويجوز ان يكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم
العائد فيكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل

على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب وعلى الصراط على ان المراد به النبى صلعم وعنه ع
من قرء طه اعطى ثواب القيمة ثواب المهاجرين والانصار

سورة الانبياء مكية وهى مائة واثنتا عشر ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم بالاضافة الى ما مضى من عند الله لقوله تعالى انهم يرونه
بعيدا ونريه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان
يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون او لان كل ما هو ات قريب فانما البعيد
ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب وتاكيد الاضافة واصله اقترب
حساب الناس ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم
وهم فى غفلة معرضون اى فى غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه وهما خبران
للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن فى معرضون ما يأتيهم من ذكر ينبههم
عن سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفة للذكر او صلة ليأتيهم محدث تنزيله
ليكرر على اسماعهم التنبيه كى يتعظوا اى قرئ بالرفع حملا على المحل الا استمعوه
وهم يلعبون يستهزؤن به ويستسخرون منه لتناهى غفلتهم وفرط اعراضهم
عن النظر فى الامور والتفكر فى العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك
لاهية قلوبهم اى استمعوه جامعين بين الاستهزاء به والتلهى والذهول عن التفكر
فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر اخر للضمير واسروا
النجوى بالغوا فى اخفائها او جعلوها بحيث خفى تناجيهم بها الذين ظلموا بدل
من واو واسروا للايماء بانهم ظلموا فيما اسروا به او فاعل له والواو لعلامة
الجمع او مبتداء والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع

الموصل موضعه تسجيلا على فعلهم بانهم ظلموا او منصوب على الذم هل هذا الا بشر مثلكم
افتأتون السحر وانتم تبصرون باسره فى موضع النصب بدلا من النجوى او مفعولا
لقول مقدر كانهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه فى ادعاء الرسالة لاعتقادهم
ان الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق كالقران سحر
فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا فى استنباط ما يهدم امره ويظهر فساده
للناس عامة قل ربى يعلم القول فى السماء والارض جهرا كان او سرا فضلا عما
اسروا به وهو اكد من قوله قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض لذلك
اختير ههنا وليطابق قوله واسروا النجوى وقرا حمزة والكسائى وحفص قال
بالاخبار عن الرسول وهو السميع العليم فلا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يضمرون
بل قالوا اضغاث احلام بل افتريه بل هو شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر
الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكاية
والابتداء باخرى او للاضراب عن تحاورهم فى شان الرسول وما ظهر عليه من
الايات الى تقاولهم فى امر القران والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل
خيلت عليه وخلطت اليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى كلام
انه كلام شعرى تخيله الى السامع معانى لا حقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون
الكل من الله تعالى تنزيلا لاقوالهم فى درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه
مفترى لانه مشحون بالحقايق والحكم ليس فيها ما يناسب قول الشعراء وهو ابعد
من كونه احلاما لانه مشتملا على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون
كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله صلعم نيفا واربعين سنة وما
سمعوا منه كذبا قطعوا هو ابعد من كونه سحرا لانه مجانسة من حيث انهما كالخوارق

فليأتنا بآية كما أرسل الأولون اي كما ارسل به الاولون مثل اليد البيضاء
والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان
بالاية ما آمنت قبلهم من قرية من اهل قرية اهلكناها باقتراح الايات لما جاءتهم
أفهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم اعتى منها وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح
للابقاء عليهم اذ لو اتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستيصال كمن قبلهم وما
أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم
لا تعلمون جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم يامرهم ان يسالوا اهل الكتاب
عن حال الرسل المتقدمة لتزول عنهم الشبهة والاحالة اليهم اما للالزام فان المشركين
كانوا يشاورونهم في امر النبي عليه السلام ويثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير
يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرا حفص نوحي بالنون وما جعلناهم جسدا
لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين نفي لما اعتقدوا انها من خواص
الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم ما لهذا
الرسول ياكل الطعام وما كانوا خالدين تاكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام
من توابع التحليل المودي الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر
في الاصل او على حذف المضاف او تاويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون
ولذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب
لان اصله لجمع الشيء واشتداده ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد فأنجيناهم
ومن نشاء يعني المؤمنين ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو او واحد
من ذريته ولذلك حميت العرب عن عذاب الاستيصال وأهلكنا المسرفين
في الكفر والمعاصي لقد أنزلنا إليكم يا قريش كتابا يعني القرآن فيه

ذكر

ذكركم صيتكم كقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به
حسن الذكر من مكارم الاخلاق أفلا تعقلون فتؤمنون وكم قصمنا من
قرية واردة عن غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم
كانت ظالمة صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه وأنشأنا بعدها
بعد اهلاك اهلها قوما آخرين مكانهم فلما أحسوا بأسنا فلما ادركوا
شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف إذا هم
منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم
لا تركضوا على ارادة القول اي قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال او
المقال والقائل ملك او من ثمة من المؤمنين وارجعوا إلى ما أترفتم فيه
من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كانت لكم لعلكم تسألون
غدا من اعمالكم او تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال
والتشاور في المهام والنوازل قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين لما راوا العذاب
ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث
اليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد
من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك فما زالت تلك دعواهم فما
زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كانه يدعو الويل ويقول
يا ويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعواهم الاسمية والخبرية حتى جعلناهم
حصيدا مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع خامدين ميتين
من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني كقولك جعلته
حلوا حامضا اذ المعنى وجعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او صفة له

او حال من ضميره وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين وانما خلقناها
مشحونة بضروب البدايع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسبيبا
لما ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد فينبغي ان يتسلقوا بها الى تحصيل
الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال لو أردنا أن نتخذ لهوا ما
يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق
بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في
رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن
وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى إن كنا فاعلين ذلك ويدل على
جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية بل نقذف بالحق
على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته عن اللعب اي بل من شاننا
ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من عداده اللهو فيدمغه
فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة
المرمي والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشائه المودي الى زهوق الروح
تصويرا لابطاله به ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله سأترك منزلي
لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على
الحق فإذا هو زاهق هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز
ولكم الويل مما تصفون مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو في موضع الحال
وما مصدرية او موصولة او موصوفة وله من في السماوات والأرض خلقا
وملكا ومن عنده يعني الملائكة المنزلين لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند
الملوك وهو معطوف على من في السماوات وافراده للتعظيم او لانه اعم منه من وجه

او الماد

او المراد به نوع الملائكة متعالي عن التبوء في السماء والارض او مبتدا خبره لا يستكبرون
عن عبادته لا يتعظمون عنها ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما جيء با
لاستحسار الذي هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها
حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار ينزهونه
ويعظمونه دايما لا يفترون حال من الواو في يسبحون وهو استيناف او حال
من ضمير قبله أم اتخذوا آلهة بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم من الأرض
صفة لآلهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفايدتها التحقير دون التخصيص
هم ينشرون الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن يلزم من ادعائهم لها الالهية
فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم
وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم لو كان فيهما آلهة إلا الله
غير الله وصف بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته
على ملازمة الفساد لكون الالهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا
او معه حملا لها على غير كما استثني بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع
على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب لفسدتا لبطلتا لما يكون
بينهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت فالمراد بطارد دت عليه القدر
وان تخالفت فيه تعاوقت عليه فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع
الاجسام الذي هو محل التدابير ومنشا المقادير عما يصفون من اتخاذ الشريك
والصاحبة والولد لا يسأل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية
والسلطنة الذاتية وهم يسألون لانهم مملوكون متعبدون والضمير
للالهة او للعباد أم اتخذوا من دونه آلهة كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا

لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم او فساد الانكار ما يكون لهم سندا من النقل
الى انكار ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى او وجدوا آلهة ينشرون الموتى
فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية او وجدوا في الكتب
الالهية الامر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب
على الاول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلا قل
هاتوا برهانكم على ذلك اما من العقل او من النقل فانه لا يصح القول بما لا
دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا هذا ذكر من
معي وذكر من قبلي من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد
والنهي عن الاشراك والتوحيد لما يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب
صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معي امته ومن قبلي الامم المتقدمة واضافة الذكر
اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه وبمن الجارة على ان مع اسم
هو ظرف كقبل وبعد بل اكثرهم لا يعلمون الحق ولا يميزون بينه وبين
الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتاكيد بين السبب
والمسبب فهم معرضون عن التوحيد واتباع الرسل من اجل ذلك وما ارسلنا
من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون تعميم بعد
تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر الاسم الاشارة مخصوص بالموجود
بين اظهرهم وهو الكتب الثلثة وقرأ حفص وحمزة والكسائي نوحي اليه بالنون
وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت
في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك بل
عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد مكرمون مقربون وفيه

تنبيه

تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيئا
حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق
اليه واليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به
للقائلين على الله تعالى ما لم يقله وانيب اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا
عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه وهم
بامره يعملون لا يعملون قط ما لم يامرهم به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما
بعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم ولا يشفعون
الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه وهم من خشيته من عظمته ومهابته
مشفقون مرتعدون واصل الخشية الخوف مع تعظيم ولذلك خص
به العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف
فيه اظهر وان عدي بعلى فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة او
من الخلائق اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم يريد به نفي النبوة
وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية
كذلك نجزي الظالمين من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية اولم ير الذين
كفروا اولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو ان السموات والارض
كانتا رتقا ذات رتق او مرتوقتين وهو الضم والالتحام اي كنتا شيئا
واحدا وحقيقة متحدة ففتقناهما بالتنويع والتمييز او كانت
السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا
وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات

او اقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا
تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها
باعتبار الآفاق او السموات باسرها على ان لها مدخلا ما في الامطار والكفرة
وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى
مؤثر واجب ابتداء او بوسط او استفسارا من العلماء او مطالعة الكتب
وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ
رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا اي مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض وجعلنا
من الماء كل شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة
من ماء وذلك لانه من اعظم مواده او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه
او صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة
كل او مفعول ثان والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان افلا يؤمنون مع
ظهور الآيات وجعلنا في الارض رواسي ثابتات من رسا اذا ثبت ان
تميد بهم كراهة ان تميد بهم وتضطرب وقيل لئلا تميد فحذف لا لامن
الالتباس وجعلنا فيها في الارض او الرواسي فجاجا سبلا مسالك واسعة
وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك
او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون
فيه من التوكيد لعلهم يهتدون الى مصالحهم وجعلنا السماء سقفا
محفوظا عن الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم
بمشيته او استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها عن احوالها الدالة
على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها

ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة معرضون غير متفكرين وهو
الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك الآيات
كل في فلك اي كل واحد منهما والتنوين بدل المضاف اليه والمراد بالفلك
الجنس كقولهم كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون على سطح الفلك اسراع
السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز
انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل
واو العقلاء لان السباحة فعلهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان
مت فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفي معناه قوله
فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا والفاء لتعلق الشرط
بما قبله والهمزة لانكاره بعدما تقرر ذلك كل نفس ذائقة الموت ذائقة
مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما انكروه ونبلوكم ونعاملكم معاملة
المختبر بالشر والخير بالبلايا والنعم فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا ترجعون
فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من
هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لما سبق واذا رآك الذين
كفروا ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا مهزوا به ويقولون
اهذا الذي يذكر آلهتكم اي بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر
العدو لا يكون الا بسوء وهم بذكر الرحمن بالتوحيد او بارشاد الخلق ببعث
الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقرآن هم كافرون منكرون
فهم احق بان يهزأ بهم وتكرير الضمير للتاكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة
بينه وبين الخبر خلق الانسان من عجل كانه خلق منه لفرط استعجاله الوعيد

روي انها في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب سأريكم آياتي نقماتي في
الدنيا كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالاتيان بها
والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا
الوعد وقت وعد العذاب او القيمة ان كنتم صادقين يعنون النبي واصحابه
لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم
ولا هم ينصرون محذوف الجواب وحين مفعول به اي لو يعلمون الوقت الذي
يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب
بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز
ان يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا او
يعلمون بطلان ما عليهم حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة
على ما اوجب لهم ذلك بل تأتيهم العدة او النار او الساعة بغتة فجاءة مصدرا
او حال وقرئ بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء
والضمير للوعد او الحين وكذا في قوله فلا يستطيعون ردها لان الوعد بمعنى النار
او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار او للبغتة ولا هم ينظرون
يمهلون وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية
لرسول الله صلعم فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن وعد له بان ما
يفعلونه يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعني جزاءه قل يا
محمد للمستهزئين من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن من باسه
ان اراد بكم وفي لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالي غير رحمته العامة وان اندفاعه
بمهلته بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرون ببالهم فضلا على ان يخافوا

باسه

باسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا الكالي وصلحوا للسؤال عنه ام لهم آلهة تمنعهم من
دوننا بل الهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او من عذاب يكون من عندنا والكلام
معنا بان عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد
لنقيضه ابعد لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استيناف بابطال
ما اعتقدوه فان ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره
بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان ما هو
الداعي الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة
على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم
حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك
عقبه بما يدل على انه امل كاذب فقال افلا يرون انا نأتي الارض ارض الكفرة
ننقصها من اطرافها بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على
ايدي المسلمين افهم الغالبون رسول الله والمؤمنين قل انما انذركم بالوحي
بما اوحي الي ولا يسمع الصم الدعاء بما اوحي اليه وقرء ابن عامر ولا تسمع
الصم على خطاب النبي وقرئ بالياء على ان فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه
موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون اذا ما ينذرون
منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام في الانذار او للمبالغة
في تصامهم وتجاسرهم ولئن مستهم نفحة ادنى شيء وفيه مبالغات ذكر المس
وما في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء والبناء الدال
على المرة من عذاب ربك من الذي ينذرون ليقولن يا ويلنا انا ظالمين
لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ونضع الموازين القسط العدل

يوزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي
والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة ليوم القيمة
لجزاء يوم القيمة او لاهله او فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم
نفس شيئا من حقها او من الظلم وان كان مثقال حبة من خردل اي وان
كان العمل او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة اتينا بها
احضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من اعطينا
او من المواتاة فانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء واثبنا من الثواب وجئنا
من الضمير للمثقال وتانيثه لاضافته الى الحبة وكفى بنا حاسبين اذ لا
مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء
وذكرا للمتقين اي الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء
يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون
اليه من الشرايع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو
على انه حال من الفرقان الذين يخشون ربهم صفة للمتقين او مدح لهم منصوب
او مرفوع بالغيب حال من الفاعل او المفعول وهم من الساعة مشفقون
خائفون وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر
يعني القرآن مبارك كثير خيره انزلناه على محمد افانتم له منكرون استفهام
توبيخ ولقد آتينا ابراهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته
ليدل على انه رشد مثله وان له شانا وقرئ رشده وهو لغة من قبل موسى
وهرون او محمد عليه السلام وقيل من قبل استنبائه او بلوغه حيث قال اني وجهت
وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم

الخصال

الخصال وفيه اشارة الى ان فعله تعالى باختيار وحكمة فانه تعالى عالم بالجزئيات
اذ قال لابيه وقومه متعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات
رشده وقت قوله ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون تحقير لشانها
وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة لا روح فيها لا تضر ولا تنفع واللام
للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى وانتم عاكفون فاعلون لها
ويجوز ان يأول بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة قالوا وجدنا آباءنا
لها عابدين فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى
عبادتها وحملهم عليها قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين منخرطون
في سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد
ان جاز فانما يجوز لمن علم في الجملة انه على حق قالوا اجئتنا بالحق ام انت من
اللاعبين كانهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا انما قاله على وجه الملاعبة فقالوا
ابجد تقوله ام تلعب به قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن
اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات و
الارض او للتماثيل وهو ادخل في تضليلهم والزام الحجة عليهم وانا على ذلكم
المذكور من التوحيد من الشاهدين من المحققين له والمبرهنين عليه فان
الشاهد من تحقق الشيء وحققه وتالله وقرئ بالياء وهي الاصل والتاء
بدل من الواو والمبدلة منها وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم لاجتهدن في
لاجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما في التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه
على نوع من الحيل بعد ان تولوا عنها مدبرين الى عيدكم ولعله قال ذلك
سرا فجعلهم جذاذا قطاعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع

وقرأ الكسائي بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا
جمع جذيذ وجذذا جمع جذة الا كبيرا لهم للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفاس
على عنقه لعلهم اليه يرجعون لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده
واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم بقوله او لانهم يرجعون
الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شان المعبود ان يرجع اليه في حل العقد فيبكتهم
بذلك او الى الله اي يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم قالوا حين رجعوا
من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين بجراءته على الالهة الحقيقة بالاعظام
او بافراطه في حطمها او بتوريط نفسه للهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم
فلعله فعله ويذكر ثاني مفعولي سمع او صفة لفتى مصححة ان يتعلق به السمع وهو
ابلغ في نسبة الذكر اليه يقال له ابراهيم هو ابراهيم ومجوز رفعه بالفعل
لان المراد به الاسم لا المسمى قالوا فأتوا به على اعين الناس بمرأى منهم بحيث
يتمكن صورته في اعينهم تمكن الراكب على المركوب لعلهم يشهدون بفعله
او بقوله او يحضرون عقوبتنا له قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم
حين احضروه قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون اسند
الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما راى من زيادة تعظيمهم زيادة له تسبب
لمباشرته اياه او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على اسلوب تعريضي
كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق ءانت كتبت هذا فقلت
بل كتبته وحكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه في المعنى متعلق
بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى او ابراهيم و
قوله كبيرهم هذا ابتداء وخبر ولذلك وقف على فعله وما روي انه ع

قال

قال لابراهيم ثلث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته
فرجعوا الى انفسهم وراجعوا عقولهم فقالوا فقال بعضهم لبعض انكم انتم
الظالمون بهذا السؤال او بعبادة ما لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم
انه لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا
بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء مستعليا على اعلاه
وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا اي نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء
ينطقون فكيف تامرنا بسؤالها وهو وارد على ارادة القول قال افتعبدون
من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم انكار لعبادتهم لها بعد
اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافي الالوهية اف لكم ولما
تعبدون من دون الله تضجر منه على اصرارهم بالباطل واف صوت المتضجر
ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له افلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا
اخذا في المضارة لما عجزوا عن المحاجة حرقوه فان النار اهول ما يعاقب به وانصروا
آلهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين ان كنتم ناصرين لها نصرا
مؤزرا والقائل منهم رجل من اكراد فارس اسمه هيون خسف به الارض
وقيل نمرود قلنا يا نار كوني بردا وسلاما ذات برد وسلام اي
ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة
مطيعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما
عليه روي انهم بنوا حظيرة بكوثى واججوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه في
المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال له جبرئيل هل لك حاجة فقال اما اليك

فلا فقال فسل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله ببركة قوله الحظيرة
روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال اني مقرب
الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان اذ ذاك ابن ست
عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبة ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف
المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى دفع عنه
اذاها كما ترى في السمندر ويشعر به قوله على ابراهيم وارادوا به كيدا مكرا في
اضراره فجعلناهم الاخسرين اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا
قاطعا على انهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم
اشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي
من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في
العالمين شرايعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية
وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة
وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة عطية فهي
حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سال وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا باس
به للقرينة وكلا يعني الاربعة جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح
وحملناهم عليه فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى بهم يهدون
الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسلنا اياهم حتى صاروا مكملين
واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل
الى العلم واصله ان يفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات و
كذلك قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص على

العام

العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة المعوضة عن احدى الالفين لقيام المضاف
اليه مقامها وكانوا لنا عابدين موحدين مخلصين في العبادة ولذلك قدم
الصلة ولوطا آتيناه حكما حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغي
علمه للانبياء ونجيناه من القرية قرية سدوم التي كانت تعمل الخبائث
يعني اللواط وصفها بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف
واقامتها مقامه ويدل عليه انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل
له وادخلناه في رحمتنا في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين
سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اذ نادى اذ دعا الله على قومه بالهلاك
من قبل المذكورين فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله من الكرب العظيم
من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم الشديد ونصرناه مطاوعه انتصر
اي جعلناه منتصرا من القوم الذين كذبوا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم
اجمعين لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك في الشر ولعلهما لم يجتمعا في قوم
الا واهلكهم الله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث في الزرع وقيل
في كرم تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا وكنا
لحكمهم شاهدين لحكم الحاكمين والمتحاكمين عالمين ففهمناها سليمان
الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها سليمان روي ان داود
عليه السلام حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احد عشر
سنة غير هذا ارفق بهما فامر بدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون
بالبانها واولادها وشعرها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه
حتى نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني والثاني مثل قول الشافعي

بقيمة الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا عند الشافعي وجوب ضمان المتلف
بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا ولذلك قضى النبي صلعم لما دخلت ناقة البراء حائطا
وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل و
عند ابي حنيفة لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله عليه السلام جرح العجماء جبار وكلا
آتينا حكما وعلما دليل على ان خطأ المجتهد لا يقدح فيه وقيل على ان كل مجتهد مصيب
وهو مخالف لمفهوم قوله تعالى ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها
لاظهار ما تفضل عليه في صغره وسخرنا مع داود الجبال يسبحن يقدسن الله معه
اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له او يخلق الله فيها وقيل يسرن معه من السباحة وهو
حال او استيناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة به او بسخرنا والطير عطف على الجبال
او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف وكنا
فاعلين لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجيبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس
عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها قيل كانت صفائح فحلقها
وسردها لكم متعلق بعلم او صفة للبوس لتحصنكم من باسكم بدل منه بدل الاشتمال
باعادة الجار والضمير لداود او للبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او
اللبوس على تاويل الدرع وفي قراءة ابي بكر ورويس بالنون لله عز وجل فهل انتم
شاكرون ذلك امر اخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ولسليمن وسخرنا
له ولعل اللام فيه دون الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمن نافع له وفي الاول امر
يظهر في الجبال والطير مع داود وبالاضافة اليه الريح عاصفة شديدة الهبوب من حيث
انها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء
في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته تجري بامره

بمشيته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها
الى الشام رواحا بعدما سارت به منه بكرة وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على ما تقتضيه
الحكمة ومن الشياطين من يغوصون له في البحار ويخرجون نفائسه ومن عطف على
الريح او مبتدا خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون
ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة كقوله يعملون له ما يشاء
من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى
جبلتهم وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او
تضمين النداء معناه والضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس كمرض
وهزال وانت ارحم الراحمين وصف ربه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها
واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال وكان روميا من ولد عيص بن اسحق
استنباه الله تعالى وكثر اهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم
وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث عشرة سنة او سبعا وسبعة
اشهر وسبع ساعات وروي ان امراته ماخير بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت افرائيم
بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة
فقال استحيي من الله ان ادعو وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فاستجبنا له
فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه وآتيناه اهله ومثلهم معهم
بان ولد له ضعف ما كان او احيي ولده وولد له منهم نوافل رحمة من عندنا
وذكرى للعابدين رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا
كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا للعابدين فانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم
واسماعيل وادريس وذا الكفل يعني الياس وقيل يوشع وقيل زكريا

سمي به لانه كان ذا حظ من الله او تكفل امته او ضعف عمله لثواب زمانه وثوابهم و
الكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل من الصابرين على مشاق
التكاليف وشدائد النوائب وادخلناهم في رحمتنا يعني النبوة او نعمة الاخرة
انهم من الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم
عن كدر الفساد وذا النون وصاحب الحوت يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا
لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم قبل
ان يومر وقيل وعدهم بالعذاب فلم ياتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه
كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة او لانه اغضبهم بالمهاجرة
لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه ان لن نضيق عليه او ان نقضي عليه
بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله
بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا او خطرة شيطانية
سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرئ يقدر على البناء للمفعول
وقرئ به مثقلا فنادى في الظلمات في الظلمة الشديدة المتكاثفة او ظلمات
بطن الحوت والبحر والليل ان لا اله الا انت بانه لا اله الا انت سبحانك ان
يعجزك شيء اني كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبي صلعم
ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له فاستجبنا له ونجيناه من
الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان في بطنه وقيل ثلاثة ايام والغم
غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص
وفي الامام نجي ولذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرأ
ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء

في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا
يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر
الادغام وامتناع الحذف في تجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى
ضمير المصدر وسكن اخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور
والماضي لا يسكن اخره وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا
بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي به فاستجبنا
له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها
او لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة انهم يعني المتوالدين او المذكورين
من الانبياء كانوا يسارعون في الخيرات يبادرون الى ابواب الخير ويدعوننا
رغبا ورهبا ذوي رغب او راغبين في الثواب راجين للاجابة او في الطاعة
او خائفين العقاب او المعصية وكانوا لنا خاشعين مخبتين او دائمي الوجل
والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال والتي احصنت فرجها من الحلال
والحرام يعني مريم فنفخنا فيها في عيسى فيها اي احييناه في جوفها وقيل فعلنا
النفخ فيها من روحنا من الروح الذي هو بامرنا وحده او من جهة روحنا يعني
جبريل وجعلناها وابنها اي قصتهما او حالهما ولذلك وحد قوله آية للعالمين
فان من تامل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى ان هذه امتكم اي ملة التوحيد
او الاسلام ملتكم التي يجب عليكم ان تكونوا عليها فكونوا عليها امة واحدة
غير مختلفة فيما بين الانبياء اذ لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع وقرئ امتكم
بالنصب على البدل وامة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما خبران وانا ربكم
لا اله لكم غيري فاعبدون لا غيري وتقطعوا امرهم بينهم صرف الى الغيبة

المتفقا تابتين على الدين تفرقوا فى الدين وجعلوا امره قطعًا وجعلوا امره قطعًا موزعة
بينهم فعلهم الى غيرهم كل من الفرق المتحزبة اِلَيْنَا رَاجِعُونَ فنجازيهم فَمَن يَعمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ بالله ورسله فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ فلا تضييع لسعيه كما لا يثبتون مثبتون فى
صحيفة عمله لا يضيع بوجه ما وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ وممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرا
ابو بكر وحمزة والكسائى وحرم بكسر الحاء وسكون الراء وقرئ حرم اَهْلَكْنَاهَا
حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة اَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ رجوعهم الى التوبة او
الحيوة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدا خبره حرام او فاعل له ساد مسد
الخبر او دليله عليه وتقديره توبتهم او حيوتهم او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون
ولا ينيبون اليه وحرام خبر محذوف اى وحرام عليها ذاك وهو المذكور فى الاية المتقدمة
ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم ان لا يرجعون حَتَّى اِذَا فُتِحَتْ
يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ متعلق بحرام او بمحذوف دل الكلام عليه او بلا يرجعون اى
يستمر الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها
وهو فتح سد ياجوج وماجوج وحتى هى التى يحكى الكلام بعدها والمحكى
هى الجملة الشرطية وقرا ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد وهم يعنى ياجوج وماجوج
او الناس كلهم مِنْ كُلِّ حَدَبٍ نشز من الارض وقرئ وجدث وهو القبر يَنْسِلُونَ
يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ هو
القيمة فَاِذَا هِىَ شَاخِصَةٌ اَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا جواب الشرط واذا للمفاجاة
تسد مسد الفاء الجزائية كقوله تعالى اِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ فاذا جاءت الفاء معها
تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد والضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار يَا
وَيْلَنَا مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا

لم نعلم انه حق بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ لانفسنا بالاخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر
اِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم
بطاعتهم لهم فى حكم عبدتهم لما روى انه عم لما تلا الاية على المشركين قال له ابن الزبعرى
قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح
وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه السلام بل هم عبدوا الشياطين التى امرتهم بذلك
فانزل الله تعالى اِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى الاية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون
ما مؤول بمن او بما يعمه يدل عليه ما روى ان ابن الزبعرى قال هذا شىء لالهتنا خاصة
او لكل من عبد من دون الله وقال عليه السلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون
قوله ان الذين بيانا للتجوز او للتخصيص تاخر عن الخطاب حَصَبُ جَهَنَّمَ ما يرمى
به اليها ويهيج به من حصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر
اَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ استيناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص
والدلالة على ان ورودهم لاجلها لَوْ كَانَ هٰؤُلَاءِ اٰلِهَةً مَا وَرَدُوهَا لان المؤاخذ
المعذب لا يكون الها وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ لا خلاص لهم عنها لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ
انين وتنفس شديد وهو من اضافة البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما يعبدون
الاصنام وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم
اِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى الخصلة الحسنى وهى السعادة او التوفيق
الطاعة او البشرى بالجنة اُولٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لانهم يرفعون الى اعلى
عليين روى ان عليا رضى الله عنه خطب وقرا هذه الاية ثم قال انا
منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن
عوف وابن الجراح ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه ويقول لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا

وهو بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة فى ابعادهم عنها والحسيس صوت
يحس به وَهُمْ فِيمَا اشْتَهَتْ اَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ دائمون فى غاية التنعم وتقديم الظرف
للاختصاص والاهتمام به لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْاَكْبَرُ النفخة الاخيرة لقوله تعالى يوم ينفخ فى
الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض او الانصراف الى النار او حين يطبق على النار
او يذبح الموت وَتَتَلَقّٰهُمُ الْمَلَائِكَةُ تستقبلهم مهنئين هٰذَا يَوْمُكُمْ يوم ثوابكم وهو مقدر
بالقول الَّذِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ فى الدنيا يَوْمَ نَطْوِى السَّمَاءَ مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم
او تتلقاهم او حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والطى ضد النشر او المحو من
قولك اطو عنى هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبنى ادم فاذا انتقلوا قوضت عنهم
وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول كَطَىِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ طيا كطى الطومار لاجل الكتابة
او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص على الجمع اى للمعانى الكثيرة
المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوى كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه كَمَا بَدَاْنَا اَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ اى
نعيد ما خلقناه مبتدا اعادة مثل بدئنا اياه فى كونهما ايجادا عن العدم او جمعا من
الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتى
المصحح للمقدورية والقدرة القديمة لهما على سواء وما كافة او مصدرية واول
مفعول لبدانا او لفعل يفسره نعيده وموصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده
اى نعيد مثل الذى بدانا واول خلق ظرف لبدانا او حال من ضمير الموصول المحذوف
وَعْدًا مقدر بفعله تاكيد لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة عَلَيْنَا اى علينا انجازه
اِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ذلك لا محالة وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ فى كتاب داود مِنْ بَعْدِ
الذِّكْرِ اى التورية وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ

اَنَّ الْاَرْضَ ارض الجنة او الارض المقدسة يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ يعنى عامة المؤمنين
او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها او امة محمد عليه السلام اِنَّ فِى هٰذَا
اى فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد لَبَلَاغًا لكفاية او لسبب بلوغ الى
البغية لِقَوْمٍ عَابِدِينَ همهم العبادة دون العادة وَمَا اَرْسَلْنَاكَ اِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ
لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة
للكفار امنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال قُلْ اِنَّمَا يُوحٰى اِلَىَّ اَنَّمَا اِلٰهُكُمْ
اِلٰهٌ وَاحِدٌ اى ما يوحى الى الا انه لا اله لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلى
من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى لقصر الحكم على الشىء والثانية على العكس
فَهَلْ اَنْتُمْ مُسْلِمُونَ مخلصون العبادة لله على مقتضى الوحى المصدق بالحجة وقد عرفت
ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع فَاِنْ تَوَلَّوْا عن التوحيد فَقُلْ اٰذَنْتُكُمْ اعلمتكم ما
امرت به او حربى لكم عَلٰى سَوَاءٍ مستوين فى الاعلام به او مستوين انا وانتم فى العلم بما
اعلمتكم به او فى المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم اى على سواء اى عدل واستقامة
راى بالبرهان النير وَاِنْ اَدْرِى وما ادرى اَقَرِيبٌ اَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ من غلبة
المؤمنين او الحشر لكنه كائن لا محالة اِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ ما تجاهرون به من الطعن
فى الاسلام وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وَاِنْ اَدْرِى
لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وما ادرى لعل تاخير جزائكم استدراج لكم وزيادة فى افتتانكم
او امتحان لينظر كيف تعملون وَمَتَاعٌ اِلٰى حِينٍ وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه مشيته
قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضى لاستعجال العذاب
والتشديد عليهم وقرا حفص قال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ
بالضم ورب احكم على بناء التفضيل واحكم من الاحكام وَرَبُّنَا الرَّحْمٰنُ كثير الرحمة

على حلته المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون من الحالات الشوكة تكون لهم
وان راية الاسلام تخفق اياما ثم يسكن وان الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فاجاب الله
تعالى دعوة رسوله فخيب امانيهم ونصر رسوله عليهم وقرء عاصم بالياء وعن النبي عليه السلم
من قرء اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا او صافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القران

سورة الحج مكية الا ست ايات من هذان خصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة تحريكها للاشياء على الاسناد المجازي
او تحريك الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير في او اضافة المصدر الى
الظرف على اجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها
الى الساعة لانها من اشراطها شيء عظيم هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها
بعقولهم ويعلموا انهم لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم
ويتقوها بملازمة التقوى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت
تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منصوب بتذهل وقرء تذهل وتذهل مجهولا
ومعروفا اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود
الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت التي القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت
عنه وما موصولة او مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى الناس سكارى
كانهم سكارى وما هم بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد فادهشهم
هوله بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم وقرء ترى من اريتك قائما او رايتك قائما
بنصب الناس ورفعه على انه نائب الفاعل وتانيثه على تاويل الجماعة وافراده
بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل احد على غيره وقرء سكرى و

والكسائي سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس من يجادل في الله بغير
علم نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير
الاولين ولا بعث بعد الموت وهي تعمه واضرابه ويتبع في المجادلة او في عامة احواله
كل شيطان مريد متجرد للفساد واصله العري كتب عليه على الشيطان انه من تولاه
تبعه والضمير للشان فانه يضله خبر لمن او جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من تولاه
لانه جبل عليه اضلال من يتولاه وقرئ بالفتح على تقدير فشانه انه يضله على العطف
فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في الموضعين على حكاية المكتوب او على اضمار
القول او تضمين الكتب معناه ويهديه الى عذاب السعير بالحمل على ما يؤدي اليه
يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث
بالتحريك كالجلب فانا خلقناكم من تراب اي فانظروا في بدء خلقكم فانه
يزيح ريبكم فانا خلقناكم من تراب بخلق ادم عليه السلم منه او الاغذية التي تكون
منها المني ثم من نطفة مني من النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة من الدم
جامدة ثم من مضغة قطعة من اللحم وهي في الاصل قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة
مسواة لا نقص فيها ولا عيب وغير مسواة او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة
لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغير والفساد والتكون
مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك ثانيا
وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا
يحيط به الذكر ونقر في الارحام ما نشاء ان نقره الى اجل مسمى هو وقت
الوضع وادناه ستة اشهر واقصاه اربع سنين وقرئ ونقر في النصب و
كذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على نبين كان خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة

ونقرهم في الارحام حتى يولدوا وينشوا ويبلغوا احدا التكليف وقريا بالياء
رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال اجريت على تاويل
كل واحد او الدلالة على الجنس او لانه في الاصل مصدر ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في
القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع النعمة كانها والاصل شدة في الامور ومنكم
من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى اي يتوفاه الله ومنكم من يرد
الى ارذل العمر الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم من بعد علم شيئا
ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه
وينكر من عرفه والاية استدلال ثان على امكان البعث بما يعتري الانسان في اسنانه
من الامور المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره و
ترى الارض هامدة ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا
عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ ربات اي ارتفعت
وانبتت من كل زوج من كل صنف بهيج حسن رائق وهذه دلالة ثالثة
كررها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ذلك اشارة الى ما
ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض
بعد موتها وهو مبتدا خبره بان الله هو الحق اي بسبب انه الثابت في
نفسه الذي به يتحقق الاشياء وانه يحيي الموتى وانه يقدر على احيائها والا
لما احيى النطفة والارض الميتة وانه على كل شيء قدير لان قدرته لذاته
الذي نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض
الاموات لزم اقتداره على احياء كلها وان الساعة اتية لا ريب فيها فان
التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه وان الله يبعث من في القبور بمقتضى

بقبله
وعده الذي لا يخلف ومن الناس من يجادل في الله بغير علم تكرير لما كيد لما نيط
من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب منير على انه لا سند له من استدلال او وحي
او الاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الهدى
والكتاب عليه ثاني عطفه متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد او معرضا
عن الحق استخفافا به وقرئ بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله علة
للجدال وقرئ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن
منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث
مؤداه كالغرض له له في الدنيا خزي وهو ما اصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيمة
عذاب الحريق المحرق وهو النار ذلك بما قدمت يداك على الالتفات او ارادة
القول اي يقال له يوم القيمة ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر
والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد وانما هو مجازيهم على اعمالهم
والمبالغة لكثرة العبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف
من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا
فر فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه
روي انها نزلت في اعاريب قدموا الى المدينة فكان احدهم اذا صح بدنه
ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته
قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان وان كان الامر بخلافه
قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته
مصائب فتشام بالاسلام فاتى النبي عليه السلم فقال اقلني فقال ان الاسلام
لا يقال فنزلت خسر الدنيا والاخرة بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد

وقرئ خاسرا بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا
على خسرانه او على انه خبر محذوف ذلك هو الخسران المبين اذ لا خسران مثله يدعوا من
دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ذلك هو الضلال
البعيد عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضلالا يدعوا لمن ضره بكونه
معبودا لانه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الاخرة اقرب من نفعه الذي
يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله تعالى واللام معلقة ليدعوا
من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة مقولا
اجراء له مجرى يقول اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره
به او مستانفة على ان يدعوا تكرير للاول ومن مبتدا وخبره لبئس المولى الناصر
ولبئس العشير الصاحب ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من اثابة الموحد الصالح
وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا
والاخرة كلام فيه اختصار والمعنى ان الله تعالى ناصر رسوله في الدنيا والاخرة
فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير
لمن فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستقص في ازالة غيظه او جزعه
بان يفعل كل ما يفعله الممتلئ غضبا او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته
فيختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه او فليمدد حبلا
الى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد في دفع نصره
او تحصيل رزقه وقرا ورش وابو عمرو وابن عامر ليقطع بكسر اللام فلينظر
فليتصور في نفسه هل يذهبن كيده فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه

منتهى ما يقدر عليه ما يغيظ غيظه او الذي يغيظه من نصر الله وقيل نزلت في قوم مسلمين
استبطؤا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين وكذلك ومثل ذلك الانزال
انزلناه انزلنا القران كله ايات بينات واضحات وان الله يهدي ولان
الله يهدي به او يثبت على الهدى من يريد هدايته او ثباته كذلك انزله مبينا ان
الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا
ان الله يفصل بينهم يوم القيمة بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم عن المبطل
والجزاء فيجازي كلا ما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما ادخلت ان على كل
واحد من طرفي الجملة لمزيد التاكيد ان الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله
الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض يتسخر لقدرته ولا
يتابى عن تدبيره او يدل بذلته على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم اولي العقل
وغيرهم على التغليب فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم والجبال
والشجر والدواب افراد لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ و
الدواب بتخفيف كراهة التضعيف او الجمع بين الساكنين وكثير من الناس عطف
عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار
احدهما الى امر وباعتبار الاخر الى اخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند
اليهم او مبتدا خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب او فاعل
فعل مضمر اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وكثير حق عليه العذاب
بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة في تكثير
المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده
وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله ومن يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم

يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ان الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة
هذان خصمان اي فوجان مختصمان ولذلك قال اختصموا حملا على المعنى ولو عكس
لجاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون في ربهم في دينه او في ذاته وصفاته
وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم
كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله امنا بمحمد عليه السلام وبنبيكم
وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا
فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم وهو المعني بقوله تعالى ان الله يفصل
بينهم يوم القيمة قطعت لهم قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف
ثياب من نار نيران تحيط بهم احاطة الثياب يصب من فوق رؤسهم الحميم
حال من الضمير في لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار يصهر به ما في بطونهم
والجلود اي يؤثر من فرط حرارته في باطنهم تاثيره في ظاهرهم فيذاب
به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم او ضميرهم وقرئ بالتشديد
للتكثير ولهم مقامع من حديد سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها
ما يقمع به او يكف بعنف كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم
غم بدل من الهاء باعادة الجار اعيدوا فيها اي فخرجوا اعيدوا لان
الاعادة لا يكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهيب النار فيرفعهم الى
اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا
عذاب الحريق النار البالغة في الاحراق ان الله يدخل الذين امنوا ٨
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار غير الاسلوب واسند
الادخال الى الله تعالى واكده بان احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشانهم يحلون

فيها من حليت المرأة اذا لبست الحلي وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد من اساور صفة
مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب بيان له ولؤلؤا عطف
عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم
عطفا على محلها او اضمار الناصب مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وترك ابو
بكر والسوسي عن ابي عمرو الهمزة الاولى وقرئ لولوا بقلب الثانية واوا ولوليا
بقلبهما ياءين ولول كادل ولباسهم فيها حرير غير اسلوب الكلام فيه للدلالة
على ان الحرير ثيابهم المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل وهدوا الى الطيب
من القول وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده او كلمة التوحيد وهدوا
الى صراط الحميد المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة او الحق او المستحق لذاته الحمد
وهو الله تعالى وصراطه الاسلام ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله
لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد استمرار الصد منهم كقولهم فلان
يعطي ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا
وخبر ان محذوف دل عليه اخر الاية اي معذبون والمسجد الحرام عطف على اسم الله
واوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله الذي جعلناه للناس سواء العاكف
فيه والباد اي المقيم والطاري على عدم جواز بيع دورها واجارتها و
هو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشرى عمر دار
السجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه و
يكون للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على
انه المفعول او الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل
من الناس ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح

من الورود بالحاد عدول عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان والثاني بدل
من الاول باعادة الجار او صلة له اى ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف
الاثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت اى
اذكر اذ عيناه وجعلناه له مباءة وقيل اللام زايدة ومكان ظرف اى واذ اتزلنا
قبل رفع البيت الى السماء او انطمس ايام الطوفان فاعلم الله تعالى مكانه بريح ارسلها
فكنست ما حوله فبناه على بقاية القديم ان لا تشرك بي شيا وطهر بيتي للطايفين
والقايمين والركع السجود اى مفسرة لبوأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا
لان التبوية من اجل العبادة او مصدرية او موصولة بالنهى اى فعلنا ذلك لئلا
تشرك بعبادتي وطهر بيتي من الاوثان والاقذار يطوف به ويصلى فيه ولعله عبر
عن الصلوة بادكانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف
وقد اجتمعت وقرى يشرك بالياء وقرا نافع وحفص وهشام بيتي بفتح الياء
واذن في الناس ناد فيهم وقرئ اذن بالحج بدعوة الحج والامر به روى انه عليه السلام
صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله تعالى في اصلاب
الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه ان يحج وقيل الخطاب
لرسول الله صلعم امر بذلك في حجة الوداع ياتوك رجالا مشاة جمع راجل كقايم
وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومشدده ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر
اى ركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر فهزله ياتين صفة لضامر محمولة
على معناه او استيناف فيكون الضمير للناس وقرئ ياتون صفة للرجال
والركبان من كل فج طريق عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة
العمق والمعق بمعنى ليشهدوا ليحضروا منافع لهم دينية ودنيوية وتنكيرها

لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا
والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين المؤمنين لا ينفك عنه تنبيها على
ان المقصود مما يتقرب به الى الله تعالى في ايام معلومات هى عشر ذى الحجة وقيل ايام
النحر على ما رزقهم من بهيمة الانعام علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا
على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر فكلوا منها من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة
لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى مواساة الفقرا ومساواتهم و
هذا في المتطوع به دون الواجب واطعموا البايس الذى اصابه بوس اى
شدة الفقير المحتاج واللام فيه للوجوب وقد قيل به في الاول ثم ليقضوا تفثهم
ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال
وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وقرا ابو
بكر بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا طواف الركن الذى به تمام التحليل فانه
قرينه قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت
وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه
الله تعالى واما الحجاج فكانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه
ذلك خبر محذوف اى الامر ذلك وهو واشاله يطلق للفصل بين كلامين ومن
يعظم حرمات الله احكامه وساير ما لا يحل هتكه او الحرم وما يتعلق بالحج
من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام و
المحرم فهو خير له فالتعظيم خير له عند ربه ثوابا واحلت لكم الانعام
الا ما يتلى عليكم الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم الله منها لعارض كالميتة
وما اهل به لغير الله فلا تحرموا منه غير ما حرمه الله تعالى كالبحيرة والسايبة فاجتنبوا

الرجس من الاوثان فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان كما يجتنب الانجاس
وهو غاية المبالغة في النهى عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها واجتنبوا قول الزور
تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان راس الزور وكانه لما حث على تعظيم الحرمات
اتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحاير والسوايب وتعظيم الاوثان والافتراء
على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى انه عليه السلام قال عدلت شهادة
الزور الاشراك بالله ثلثا وتلا هذه الاية والزور من الزور وهو الانحراف كما
ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف منصرف مصروف عن
الواقع حنفاء لله مخلصين له غير مشركين به وهما حالان من الواو ومن يشرك بالله
فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير
فان الاهواء المردية توزع افكاره وقرا نافع بفتح الخاء وتشديد الطاء او تهوى
به الريح في مكان سحيق بعيد فان الشيطان قد طرح به في الضلالة واو للتخيير
كما في قوله تعالى او كصيب او للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من
يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد ويجوز ان يكون من التشبيهات المركبة فيكون
المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا يشبه احد الهلاكين ذلك
ومن يعظم شعاير الله دين الله او فرايض الحج ومواضع نسكه او الهدايا
لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها فانها من افعال ذوى
تقوى القلوب ان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روى انه عليه السلام اهدى
مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر رضى الله عنه اهدى
نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها من تقوى القلوب فان
تعظيمها منه من افعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات

والعايد الى من وذكر القلوب لانها منشاء التقوى والفجور والامرة بهما لكم فيها
منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق اى لكم فيها منافع درها
ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت اى الى
ما يليه من الحرم وثم يحتمل التراخى في الوقت والتراخى في الرتبة اى لكم فيها منافع
دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على الاولين اما متصل
بحديث الانعام والضمير فيه لها والمراد على الاول لكم فيها منافع دينية تنتفعون
بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت الذى ترفع اليه الاعمال او
يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثانى لكم فيها منافع التجارات
في الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال
بطواف الزيارة ولكل امة لكل اهل دين جعلنا منسكا متعبدا وقربانا
يتقربون به الى الله وقرا حمزة والكسائى بالكسر اى موضع نسك ليذكروا اسم الله
دون غيره ويجعلون نسكهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك
تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان
يجب ان يكون نعما فالهكم اله واحد فله اسلموا اخلصوا التقرب والذكر ولا تشوبوه
بالاشراك وبشر المخبتين المتواضعين او المخلصين فان الاخبات صفتهم الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها
والصابرين على ما اصابهم من الكلف والمصائب والمقيمى الصلوة في اوقاتها
وقرئ المقيمين الصلوة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير
والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت
بها الابل لعظم بدنها ماخوذ من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقر

لها في اجزائها عن سبعة لقوله عليه السلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة متناول
اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره جعلناها لكم
ومن رفعه جعله مبتدأ من شعائر الله من اعلام دينه التي شرعها الله لكم فيها خير
منافع دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر
لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن و
ارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلث وطرف سنبك الرابعة
لان البدنة تعقل احدى يديها فيقوم على ثلث وصوافنا بابدال التنوين من
حرف الاطلاق عند الوقف وصوافي اي خوالص لوجه الله تعالى وصواف على لغة
من يسكن الياء مطلقا كقولهم اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها سقطت
على الارض وهو كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع الراضي بما عنده
وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنعت اليه قنوعا
اذا خضعت له في السؤال والمعتر والمعترض بالسؤال وقرئ والمعتري يقال عره
وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم
مع عظمها وقوتها حتى تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها
ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص
لن ينال الله لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول لحومها المتصدق
بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله
التقوى منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى تعظيم
امر الله والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين
لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله تعالى فهم به المسلمون فنزلت كذلك سخرها

لكم كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله لتكبروا الله اي لتعرفوا عظمته باقتداره
على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او
الذبح على ما هداكم ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما لا يحتمل
المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين المخلصين
فيما يأتونه ويذرونه ان الله يدافع عن الذين آمنوا غائلة المشركين وقرأ نافع
وابن عامر والكوفيون يدافع اي يبالغ في الدفع مبالغة من يدافع فيه ان الله لا يحب
كل خوان في امانة الله كفور للنعمة كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضي فعلهم
ولا ينصرهم اذن رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل
وهو الله تعالى للذين يقاتلون المشركين والمأذون فيه محذوف لدلالته
وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اي للذين يقاتلهم المشركون بانهم
ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كان المشركون
يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا
فاني لم اؤمر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهي اول آية نزلت في القتال بعد ما نهي
عنه في نيف وسبعين آية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع
اذى الكفار عنهم الذين اخرجوا من ديارهم يعني مكة بغير حق بغير موجب استحقوا
الا ان يقولوا ربنا الله على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب وقيل منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على
اهل الملل وقرء دفاع قرء نافع ولهدمت بالتخفيف صوامع صوامع الرهبانية
وبيع وبيع النصارى وصلوات وكنائس اليهود وسميت بها لانها يصلى

فيها وقيل اصلها صلوثا بالعبرية فعربت ومساجد ومساجد المسلمين يذكر فيها
اسم الله كثيرا صفة للاربع او لمساجد خصت بها تفضيلا ولينصرن الله من
ينصره من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد
العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوي
على نصرهم عزيز لا يمانعه شيء الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة و
آتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف للذين اخرجوا وهو ثناء
قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم
من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه
وفيه تأكيد لما وعده وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد
وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين تسلية له عليه السلام بان
قومه ان كذبوه فهو ليس باوحدي في التكذيب وان هؤلاء قد كذبوا
رسلهم قبل قومه وكذب موسى غير فيه النظم وبني الفعل للمفعول
لان قومه بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان اشنع
وآياته كانت اعظم واشيع فامليت للكافرين فامهلتهم حتى انصرمت آجالهم
المقدرة ثم اخذتهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحيوة
هلاكا والعمارة خرابا فكاين من قرية اهلكناها باهلاك اهلها وقرأ
البصريان بغير لفظ التعظيم وهي ظالمة اي اهلها فهي خاوية على عروشها
ساقطة حيطانها على سقوفها ثم تهدمت حيطانها بان تعطلت بنيانها
فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او خالية
مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون

خبرا بعد خبر اي هي خالية وهي على عروشها اي مطلة عليها بان سقطت و
بقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها لا على وهي ظالمة
فانها حال والاهلاك ليس حال ظلمها فلا محل لها ان نصبت كاين بمقدر يفسره
اهلكناها وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم
بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله
بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع او مجصص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوي
ان معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد بئر بسفح
جبل بحضرموت وقصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا
قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله تعالى وعطلهما افلم يسيروا في الارض
حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا
لم يسافروا لذلك فتكون لهم يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد قلوب
بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال او آذان يسمعون بها ما يجب ان
يسمع من الوحي والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم فانها الضمير للقصة
او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه والظاهر اقيم مقامه لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور عن الاعتبار اي ليس الخلل في مشاعرهم
وانما ايفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد وذكر الصدور
للتاكيد ونفي التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي
يخص البصر قيل لما نزلت ومن كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله
انا في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب المتوعد
به ولن يخلف الله وعده لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما اوعدهم به ولو

بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة إن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون
بيان لتناهي صبره وتأنيه حتى استقصر المدد الطوال أو لتمادي عذابه وطول أيامه
أو من حيث إن أيام الشدائد مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء وكأين
من قرية وكأين من أهل قرية فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه في الإعراب
ورجع الضمائر والأحكام مبالغة في التعميم والطويل وإنما عطف الأولى بالفاء
وهذه بالواو لأن الأولى بدل من قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها
من الجملتين لبيان أن المتوعد به يحيق بهم لا محالة فإن أخى لعادته تعالى أمليت
لها كما أمهلتكم وهي ظالمة مثلكم ثم أخذتها بالعذاب وإلي المصير
وإلى حكمي مرجع الضمير قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين أوضح لكم
ما أنذركم به والاقتصار على الإنذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لأن
صدر الكلام ومساقه للمشركين وإنما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة في غيظهم
فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما بدر منهم ورزق كريم
هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله والذين سعوا في آياتنا
بالرد والإبطال معاجزين مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول
والتحقيق من عاجزه فأعجزه وعجزه إذا سابقه فسبقه لأن كلا من المتسابقين
يطلب إعجاز الآخر عن اللحاق به وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين على أنه حال
مقدرة أولئك أصحاب الجحيم النار الموقدة وقيل اسم دركة وما أرسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله تعالى لشريعة مجددة يدعو
الناس إليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل
الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام ولذلك شبه النبي صلى الله عليه وسلم علماء أمته بهم فالنبي

أعم من الرسول ويدل عليه أنه عليه السلام سئل عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة و
عشرون ألفا قيل فكم الرسول منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول
من جمع إلى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول
من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى إليه في المنام إلا إذا
تمنى إذا زور في نفسه ما يهواه ألقى الشيطان في أمنيته في تشهيه
ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام وإنه ليغان على قلبي فأستغفر الله
في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته
عن الركون إليه والإرشاد إلى ما يزيحه ثم يحكم الله آياته ثم يثبت آياته الداعية
إلى الاستغراق في أمر الآخرة والله عليم بأحوال الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل
حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على إيمان قومه أن ينزل عليه
ما يقربهم إليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة النجم فأخذ
يقرأها فلما بلغ ومناة الثالثة الأخرى وسوس إليه الشيطان حتى سبق
لسانه سهوا إلى أن قال تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ففرح به
المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن
ولا مشرك إلا سجد ثم نبهه جبريل فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية وهو مردود عند
المحققين فإن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الإيمان عن المتزلزل فيه وقيل
تمنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله أول ليلة تمنى داود الزبور على رسل
وأمنيته قراءته وإلقاء الشيطان فيها أن تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون
أنه من قراءة النبي عليه السلام وقد رد بأنه أيضا يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع
بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لأنه أيضا يحتمله والآية

تدل على جواز السهو على الأنبياء وتطرق الوسوسة إليهم والله عليم حكيم ليجعل ما
يلقي الشيطان علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على أن الملقى أمر ظاهر
عرفه المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم
المشركين وإن الظالمين يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم
بالظلم لفي شقاق بعيد عن الحق أو عن الرسول والمؤمنين وليعلم الذين
أوتوا العلم أنه الحق من ربك أن القرآن هو الحق النازل من عند الله
أو تمكين الشيطان من الإلقاء هو الحق الصادر من الله لأنه مما جرت به عادته
في جنس الإنس من لدن آدم فيؤمنوا به بالقرآن أو بالله فتخبت له قلوبهم
بالانقياد والخشية وإن الله لهادي الذين آمنوا فيما أشكل إلى صراط
مستقيم هو نظر صحيح يوصلهم إلى ما هو الحق فيه ولا يزال الذين كفروا
في مرية في شك منه من القرآن أو الرسول أو مما ألقى الشيطان في أمنيته
يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنه حتى تأتيهم الساعة القيامة
أو أشراطها أو الموت بغتة فجأة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم يوم
حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم
أو لأن المقاتلين أبناء الحرب فإذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم
بوصفها اتساعا أو لأنه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا و
لم تلقح شجرا أو لأنه لا مثل له لقتال الملائكة فيه أو يوم القيامة على أن المراد
بالساعة غيره أو على وضعه موضع ضميرها للتهويل الملك يومئذ لله
التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليه الغاية أي يوم تزول مريتهم
يحكم بينهم بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله

فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين وإدخال الفاء في خبر الثاني دون الأول
تنبيه على أن إثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وأن عقاب الكافرين
مسبب من أعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في عذاب والذين هاجروا
في سبيل الله ثم قتلوا في الجهاد أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا
الجنة ونعيمها وإنما سوى بين من قتل في الجهاد وبين من مات حتف أنفه
في الوعد لاستوائهما في القصد وأصل العمل روي أن بعض الصحابة قالوا يا نبي
الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك
كما جاهدوا فما لنا إن متنا فنزلت وإن الله لهو خير الرازقين فإنه
يرزق بغير حساب ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة فيها ما يحبونه
وإن الله لعليم بأحوالهم وأحوال معاديهم حليم لا يعاجل في العقوبة ذلك
الأمر ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد في الاقتصاص وإنما سمي
الابتداء بالعقاب الذي هو الجزاء للازدواج أو لأنه سببه ثم بغي عليه با
لمعاودة إلى العقوبة لينصرنه الله لا محالة إن الله لعفو غفور للمنتصر حيث
اتبع هواه في الانتقام وأعرض عما ندب الله إليه بقوله ولمن صبر وغفر إن ذلك
لمن عزم الأمور وفيه تعريض على العفو والمغفرة فإنه تعالى مع كمال قدرته وتعالي شأنه
لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك أولى وتنبيه على أنه قادر على العقوبة
إذ لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده ذلك أي ذلك النصر بأن الله
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بسبب أن الله قادر
على تغليب بعض الأمور على بعض جار عادته على المداولة بين الأشياء المتعاندات

من ذلك ايلاج احد الملوين في الاخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة
الليل في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها وان الله
سميع يسمع قول المعاقب والمعاقب بصير يرى افعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف
بكمال القدرة والعلم بان الله هو الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده
فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه
عالما بذاته وبما عداه او الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا عالما وان ما
يدعون من دونه الها وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء
على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فيكون الواو لما فانه في معنى الالهة
هو الباطل المعدوم في حد ذاته او باطل الالوهية وان الله هو العلي على
الاشياء الكبير عن ان يكون له شريك لا شيء منه اعلى شانا واكبر سلطانا الم
تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير ولذلك رفع فتصبح الارض مخضرة
عطفا على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار كما في قولك الم تر
اني جئتك فتكرمني والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة
على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان ان الله لطيف يصل علمه او لطفه الى
كل ما جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما في السموات وما
في الارض خلقا وملكا وان الله لهو الغني في ذاته عن كل شيء الحميد
المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض
جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم والفلك عطف على ما او على اسم
ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال منها او خبر و
يمسك السماء ان تقع على الارض من ان تقع او كراهة ان تقع بخلقها

على صورة متداعية الى الاستمساك الا باذنه الا بمشيئته وذلك يوم القيمة
وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لساير الاجسام في الجسمية فتكون قابلة
للميل الهابط قبول غيرها ان الله بالناس لرؤف رحيم حيث هيأ لهم اسباب
الاستدلال وفتح عليهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار وهو الذي
احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا ثم يميتكم اذا جاء اجلكم ثم يحييكم
في الاخرة ان الانسان لكفور لجحود للنعم مع ظهورها لكل امة اهل دين و
جعلنا منسكا متعبدا او شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا هم ناسكوه ينسكونه
فلا ينازعنك ساير ارباب الملل في الامر في امر الدين او النسايك لانهم
بين جهال واهل عناد او لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد
نهي الرسول عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم
فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم كقولك لا يضاربك
زيد وهذا انما يجوز في افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة
قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك
على تهييج الرسول والمبالغة في تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا
غلبته وادع الى ربك الى توحيده وعبادته انك لعلى هدى مستقيم
طريق الى الحق سوي وان جادلوك وقد ظهر الحق ولزمتهم الحجة فقل الله اعلم
بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه
رفق الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب و
العقاب يوم القيمة كما فصل في الدنيا بالحجج والايات فيما كنتم فيه
تختلفون من امر الدين الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى

عليه شيء ان ذلك في كتاب هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع
علمنا به وحفظنا له ان ذلك ان الاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم على
الله يسير لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء ويعبدون
من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة تدل على جواز عبادته وما ليس
لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل او استدلاله وما للظالمين وما
للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير يقرر مذهبهم او يدفع العذاب عنهم
واذا تتلى عليهم اياتنا من القران بينات واضحات الدلالة على العقائد
الحقة والاحكام الالهية تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار
لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة
وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر
يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا يثبون ويبطشون
بهم قل افانبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم
او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم النار اي هو النار كانه جواب
سائل قال ما هو ويجوز ان يكون مبتدأ خبره وعدها الله الذين كفروا
وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فيكون الجملة استئنافا
كما اذا رفعت خبرا او حالا منها وبئس المصير النار يا ايها الناس ضرب مثل
بين لكم حال مستغربة او قصة رائعة ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثل
اي مثل في استحقاق العبادة فاستمعوا له للمثل او لشانه استماع تدبر
وتفكر ان الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام وقرأ يعقوب
بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين

لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من تاكيد النفي
دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه
اذبة وذبان ولو اجتمعوا له بجوابه المقدر في موضع حال جيء بها للمبالغة اي
لا يقدرون على خلقه مجتمعين له اي متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين
وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا
قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات باسرها تماثيل هي اعجز
الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاشياء واذلها ولو اجتمعوا له
بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما
يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب
فيدخل الذباب من الكوى فياكله ضعف الطالب والمطلوب عابد الصنم ومعبوده
او الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب منه
السلب او الصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه فلو حققت وجدت
الصنم اضعف بدرجات ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا
به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة ان الله لقوي على خلق
الممكنات باسرها عزيز لا يغلبه شيء والهتهم التي يدعونها عاجزة عن اقلها
مقهورة من اذلها الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون بينه وبين
الانبياء بالوحي ومن الناس يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون اليهم
ما نزل عليهم كانه لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه غيره
في صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء
بهم الى عبادة الله سبحانه وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه

من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
والملائكة بنات الله ونحو ذلك ان الله سميع بصير مدرك للاشياء كلها يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم عالم بواقعها ومترقبها والى الله ترجع الامور واليه
مرجع الامور كلها لانه مالكها بالذات لا يسأل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم
يسألون يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا اى فى صلوتكم امرهم بهما لانهم ما
كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها
او اخضعوا لله وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير
وتحروا ما هو خير واصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام
ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اى افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح
غير متيقنين له واثقين على اعمالكم والاية اية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر
بالسجود ولقوله عليه السلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها
وجاهدوا فى الله لله ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة
كالهوى والنفس وعنه عليه السلام انه رجع عن غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد
الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس
واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا
او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله هو اجتبيكم اختاركم
لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضى للجهاد والداعى اليه وفى قوله وما
جعل عليكم فى الدين من حرج اى ضيق بتكليف ما يشتد القيام
به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم فى تركه او الى الرخصة
فى اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله ع اذا امرتكم بشىء فأتوا

منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم فى المضايق
وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات فى حقوقه والاروش والديات فى حقوق
العباد ملة ابيكم ابرهيم منتصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها
بحذف المضاف اى وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص
وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وآله وهو كالاب لامته من حيث
انه سبب لحيوتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به فى الاخرة او لان اكثر العرب
كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو سميكم المسلمين من قبل من قبل القران فى
الكتب المتقدمة وفى هذا وفى القران والضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله سميكم
او لابرهيم وتسميتهم مسلمين فى القران وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل
فى قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفى هذا تقديره وفى هذا بيان
تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسميكم شهيدا عليكم
يشهد عليكم فانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته
او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس
بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فتقربوا الى الله بانواع
الطاعة لما خصكم بهذا الفضل والشرف واعتصموا بالله وثقوا به فى
مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه هو موليكم ناصركم
ومتولى اموركم فنعم المولى ونعم النصير هو اذ لا مثل له فى الولاية والنصرة
بل لا مولى ولا نصير سواه فى الحقيقة عن النبى صلى الله عليه وآله من قرأ سورة
الحج اعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى

سورة المؤمنين مكية وهى مائة وتسع عشر ايات عند البصريين و
وثمانى عشر عند الكوفيين بسم الله الرحمن الرحيم
قد افلح المؤمنون قد فازوا باماناتهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه ويدل
على ثباته اذا دخل الماضى ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين
ذلك من فضل الله تعالى صدرت بها بشارتهم وقرء ورش عن نافع قد افلح بالقاء
حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ افلحوا على لغة اكلونى البراغيث او على
الابهام والتفسير وافلح اجتزاء بالضمة على الواو وافلح للبناء على المفعول
الذين هم فى صلوتهم خاشعون خائفون من الله متذللون له ملزمون ابصارهم
مساجدهم روى انه عليه السلام كان يصلى رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره
نحو مسجده وانه راى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه والذين
هم عن اللغو عما لا يعنيهم من قول وفعل معرضون لما بهم من الجد ما شغلهم
عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير
والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على
بعدهم عنه راسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان عرض فى عرض
وكذلك قوله والذين هم للزكوة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع
فى الصلوة ليدل على انهم بلغوا الغاية فى القيام على الطاعات البدنية والمالية
والتجنب عن المحرمات وسائر ما يوجب المروة اجتنابه والزكوة تقع على المعنى
والعين والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذى هو موقعه
والثانى على تقدير مضاف والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة
لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسى او حال اى حافظوها فى كافة

الاحوال الا فى حال التزوج والتسرى او لفعل دل عليه غير ملومين
وانما قال او ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شايع فيه وافراد ذلك
بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهى الى
النفس واعظمها خطرا فانهم غير ملومين الضمير لحافظون او لمن دل عليه
الاستثناء اى فان بذلوها لازواجهم او امائهم فانهم غير ملومين على ذلك
فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى فاولئك هم العادون الكاملون فى العدوان
والذين هم لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق
او الخلق راعون قائمون بحفظها واصلاحها وقرء ابن كثير هنا وفى المعارج لامانتهم
على الافراد لامن الالباس او لانها فى الاصل مصدر والذين هم على صلوتهم
يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها فى اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما فى
الصلوة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائى وليس ذلك
تكريرا لما وصفهم به اولا فان الخشوع فى الصلوة غير المحافظة عليها وفى تصدير
الاوصاف وختمها بامر الصلوة تعظيما لشانها اولئك الجامعون لهذه الصفات
هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم الذين يرثون الفردوس
بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتاكيدا وهى مستعارة
لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل
انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق
لكل انسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار هم فيها خالدون انث الضمير لانه
اسم للجنة او لطبقتها العليا ولقد خلقنا الانسان من سلالة من
خلاصة سلت من بين الكدر من طين متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة او من

بيانية او بمعنى سلالة لانها معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالاولى والانسان
آدم خلق من صفوة سلت من الطين او الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت
نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه والسلالة نطفته ثم جعلناه
ثم جعلنا نسله فحذف المضاف نطفة بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة
نطفة وتذكير الضمير على تاويل الجوهر او المسلول او الماء في قرار مكين مستقر
حصين يعني الرحم وهو في الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه
بالقرار ثم خلقنا النطفة علقة بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء
فخلقنا العلقة مضغة فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها
فكسونا العظام لحما مما بقي من المضغة او مما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف
العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة وقرا ابن
عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس على الجمع وقرئ بافراد احدهما
وجمع الآخر ثم انشاناه خلقا آخر وهو صورة البدن او الروح او القوى
بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به ابو حنيفة على ان
من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر فتبارك
الله فتعالى شانه في قدرته وحكمته احسن الخالقين المقدرين تقديرا فحذف
المميز لدلالة الخالقين عليه ثم انكم بعد ذلك لميتون لصائرون الى الموت
لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به
ثم انكم يوم القيامة تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد خلقنا فوقكم
سبع طرائق سبع سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل
بالنعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة او الكواكب فيها

مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او عن جميع
المخلوقات غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها
حتى يبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة و
انزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يكثر نفعه ويقل ضره او بمقدار ما علمنا
من صلاحهم فاسكناه فجعلناه ثابتا مستقرا في الارض وانا على ذهاب به على
ازالته بالافساد والتصعيد والتعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا
قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به
ولذلك جعل ابلغ من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء
معين فانشانا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات
فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها ومن الجنات ثمارها وزروعها تاكلون
او ترتزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته ويجوز ان
ان يكون الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمرتهما انواع من الفواكه الرطب
والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك ومنها طعام تاكلونه
وشجرة عطف على جنات وقرئ بالرفع على الابتداء اي ومما انشئ لكم به شجرة
تخرج من طور سيناء جبل موسى بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال
له طور سينين ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف
اليها والمركب منها علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التانيث
على تاويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة
او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف
التانيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه فيعال

ككيسات او فعلات كصحراء لا فعلال اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر تنبت بالدهن
اي تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز ان يكون الباء صلة معدية
لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية
تنبت وهو اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير: رايت ذوي الحاجات
عند بيوتهم: قطينا لهم حتى اذا انبت البقل: او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا
بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن
وتخرج الدهن وتنبت بالدهان وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار
على اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الآخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه
دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه للائتدام و
قرئ وصباغ كدباغ في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة تعتبرون بحالها و
تستدلون بها نسقيكم مما في بطونها من الالبان او من العلف فان
اللبن يكون منه فمن للتبعيض او للابتداء وقرا نافع وابن عامر وابو بكر نسقيكم
بفتح النون ولكم فيها منافع كثيرة في ظهورها المناسب واصوافها و
شعورها ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها وعليها وعلى الانعام فان منها
يحمل اليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هي المحمول عليها عندهم والفلك
فانها سفائن البر قال ذو الرمة: سفينة بر تحت خدي زمامها فيكون
الضمير فيه كالضمير في وبعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون في البر والبحر
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله الى آخر القصص مسوق
لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها
ما لكم من اله غيره استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرا الكسائي غيره بالجر

على اللفظ افلا تتقون افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم
عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها فقال الملا الاشراف
الذين كفروا من قومه لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل
ان يطلب الفضل عليكم ويسودكم ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة
رسلا ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون نوحا اي ما سمعنا به انه
نبي او بما يكلمهم به من الحث على عبادة الله ونفي اله غيره او من دعوى
النبوة وذلك اما من فرط عنادهم او لانهم كانوا في فترة متطاولة ان هو
الا رجل به جنة اي جنون ولاجله يقول ذلك فتربصوا به فاحتملوه وانتظروا
حتى حين لعله يفيق من جنونه قال بعدما ايس من ايمانهم رب انصرني باهلاكهم
او بانجاز ما وعدتهم من العذاب بما كذبون بدل تكذيبهم اياي او
بسببه فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا ان تخطئ
فيه او يفسد عليك مفسد ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف تصنع فاذا
جاء امرنا بالركوب او نزول العذاب وفار التنور روي انه قيل لنوح
اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته امراته
فركب ومحله في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وقيل عين
وردة من الشام وفيه وجوه اخر ذكرتها في هود فاسلك فيها فادخل
فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال الله تعالى ما سلككم في سقر من كل
زوجين اثنين من كل امتي الذكر والانثى واحدين مزدوجين وقرا حفص
من كل بالتنوين اي من كل نوع زوجين اثنين تاكيد واهلك واهل
بيتك او ومن امن معك الا من سبق عليه القول منهم اي من سبق

القول من الله بهلاكهم لكفرهم وانما جيء بعلى لان السابق ضار كما جيء باللام حيث كان
نافعا في قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولا تخاطبني في الذين ظلموا
بالدعاء لهم بالانجاء انهم مغرقون لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي ومن هذا
شانه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد امر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله
فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من
القوم الظالمين كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين
وقل رب انزلني في السفينة او في الارض منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير في
الدارين وقرأ غير ابي بكر منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال وانت خير المنزلين
ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا الى الاجابة وانما
افرده بالامر والمعلق به ان يستوي هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا
بان في دعائه مندوحة عن دعائهم فانه يحيط بهم ان في ذلك فيما فعل بنوح
وقومه لآيات فيما فعل بنوح وقومه لآيات يستدل بها ويعتبر اولوا الاستبصار
والاعتبار وان كنا لمبتلين لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او لممتحنين
عبادنا بهذه الآيات وان هي المخففة واللام هي الفارقة ثم انشأنا من بعدهم
قرنا آخرين هم عاد او ثمود فارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود او صالح
وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم
وانما اوحي اليه وهو بين اظهرهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره تفسير
لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله افلا تتقون عذاب الله
وقال الملأ من قومه الذين كفروا لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل
بكلام الرسول بخلاف قول قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال

وكذبوا بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب او بمعادهم الى الحياة
الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم في الحياة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد
ما هذا الا بشر مثلكم في الصفة والحال يأكل مما تأكلون منه ويشرب
مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف
او مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه بشرا مثلكم فيما يأمركم انكم — ولئن اطعتم
اذا لخاسرون حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين
قاولوهم من قومه ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة
عن اللحوم والاعصاب انكم مخرجون من الاجداث او من العدم تارة اخرى
الى الوجود وانكم تكرير للاول اكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره او
انكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المتقدم او فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط
والجملة خبر الاول اي انكم اخراجكم اذا متم او انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز
ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه لا ان يكون الظرف لان
اسمه جثة هيهات هيهات بعد التصديق او الصحة لما توعدون او بعد
ما توعدون واللام للبيان كما في هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد
قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما
توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة و
غير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف — فالكل بمعنى المصدرية
وبابدال التاء هاء ان هي الا حياتنا الدنيا اصله ان الحياة الا حياتنا
الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير
واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل

ومعناه لا حياة الا هذه الحياة لان ان نافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة
على الجنس وكانت مثل لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا يموت
بعضنا ويولد بعض وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو ما هو الا رجل افترى
على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا من البعث وما نحن له
بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون بسبب
تكذيبهم اياي قال عما قليل من زمان قليل وما صلة لتوكيد معنى القلة
او نكرة موصوفة ليصبحن نادمين على التكذيب اذا عاينوا العذاب فأخذتهم
الصيحة صيحة جبرئيل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا
واستدل به على ان القرن قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذي لا دافع له
او بالعدل من الله تعالى كقولك فلان يقضي بالحق او بالوعد الصادق فجعلناهم
غثاء شبههم في دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به
الوادي لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا
مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التي تنصب بافعال لا تستعمل اظهارها
واللام لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل
ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين يعني قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم
ما تسبق من امة اجلها الوقت الذي حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق
وما يستأخرون الاجل ثم ارسلنا رسلنا تترى متواترين واحدا
بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور والالف
للتانيث لان الرسل جماعة وقرأ ابو عمرو بالتنوين على انه مصدر بمعنى
المتواتر وقع حالا كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسول مع الارسال

الى المرسل ومع المجيء الى المرسل اليهم لان الارسال الذي هو مبدأ الامر منه والمجيء
الذي هو منتهاه اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث لم
يبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهي ما يتحدث
به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هارون بآياتنا
بالآيات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا و
افرادها لانها اول المعجزات وامها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها
ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها و
مصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به المعجزات وبالآيات
الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها آيات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي الى
فرعون وملائه فاستكبروا عن الايمان والمتابعة وكانوا قوما عالين
متكبرين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا
كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر وهذه
القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء
على احوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بادنى تأمل
فان النفوس البشرية وان تشاركت في اصل القوى والادراك لكنها متباينة
الاقدام فيهما فكما ترى في جانب النقصان اغبياء لا يعود عليهم الفكر برادة يمكن
ان يكون في طرف الزيادة اغنياء عن التعلم والتفكر في اكثر الاشياء و
اغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي اليه
علمهم واليه اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم
اله واحد وقومهما يعني بني اسرائيل لنا عابدون خادمون منقادون

كالعباد فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد آتينا
موسى الكتاب التورية لعلهم لعل بني اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه
لان التورية نزلت بعد اغراقهم يهتدون الى المعارف والاحكام وجعلنا ابن
مريم وامه آية بولادتها اياه من غير مسيس فالاية امر واحد مضاف اليهما او
وجعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد وظهر منه معجزات اخر وامه آية بان ولدت
من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها وآويناهما الى ربوة ارض
بيت المقدس فانها مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر فان قراها على الربى و
قرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر من
ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها ومعين
وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في الشيء او من
الماعون وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره
مدرك بالعيون وصف ماءها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان يا ايها
الرسل كلوا من الطيبات نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك
دفعة لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به في زمانه
فيدخل عيسى تحته دخولا اوليا ويكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على ان تهيئة
اسباب التنعم لم تكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم و
احتجاجا على الرهبانية في رفض الطيبات او حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند
ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل النداء له ولفظ
الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال
ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل

واعملوا

واعملوا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون عليم فاجازيكم
عليه وان هذه اي ولان هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل انه معطوف
على ما تعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستيناف امتكم امة
اي متحدة في العقايد واصول الشرايع او جماعتكم جماعة واحدة
واحدة ملتكم ملة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة ونصب امة
على الحال وانا ربكم فاتقون في شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا امرهم بينهم
فتقطعوا امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع
الخافض او التمييز والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها زبرا قطعا جمع زبور
الذي بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من
الواو او مفعول ثان لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب
فيكون مفعولا ثانيا لتقطعوا او حال من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف
الباء كرسل في رسل كل حزب من المتحزبين بما لديهم من الدين فرحون معجبون
معتقدون انهم على الحق فذرهم في غمرتهم في جهالتهم شبهها بالماء الذي يغمر
القامة لانهم مغمورون فيها او لاعبون بها وقرئ في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا
او يموتوا ايحسبون انما نمدهم به ان ما نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال وبنين
بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاب عليه وانما المعاب عليه اعتقادهم ان ذلك
خير لهم فخبره نسارع لهم في الخيرات والراجع محذوف والمعنى ايحسبون ان
الذي نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم بل لا يشعرون بل هم كالبهائم
لا فطنة لهم ولا شعور ليتاملوا فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة
في الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما
ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم من خوف

عذابه مشفقون حذرون والذين هم بآيات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق
مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما
آتوا اي يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوه
من الطاعات وقلوبهم وجلة خائفة ان لا تقبل منهم وان لا يقع على الوجه
اللائق فيؤاخذوا به انهم الى ربهم راجعون لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم اليه
وهو يعلم ما يخفى عليهم اولئك يسارعون في الخيرات يرغبون في الطاعات
اشد الرغبة فيبادرونها او يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح
الاعمال بالمبادرة اليها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفي
عن اضدادهم وهم لها سابقون لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس الى الطاعة
او الثواب او الجنة او سابقونها اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في
الدنيا كقوله وهم لها عاملون ولا نكلف نفسا الا وسعها قدر طاقتها يريد
به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس ولدينا كتاب يعني
اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم
لا يظلمون بزيادة عقاب ونقصان ثواب بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة في
غفلة غامرة لها من هذا من الذي وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة ولهم
اعمال خبيثة من دون ذلك متجاوزة لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه من
الشرك هم لها عاملون معتادون فعلها حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم
بالعذاب يعني القتل يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم الرسول فقال
اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والعظام والجيف المحترقة اذا هم يجأرون

فاجؤا

فاجؤا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتداة بعد حتى ويجوز ان يكون
الجواب لا تجأروا اليوم فانه مقدر بالقول اي قيل لهم لا تجأروا انكم منا
لا تنصرون تعليل النهي اي لا تجأروا فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا او لا يلحقكم
نصر ومعونة من جهتنا قد كانت آياتي تتلى عليكم يعني القرآن فكنتم على
اعقابكم تنكصون تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص
الرجوع قهقرى مستكبرين به الضمير للتكذيب او للبيت وشهرة استكبارهم
وافتخارهم بانهم قوامه اغنى عن سبق ذكره او لآياتي فانها بمعنى كتابي والباء
متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين او لان استكبارهم على المسلمين حدث
بسبب استماعه او بقوله سامرا اي يسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو
في الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعاقبة وقرئ سمرا جمع سامر تهجرون من الهجر
بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان اي تعرضون عن القرآن او تهذون في شأنه
او الهجر بالضم الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع تهجرون من اهجر وقرئ تهجرون على
المبالغة افلم يدبروا القول اي القرآن ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح
مدلوله ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين من الرسول والكتاب او من الامن
من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه فآمنوا
به وبكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم بالامانة والصدق و
حسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء فهم
له منكرون دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار
الشيء قطعا او ظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او
بحث عما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد ام يقولون به جنة فلا يبالون

بقوله وكانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا واتقنهم نظرا بل جاءهم بالحق واكثرهم
للحق كارهون لانه يخالف شهواتهم واهواءهم ولذلك انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر
لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم فكرته
لا كراهة الحق ولو اتبع الحق اهواءهم بان كان في الواقع آلهة شتى لفسدت السموات
والارض ومن فيهن كما سبق تقريره في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل
لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى او لو اتبع الحق
جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيمة واهلك
العالم من فرط غضبه او ولو اتبع الله اهواءهم بان انزل ما يشتهونه من الشرك و
المعاصي لخرج عن الالوهية ولم يقدر ان يمسك السموات والارض وهو على اصل
المعتزلة بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم او وعظهم او وصيتهم
او الذكر الذي تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم
فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه ام تسألهم قيل انه قسيم قوله
ام به جنة خرجا اجرا على اداء الرسالة فخراج ربك رزقه في الدنيا او ثوابه في
العقبى خير لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء
الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض ففيه
اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ
ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائي خراجا فخراج للمزاوجة وهو خير الرازقين
تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم تشهد العقول السليمة
على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلل
في هذه الآيات بان حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفائها

ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط عن الصراط
السوي لناكبون لعادلون عنه فان خوف الآخرة اقوى البواعث على طلب الحق و
سلوك طريقه ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعني القحط للجوا لثبتوا واللجاج
التمادي في الشيء في طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول
والمؤمنين يعمهون عن الهدى روي انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول
الله صلى الله عليه وآله فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين
قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت ولقد اخذناهم بالعذاب
يعني القتل يوم بدر فما استكانوا لربهم وما يتضرعون بل اقاموا على عتوهم
واستكبارهم واستكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى
كون او افتعل من السكون اشبعت فتحته وما يتضرعون وليس من عادتهم
التضرع وهو استشهاد على ما قبله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد
يعني الجوع فانه اشد من الاسر والقتل اذا هم فيه مبلسون متحيرون آيسون
من كل خير حتى جاءك اعتاهم يستعطفك وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار
لتحسوا بها ما نصب من الآيات والافئدة لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك
من المنافع الدينية والدنياوية قليلا ما تشكرون تشكرونها شكرا قليلا
لان العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لاجلها والاذعان لمانحها من غير اشراك
وما صلة للتأكيد وهو الذي ذرأكم في الارض خلقكم وبثكم فيها
بالتناسل واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي
ويميت وله اختلاف الليل والنهار ويختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون
رد النسبة الى الشمس حقيقة او لامره وقضائه تعاقبهما او انتقاص احدهما وازدياد
الآخر افلا تعقلون بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها

وان البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا
اي كفار مكة مثل ما قال الاولون آباؤهم ومن دان بدينهم قالوا أئذا متنا وكنا
ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون استبعادا ولم يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا
فخلقوا لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين
الا اكاذيبهم التي كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب
والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون
ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم
حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره
ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال سيقولون لله لان العقل الصريح
قد اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها قل اي بعد ما قالوه افلا تذكرون
فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا فان بدء الخلق
ليس باهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات السبع
ورب العرش العظيم فانها اعظم من ذلك سيقولون لله قرأ ابو عمرو ويعقوب
بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال قل افلا تتقون عقابه فلا تشركوا
به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت
كل شيء ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه
ولا يجار عليه ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ان كنتم
تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون فمن اين تخدعون فتصرفون عن الرشد
مع ظهور الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق من التوحيد والوعد بالنشور
وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن
مماثلة احد وما كان معه من اله يساهمه في الالوهية اذا لذهب كل اله بما

خلق ولعلا بعضهم على بعض جواب محاجتهم وجزاء شرط محذوف لدلالة ما قبله
عليه اي لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد
به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو حال
ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالاجماع
والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد سبحان
الله عما يصفون من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده عالم الغيب
والشهادة فهو خبر مبتدا محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو و
يعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم
في انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفاء قل رب اما
تريني ان كان لا بد من ان تريني لان ما والنون للتوكيد ما يوعدون من العذاب
في الدنيا والآخرة رب فلا تجعلني في القوم الظالمين قرينا لهم في العذاب
وهو اما لهضم النفس او لان شؤم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن انه تعالى اخبر نبيه ان
له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامر بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير
كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار وانا على ان نريك ما نعدهم
لقادرون لكنا نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون او لانا لا نعذبهم
وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل
قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها
والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل هي كلمة
التوحيد والسيئة هي الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو

ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل نحن اعلم بما يصفون
بما يصفونك به من الكذب او بوصفهم اياك على خلاف حالك واقدر على جزائهم
فكل الينا امرهم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم واصل الهمز
النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة الدواب على
المشي والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب
ان يحضرون يحوموا حولي في شيء من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن
وحلول الاجل لانها احرى الاحوال بان يخاف عليه حتى اذا جاء احدهم
الموت متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتاكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله عن
الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انهم لكاذبون قال تحسرا على
ما فرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر رب ارجعون ردوني الى الدنيا
والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا واطرقا لعلي
اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي تركته اي لعلي اتي بالايمان واعمل فيه
وقيل في المال او في الدنيا وعنه عليه السلام اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا
نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله
تعالى واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد
لها انها كلمة يعني قوله رب ارجعون الى اخره والكلمة الطائفة من الكلام
المنتظم بعضها مع بعض هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن
ورائهم امامهم والضمير للجماعة برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون
يوم القيمة وهو اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم
البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حيوة تكون في الاخرة فاذا نفخ في

الصور لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو به وبكسر الصاد يؤيد ان الصور جمع
صورة ايضا فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة
واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه
او يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون اليوم ولا يتساءلون ولا يسال بعضهم
بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة او دخول اهل الجنة الجنة واهل النار
النار فمن ثقلت موازينه موزونات عقائده واعماله اي من كانت له عقائد
واعمال صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر فاولئك هم المفلحون الفائزون
بالنجاة والدرجات ومن خفت موازينه ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم
الكفار لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فاولئك الذين خسروا انفسهم
غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها في جهنم
خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها و
اللفح كالنفخ الا انه اشد تاثيرا وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح
تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون الم تكن اياتي تتلى عليكم
على اضمار القول اي يقال لهم الم تكن فكنتم بها تكذبون تانيب وتذكير لهم
عما استحقوا هذا العذاب لاجله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا
بحيث صارت احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرا حمزة والكسائي شقاوتنا
بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة وكنا قوما ضالين عن الحق ربنا
اخرجنا منها من النار فان عدنا الى التكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال
اخسئوا فيها اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من خسات

الكلب اذا زجرته فخسا ولا تكلمون في رفع العذاب او لا تكلمون راسا قيل ان اهل
النار يقولون الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا فيجابون حق القول مني
فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده فيقولون
الفا ربنا اخرنا منها فيجابون او لم تكونوا اقسمتم من قبل فيقولون الفا ربنا
اخرجنا نعمل صالحا فيجابون او لم نعمركم فيقولون الفا رب ارجعون فيجابون
اخسئوا فيها ثم لا يكون لهم الا زفير وشهيق وعواء انه الشان وقرئ بالفتح اي
لانه كان فريق من عبادي يعني المؤمنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة
يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم
سخريا هزوا وقرا نافع وحمزة والكسائي بالضم وهما مصدرا سخر زيدت
فيهما ياء النسبة للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة
بمعنى الانقياد والعبودية حتى انسوكم ذكري من فرط تشاغلكم بالاستهزاء
بهم فلم تخافوني في اوليائي وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم
اليوم بما صبروا على اذاكم انهم هم الفائزون فوزهم بمجامع مراداتهم
مخصوصين به وهو ثاني مفعولي جزيتهم وقرا حمزة والكسائي بالكسر استينافا
قال اي الله تعالى او الملك المامور بسؤالهم وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي على الامر
للملك او لبعض رؤساء اهل النار كم لبثتم في الارض احياء وامواتا
في القبور عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصار
لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم في النار او لانها كانت ايام سرورهم وايام
السرور قصار او لانها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم فاسال العادين
الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب

مشغولون عن تذكرها واحصائها او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون
اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعادين
اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون قال وفي قراءة حمزة والكسائي قل ان لبثتم
الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون تصديق لهم في مقالهم افحسبتم انما خلقناكم
عبثا توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اي لم نخلقكم
تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث
وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم او عبثا وقرا حمزة والكسائي
ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم فتعالى الله الملك الحق الذي يحق له الملك مطلقا
فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه في حال دون حال
لا اله الا هو فان ما عداه عبيده رب العرش الكريم الذي يحيط بالاجرام وينزل
منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم او النسبة الى اكرم الاكرمين
وقرئ بالرفع على انه صفة الرب ومن يدع مع الله الها اخر يعبده افرادا واشراكا
لا برهان له به صفة اخرى لالها لازمة له فان الباطل لا برهان به جيء للتاكيد
وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل
على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك فانما حسابه عند ربه فهو مجازيه مقدار
ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل او الخبر
اي حسابه عدم الفلاح بدا السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح
عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال وقل رب اغفر وارحم
وانت خير الراحمين عن النبي صلى الله عليه واله من قرا سورة المؤمنين بشرته الملائكة

بالروح والريحان وما تقربه عينه عند نزول ملك الموت وعنه عليه السلام انه قال لقد
انزلت علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرء قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر
وروي ان اولها واخرها من كنوز الجنة من عمل بثلث ايات من اولها واتعظ باربع من
اخرها فقد نجا وافلح والله اعلم

سورة النور مدنية وهي ثنتان واربع وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة اي هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة انزلناها صفتها ومن نصبها
جعله مفسرا لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل او دونك او نحوه وفرضناها
وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرائضها او المفروض
عليهم او للمبالغة في ايجابها وانزلنا فيها ايات بينات واضحات الدلالة لعلكم
تذكرون فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال الزانية والزاني اي فيما فرضنا
او انزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا كل واحد منهما
مائة جلدة والفاء لتضمنهما معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذي وقرئ بالنصب
على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة للامر والزان بلا ياء وانما
قدم الزانية لان الزنا في الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته
تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص من ليس بمحصن لما دل على ان
حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعي عليه تغريب الحر سنة لقوله عليه السلام البكر بالبكر
جلد مائة وتغريب عام وليس في الاية ما يدفعه لينسخ احدهما الاخر نسخا مقبولا
او مردودا وله في العبد ثلثة اقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة
في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود برجمه عليه السلام يهوديين

ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذي يقتص له من المسلم ولا تأخذكم
بهما رأفة رحمة في دين الله في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه ولذلك قال عم
لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد
على فعالة ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فان الايمان يقتضي الجد في طاعة
الله والاجتهاد في اقامة احكامه وهو من باب التهييج وليشهد عذابهما طائفة
من المؤمنين زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل
التعذيب وطائفة فرقة يمكن ان يكون حافة حول شيء من الطوف واقلها ثلثة
وقيل واحد او اثنان والمراد جمع ما يحصل به التشهير الزاني لا ينكح الا زانية
او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك اذ الغالب ان المائل الى الزنا
لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة
علة الالفة والتضام والمخالفة سبب النفرة والافتراق وكان حق المقابلة ان
يقال والزانية لا تنكح الا من زان او مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال في الرغبة فيهن
لان الاية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن
عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني وحرم ذلك على المؤمنين
لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير
ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النهي (النفي بمعنى) وقد
قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه او منسوخ بقوله
تعالى وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه صلى الله عليه وآله
سئل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد
بالنكاح الوطء فيؤول الى نهي الزاني عن الزنا الا بزانية والزانية لم يزن بها الا زان

وهو فاسد والذين يرمون المحصنات يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات
بالاحصان وذكرهن عقيب الزواني واعتبار اربعة شهداء بقوله ثم لم يأتوا باربعة
شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة والقذف بغيره مثل يا فاسق ويا شارب
الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان هاهنا بالحرية والبلوغ والعقل
والاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات
لخصوص الواقعة او لان قذف النساء اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود
عند الاداء ولا يعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابي حنيفة وليكن ضربه
اخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ولا تقبلوا
لهم شهادة اي شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف ذلك على
استيفاء الجلد خلافا لابي حنيفة فان الامر بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما
جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيتوقفان على وقوعه كيف وحاله قبل الجلد اسوأ مما
بعده ابدا ما لم يتب وعند ابي حنيفة الى اخر عمره واولئك هم الفاسقون
المحكوم بفسقهم الا الذين تابوا من بعد ذلك عن القذف واصلحوا اعمالهم
بالتدارك ومنه الاستسلام للحد او الاستحلال عن المقذوف والاستثناء راجع
الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل لان
(محل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى النهي)
من تمام التوبة الاستسلام له او الاستحلال ومحله الجر على البدل منهم في لهم
وقيل الى الاخير ومحله النصب لانه من موجب وقيل منقطع متصل بما بعده
فان الله غفور رحيم علة للاستثناء والذين يرمون ازواجهم ولم يكن
لهم شهداء الا انفسهم نزلت في هلال بن امية راى رجلا على فراشه و
انفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا بمعنى غير فشهادة احدهم

اربع شهادات فالواجب شهادة احدهم او فعليهم شهادة احدهم واربع نصب على
المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على انه خبر شهادة بالله متعلق بشهادات
لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين اي فيما رماها به من الزنا
واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تاكيدا والخامسة
والشهادة الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين في الرمي وقرأ نافع
ويعقوب بالتخفيف في الموضعين هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه
وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه السلام المتلاعنان لا يجتمعان
ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابي حنيفة ونفي الولد ان تعرض له فيه وثبوت
حد الزنا على المراة لقوله ويدرؤ عنها العذاب اي الحد ان تشهد اربع شهادات
بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به والخامسة ان غضب الله عليها
ان كان من الصادقين في ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر
او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرأ نافع ان غضب
الله بكسر الضاد وفتح الياء ورفع الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته و
ان الله تواب حكيم متروك الجواب للتعظيم اي لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة
ان الذين جاؤا بالافك بابلغ ما يكون من الكذب من الافك وهو الصرف
لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة رض وذلك انه عليه السلام
استصحبها في بعض الغزوات فاذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت
لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقدها من جزع
ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها انها دخلت
الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثم احدا فجلست

كي يرجع اليها منشده وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح
عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به
عصبة منكم جماعة منكم وهي من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله
بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم
وهي خبر ان وقوله لا تحسبوه شرا لكم مستانف والخطاب للرسول صلى الله عليه وآله
وابي بكر وعايشة وصفوان والهاء للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب
العظيم وظهور كرامتكم على الله تعالى بانزال ثماني عشرة آية في براءتكم وتعظيم شانكم
وتهويل الوعيد لمن تكلم فيه والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم ما اكتسب
من الاثم لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به والذي تولى كبره
معظمه وقرأ يعقوب بالضم وهو لغة فيه منهم من الخائضين وهو ابن ابي فانه
بدأ به واذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله او هو وحسان ومسطح
فانهما شايعاه بالتصريح به والذي بمعنى الذين له عذاب عظيم في الاخرة او
في الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابي مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان اعمى
اشل اليدين ومسطح مكفوف البصر لولا هلا اذ سمعتموه ظن المؤمنون
والمؤمنات كقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى
الغيبة مبالغة في التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين
والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم
وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث
انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك لان الظرف
اهم فان التحضيض على ان لا يخلوا باوله وقالوا هذا افك مبين كما يقول

المستيقن

المستيقن المطلع على الحال لولا جاؤوا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء
فاولئك عند الله هم الكاذبون من جملة المقول تقرير لكونه كذبا فان ما لا
حجة عليه مكذب عند الله اي في حكمه ولذلك رتب الحد عليه ولولا فضل
الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لولا هذه لامتناع الشيء لوجود
غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا بانواع النعم التي من جملتها الامهال
للتوبة ورحمته في الاخرة بالعفو والمغفرة والمقدران لكم لمسكم عاجلا
فيما افضتم فيه خضتم فيه عذاب عظيم يستحقر دونه اللوم والجلد اذ ظرف لمسكم
او افضتم تلقونه بالسنتكم ياخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى
القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه اذا لقفه
وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه
وتألقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته
فوجدته وتقفونه اي تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس في قلوبهم
لكم به علم لانه ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم كقوله تعالى يقولون بافواههم
ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهو عند الله عظيم
في الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي
الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله
عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ما ينبغي وما يصح لنا ان نتكلم
بهذا سبحانك هذا يجوز ان يكون للاشارة الى القول المخصوص وان يكون
الى نوعه فان قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة
الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله سبحانك تعجب من يقول ذلك

اي وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب ج

واصله ان يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من ان يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل
لكل متعجب او تنزيه لله تعالى من ان يكون حرمة نبيه عم فاجرة فان فجورها تنفير
عنه ومخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله
هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار
متعلقاتها يعظكم الله ان تعودوا لمثله كراهة ان تعودوا او في ان تعودوا
ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين فان الايمان يمنع عنه وفيه
تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب
كي تتعظوا وتتادبوا والله عليم بالاحوال كلها حكيم في تدابيره ولا يجوز
الكشخنة على نبيه عم ولا يقرره عليها ان الذين يحبون يريدون ان تشيع
ان تنتشر الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة
بالحد والسعير الى غير ذلك والله يعلم ما في الضمائر وانتم لا تعلمون فعاقبوا
في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من
حب الاشاعة ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة
بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله وان الله رؤوف رحيم
على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره
مرة يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان باشاعة الفاحشة
وقرأ نافع والبزي وابو عمرو وابو بكر وحمزة بسكونها وقرئ بفتح الطاء
ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر بيان
لعلة النهي عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع
ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية للذنوب

وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها منكم من احد ابدا آخر الدهر
ولكن الله يزكي من يشاء بحمله على التوبة وقبولها والله سميع لمقالهم عليم
بنياتهم ولا ياتل ولا يحلف افتعال من الالية او ولا يقصر من الالو ويؤيد
الاول انه قرئ ولا يتال وانه نزل في ابي بكر وقد حلف ان لا ينفق على مسطح
بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين اولوا الفضل منكم
في الدين والسعة في المال وفيه دليل على فضل ابي بكر وشرفه رض ان يؤتوا
على ان لا يؤتوا او في ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات اولي القربى
والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد اي ناسا
جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون
ابلغ في تعليل المقصود وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغماض عنه الا
تحبون ان يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم
والله غفور رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روي انه عم قراها
على ابي بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته ان الذين يرمون
المحصنات العفائف الغافلات مما قذفن به المؤمنات بالله وبرسوله
استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول عم والمؤمنين كابن ابي لعنوا في
الدنيا والاخرة لما طعنوا فيهن ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم وقيل
هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبي عم
ولذلك قال ابن عباس لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ
مما نزل في افك عايشة رض يوم تشهد عليهم ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار
لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة والكسائي بالياء للتقدم والفصل

ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يعترفون بها بانطاق الله تعالى
اياها بغير اختيارهم او بظهور اثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل العذاب
يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم المستحق ويعلمون لمعاينتهم الامر أن الله
هو الحق المبين الثابت بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه في ذلك غيره ولا
يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق البين اي العادل الظاهر
عدله ومن كان هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة الخبيثات للخبيثين
والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات
اي الخبائث يتزوجن الخباث بالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل
على قوله أولئك يعني اهل بيت النبي عم او الرسول عم وعائشة وصفوان مبرؤون مما
يقولون اذ لو صدق قول الافكين لم تكن زوجته ولم يقرر عليه وقيل الخبيثات
والطيبات من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير في يقولون للآفكين اي
مبرؤون من ان يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم يعني الجنة
ولقد برأ الله تعالى اربعة باربعة برأ يوسف بشاهد من اهلها وموسى عم
من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم ع بانطاق ولدها وعائشة
بهذه الايات مع هذه المبالغات وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول صلى الله عليه
واعلاء منزلته يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها
فان الآجر والمعير ايضا لا يدخلان الا باذن حتى تستأنسوا تستأذنوا من
الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره فان المستأذن
مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله او يؤذن له او من الاستئناس
الذي هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له

فاذا

فاذا اذن استأنس او تتعرفوا هل ثم انسان من الانس وتسلموا على اهلها بان تقولوا
السلام عليكم ادخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع ذلكم خير لكم اي
الاستئذان والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية فان الرجل
منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل فربما اصاب
الرجل مع امرأته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي عم استأذن على امي قال نعم قال
لا خادم لها غيري واستأذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال
فاستأذن لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اي انزل عليكم او قيل لكم
هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم فان لم تجدوا فيها احدا يأذن لكم
فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم حتى يأتي من يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس
الاطلاع على العورات فقط بل على ما يخفيه الناس عادة مع ان التصرف في ملك
الغير بغير اذنه محظور واستثني ما اذا عرض فيه حرق او غرق او كان فيه منكر
ونحوها وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا هو ازكى لكم الرجوع اطهر لكم
عما لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروءة او انفع
لدينكم ودنياكم والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون مما خوطبتم
به فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط
والخانات والحوانيت فيها متاع لكم استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد
وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله
البيوت المسكونة وغيرها والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن
دخل مدخلا لفساد او تطلع على عورات قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم
اي عما يكون نحو محرم ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم

التبعيض
وما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض
وقيل حفظ الفروج هنا خاصة سترها ذلك ازكى لهم انفع لهم واطهر لما فيه من البعد
عن الريبة ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم
وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون
وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من
الرجال ويحفظن فروجهن بالتستر او التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان النظر
بريد الزنا ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها
لمن لا يحل ان تبدى له الا ما ظهر منها عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان في
سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن
الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر
ان هذا في الصلوة لا في النظر فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم
النظر الى شيء منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة وليضربن بخمرهن
على جيوبهن سترا لاعناقهن وقرأ نافع وعاصم وابو عمرو وهشام بضم الجيم
ولا يبدين زينتهن كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له الا لبعولتهن
فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره او
آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني
اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم
وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم
ان ينظروا منهن الى ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال
لانهم في معنى الاخوان او لان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهن

أو نسائهن يعني المؤمنات فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال او النساء
كلهن وللعلماء في ذلك خلاف او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء والعبيد لما
روي انه عليه السلام اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها
لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال عليه الصلوة والسلام
انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المراة
كالاجنبي او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اي اولي الحاجة الى النساء وهم
الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين
يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرأ ابن
عامر وابو بكر غير بالنصب على الحال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء
لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور
بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن
بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات
خلخال فان ذلك يورث ميلا في الرجال وهو ابلغ من النهي عن اظهار الزينة
وادل على المنع من رفع الصوت وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون اذ لا يكاد يخلو
احد منكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه في
الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه
كلما يتذكر لعلكم تفلحون بسعادة الدارين وانكحوا الايامى منكم والصالحين
من عبادكم وامائكم لما نهى عما عسى يفضي الى السفاح المخل بالنسب المقتضي
للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر
عنه مبالغة فيه امر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه

وقرأ ابن عامر أيه المؤمنون وفي الزخرف
يا أيه الساحر وفي الرحمن أيه الثقلان
بضم الهاء في الوصل والباقون
بفتحها ووقف أبو عمرو والكسائي
بالألف ووقف الباقون
بغير الألف

دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبهما واشعار بان المقصود منه
الى بقاء النوع المراة والعبد لا يستبدان به اذ لو استبدا لما وجب على الولي والمولى
وايامى مقلوب ايايم كيتامى جمع ايم وهو العزب ذكرا كان ام انثى بكرا او ثيبا قال
فان تنكحي انكح وان تتايمي ؛ وان كنت افتى منكم اتايم ؛ وتخصيص الصالحين لان احصان
دينهم والاهتمام بشانهم اهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه
ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله رد لما عسى يمنع من النكاح والمعنى لا
يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله غنية عن المال فانه
غاد ورائح او وعد من الله بالاغناء لقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الغنى
في هذه الاية لكن مشروطة بالمشية لقوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله
من فضله ان شاء والله واسع ذو سعة لا تنفد نعمته اذ لا تنتهي قدرته عليم
يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته وليستعفف وليجتهد في العفة
وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح
ما ينكح به او بالوجدان التمكن منه حتى يغنيهم الله من فضله فيجدوا ما يتزوجون
به والذين يبتغون الكتاب المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على
كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال او لانه مما يكتب
لتاجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض
مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة والموصول بصلته مبتدا خبره فكاتبوهم
او مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند
اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج
الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان العجز

عن الاداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل ان علمتم فيهم خيرا
امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد روي مثله مرفوعا وقيل صلاحا
في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه
عدم الجواز واتوهم من مال الله الذي اتاكم امر للموالي كما قبله بان يبذلوا لهم شيئا
من اموالهم وفي معناه حط شيء من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفي
اقل ما يتمول وعن علي عليه السلام حط الربع وعن ابن عباس الثلث وقيل ندب لهم
الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين
واعطاءهم سهمهم من الزكوة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا ياخذه صدقة
كالداين والمشتري ويدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام في حديث بريرة هو لها صدقة و
لنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم اماءكم على البغاء على الزنا كانت لعبد الله بن
ابي ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله
فنزلت ان اردن تحصنا تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطا
للنهي لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي بامتناع المنهي
عنه وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر لتبتغوا عرض
الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم لهن
او له ان تاب والاول اوفق للظاهر ولما في مصحف ابن مسعود من بعد اكراههن
لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير اثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه
لا ينافي المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص ولقد
انزلنا اليكم آيات مبينات يعني الايات التي بينت في هذه السورة واوضحت
فيها الاحكام والحدود وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالكسر لانها واضحات

تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين او لانها بينت
الاحكام والحدود ومثلا من الذين خلوا من قبلكم اي ومثلا من امثال من قبلكم
واي قصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عايشة رضي الله عنها فانها كقصة يوسف ومريم عليهما السلام
وموعظة للمتقين يعني ما وعظ به في تلك الايات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون
بها وقيل المراد بالايات ايات القران والصفات المذكورة صفاتها الله نور السموات
والارض النور في الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها سائر المبصرات
كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى
لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز
اما بمعنى منور السموات والارض وقد قرئ به فانه تعالى نورها بالكواكب وما يفيض
عنها من الانوار او بالملائكة والانبياء او مدبرها من قولهم للرئيس الفائق في التدبير
نور القوم لانهم يهتدون به في الامور او موجدها فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره
واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء هو العدم والله سبحانه موجود بذاته موجد
لما عداه او الذي به يدرك او يدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها
به او لمشاركته لها في توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك
نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص في
بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها
والا لما فارقتها فهي اذن من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء او
بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك سموا انوارا ويقرب منه قول ابن عباس معناه
هادي من فيها فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالها
على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول

عليهما مثل نوره صفة نوره العجيبة الشان واضافته الى ضميره سبحانه وتعالى دليل على
ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كمشكوة كصفة مشكوة وهي الكوة الغير النافذة و
قرا الكسائي برواية الدوري بالامالة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب وقيل المشكوة
الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة المصباح في زجاجة
في قنديل من الزجاج الزجاجة كانها كوكب دري مضيء متلالئ كالزهرة
في صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوءه
او بعض ضوءه بعضا من لمعانه الا انه قلبت همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر على الاصل
وقرا ابو عمرو والكسائي دري كشريب وقد قرئ به مقلوبا يوقد من شجرة مباركة زيتونة
اي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها
وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم لشانها وقرا نافع وابن
عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائي وابو بكر بالتاء
كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد بمعنى تتوقد ويوقد
بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب لا شرقية ولا غربية تقع الشمس عليها
حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة او صحراء
واسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى او لا نابتة في شرق المعمورة وغربها
بل في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون او لا في مضحى تشرق الشمس
عليها دائما فتحرقها او في مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير
في شجرة ولا في نبات في مقناة ولا خير فيها في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار اي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلالؤه وفرط وبيصه نور على نور نور متضاعف
فان نور المصباح زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة

لاشعة المصباح زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وقد ذكر في معنى التمثيل
وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذي دلت عليه الايات المبينات في جلاء مدلولها
وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة او تشبيه الهدى من حيث انه محفوف
بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولي الكاف المشكاة لاشتمالها عليه
وتشبيهه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف
والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة ابي مثل نور المؤمن
او تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التي منوط بها المعاش
والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التي تحفظ
صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعقلية التي تدرك
الحقائق الكلية والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم يعلم
والقوة القدسية التي تتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء
والاولياء المعنية بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
بالاشياء الخمسة المذكورة في الاية وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة
والزيت فان الحساسة كالمشكاة لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر لا تدرك
ما وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة في قبول صور
المدركات من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما يشتمل عليها
من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف
الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتاديتها الى ثمرات لا نهاية لها الزيتونة المثمرة
للزيت الذي هو مادة المصابيح التي لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها عن
لواحق الجسمية او لوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين

والقوة

والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تفكر
ولا تعليم او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فانها في بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة
لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث
تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلالئة في نفسها قابلة للانوار وذلك
التمكن ان كانت بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت
وان كان بقوة قدسية فكالذي يكاد زيتها يضيء لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل
بملك الوحي والالهام الذي مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا
حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كانت كالمصباح فاذا
استحضرتها كانت نورا على نور يهدي الله لنوره لهذا النور الثاقب من يشاء
فان الاسباب دون مشيته لاغية اذ بها تمامها ويضرب الله الامثال للناس
ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا والله بكل شيء عليم معقولا كان او
محسوسا ظاهرا كان او خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث
بها في بيوت متعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت او توقد في بيوت فيكون
تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا وابلغ فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا
لصلوة المؤمنين او ابدانهم بالمساجد ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكاة
اذ المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح
وفيها تكرير مؤكد لا يذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف مثل
سبحوا في بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلثة
والتنكير للتعظيم اذن الله ان ترفع بالبناء او التعظيم ويذكر فيها اسمه
عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في افعاله والمباحثة في احكامه يسبح له فيها

بالغدو والآصال رجال ينزهونه او يصلون له فيها بالغدوات والعشايا والغدو
مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وقرئ بالايصال
وهو الدخول بالاصيل وقرا ابن عامر وعاصم يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف
الثلثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ بالتاء مكسورا لتانيث الجمع ومفتوحا
على اسناده الى اوقات الغدو لا تلهيهم تجارة لا تشغلهم معاملة رابحة ولا
بيع عن ذكر الله مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة
او بافراد ما هو الاهم من قسمي التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى
وقيل المراد بالتجارة الشرى فانه اصلها ومبداها وقيل الجلب لانه الغالب
فيها ومنه يقال تجر في كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار واقام الصلوة عوض
فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله واخلفوك
عد الامر الذي وعدوا وايتاء الزكوة ما يجب اخراجه من المال للمستحقين
يخافون يوما مع ما هم عليه من الذكر والطاعة تتقلب فيه القلوب و
الابصار تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب ما لم
تكن تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة
وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله
متعلق بيسبح او تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا احسن جزاء ما عملوا الموعود
لهم من الجنة ويزيدهم من فضله اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم تخطر ببالهم
والله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة
ونفاذ المشية وسعة الاحسان والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة
والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة

عند الله تعالى تجدها لاغية مخيبة في العاقبة كسراب وهو ما يرى في الفلاة من لمعان
الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري والقيعة بمعنى القاع وهو
الارض المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات في ديمة يحسبه
الظمآن ماء اي العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس
الحاجة حتى اذا جاءه جاء ما توهمه ماء او موضعه لم يجده شيئا مما ظنه ووجد الله
عنده عقابه او زبانيته او وجده محاسبا اياه فوفاه حسابه استعراضا او مجازاة
والله سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب روي انها نزلت في عتبة بن ربيعة بن
امية تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب
واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كسراب ولكونها خالية عن نور الحق
كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة
فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار الوقتين فانها كالظلمات
في الدنيا والسراب في الاخرة في بحر لجي عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشاه
يغشى البحر موج من فوقه موج امواج مترادفة متراكمة من فوقه من فوق الموج الثاني
سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر ظلمات اي هذه ظلمات
بعضها فوق بعض وقرا ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى وباضافة السحاب
اليها في رواية البزي اذا اخرج يده وهي اقرب ما يرى اليه لم يكد يراها لم يقرب
ان يراها فضلا ان يراها كقوله اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح
والضماير للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ومن لم يجعل الله له نورا
ومن لم يقدر له الهداية ومن لم يوفقه لاسبابها فما له من نور خلاف الموفق
الذي له نور على نور الم تر الم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي

والاستدلال ان الله يسبح له من في السموات والارض ينزه ذاته عن كل نقص وافة
اهل السموات والارض ومن لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان بما يدل عليه
من مقال او دلالة حال والطير على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل
الباهر ولذلك قيدها بقوله صافات فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف
في الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة
الصانع ولطف تدبيره كل كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم صلوته وتسبيحه
اي قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا الحق والميل الى النفع على وجه يخصه
بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما
دقيقة في اسباب تعيشها لا يهتدي اليها العقلاء ولله ملك السموات والارض
فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة
الانتهاء الى الواجب والى الله المصير مرجع الجميع الم تر ان الله يزجي سحابا يسوقه
ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد ثم يؤلف بينه بان يكون قزعا فيضم بعضها
الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه وقرا نافع برواية ورش يولف
غير مهموز ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله
من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وينزل من السماء من الغمام وكل ما علاك
فهو سماء من جبال فيها من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها او جمودها من برد
بيان للجبال والمفعول محذوف اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من
برد بردا ويكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل
المراد من السماء المظلة وفيها جبال من برد كما في الارض جبال من حجر وليس في العقل
قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم يحللها حرارة فبلغت الطبقة البارد

من الهواء وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان
اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد
يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر والثلج وكل ذلك لا بد
وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث
بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء والضمير للبرد يكاد
سنا برقه ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال في السين وبرقه بفتح
الراء وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع يذهب بالابصار
بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث
انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار
بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الاخر او بتغير احوالهما بالحر والبرد والظلمة
والنور او بما يعم ذلك ان في ذلك لما تقدم ذكره لعبرة لاولي الابصار لدلالة
على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيته وتنزهه عن الحاجة
وما يفضي اليها لمن يرجع الى بصيرة والله خلق كل دابة حيوان يدب على الارض وقرا حمزة
والكسائي خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون
تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء
متعلق بدابة وليس صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وانما سمي الزحف مشيا
على الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من
يمشي على اربع كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له اكثر من اربع كالعناكب فان
اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف
ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو اعرق في القدرة يخلق الله ما

يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيات والحركات
والطبايع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيته ان الله على كل شيء قدير
فيفعل ما يشاء لقد انزلنا ايات مبينات للحقايق بانواع الدلائل والله يهدي من
يشاء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الموصل الى
درك الفوز والحق بالجنة ويقولون امنا بالله وبالرسول نزلت في بشر المنافق خاصم
يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي صلى الله عليه واله وقيل في
مغيرة بن وائل خاصم عليا كرم الله وجهه فابى ان يحاكمه الى الرسول صم واطعنا واطعنا
هما ثم يتولى بالامتناع عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك بعد قولهم هذا وما اولئك
بالمؤمنين اشارة الى القائلين باسرهم فيكون اعلاما من الله بان جميعهم وان
امنوا بلسانهم ولم تؤمن قلوبهم او الى الفريق منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم
والتعريف للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان
او الثابتون عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اي ليحكم النبي صم
فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في الحقيقة
حكم الله تعالى اذا فريق منهم معرضون فاجا فريق منهم الاعراض اذا كان الحق
عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وشرح للتولي ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق اي الحكم
لا عليهم ياتوا اليه مذعنين منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة لياتوا ولمذعنين
وتقديمه للاختصاص افي قلوبهم مرض كفر او ميل الى الظلم ام ارتابوا بان راوا
منك تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم بك ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله
في الحكومة بل اولئك هم الظالمون اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق
امتناعهم اما لخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا
القسم الاول ووجه التقسيم ان وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته

يمنع

يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفي ذلك
عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله
ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون على عادته تعالى
في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي وقرئ قول
بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم
ومن يطع الله ورسوله فيما يامرانه او في الفرائض والسنن ويخش الله على ما صدر
عنه من الذنوب ويتقه فيما بقي من عمره وقرئ يعقوب وقالون عن نافع بلا
ياء وابو بكر وابو عمرو بسكون الهاء وحفص بسكون القاف فشبه تقه بكتف
فخفف والهاء في الوقف ساكنة بالاتفاق فاولئك هم الفائزون بالنعيم
المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم انكار للامتناع عن حكمه لئن امرتهم بالخروج
عن ديارهم واموالهم ليخرجن جواب لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا على
الكذب طاعة معروفة ~~امثل منها~~ اي المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة
النفاقية المنكرة او طاعة معروفة امثل منها او لتكن طاعة وقرئ بالنصب على اطيعوا
طاعة ان الله خبير بما تعملون فلا يخفى عليه سرائركم قل اطيعوا الله واطيعوا
الرسول امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم فان تولوا فانما
عليه على محمد ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه في حكمه
تهتدوا الى الحق وما على الرسول الا البلاغ المبين التبليغ الموضح لما كلفتم
به وقد ادى وانما بقي ما حملتم فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم وعد الله
الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات خطاب للرسول والامة او له ولمن
معه ومن للبيان ليستخلفنهم في الارض ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الارض تصرف

الملوك فيما ليهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او
الوعد فى تحققه منزل منزلة القسم كما استخلف الذين من قبلهم يعنى بنى اسرائيل استخلفهم
فى مصر والشام بعد الجبابرة وقرء ابو بكر بضم التاء وكسر اللام واذا ابتداء ضم الالف
والباقون بفتحهما واذا ابتداء وكسروا الالف وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى
لهم وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت وليبدلنهم من بعد خوفهم من الاعداء
وقرء ابن كثير وابو بكر بالتخفيف امنا منهم وكان الرسول صلعم واصحابه مكثوا بمكة
عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون فى السلاح ويمسون فيه
حتى انجز الله وعده فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد المشرق والمغرب و
فيه دليل على صحة النبوة للاخبار عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين
اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب و
الامن منه فى الاخرة يعبدوننى حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد
او استيناف ببيان المقتضى للاستخلاف والامن لا يشركون بى شيئا حال من
الواو اى يعبدوننى غير مشركين ومن كفر ومن ارتد او كفر هذه النعمة
بعد ذلك بعد الوعد او حصول الخلافة فاولئك هم الفاسقون الكاملون
فى فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الايات او كفروا تلك النعمة
العظيمة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول اى فى سائر
ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المامور
به فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول للتاكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة
هى فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الهدى لا تحسبن الذين كفروا
معجزين فى الارض اى لا تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم

وفى الارض صلة معجزين او لا تحسبن الكفار فى الارض احدا معجز الله فيكون معجزين
فى الارض مفعوليه او لا تحسبوهم معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعول
لشئ واحد فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث وقرء ابن عامر وحمزة بالياء وهو
كالاول فى الاحتمالات ومأويهم النار عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين
كفروا ليسوا معجزين ومأويهم النار لان المقصود من النهى عن الحسبان تحقيق
نفى الاعجاز ولبئس المصير المأوى الذى يصيرون اليه يا ايها الذين امنوا
ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد
الفراغ من الايات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيره
والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء
غلب فيه الرجال لما روى ان غلام اسماء بنت ابى مرثد دخل عليها فى وقت كرهته
فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلعم مدلج بن عمرو الانصارى وكان غلاما وقت
الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت
ان الله عز وجل نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا تدخلوا هذه الساعات
علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبى صم فوجده وقد انزلت عليه هذه الاية
والذين لم يبلغوا الحلم منكم والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ
بالاحتلام لانه اقوى دلائله ثلاث مرات فى اليوم والليلة مرة من قبل صلوة
~~الفجر وحين تضعون ثيابكم اى ثيابكم لليقظة للقيلولة من الظهيرة~~
~~بيان الحين~~ لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة
ومحله النصب بدلا من ثلث مرات او الرفع خبر المحذوف اى هى من قبل صلوة الفجر
وحين تضعون ثيابكم اى ثيابكم لليقظة للقيلولة من الظهيرة بيان للحين

ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف ثلاث
عورات لكم اى هى ثلث اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدا وخبره
ما بعده واصل العورة الخلل ومنها اعور المكان ورجل اعور وقرء حمزة والكسائى
بالنصب بدلا من ثلث مرات ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الاوقات
فى ترك الاستيذان وليس فيه ما ينافى اية الاستيذان فينسخها لانه فى الصبيان
ومماليك المدخول عليه وتلك فى احرار البالغين طوافون عليكم اى هم طوافون
استيناف ببيان العذر المرخص فى ترك الاستيذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة
وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا فى الفرق بين الاوقات الثلثة وغيرها بانها
عورات بعضكم على بعض بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم على بعض
كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الايات اى الاحكام والله عليم عليم
باحوالكم حكيم فيما شرع لكم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا
كما استأذن الذين من قبلهم الذين بلغوا قبلهم فى الاوقات كلها واستدل
به من اوجب استيذان العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون
الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم كذلك يبين الله لكم اياته
والله عليم حكيم كرره تاكيدا ومبالغة فى الامر بالاستيذان والقواعد
من النساء العجائز اللاتى قعدن عن الحيض والحمل اللاتى لا يرجون نكاحا لا يطمعن
فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اى الثياب الظاهرة كالجلباب
والفاء فيه لان اللام فى القواعد بمعنى اللاتى او لوصفها بها غير
متبرجات بزينة غير مظهرات زينة مما امرن باخفائه فى قوله ولا يبدين
زينتهن واصل التبرج التكلف فى اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء

عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه
شئ الا انه خص بتكشف المراة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن خير
لهن من الوضع لانه ابعد من التهمة والله سميع لمقالتهن للرجال عليم بمقصودهن
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج نفى لما كانوا
يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم واكلهم من بيت من يدفع
اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل
مخافة ان لا يكون ذلك من طيب قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت ابائهم
او اولادهم او اقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا
علم رضا صاحب البيت باذن او قرينة او كان فى اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله
لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم الى طعام وقيل نفى الحرج عنهم فى القعود
عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله وما بعده ولا على انفسكم ان تاكلوا من
بيوتكم من البيوت التى فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد
لان بيت الولد كبيته لقوله عليه الصلوة والسلام انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب
ما ياكل المؤمن من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم وقرء حمزة
بكسر الالف والميم والكسائى بكسر الالف وفتح الميم او بيوت اخوانكم او بيوت
اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه
وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية وكالة وحفظا وقيل
بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ مفتاحه او صديقكم
او بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط فى اموالهم واسر به وهو يقع على الواحد
والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضاء صاحب البيت باذن او قرينة

ولذلك خصص بعضهم لا وفانه بعتاد التبسط بينهم او كان في اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج
للحنفية به على ان لا قطع بسرقة مال المحرم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او
اشتاتا مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون
ان ياكل الرجل وحده او في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا معه او في قوم
تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطبائع في النزاهة والنهمة فاذا دخلتم
بيوتا فسلموا على انفسكم على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله
ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانه طلب الحيوة وهي من
عند الله وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم مباركة طيبة لانها يرجى بها
زيادة الخير والثواب طيبة يطيب بها نفس المستمع وعن انس انه عليه الصلوة والسلام
قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم
عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين كذلك يبين الله
لكم الايات كرره ثالثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين
بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اى الحق و
الخير في الامور انما المؤمنون اى الكاملون في الايمان الذين امنوا بالله ورسوله
من صميم قلوبهم واذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب
والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا حتى
يستاذنوه يستاذن رسول الله فياذن لهم اعتبارا في كمال الايمان لانه كالمصداق
لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب
عن مجلس رسول الله بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال ان الذين
يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فانه يفيد ان المستاذن

مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك فاذا استاذنوك لبعض شانهم
ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق الامر فاذن لمن شئت منهم
ما يعرض لهم من تفويض الامر الى راى رسول الله صلعم واستدل به على ان بعض الاحكام
مفوضة الى رايه ومن منع ذلك قيد المشية بان تكون تابعة لعلمه بصدقه فكان المعنى
فاذن لمن علمت ان له عذرا واستغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستيذان ولو لعذر قصور
لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين ان الله غفور لفرطات العباد رحيم بالتيسير
عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لا تقيسوا دعاءه اياكم
على دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير
اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا ندا
وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن
بلقبه المعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت او لا
تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب
او لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه
مستجاب قد يعلم الله الذين يتسللون منكم قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل
تدرج وتدخل لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن
له فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح فليحذر الذين يخالفون
عن امره يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه
معنى الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه
دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله فان الامر
له في الحقيقة او للرسول فانه المقصود بالذكر ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم

عذاب اليم في الاخرة واستدل به على ان الامر للوجوب فانه يدل على ان ترك مقتضى
الامر مقتضى لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على حسنه المشروط بقيام
المقتضي له وذلك يستلزم الوجوب الا ان لله ما في السموات وما في الارض
قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص
وانما اكد علمه بقد لتاكيد الوعيد ويوم يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون
اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات وقرئ
يرجعون بفتح الياء وكسر الجيم فينبئهم بما عملوا من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة
عليه والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية عن النبي صلى الله عليه وآله من قرء
سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي
والله اعلم

سورة الفرقان مكية وآيها سبع وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير او تزايد
عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه
على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير
على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا لله تعالى والفرقان
مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل
بتقريره او المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال وقرئ
على عباده وهم رسول الله صلعم وامته كقوله لقد انزلنا اليكم او الانبياء على ان
الفرقان اسم جنس للكتب السماوية ليكون العبد او الفرقان للعالمين نذيرا
للجن والانس منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة
لكنها

لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة الذي له ملك السموات والارض
بدل من الاول او مدح مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا كزعم النصارى ولم يكن له
شريك في الملك كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه
فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال وخلق كل شيء احدثه احداثا مراعى فيه التقدير
حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة فقدره تقديرا
وهياه لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم
والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك
او فقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق
فيكون المعنى واوجد كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا يكون متفاوتا واتخذوا من
دونه الهة لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما
لا يخلقون شيئا وهم يخلقون لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم ولا يملكون
ولا يستطيعون لانفسهم ضرا دفع ضر ولا نفعا ولا جلب نفع ولا يملكون موتا
ولا حيوة ولا نشورا ولا يملكون اماتة احد واحياءه اولا وبعثه ثانيا ومن كان
كذلك بمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله
يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء وقال الذين كفروا ان هذا الا افك كذب
مصروف عن وجهه افتراه اختلقه واعانه عليه قوم اخرون اى اليهود فانهم
يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس
وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر فقد جاؤا ظلما بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا
متلقفا من اليهود وزورا بنسبة ما هو بريء منه اليه واتى وجاء مطلقان
بمعنى فعل فيعديان تعديته وقالوا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون

اكتتبها كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امي واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه بكرة واصيلا ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر من الكتاب او ليكتب قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمن اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكتوبة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين انه كان غفورا رحيما فلذلك لا يعجل عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا وقالوا مال هذا الرسول ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم يأكل الطعام كما ناكل ويمشي في الاسواق لطلب المعاش والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عما عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا لنعلم صدقه بتصديق الملك او يلقى اليه كنز فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش او تكون له جنة يأكل منها هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائي بالنون والضمير للكفار وقال الظالمون وضع الظالمون موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ان تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرية اي بشرا لا ملكا انظر كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال

فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط عشواء فلا يستطيعون سبيلا الى القدح في نبوتك او الى الرشد والهدى تبارك الذي ان شاء جعل لك في الدنيا خيرا من ذلك مما قالوا ولكن اخره الى الآخرة لانه خير وابقى جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جوابه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو بل كذبوا بالساعة فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال فطعنوا فيك بفقرك او فلذلك كذبوا لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب تصديقك بما وعد الله لك في الآخرة او فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان اذا رأتهم اذا كانت بمرأى منهم لقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما اي لا تتقاربان بحيث يكون احدهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار او جهنم من مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان يرى منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم يكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله تعالى فيها حيوة فترى تتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا ضيقا لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك

وصفها الله تعالى الجنة بان عرضها كعرض السموات والارض وقرأ ابن كثير بسكون الياء مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل دعوا هنالك في ذلك المكان ثبورا هلاكا اي يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون يا ثبوراه تعال فهذا حينك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اي يقال لهم ذلك وادعوا ثبورا كثيرا لان عذابكم انواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته او لانه يتجدد كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب او لانه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح او للدلالة على خلودها او التمييز عن جنات الدنيا كانت لهم في علم الله تعالى او اللوح او لان ما وعده الله تعالى في تحققه كالواقع جزاء على اعمالهم بالوعد ومصيرا ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد المتقين من يتقي الكفر والتكذيب لانهم في مقابلتهم لهم فيها ما يشاؤن ما يشاؤنه من النعيم ولعله تقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك شأو الكامل بالتشهي وفيه تنبيه على ان المراد لا يحصل الا في الجنة خالدين حال من احد ضمائرهم كان على ربك وعدا مسئولا الضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب او مسئولا سأله الناس في دعائهم ربنا آتنا ما وعدتنا على رسلك والملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعليق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب

للانجاز ويوم يحشرهم للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود سواه واستعمال ما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف او لانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادها او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله تعالى او تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الايدي والارجل فيقول اي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله اضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه لانه لا شبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة او انبياء معصومون او جمادات لا تقدر على شيء او اشعارا بانهم الموسومون عن الانداد ما كان ينبغي لنا يصح لنا ان نتخذ من دونك من اولياء للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك وقرئ نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتأكيد النفي ولكن متعتهم وآباءهم بانواع النعم فاستغرقوا في الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك او التذكر لآلائك والتدبر في آياتك وهو نسبة الضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد له الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين

بضلالهم

ماذهبنا اليه فلا تنتهض علينا حجة المعتزلة وكانوا قوما بورا هالكين مصدر
وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم
التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم
المعبودون بما تقولون في قولكم انهم آلهة او هؤلاء اضلونا والباء بمعنى
في او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك
ما كان ينبغي لنا فما تستطيعون اي المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب
العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال
ولا نصرا فيعينكم عليه ومن يظلم منكم ايها المكلفون نذقه عذابا كبيرا
هي النار والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم
وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق اي الا رسلا
انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا
الا له مقام معلوم ويجوز ان يكون حالا اكتفي فيها بالضمير وهو جواب لقولهم
مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وقرئ يمشون اي يمشيهم
حوائجهم الناس وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض فتنة ابتلاء ومن ذلك
ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة
وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلعم على ما قالوه بعد نقضه وفيه دليل على
القضاء والقدر اتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة
لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث على الصبر فيما افتتنوا
به وكان ربك بصيرا بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلى به وغيره وقال الذين

لا يرجون لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة
تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشيء ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئي والمراد
به الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول لولا انزل علينا الملائكة
فيخبروننا بصدق محمد صلعم وقيل فيكونون رسلا الينا او نرى ربنا فيامرنا بتصديقه
واتباعه لقد استكبروا في انفسهم اي في شأنها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد
من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله تعالى في اكمل اوقاتها وما هو اعظم من ذلك و
عتوا وتجاوزوا الحد في الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا
المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح
النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الاستئناف بالجملة حسن واشعار
بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة جساس ابأنا نابها
كليب غلت ناب كليب بواؤها يوم يرون الملائكة ملائكة الموت او العذاب
ويوم نصب باذكر او بما دل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه بمعنى يمنعون
البشرى يعد موتها ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق
به اللام والبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما
عام يتناول حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين
حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت آخر واما خاص وضع موضع ضميرهم
تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع والبشرى الموجب لما يقابلها ويقولون
حجرا محجورا عطف على المدلول اي ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة
وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو او
هجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى

وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك
وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه محجورا للتأكيد كقولهم موت
مائت وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اي وعمدنا الى ما عملوا
في كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه لفقد
ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم
فقدم الى اسبابهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثرا والهباء غبار يرى في شعاع
الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم المحبط
في حقارته وعدم نفعه بالمنثور منه في انتشاره بحيث لا يمكن نظمه او تفرقهم
نحو اغراضهم التي كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر
بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا
يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا مكانا يؤوى
اليه للاسترواح بالازواج والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه
او لانه لا يخلو من ذلك غالبا اذ لا نوم في الجنة وفي احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم
من حسن الصورة وغيره من التحاسين ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر والزمان
اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمان
والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى المترفين في الدنيا
روي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل
النار في النار ويوم تشقق السماء اصله تتشقق فحذفت التاء وادغمها
ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو
الغمام المذكور في قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة

ونزل الملائكة تنزيلا في ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرئ ابن
كثير وننزل وقرئ ونزلت وانزل ونزل الملائكة ونزل الملائكة بحذف
نون الكلمة الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا
يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلة او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه
متأخر او صفة والخبر يومئذ او للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا شديدا
ويوم يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان وحرق
الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها والمراد بالظالم
الجنس وقيل عقبة بن ابي معيط كان يكثر مجالسة النبي صلعم فدعاه الى ضيافة فابى
ان ياكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه
وقال صبأت فقال لا ولكن ابى ان ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه
فشهدت له فقال لا ارضى منك الا ان تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده
ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك وقال عليه السلام لا القاك خارجا من مكة الا
علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا عليه السلام بقتله وطعن ابيا باحد
في المبارزة فرجع الى مكة ومات يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا
طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب في طرق الضلالة
يا ويلتى وقرئ بالياء على الاصل ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني من اضله
وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس لقد اضلني عن الذكر
عن ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول صلعم او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني وتمكنت
منه وكان الشيطان يعني الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالة المضل ومخالفة
الرسول او كل من تشيطن من الجن والانس للانسان خذولا يواليه حتى يؤديه

الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان وقال الرسول محمد صلعم يومئذ او في الدنيا
بثا الى الله تعالى يا رب ان قومي قريشا اتخذوا هذا القران مهجورا بان تركوه وصدوا
عنه وعنه عم من تعلم القران وعلق مصحفه ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة
متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه او هجروا ابرد
لغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا فيه
فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه فان
الانبياء اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من
المجرمين كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والعدو ويحتمل
الواحد والجمع وكفى بربك هاديا الى طريق قهرهم ونصيرا لك عليهم وقال الذين
كفروا لولا نزل عليه القران اى انزل عليه كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله جملة
واحدة دفعة واحدة كالكتب الثلثة وهو اعتراض لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف
بنزوله جملة او مفرقا مع ان للتفريق فوايد منها ما اشار اليه بقوله كذلك لنثبت
به فؤادك اى كذلك انزلناه مفرقا لنقوى بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان
حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان اميا وكانوا يكتبون
فلو القى اليه جملة تعيى بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتاتى الا شيئا
فشيئا ولان نزوله بحسب الوقايع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى ولانه
اذا نزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه
ولانه اذا نزل جبرئيل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ
ومنها انضمام القراين الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك
صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا

نزل عليه القران جملة واحدة والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق
بمحذوف ورتلناه ترتيلا وقرأناه عليك شيئا بعد شيء على تؤدة وتمهل في
عشرين سنة او ثلث وعشرين سنة واصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها
ولا ياتونك بمثل سؤال عجيب كانه مثل في البطلان يريدون به القدح في
نبوتك الا جئناك بالحق الدافع له في جوابه واحسن تفسيرا وبما هو احسن بيانا
او معنى من سؤالهم او لا ياتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا
اعطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا فيما هو احسن كشفا لما بعثت له الذين
يحشرون على وجوههم الى جهنم اى مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة
قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وعنه عم يحشر الناس يوم القيمة
على ثلثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه
وهو ذم منصوب او مرفوع او مبتداء خبره اولئك شر مكانا واضل
سبيلا والمفضل عليه هو الرسول عم على طريقة قوله قل هل انبئكم بشر من
ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه
الاسولة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر
مكانا واضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازى للمبالغة ولقد اتينا موسى
الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا يوازره في الدعوة واعلاء
الكلمة ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لان المشاركين في الامر متوازرون
عليه فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا يعنى فرعون وقومه
باياتنا فدمرناهم تدميرا اى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر

على حاشيتى القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل
فاستحقاق التدمير بتكذيبهم فالتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم
فدمراهم فدمرانهم على التاكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا
نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل
او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم وجعلنا
اغراقهم او قصتهم للناس اية عبرة واعتدنا للظالمين عذابا اليما يحتمل
التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع الضمير تظليما لهم وعادا وثمودا
عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ
حمزة وحفص وثمود على تاويل القبيلة واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون الاصنام
فبعث الله تعالى اليهم شعيبا فكذبوه وبينما هم حول الرس وهي البئر الغير المطوية
فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها
بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه وهلكوا وقيل الاخدود وقيل بير بانطاكية
قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان عليه السلام ابتلاهم
الله بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقا لطول عنقها وكانت تسكن
جبلهم الذى يقال له فتخ او دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد
ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه
فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه اى دسوه في بئر وقرونا واهل
اعصار قبل لقرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك الاشارة ويبين ذلك كم
الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة
من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا اهلكوا وكلا تبرنا تتبيرا فتتناه

تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه
ضربنا كانذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ ولقد اتوا يعنى قريشا مروا مرارا في
متاجرهم الى الشام على القرية التى امطرت مطر السوء يعنى سدوم عظمى قرى قوم
لوط امطرت عليها الحجارة افلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم فيتعظون بما
يرون فيها من اثار عذاب الله بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا كفرة لا يتوقعون
نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم او لا
يأملون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا كما يأمله المؤمنون
طمعا في الثواب ولا يخافون على اللغة التهامية واذا راوك ان يتخذونك
الا هزوا ما يتخذونك الا موضع هزؤ او مهزوا به اهذا الذى بعث الله رسولا
رسولا محكى بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا في
معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا
له اهذا الذى زعم انه بعثه الله رسولا ان كاد انه كاد ليضلنا عن الهتنا
ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد
مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها
ولولا في مثله تقييد للحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ وسوف
يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا كالجواب لقولهم ان كاد
ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انه
لا يهملهم وان امهلهم ارايت من اتخذ الهه هويه بان اطاعه وبنى عليه دينه
لا يسمع حجة ولا يتبصر دليلا اى بما قدمه المفعول الثاني للعناية به افانت تكون
عليه وكيلا وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام

لا اول للتقرير والتعجب والثانى للانكار أَمْ تَحْسَبُ بل اتحسب أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ
أَوْ يَعْقِلُونَ فتجدى لهم الايات والحجج فتهتم بشانهم وتطمع فى ايمانهم وهو اشد مذمة
مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من امن ومنهم من عقل
الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرياسة إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ فى عدم انتفاعهم بقرع الايات
اذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا من
الانعام لانها تنقاد من يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسئ اليها وتطلب ما ينفعها
وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان
ولا يطلبون الثواب الذى هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو اشد المضار
ولانها لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم يكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان
جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تودى الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها
غير متمكنة على طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون مستحقون
اعظم العقاب على تقصيرهم أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ الم تنظر الى صنعه كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ كيف
بسطه او الم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بان المعقول من هذا
الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة
على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئى فكيف بالمحسوس منه او الم ينته علمك
الى ان ربك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان
الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك
وصف به الجنة فقال وظل ممدود وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثابتا من السكنى او غير
منقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ
دَلِيلًا فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت

الا بسبب حركتها ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا اى ازلناه بايقاع الشعاع موقعه لما
عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذى هو فى معنى
الكف قَبْضًا يَسِيرًا قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون
ويحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم فى الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل
مبادى اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الارض تحتها
فالقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحال ثم جعل الشمس عليه دليلا
اى مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليل الطريق من
يهديه فانه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيئا
فشيئا الى ان ينتهى غاية نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه
من الاجرام المظلة والمظل عليها وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا شبه ظلامه
باللباس فى ستره وَالنَّوْمَ سُبَاتًا راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت
القطع او موتا لقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل لانه قطع الحيوة ومنه المسبوت
للميت وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ذا نشور اى انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعث
من النوم بعث الاموات فيكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور
عن لقمان عليه السلام يا بنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ
وقرء ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس نُشْرًا ناشرات للسحاب جمع نشور وقرء ابن
عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائى به وبفتح النون على انه مصدر وصف
به وعاصم بشرا بتخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ يعنى قدام المطر
وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به
كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به قال عليه الصلوة والسلام التراب طهور المؤمن

طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا احديهن بالتراب وقيل بليغا
فى الطهارة وفعول وان غلب فى المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوث وللمصدر
كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعارا بالنعمة فيه وتتميما للمنة فيما بعده
فان الماء الطهور اهنى وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيها على ان ظواهرهم
لما كانت مما ينبغى ان يطهروها فبواطنهم بذلك اولى لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة فى معنى
البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجرى مجرى الجامد وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا
أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا يعنى اهل البوادى الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام
والاناسى وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فيهم
وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا ماء السماء وسائر الحيوانات يتعدى فى طلب
الماء فلا يعوزها الشرب غالبا وكان مساق هذه الايات كما هو للدلالة على عظم
القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعليه معايشهم
منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانها سبب لحياتها
وتعيشها وقرئ نسقيه وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسى
بحذف ياءه وهو جمع انسى او انسان كظرابى فى ظربان على ان اصله اناسين فقلبت
النون ياء وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ صرفنا هذا القول بين الناس فى القران
وسائر الكتب او المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات
المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما عن ابن عباس رضى الله عنه ما عام امطر من عام
ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما يشاء وتلا هذه الاية او فى الانهار والمنابع
لِيَذَّكَّرُوا ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة فى ذلك ويقوموا بشكره
وليعتبروا بالصرف عنهم واليهم وقرء حمزة والكسائى بسكون الذال وضم الكاف

فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها
بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف
من يرى انها من خلق الله والانواء وسائط وامارات بجعله تعالى وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا
فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك
اجلالا لك وتعظيما لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات
والاجتهاد فى الدعوة واظهار الحق فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ فيما يريدونك عليه وهو
تهييج له وللمؤمنين وَجَاهِدْهُمْ بِهِ بالقران او بترك طاعتهم الذى يدل عليه
فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون فى ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد فى مخالفتهم
وازاحة باطلهم جِهَادًا كَبِيرًا لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة
الاعداء بالسيف او لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم
او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ
خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها
هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ قامع للعطش من فرط عذوبته وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ بليغ الملوحة
وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد فى بارد وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
حاجزا من قدرته وَحِجْرًا مَّحْجُورًا وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للاخر ما يقوله
المتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه فتجرى فى
خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل
وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فتكون القدرة
فى الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت
وتلاصقت وتشابهت فى الكيفية وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا يعنى الذى

خمر به طينة آدم او جعل جزءا من مادة البشر لتجتمع وتسلس وتقبل الاشكال
والهيئات بسهولة او النطفة فجعله نسبا وصهرا اى قسمه قسمين ذوى نسب
اى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اى اناثا يصاهر بهن كقوله فجعل منه الزوجين الذكر
والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة
وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا
وانثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعنى الاصنام او كل ما
عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه
ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل و
قيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون
كقوله تعالى ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا للمؤمنين والكافرين
قل ما اسئلكم عليه على تبليغ الرسالة الذى يدل عليه الا مبشرا ونذيرا من اجر
الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان
والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه
قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانتفاعك نفسك بالتعرض
للثواب والتخلص عن العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم
تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه
لكن من يشاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحى الذى لا يموت
فى استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه
دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده
ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام

بالشكر على سوابغ نعمه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا مطلعا فلا
عليك ان آمنوا او كفروا الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام
ثم استوى على العرش قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا
بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأنى فى
الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره فى كل مراد خلق الاشياء على تؤدة
وتدرج الرحمن خبر الذى ان جعلته مبتدأ او لمحذوف ان جعلته صفة للحى
او بدل من المستكن فى استوى وقرئ بالجر صفة للحى فاسئل به خبيرا فاسئل
عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبرئيل او
من وجده فى الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا
اطلاقه على الله تعالى فاسئل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجئ ما يرادفه
فى كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى
بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة
خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لانهم ما كانوا يطلقونه
على الله تعالى او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا اى للذى
تأمرناه يعنى تأمرنا بسجوده او لامرك لنا من غير عرفان وقيل انه كان معربا لم يسمعوه
وقرأ حمزة والكسائى يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اى الامر بالسجود
للرحمن نفورا عن الايمان تبارك الذى جعل فى السماء بروجا يعنى البروج الاثنى
عشر سميت به وهى القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها
واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا يعنى الشمس كقوله تعالى وجعل
الشمس سراجا وقرأ حمزة والكسائى سرجا وهى الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا

مضيئا بالليل وقرئ قمرا اى ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد
والرشد والعرب والعرب وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة اى ذوى خلفة
يخلف كل منهما الاخر بان يقوم مقامه فيما ينبغى ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله واختلاف
الليل والنهار وهى للحالة من خلف كالركبة والجلسة لمن اراد ان يذكر ان يتذكر
آلاء الله ويتفكر فى صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم
على العباد او اراد شكورا ان يشكر الله على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين للمتذكرين
والشاكرين من فاته ورده فى احدهما تداركه فى الآخرة وقرأ حمزة ان يذكر من ذكر
بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائى فيه وعباد الرحمن مبتدأ خبره
اولئك يجزون الغرفة الذين يمشون على الارض واضافتهم الى الرحمن للتخصيص
والتفضيل او لانهم الراسخون فى عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار هونا
هينين او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا
ولا شر او سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه آية
القتال لنسخها فان المراد به هو الاعراض عن السفهاء وترك مقابلتهم فى الكلام والذين يبيتون
لربهم سجدا وقياما فى الصلوة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل احمز
وابعد من الرياء وتأخير القيام للروى وهو جمع قائم او مصدر اجرى مجراه
والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما
لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانه مع حسن مخالقتهم مع الخلق
واجتهادهم فى عبادة الخالق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله فى
صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار احوالهم انها

ساءت مستقرا ومقاما اى بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز
والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم ان او احزنت وفيها ضمير
اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان و
كلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف
هو الانفاق فى المحارم والتقتير منع الواجب وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح
الياء وكسر التاء ونافع وابن عامر ولم يقتروا من اقتر وقرأ الكوفيون ونافع
وابن عامر ولم يقتروا بضم الياء من اقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد
وكان بين ذلك قواما وسطا وعدلا سمى به لاستقامة الطرفين كما سمى
سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا
ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر وبين ذلك لغوا
وقيل انه اسم كان لكنه مبنى لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه
بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشئ عن نفسه والذين لا يدعون مع
الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله اى حرمها بمعنى حرم قتلها
الا بالحق متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون نفى عنهم
امهات المعاصى بعد ما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم
واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده
ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق اثاما جزاء
اثم او اثما باضمار الجزاء وقرئ اياما اى شدائد يقال يوم ذو ايام اى
صعب يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لانه فى معناه

كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقرئ أبو بكر بالرفع
على الاستيناف والحال وكذلك ويخلد فيه مهانا وابن كثير ويعقوب يضعف
بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف في يضاعف وقرئ و
يخلد على البناء للمفعول مخففا وقرئ مثقلا وتضعيف له العذاب ومضاعفة
العذاب لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله الا من تاب وآمن وعمل
عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم
بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل الله ملكة المعصية في النفس بملكة
الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب
ثوابا وكان الله غفورا رحيما فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات
ومن تاب عن المعاصي بتركها والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط او خرج
عن المعاصي ودخل في الطاعة فانه يتوب الى الله يرجع الى الله بذلك متابا مرضيا
عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذي يحب
التائبين ويصطنع بهم او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم
بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون
محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه واذا مروا باللغو ما يجب ان
يلغى ويطرح مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه
ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح
به والذين اذا ذكروا بآيات ربهم بالوعظ والقراءة لم يخروا عليها صما
وعميانا لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر
بل اكبوا عليها سامعين باذان واعية متبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي

نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول
عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة
أعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهله في طاعة
الله تعالى سر بهم قلبه وقرت به عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به
في الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقولك رأيت منك اسدا وقرأ ابن عامر والحرميان
وحفص ويعقوب وذرياتنا بالالف وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما و
تقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا
للمتقين اماما يقتدون بنا في امر الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده اما للدلالة على الجنس
وعدم اللبس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر في اصله او لان المراد واجعل
كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم
وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم أولئك يجزون الغرفة اعلى مواضع الجنة
وهي اسم جنس اريد به الجمع لقوله وهم بالغرفات آمنون وللقراءة بها وقيل
هي من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض
الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها تحية وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة
اي يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية
دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يلقون من لقي خالدين
فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما مقابل ساءت مستقرا
معنى ومثله اعرابا قل ما يعبؤا بكم ربي ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا
هيأته او لا يعتد بكم لولا دعاؤكم لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته
بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر الحيوان سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا

دعاؤكم معه آلهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر كانه قيل اي
عبء يعبؤ بكم فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم في
العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون
اي الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد في جنسهم من العبادة
والتكذيب فسوف يكون لزاما اي يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة
او اثره لازما بكم حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه
مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر فانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما
بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الفرقان
لقي الله وهو مؤمن ان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب سورة
الشعراء مكية الا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخرها وهي مائتان وست او سبع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم قرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى الياء
المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل منفصل عما بعده تلك آيات الكتاب
المبين الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القرآن على ما مر في اول
البقرة لعلك باخع نفسك قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق
مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل
للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها ألا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او خيفة
ان لا يؤمنوا ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية دلالة ملجئة الى الايمان او بلية
قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين منقادين واصله فظلوا لها
خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت

الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات من قولهم
جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة وظلت عطف على ننزل عطف و
اكن على فاصدق لانه لو قيل انزلنا بدله لصح وما يأتيهم من ذكر موعظة او طائفة
من القرآن من الرحمن بوحيه الى نبيه محدث مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير
الا كانوا عنه معرضين الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه فقد كذبوا
اي بالذكر بعد اعراضهم وامعنوا في تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء به المخبر
عنه ضمنا في قوله فسيأتيهم اي اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة انباء
ما كانوا به يستهزئون من انه كان حقا او باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم
قدره او يكذب فيستخف امره اولم يروا الى الارض اولم ينظروا الى عجائبها كم انبتنا
فيها من كل زوج كريم صنف كريم محمود متضمن الدلالة على القدرة وان تكون مبينة
على انه ما من نبت الا وله فائدة اما وحده او مع غيره وكل للاحاطة الازواج وكم
لكثرتها ان في ذلك اي انبات تلك الاصناف او في كل واحد لآية على ان منبتها
تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة وما كان اكثرهم مؤمنين في علم الله تعالى
وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الآيات العظام وان ربك لهو العزيز
الغالب القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم حيث امهلهم او العزيز في انتقامه
ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن واذ نادى ربك موسى مقدر باذكر او ظرف لما بعده
ان ائت اي ائت او بان ائت القوم الظالمين بالكفر واستعباد بني اسرائيل
وذبح اولادهم قوم فرعون بدل من الاول او عطف بيان له ألا يتقون استيناف اتبعه ارساله
اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على
الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حين الخطاب اجروا مجرى

الحاضرين في كلام المرسل إليهم من حيث إنه مبلغه إليهم وإسماعه مبدأ إسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الإضافة ويحتمل أن يكون بمعنى ألا يا ناس اتقون كقوله ألا يا اسجدوا قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون رتب استدعاء ضم أخيه إليه وإشراكه له في الأمر على الأمور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة في اللسان بانقباض الروح إلى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لأنها إذا اجتمعت مست الحاجة إلى معين يقوي قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا في تلقي الأمر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما خاف عنه ولهم علي ذنب أي تبعة ذنب فحذف المضاف أو سمي باسمه والمراد قتل القبطي وإنما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار القصة المبسوطة في مواضع فأخاف أن يقتلون به قبل أداء الرسالة وهو أيضا ليس تعللا وإنما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما أن ذاك استمداد واستظهار في أمر الدعوة وقوله قال كلا فاذهبا بآياتنا إجابة له إلى الطلبتين بوعده لدفع بلائهم وردعه عن الخوف وضم أخيه إليه في الإرسال والخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر لأنه معطوف على الفعل الذي يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت والذي طلبته إنا معكم يعني موسى وهارون وفرعون مستمعون سامعون لما يجري بينكما وبينه فأظهركما عليه مثل نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجري بينهم وترقبا لإمداد أوليائه منهم مبالغة في الوعد بالإعانة ولذلك تجوز بالاستماع

الذي هو بمعنى الإصغاء للسمع الذي هو مطلق إدراك الحروف والأصوات وهو خبر ثان أو الخبر وحده ومعكم لغو فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين أفرد الرسول لأنه مصدر وصف به فإنه مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول ولذلك ثني تارة وأفرد أخرى أو لاتحادهما للأخوة أو لوحدة المرسل والمرسل به أو لأنه أراد كل واحد منا أن أرسل معنا بني إسرائيل أي أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال المتضمن لمعنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا إلى الشام فلما أتى فرعون لموسى بعدما أتياه فقال له ذلك ألم نربك فينا في منازلنا وليدا طفلا سمي به لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج إلى مدين عشر سنين ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله ثلاثين ثم بقي بعد الغرق خمسين سنة وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي وبخه به معظما إياه بعدما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لأنها كانت قتلة بالوكز وأنت من الكافرين بنعمتي حتى عمدت إلى قتل خواصي أو ممن تكفرهم الآن فإنه عليه الصلوة والسلام كان يعايشهم بالتقية فهو حال من إحدى التائين ويجوز أن يكون حكما مبتدأ عليه بأنه من الكافرين بالإلهية أو بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة أو من الذين كانوا يكفرون في دينهم قال فعلتها إذا وأنا من الضالين من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل أولي الجهل والسفه أو من المخطئين لأنه لم يتعمد قتله أو الذاهبين عما يؤول إليه الوكز لأنه أراد به التأديب أو الناسين من قوله أن تضل إحداهما ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما حكمة وجعلني من المرسلين رد أولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما

عدّ عليه من النعمة ولم يصرح برده لأنه كان صادقا غير قادح في دعواه بل نبه على أنه كان في الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل أي وتلك التربية نعمة تمنها علي ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني إسرائيل وقصدهم بذبح أبنائهم فإنه السبب في وقوعي إليك وحصولي في تربيتك وقيل إنه مقدر بهمزة الإنكار أي أو تلك نعمة تمنها علي وهي أن عبدت ومحل أن عبدت الرفع على أنه خبر محذوف أو بدل نعمة أو الجر بإضمار الباء أو النصب بحذفها وقيل تلك إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة وأن عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها علي وإنما وحد الخطاب في تمنها وجمع فيما قبله لأن المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملائه قال فرعون وما رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى أنه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل قال رب السموات والأرض وما بينهما عرفه بأظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الأفراد إلا بذكر الخواص والأفعال وإليه أشار بقوله إن كنتم موقنين أي إن كنتم موقنين الأشياء محققين لها علمتم أن هذه الأجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير أحوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لا بد وأن يكون مبدأ لسائر الممكنات أن يحس بها وما لا يمكن وإلا لزم تعدد الواجب أو استغناء بعض الممكنات وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه إلا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته قال لمن حوله ألا تستمعون جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر أفعاله أو يزعم أنه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية أو غير معلوم افتقارها إلى مؤثر قال ربكم ورب

آبائكم الأولين عدل إلى ما لا يمكن أن يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره إلى مصور حكيم ويكون أقرب إلى الناظر وأوضح عند المتأمل قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون أسأله عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولا على السخرية قال رب المشرق والمغرب وما بينهما تشاهدون كل يوم أنه يأتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها إلى المغرب على وجه نافع ينتظم به أمور الكائنات إن كنتم تعقلون إن كان لكم عقل علمتم أن لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم أولا ثم لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالتهم قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين عدولا عن التهديد إلى المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه الألوهية وإنكاره للصانع وأن تعجبه بقوله ألا تستمعون من نسبة الربوبية إلى غيره ولعله كان دهريا اعتقد أن من ملك قطرا أو تولى أمره بقوة طالعه استحق العبادة من أهله واللام في المسجونين للعهد أي ممن عرفت حالهم في سجوني فإنه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل أبلغ من لأسجننك قال أولو جئتك أي أتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين صدق دعواي يعني المعجزة فإنها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعي نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل قال فأت به إن كنت من الصادقين في أن لك بينة أو في دعواك فإن مدعي النبوة لا بد له من حجة فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب إذا فجرته فانفجر ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين روي أن فرعون لما رأى الآية الأولى قال فهل غيرها فأخرج يده قال فما فيها فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الأبصار

وبيّنا الافق قال للملأ حوله مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال انّ هذا لساحرٌ
عليمٌ فائق في علم السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون اي بهره
سلطان المعجزة حتى حطّه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم وائتمارهم
وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار من ظهوره واستيلائه على ملكه قالوا
ارجه واخاه اخّر امرهما وقيل احبسهما وابعث في المدائن حاشرين شرطا يحشرون
السحرة يأتوك بكل سحّار عليم يفضلون عليه في هذا الفن وامالها ابن عامر وابو
عمرو والكسائي وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم لما وقت به
من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة وقيل للناس هل انتم
مجتمعون فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تأبط شرا
هل انت باعث دينار لحاجتنا ۞ او عبد رب اخا عون بن مخراق ۞ اي ابعث احدهما
الينا سريعا لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين لعلنا نتبعهم في دينهم
ان غلبوا والترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلي ان لا يتبعوا
موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا
موسى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم
وانكم اذا لمن المقربين التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا اذ ذاك
على ما يقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين
ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا
به الى اظهار الحق فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون
اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في انفسهم او لاتيانهم باقصى
ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف تبتلع وقرأ

حفص تلقف بالتخفيف ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم
فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة
فالقي السحرة ساجدين لان علمهم بمثله لا يأتي بالسحر وفيه دليل على ان منتهى
السحر تمويه وتزويق تخييل شيء لا حقيقة له وان التبحر في كل فن نافع وانما بدل
الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم لما رأوا ما رأوا لم يتمالكوا انفسهم
فكانهم اخذوا فطرحوا على وجوههم وانه تعالى القاهم بما خوّلهم من التوفيق
قالوا آمنا برب العالمين بدل من القي بدل الاشتمال او حال باضمار قد رب موسى
وهارون ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم
ما اجراه على ايديهما قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم
السحر فعلمكم شيئا دون شيء ولذلك غلبكم او فواعدكم ذلك وتواطئتم عليه
اراد به التلبيس على قومه لئلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة
والكسائي وابو بكر وروح أآمنتم بهمزتين فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم
وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان له قالوا
لا ضير لا ضرر علينا في ذلك انا الى ربنا منقلبون بما توعدنا به فان الصبر عليه
محّاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله او بسبب من الاسباب بالموت
والقتل انفعها وارجاها انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول
المؤمنين من اتباع فرعون او من اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي
الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة
بالخاتمة او على طريقة المدل بامره ان احسنت اليك فلا تنس حقي واوحينا الى
موسى ان اسر بعبادي وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر

لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا وقرأ ابن كثير ونافع ان اسر بكسر النون ووصل
الالف من سرى وقرئ ان سر من السير انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده وهو
علة الامر بالاسراء اي اسر بهم حتى اذا اتبعكم فرعون وجنوده مسرعين
كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم
حتى تلجوا البحر فيدخلون مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر
بسراهم في المدائن حاشرين العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون
على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة الى
جنوده اذ روي انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة
القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط
كل سبط منهم قليل وانهم لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا وانا لجميع
حذرون وانا لجميع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الامور اشار اولا الى عدم
ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعوا اليه من فرط عداوتهم ووجوب
التيقظ في شانهم حثا عليه او اعتذر بذلك الى اهل المدائن كيلا يظن به ما يكسر
سلطانه وقرأ ابن عامر والكوفيون حاذرون والاول للثبات والثاني للتجدد
وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وهو ايضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ
حادرون بالدال الغير المعجمة اي اقوياء قال احب الصبي السوء من اجل امه وابغضه من بغضها
وهو حادر او ناموا بالسلاح فان ذلك يوجب حدارة في اجسامهم فاخرجناهم
بان خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون و
كنوز ومقام كريم يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية كذلك مثل ذلك الاخراج
اخرجنا فهو مصدر او مثل ذلك المقام الذي كان لهم على انه صفة مقام او الامر

كذلك فيكون خبرا لمحذوف واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم وقرئ فاتبعوهم
مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث يرى
كل منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون
لملحقون وقرئ لمدّركون من ادّرك الشيء اذا تتابع ففني اي لمتتابعون في
الهلاك على ايديهم قال كلا لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم ان معي
ربي بالحفظ والنصرة سيهدين طريق النجاة منهم روي ان مؤمن آل فرعون
كان بين يدي موسى فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون
قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر
القلزم او النيل فانفلق اي فضرب فانفلق وكان اثني عشر فرقا بينها مسالك
فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها
كل سبط في شعب وازلفنا وقربنا ثم الآخرين فرعون وقومه حتى دخلوا
على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك
الهيئة الى ان عبروا ثم اغرقنا الآخرين باطباقه عليهم ان في ذلك لآية
وانه آية وما كان اكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها
احد ممن بقي في مصر من القبط وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها
واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وان ربك لهو العزيز
المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم على مشركي العرب نبأ ابراهيم اذ
قال لابيه وقومه ما تعبدون سألهم ليريهم ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة
قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه
تبجحا به وافتخارا ونظل هنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون

قال هل يسمعونكم يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة
اذ تدعون عليه وقرئ يسمعونكم اي يسمعونكم الجواب عن دعائكم وجيئ مضارعا
مع اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها او ينفعونكم على عبادتكم لها او يضرون
من اعرض عنها قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اضربوا عن ان يكون لهم
سمع او يتوقع منهم ضر او نفع والتجؤوا الى التقليد قال افرأيتم ما كنتم تعبدون
انتم وآباؤكم الاقدمون فان التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا
فانهم عدو لي يريد انهم اعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق
ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او ان المغري بعبادتهم اعدى اعدائهم وهو الشيطان
لكنه صور الامر في نفسه تعريضا لهم فانه انفع في النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة
بدأ بها نفسه ليكون ادعى الى القبول وافراد العدو لانه في الاصل مصدر او بمعنى
النسب الا رب العالمين استثناء منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه
وكان من آبائهم من عبد الله الذي خلقني فهو يهدين لانه يهدي كل مخلوق لما
خلق له من امور المعاش والمعاد كما قال والذي قدر فهدى هداية مدرجة من مبدأ
الايجاد الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدؤها بالنسبة
الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية
الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ وللعطف
ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية
وقوله والذي هو يطعمني ويسقين على الاول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله
عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من
الصلات مستقلة باقتضاء الحكم واذا مرضت فهو يشفين عطف على يطعمني و

ويسقين لانه من روادفهما من حيث ان الصحة والمرض في الاغلب يتبعان
المأكول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه لان مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض
باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث انه لا يحس به لا ضرر فيه انما الضرر في
مقدماته وهي المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التي يستحقر دونها
الحيوة الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبلية ولان المرض في غالب الامر انما
يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط والاركان من التنافي
والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهرا
وذلك بقدرة العزيز الحكيم والذي يميتني ثم يحيين في الآخرة والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة ان
يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لان يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفارا
لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلث اني سقيم بل فعله
كبيرهم هي اختي ضعيف لانها معاريض وليست خطايا رب هب لي حكما
كمالا في العلم والعمل استعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق والحقني بالصالحين
ووفقني للكمال في العمل لانتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب
صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره واجعل لي لسان صدق في الآخرين جاها
وحسن صيت في الدنيا يبقى اثره الى يوم القيمة ولذلك ما من امة
الا وهم محبون له مثنون عليه او صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني و
يدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلوات الله عليه واجعلني
من ورثة جنة النعيم في الآخرة وقد مر معنى الوراثة فيها واغفر لابي بالهداية
والتوفيق للايمان انه كان من الضالين طريق الحق وان كان هذا الدعاء

بعد موته فلعله كان يظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمروذ ولذلك وعده به
او لانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص
رتبتي عن رتبة بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا
او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية
بمعنى الحياء يوم يبعثون الضمير للعباد لانهم معلومون او للضالين يوم لا
ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم اي لا ينفعان احدا الا مخلصا
سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته او لا ينفعان الا مال من هذا
شانه وبنوه حيث انفق ماله في سبيل البر وارشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير
وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيمة وقيل الاستثناء
مما دل عليه المال والبنون اي لا ينفع غنى الا غناه وقيل منقطع والمعنى ولكن
سلامة من اتى الله بقلب سليم ينفعه وازلفت الجنة للمتقين حيث يرونها
من الموقف فيتبجحون بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين فيرونها
مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون اليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح
لجانب الوعد وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله اين آلهتكم الذين
تزعمون انهم شفعاؤكم هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون
بدفعه عن انفسهم لانهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال فكبكبوا فيها هم
والغاوون اي الآلهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كان
من القي في النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها وجنود ابليس
متبعوه من عصاة الثقلين او شياطينه اجمعون تاكيد للجنود ان جعل
مبتدأ خبره ما بعده او الضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود

اليه في قوله قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين على
ان الله تعالى ينطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب في قوله اذ نسويكم
برب العالمين اي في استحقاق العبادة ويجوز ان يكون الضماير للعبدة كما
في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم
في مبدأ ضلالهم معترفون بانهم كانوا في الضلالة متحسرون عليها وما اضلنا
الا المجرمون فما لنا من شافعين كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء ولا صديق
حميم اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين
ولا صديق ممن نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها
شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء في العادة
وقلة الصديق ولان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاق
الصديق على الجمع كالعدو لانه في الاصل مصدر كالحنين والصهيل فلو ان
لنا كرة تمن للرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير او شرط
حذف جوابه فنكون من المؤمنين جواب التمني او عطف على كرة اي لو ان لنا
ان نكر فنكون ان في ذلك فيما ذكر من قصة ابراهيم لآية لحجة وعظة لمن اراد
ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن
المتامل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية و
التنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال
اشفاقه عليهم وتصوير الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل
الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول وما
كان اكثرهم اكثر قومه مؤمنين به وان ربك لهو العزيز القادر

على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال لكى يؤمنوا هم او احد من ذريتهم كذبت قوم
نوح المرسلين القوم مؤنث ولذلك تصغر على قويمة وقد مر الكلام فى تكذيبهم
المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح لانه كان منهم الا تتقون الله فتتركوا عبادة
غيره انى لكم رسول امين مشهور بالامانة فيكم فاتقوا الله واطيعون فيما
امركم به من التوحيد والطاعة لله وما اسئلكم عليه على ما انا عليه من الدعاء والنصح
من اجر ان اجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كرره للتاكيد
والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم
اليه فكيف اذا اجتمعا وقرأ نافع وابو عمرو وحفص بفتح الياء فان جرى على الكل
الخمس قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون الاقلون جاها ومالا جمع الارذل
على الصحة وقرأ يعقوب واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل
وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا
اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه ودليلا على بطلانه
واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة
فلذلك قال وما علمى بما كانوا يعملون انهم عملوه اخلاصا او طمعا فى طعمة وما
على الا اعتبار الظاهر ان حسابهم الا على ربى ما حسابهم على بواطنهم الا على الله
فانه المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون
وما انا بطارد المؤمنين جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف
ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله ان انا الا نذير مبين كالعلة
له اى ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصى سواء كانوا اعزاء
او اذلاء فكيف يليق طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما على الا انذاركم انذارا بينا

بالبرهان الواضح ولا على ان اطردهم لاسترضائكم قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول
لتكونن من المرجومين من المشتومين او المضروبين بالحجارة قال رب ان قومى كذبون
اظهار لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه فافتح
بينى وبينهم فتحا فاحكم بينى وبينهم من الفتاحة ونجنى ومن معى من المؤمنين
من قصدهم او شوم عملهم فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون المملوء ثم اغرقنا
بعد انجائه الباقين من قومه ان فى ذلك لآية شاعت وتواترت وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين انثه
باعتبار القبيلة وهو فى الاصل اسم ابيهم اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون
انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان
اجرى الا على رب العالمين تصدير القصص بها دلالة على ان البعثة مقصورة
على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه فكان
الانبياء متفقين على ذلك وان اختلفوا فى بعض التفاريع مبرئين عن المطامع الدنيه
والاغراض الدنيوية اتبنون بكل ريع بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها
آية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم فى اسفارهم فلا
يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا تجتمعون اليها للعبث بمن يمر عليهم او
قصورا تفتخرون بها وتتخذون مصانع مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة او حصونا
لعلكم تخلدون فتحكمون بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم جبارين
متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر فى العاقبة فاتقوا الله بترك
هذه الاشياء واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذى امدكم
بما تعلمون كرره مرتبا على امداد الله تعالى اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا و تنبيها

على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم
كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار فى الا تتقون مبالغة فى
الايقاظ والحث على التقوى فقال امدكم بما تعلمون كرره مرتبا على امداد والوعيد
على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا
بالانكار فى الا تتقون مبالغة فى الايقاظ والحث على التقوى فقال امدكم بانعام
وبنين وجنات وعيون ثم اوعدهم فقال انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
فى الدنيا والاخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا او
عظت ام لم تكن من الواعظين فانا لا نرعوى عما نحن عليه وتغيير شق النفى عما يقتضيه
المقابلة للمبالغة فى عدم اعتدادهم بوعظه ان هذا الا خلق الاولين ما هذا الذى
جئتنا به الا كذب الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى ونموت مثلهم ولا بعث ولا
حساب وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق بضمتين اى وما هذا الذى جئت
به الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله او ما هذا الذى نحن عليه من الدين الا
خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذى نحن عليه من الحيوة و
الموت الا عادة قديمة لم تزل الناس عليها وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه فكذبوه
فاهلكناهم بسبب التكذيب بريح صرصر ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ
قال لهم اخوهم صالح الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتتركون فيما
ها هنا آمنين انكار لئن يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة فى تخلية الله تعالى اياهم
واسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها
هضيم

هضيم لطيف لين للطف الثمر او لان النخل البنى وطلع اناث النخل وهو الطف ما يطلع منها
كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو او متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله
على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا
فارهين بطرين او حاذقين من الفراهة وهى النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب
قلب وقرئ نافع وابن كثير وابو عمرو فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون
ولا تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة التى هى انقياد الآمر لامتثال الامر او نسب
حكم الآمر الى امره مجازا الذين يفسدون فى الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك
عطف ولا يصلحون على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم قالوا انما انت
من المسحرين الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم او من ذوى السحر وهى الرئة
من الاناسى فيكون ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا فأت بآية ان كنت من الصادقين
فى دعواك قال هذه ناقة اى بعد ما اخرجها الله تعالى من الصخرة بدعائه كما اقترحوها
لها شرب نصيب من الماء كالسقى والقيت للحظ من السقى والقوت وقرئ
بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها شربها ولا تمسوها
بسوء كضرب وعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه
وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر الى كلهم لان عاقرها
انما عقر برضاهم ولذلك اخذوا جميعا فاصبحوا نادمين على عقرها خوفا من
حلول العذاب لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم تنفعهم فاخذهم
العذاب اى العذاب الموعود ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم فى نفى الايمان عن اكثرهم فى هذا المعرض ايماء
بانه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا

من مثله بعد كثرة من امن منهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط
الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من
اجر ان اجري الا على رب العالمين اتأتون الذكران من العالمين اي اتأتون
من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او تأتون الذكران
من اولاد ادم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كانهن قد اعوزنكم فالمراد بالعالمين
على الاول كل من ينكح وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لاجل
استمتاعكم من ازواجكم لبيان ما ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض
ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك
بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على
سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذاك او
احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة قالوا لئن لم تنته يا لوط
عما تدعيه او عن نهينا او تقبيح امرنا لتكونن من المخرجين من المنفيين من
بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء حال قال اني
لعملكم من القالين من المبغضين غاية البغض كالافوعن الانكار عليه بالايعاد
وهو ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال لدلالته على انه معدود في زمرتهم
مشهود بانه من جملتهم رب نجني واهلي مما يعملون اي من شؤمه وعذابه فنجيناه
واهله اجمعين اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول
العذاب بهم الا عجوزا هي امرأته في الغابرين مقدرة في الباقين في العذاب
اذ اصابها حجر في الطريق فاهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم
وقيل كانت فيمن بقيت في القرية فانها لم تخرج مع لوط عم ثم دمرنا الاخرين اهلكناهم

وامطرنا عليهم مطرا قيل امطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم
فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء
والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين
الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة فبعث الله
تعالى اليهم شعيبا كما بعثه الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك قال اذ قال
لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجرة ملتف وكان
شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر بحذف الهمزة و
القاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهي اسم بلدهم
وانما كتبت هاهنا وفي ص بغير الالف اتباعا للفظ اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب
العالمين اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا من المخسرين حقوق الناس بالتطفيف
وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو ان كان عربيا فان كان من
القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر
القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوا شيئا من حقوقهم ولا تعثوا
في الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة
الجبلة وذوي الجبلة الاولين يعني من تقدمهم من الخلائق قالوا انما انت من
المسحرين وما انت الا بشر مثلنا اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين الوصفين
المتنافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه وان نظنك لمن الكاذبين في
دعواك فاسقط علينا كسفا من السماء قطعة منها ولعله جواب لما اشعر

به الامر بالتقوى من التهديد وقرأ حفص بفتح السين ان كنت من الصادقين في
دعواك قال ربي اعلم بما تعملون وبعذابه المنزل عليكم ما اوجبه الله عليكم في وقته
المقدر له لا محالة فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة على نحو ما اقترحوا
بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم فاظلتهم سحابة
فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا انه كان عذاب يوم عظيم
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
وهذا اخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله
وتهديدا للمكذبين واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل
به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاتهم به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات
فلكية او كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم وانه لتنزيل رب العالمين
نزل به الروح الامين على قلبك تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز
القران ونبوة محمد صلى الله عليه واله وسلم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون
الا وحيا من الله عز وجل والقلب ان اراد به الروح فذلك وان اراد به العضو
فتخصيصه لان المعاني الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب
لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح
الامين جبرئيل فانه امين الله على وحيه وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي
بتشديد الزاي ونصب الروح والامين لتكون من المنذرين عما يؤدي الى عذاب
من فعل او ترك بلسان عربي مبين واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه
فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اي لتكون ممن انذروا بلغة العرب
وهو هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد عليهم السلام وانه لفي زبر الاولين

وان ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة اولم يكن لهم اية على صحة القران او نبوة
محمد عليه السلام ان يعلمه علماء بني اسرائيل اي يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو
تقرير لكونه دليلا وقرأ ابن عامر تكن بالتاء واية بالرفع على انها الاسم والخبر
لهم وان يعلمه بدل او الفاعل وان يعلمه بدل ولهم حال او ان الاسم ضمير القصة
واية خبر ان يعلمه والجملة خبر تكن ولو نزلناه على بعض الاعجمين كما هو زيادة
في اعجازه او بلغة العجم فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم
او استكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين
جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة كذلك سلكناه ادخلناه
في قلوب المجرمين والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فيدل
الاية على انه بخلق الله وقيل للقران اي ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه
ثم لم يؤمنوا به عنادا لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم الملجئ الى الايمان
فيأتيهم بغتة في الدنيا والاخرة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا هل
نحن منظرون تحسرا وتأسفا افبعذابنا يستعجلون فيقولون امطر علينا
حجارة فأتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة افرأيت ان
متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما
كانوا يمتعون لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه وما
اهلكنا من قرية الا لها منذرون انذروا اهلها الزاما للحجة ذكرى
تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار والرفع على
انها صفة منذرين ذووا و بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر
محذوف والجملة اعتراضية وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقيل الانذار

وما تنزلت به الشياطين كما زعم المشركون انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة
وما ينبغي لهم وما يصح لهم ان يتنزلوا به وما يستطيعون وما يقدرون
انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانه مشروط بمشاركة في صفاء الذات
وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة
بالذات لا تقبل ذلك والقران مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها الا من الملائكة
فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر
المكلفين وانذر عشيرتك الاقربين الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام
بشانهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا
اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني
نذير لكم بين يدي عذاب شديد واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين
لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط ومن
للتبيين لان من اتبع اعم من اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد من المؤمنين
المشارفون للايمان او المصدقون باللسان فان عصوك ولم يتبعوك
فقل اني بريء مما تعملون مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم
الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفيك شر من يعصيك منهم ومن
غيرهم وقرا نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط الذي يراك
حين تقوم الى التهجد وتقلبك في الساجدين وترددك في تصفح احوال
المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت
اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير
لما سمع من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام

والركوع

والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التي
بها يستاهل ولايته بعد وصفه بان من شانه قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا
للتوكل وتطييبا لقلبه عليه انه هو السميع بما تقوله العليم بما تنويه هل انبئكم
على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم لما بين ان القران لا يصح ان
يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا عليه السلام لا يصلح لان
يتنزلوا عليه من وجهين احدهما انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان
اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد صلى الله عليه وسلم
على خلاف ذلك وثانيهما قوله يلقون السمع واكثرهم كاذبون اي الافاكون
يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم
فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق اكثرها كما جاء في الحديث
الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا
كذلك محمد صم فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر
بالكل لقوله كل افاك والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قل
من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وقيل الضمائر للشياطين اي يلقون السمع
الى الملا الاعلى قبل ان رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون
به الى اوليائهم او يلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم واكثرهم
كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة
لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم والشعراء يتبعهم الغاوون
واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك وهو استيناف ابطل كونه شاعرا
وقرره بقوله الم تر انهم في كل واد يهيمون لان اكثر مقدماتهم خيالات

لا حقيقة لها واغلب كلماتهم في النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الاعراض والقدح
في الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه
واليه اشار بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون وكانه لما كان اعجاز القران من
جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا في المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ بانه من جنس
كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القران لهما ومضادة حال الرسول صم
لحال اربابهما وقرا نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها
لبعه بعضد الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا
من بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله
ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته
ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله
بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان صم يقول لحسان قل وروح القدس
معك وعن كعب بن مالك انه صم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم
من النبل وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تهديد شديد لما
في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب
ينقلبون اي بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلاهما ابو بكر لعمر رضه حين
عهد اليه وقرئ اي منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى
ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون ان ليس لهم
وجه من وجوه الانفلات وعن النبي صم من قرا سورة الشعراء كان له من الاجر
عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب
وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم السلام

سورة

سورة النمل مكية وهي ثلاث واربع وتسعون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك ايات القران وكتاب مبين الاشارة الى اي السورة والكتاب المبين
اما اللوح وابانته انه خط فيه ما هو كائن وهو تبينه للناظرين فيه وتاخيره باعتبار
تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود او القران وابانته لما اودع فيه من
الحكم والاحكام او لصحته باعجازه وعطفه على القران كعطف احدى الصفتين على
الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه هدى وبشرى للمؤمنين حالان من الايات والعامل فيهما معنى الاشارة
او بدلان منها او خبران اخران او خبران لمحذوف الذين يقيمون الصلوة و
يؤتون الزكوة الذين يعملون الصالحات من الصلوة والزكوة وهم بالاخرة هم
يوقنون من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على
قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحديون فيه او جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء
الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالاخرة فان تحمل المشاق
انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص ان
الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم زين اعمالهم القبيحة بان جعلها
مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التي وجب عليهم ان يعملوها
بترتيب المثوبات عليها فهم يعمهون عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر او
نفع اولئك الذين لهم سوء العذاب كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الاخرة
هم الاخسرون اشد الناس خسرانا لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة
وانك لتلقى القران لتؤتاه من لدن حكيم عليم اي حكيم واي عليم والجمع بينهما

مع ان العلم داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان
علوم القران منها ما هي حكمة كالعقايد والشرايع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار
عن المغيبات ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله اذ قال موسى لاهله اني آنست
نارا اي اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق
لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين
للدلالة على بعد المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطأ او آتيكم بشهاب قبس شعلة
نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون و
يعقوب على ان القبس بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن
ولذلك عبر عنهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع حرمانين على
عبده لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها
نودي ان بورك اي بورك فان النداء فيه معنى القول او بان بورك على انها مصدرية
او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنه
دعاء وهو يخالف غيره في احكام كثيرة من في النار ومن حولها من في مكان النار
وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة
المباركة ومن حول مكانها والظاهر انه عام في كل من في تلك الوادي وحواليها
من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم احياء وامواتا
وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة
الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم ينتشر بركته
في اقطار الشام وسبحان الله رب العالمين من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع
كلامه تشبيها وللتعجب من عظمة ذلك الامر او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته يا موسى

انه انا الله الهاء للشان وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له العزيز
الحكيم صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوي القادر على
ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما يفعله بحكمة وتدبير والق عصاك
عطف على بورك اي نودي ان بورك وان الق عصاك ويدل عليه قوله ان يا موسى اني انا الله
بتكرير ان فلما رآها تهتز تتحرك باضطراب كانها جان حية خفيفة سريعة وقرئ جان
على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا ولم يعقب ولم يرجع من عقب
المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه قوله
يا موسى لا تخف اي من غيري ثقة بي او مطلقا لقوله اني لا يخاف لدي المرسلون
حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم اخوف الناس اي من الله او لا يكون
لهم عندي سوء عاقبة فيخافون منه الا من ظلم ثم بدل حسنا
بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في
الصدر من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرط منه صغيرة فانهم ان فعلوها
اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة فانه لا يخاف ايضا
وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي وقيل متصل وثم بدل مستانف معطوف على
محذوف اي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة وادخل يدك في جيبك لانه كان مدرعة
صوف لا كم له وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء من غير
سوء آفة كبرص في تسع آيات في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق و
الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم
والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين
واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع آيات

على انه استيناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاولين يتعلق بنحو
مبعوثا ومرسلا انهم كانوا قوما فاسقين تعليلا للارسال فلما جاءتهم آياتنا
بان جاءهم موسى بها مبصرة بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط
اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث
انها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا ان تهدي او مبصرة كل من نظر اليها وتامل
فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا
بها وكذبوا بها واستيقنتها انفسهم وقد استيقنتها لان الواو للحال ظلما لانفسهم
وعلوا ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين وهو الاغراق في الدنيا والاحراق في الآخرة ولقد آتينا داود وسليمان
علما طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرايع اي علما اي علم وقالا الحمد لله عطفه
بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعمة كانه قال ففعلا شكرا
له ما فعلا وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين يعني من لم يؤت
علما او مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه
اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم
على ان يحمد الله على ما آتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد
فضل عليه كثير وورث سليمان داود النبوة والعلم او الملك فان قام مقامه
في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال يا ايها الناس علمنا منطق
الطير واوتينا من كل شيء تشهير لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس الى
التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه
والنطق والمنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان او مركبا وقد

يطلق على كل ما يصوت به اما التشبيه كقوله نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت
للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة
العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما من جنسه ولعل
سليمان عليه السلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذي صوته والغرض
الذي توخاه به ومن ذلك ما حكي انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول اذا اكلت
نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا
ولعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة
شدة وتالم قلب والضمير في علمنا واوتينا له ولابيه او له وحده على عادة الملوك
لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شيء كثرة ما اوتي كقولك فلان يقصده كل
احد ويعلم كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين الذي لا يخفى على احد وحشر وجمع
لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون يحبسون بحبس اولهم
على آخرهم ليتلاحقوا حتى اذا اتوا على واد النمل واد بالشام كثير النمل
وتعدية الفعل بعلى اما لان اتيانهم كان من عال او لان المراد قطعه من قولهم اتى على
الشيء اذا انفده وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا آخر الوادي قالت
نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادي
فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها
من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا
مجراهم مع انه لا يمتنع ان خلق الله فيها العقل والنطق لا يحطمنكم سليمان وجنوده
نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك
هاهنا فهو استيناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون لا يدخله في السعة وهم

لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها شعرت عصمة الانبياء من الظلم
والايذاء وقيل استينافا اي فهم سليمان والقوم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من
قولها تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه الله
من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سال توفيق شكره وقال رب اوزعني ان
اشكر نعمتك اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اي اكفه وارتبطه لا ينفلت عني بحيث
لا انفك عنه وقرء البزي وورش بفتح ياء اوزعني التي انعمت علي وعلى والدي
ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع
نفعها اليهما سيما الدينية وان اعمل صالحا ترضاه تماما للشكر واستدامة للنعمة
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين في عدادهم الجنة وتفقد الطير وتعرف
الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين
ام منقطعة لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال ما لي لا اراه ثم احتاط
فلاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسال عن صحة
ما لاح له لاعذبنه عذابا شديدا كنتف ريشه والقائه في الشمس او حيث
النمل تاكله او جعله مع ضده في قفص او لاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه او لياتيني
بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم
الثالث لكن لما اقتضى ذلك احد وقوع الامور الثلثة ثلث المحلوف عليه
بعطفه عليهما وقرء ابن كثير او لياتينني بالنونين الاولى مفتوحة مشددة فمكث
غير بعيد زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرء عاصم
بفتح الكاف فقال احطت بما لم تحط به يعني حال سبا وفي مخاطبته اياه بذلك
تنبيه له على ان في ادنى خلق الله تعالى من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه

ويتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء في التاء باطباق وغير اطباق وجئتك من سبا وقرء
ابن كثير برواية البزي وابو عمرو وغير مصروف على تاويل القبيلة او البلدة بنبا يقين
بخبر محقق روي انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام بها
ما شاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فاعجبته نزاهتها فنزل
بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد دليله لانه يحس طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده
اذ حلق حين نزل سليمان فراى هدهدا واقعا فانحط اليه فتواصفا وطار معه
لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ولعل في عجايب قدرة الله وما خص به خاصة
عباده اشياء اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها اني وجدت
امراة تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير لسبا او لاهلها
واوتيت من كل شيء يحتاج اليها الملوك ولها عرش عظيم عظمه بالنسبة اليها او
الى عروش امثالها وقيل كان ثلثين ذراعا في ثلثين عرضا وسمكا او ثمانين في ثمانين
من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله
كانهم كانوا يعبدونها وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل سبيل
الحق والصواب فهم لا يهتدون اليه الا يسجدوا لله فصدهم لئلا يسجدوا او زين
لهم ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم او لا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا
وقرء الكسائي ويعقوب الا بالتخفيف على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف
اي الا يا قوم اسجدوا كقوله الا يا اسمع نعظك بخطة فقلت سميعا فانطق واصيب وعلى
هذا صح ان يكون استينافا من الله او من سليمان والوقف على لا يهتدون ويكون
امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة
لا عند قراءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء والا تسجدون وهلا تسجدون

على الخطاب الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون
وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم
حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبء ما خفي في غيره واخراجه اظهاره وهو يعم
اشراق الكواكب وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما في الشيء بالقوة
الى الفعل والابداع فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجود ومعلوم انه يختص بالواجب
لذاته وقرء حفص والكسائي ما تخفون وما تعلنون بالتاء الله لا اله الا هو رب العرش
العظيم الذي هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون عظيم قال
سننظر سنتعرف من النظر بمعنى التامل اصدقت ام كنت من الكاذبين ام كذبت و
التغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم ثم تنح
عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر ماذا يرجعون ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول
قالت اي بعد ما القي اليها يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم لكرم مضمونه او مرسله
او لانه كان مختوما او لغرابة شانه اذ كانت مستلقية في بيت مغلقة ابوابه فدخل الهدهد
في كوة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به انه من سليمان استيناف كانه قيل لها ممن هو
وما هو فقالت انه اي ان الكتاب او ان العنوان من سليمان وانه اي ان المكتوب او المضمون
وقرئ بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا على
ان مفسرة او مصدرية فتكون بصلته خبر محذوف اي هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل
من كتاب واتوني مسلمين مؤمنين او منقادين وهذا كلام في غاية الوجازة مع كمال
الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا او
التزاما والنهي عن الترفع الذي هو ام الرذايل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضايل
وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء

الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الادلة قالت يا ايها الملا افتوني في
امري اجيبوني في امري الفتي واذكروا ما تستصوبون فيه ما كنت قاطعة امرا
اي ما ابت امرا حتى تشهدون الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة
قالوا نحن اولوا قوة بالاجساد والعدد واولوا باس شديد نجدة وشجاعة والامر اليك
موكول فانظري ماذا تامرين من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رايك قالت ان الملوك
اذا دخلوا قرية افسدوها تزييف لما احست منهم من الميل الى المقاتلة
بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان
خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لا
يدرى عاقبتها وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير
ذلك من الاهانة والاسر وكذلك يفعلون تاكيدا لما وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك
من عاداتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله عز وجل واني مرسلة اليهم
بهدية بيان لما ترى تقديمه في المصالحة والمعنى اني مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكي
فناظرة بم يرجع المرسلون من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روي انها بعثت منذر بن
عمرو في وفد وارسلت معهم غلمانا على زي الجواري وجواري على زي الغلمان وحقا
فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة
ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره وراوا عظم شانه تقاصرت
اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبرئيل عليه السلام بالحال فطلب الحق واخبر عما فيه
فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة وامر دودة بيضاء فاخذت الخيط ونفذت
في الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب
به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية فلما جاء سليمان اي الرسول

او ما اهتدت اليه وقرئ فلما جاؤا قال اتمدونن بمال خطاب للرسول ومن معه
او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرا حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون
واحدة وبنونين وحذف الياء فما آتاني الله من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه
قرا نافع وابو عمرو وحفص باسكان الياء واسقاطها الباقون وباملتها الكسائي
خير مما آتاكم فلا حاجة لي الى هديتكم ولا وقع لها عندي بل انتم بهديتكم
تفرحون لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا
لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن الانكار للامداد با
لمال عليه وتعليله الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم
في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها ارجع ايها الرسول اليهم الى بلقيس وقومها فلنأتينهم
بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة على مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم
منها من سبا اذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز وهم صاغرون اسراء مهانون
قال يا ايها الملؤا ايكم يأتيني بعرشها اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه الله تعالى به من العجائب
الدالة على عظم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر
اتعرفه ام تنكره قبل ان يأتوني مسلمين فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها قال عفريت
خبيث مارد من الجن بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان
او صخرا انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف
النهار واني عليه على حمله لقوي امين لا اختزل منه شيئا ولا ابدله قال الذي عنده علم من
الكتاب آصف بن برخيا وزيره او الخضر او جبرئيل او ملك ايده الله تعالى به او
سليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت
بسببه والخطاب في انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك للعفريت كانه استبطأ

فقال

فقال له او اراد ذلك اظهار معجزة في نقله فتحداهم اولا ثم اراد اظهار انه يتأتى له ما لا يتهيأ
العفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة او اللوح
وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع
موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما في قوله وكنت اذا ارسلت
طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد الطرف والطرف بالارتداد
والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شيء فقبل ان ترده احضر عرشها
بين يديك وهذا غاية في الاسراع ومثل فيه فلما رآه رأى العرش مستقرا عنده
حاصلا بين يديه قال تلقيا النعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله
هذا من فضل ربي تفضل به علي من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار
العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام في امكان مثله
قد مر في آية الاسراء ليبلوني ءاشكر بان اراه فضلا من الله تعالى بلا حول مني ولا قوة
واقوم بحقه ام اكفر بان اجد نفسي في البين او اقصر في اداء مواجبه ومحلها النصب
على البدل من الياء ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها
ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران ومن كفر فان ربي غني
عن شكره كريم بالانعام عليه ثانيا قال نكروا لها عرشها بتغيير هيئته وشكله ننظر
جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون
الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذا رأت تقدم عرشها
وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس فلما جاءت قيل اهكذا عرشك
تشبيها عليها زيادة في امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل قالت كأنه
هو ولم تقل هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها واوتينا العلم من

قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها كانها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار
معجزة لها فقالت واوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة
بما تقدم من الآيات وقيل انه كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة
على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره
ثمة من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله تعالى ولا تظهر الا على الانبياء اي واوتينا العلم بالله
وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون
غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكرا لله وصدها ما كانت تعبد
من دون الله اي وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام او وصدها عن
عبادتها بالتوفيق للايمان انها كانت من قوم كافرين وقرئ بالفتح على الابدال من
فاعل صد على الاول اي صدها نشوؤها بين اظهر الكفار او التعليل له قيل لها ادخلي
الصرح القصر وقيل عرصة الدار فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها روي
انه امر قبل قدومها فبني قصر صحنه من زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقي فيه حيوانات
البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن
ساقيها وعن ابن كثير ساقيها بالهمز حملا على جمعه سؤق واسؤق قال انه اي ما
تظنينه ماء صرح ممرد مملس من قوارير من الزجاج قالت رب اني ظلمت نفسي
بعبادة الشمس وقيل بظني بسليمان فانها حسبت انه يغرقها في اللجة واسلمت مع سليمان
لله رب العالمين فيما امر به عباده وقد اختلف في انه تزوجها او زوجها من ذي
تبع ملك همدان ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله بان
اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها الباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤا
بالتفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال يا قوم لم تستعجلون

بالسيئة بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا قبل الحسنة قبل التوبة فتؤخرونها
الى نزول العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ لولا تستغفرون
الله قبل نزوله لعلكم ترحمون بقبولها فانها لا تقبل حينئذ قالوا اطيرنا تشاءمنا بك
وبمن معك اذ تتابعت علينا الشدائد او وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم
دينكم قال طائركم سببكم الذي جاء منه شركم عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب
عنده بل انتم قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السراء والضراء والاضراب من بيان
طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه وكان في المدينة
تسعة رهط تسعة انفس وانما وقع تمييز التسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر
انه من الثلاثة او السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة يفسدون في
الارض ولا يصلحون اي شأنهم الافساد الخالص عن شوائب الصلاح قالوا اي
قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله امر مقول او خبر وقع بدلا او حالا باضمار قد لنبيتنه
واهله لنباغتن صالحا واهله ليلا وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب
بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر ثم لنقولن فيه القراءات الثلاث
لوليه لولي دمه ما شهدنا مهلك اهله فضلا ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل
المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا
كمرجع وقرأ ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا وانا لصادقون ونحلف انا لصادقون
فيما ذكرنا لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم ومهلكهم
وحده بل مهلكه ومهلكهم
كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا
بان جعلناها سببا لاهلاكهم وهم لا يشعرون بذلك روي انه كان لصالح في الحجر
مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلاث فنفرغ منه ومن اهله قبل

الثلث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب
فهلكوا ثم وهلك الباقون في اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه بقوله فانظر كيف
كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين وكان ان جعلت ناقصة فخبرها
كيف وانا دمرناهم استئناف او خبر محذوف لا خبر كان لعدم العائد وان جعلتها
تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب انا دمرناهم بالفتح على انه خبر محذوف
او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال فتلك بيوتهم خاوية من خوى البطن
اذا خلا او ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهي حال عمل فيها معنى الاشارة
وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في ذلك لآية لقوم
يعلمون فيتعظون وانجينا الذين آمنوا صالحا ومن معه وكانوا يتقون الكفر و
المعاصي فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه
اذ قال لقومه بدل على الاول وظرف على الثاني اتأتون الفاحشة وانتم تبصرون
تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من
بعض لانهم كانوا يعلنون بها فيكون افحش ائنكم لتأتون الرجال شهوة بيان لاتيانهم
الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة في المواقعة طلب
النسل لا قضاء الوطر من دون النساء اللاتي خلقن لذلك بل انتم قوم تجهلون
تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح او تجهلون العاقبة
والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب فما كان جواب قومه الا ان
قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون
عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا فانجيناه واهله الا
امرأته قدرناها من الغابرين قدرنا كونها من الباقين في العذاب و

امطرنا

وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين مر مثله قل الحمد لله وسلام على عباده
الذين اصطفى امر رسوله بعدما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظمة شأنه
وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام على المصطفين
من عباده شكرا على ما انعم عليه وعلمه ما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم و
حق تقدمهم واجتهادهم في الدين او لوطا بان يحمد على هلاك كفرة قومه ويسلم
على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك آلله خير اما تشركون
الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه راسا حتى يوازن
بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ ابو بكر وعاصم ويعقوب بالياء امن بل امن
خلق السموات والارض التي هي اصول الكائنات ومبادي المنافع وقرئ امن
بالتخفيف على انه بدل من الله وانزل لكم لاجلكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق
ذات بهجة عدل به عن الغيبة الى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على
ان انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة
لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها شجر الحدائق و
هي البساتين من الاحداق وهو الاحاطة أإله مع الله اغيره يقرن به ويجعل له شريكا
وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ ءالها باضمار فعل مثل تدعون او تشركون
وتوسيط مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين بل هم قوم يعدلون عن
الحق الذي هو التوحيد امن جعل الارض قرارا او بدل من امن خلق السموات
وجعلها قرارا بابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الانسان
والدواب عليها وجعل خلالها وسطها انهارا جارية وجعل لها رواسي
جبالا تتكون فيها المعادن وينبع من حضيضها المنابع وجعل بين البحرين العذب

والمالح او خليجي فارس والروم حاجزا برزخا وقد مر بيانه في الفرقان أإله مع الله
بل اكثرهم لا يعلمون الحق فيشركون به امن يجيب المضطر اذا دعاه المضطر الذي احوجه
شدة ما به الى اللجأ الى الله تعالى من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه
للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر ويكشف السوء ويدفع عن الانسان
ما يسوءه ويجعلكم خلفاء الارض خلفاء فيها بان ورثكم سكناها
من قبلكم والتصرف فيها أإله مع الله الذي حفكم بهذه النعم العامة والخاصة
قليلا ما تذكرون اي تذكرون الاية تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة
العدم او الحقارة المزيحة للفائدة وقرأ ابو عمرو وروح بالياء وحمزة والكسائي
وحفص بالتاء وتخفيف الذال امن يهديكم في ظلمات البر والبحر بالنجوم وعلامات
الارض والظلمات ظلمات الليالي اضافها الى البر والبحر للملابسة او مشتبهات
الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار فيها ومن يرسل الرياح بشرا بين
يدي رحمته يعني المطر ولو صح ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة الادخنة
الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها الهواء فلا شك ان
الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله والفاعل للسبب فاعل
للمسبب أإله مع الله يقدر على مثل ذلك تعالى الله عما يشركون تعالى القادر
الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق امن يبدأ الخلق ثم يعيده والكفرة وان
انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ومن يرزقكم من السماء والارض
اي باسباب سماوية وارضية أإله مع الله يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم على
ان غيره يقدر على شيء من ذلك ان كنتم صادقين في اشراككم فان كمال القدرة
من لوازم الالوهية قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله لما بين اختصاصه

بالقدرة

بالقدرة التامة الفائقة العامة اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب
والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان
ممن في السموات والارض ففيها من يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم او متصل
على ان المراد ممن في السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع
الحاضر فيها وانه يعم الله واولي العلم من خلقه وهو موصول او موصوف
وما يشعرون ايان يبعثون متى ينشرون مركبة من اي وآن وقرئ بكسر
الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة بل ادارك علمهم في الآخرة لما نفى عنهم علم
الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه بان اضرب
عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه من اسباب علمهم من الحجج والآيات وهو
ان القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي بل هم في شك منها كمن تحير في امر
لا يجد عليه دليلا بل هم منها عمون لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم و
هذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل
البعض الى الكل والاضرابات تنزيل لاحوالهم وقيل الاول اضراب عن نفي الشعور
بوقت القيامة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في امر الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك
بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لانها تلك غايتها التي عندها
تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بل ادارك بمعنى تتابع
حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا
تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادرك واصله تفاعل وافتعل وقرئ ادرك بهمزتين
وآدرك بالف بينهما وبل ادرك وبل ادرك وبل تدارك وبلى ادرك وام ادرك
وام تدارك وما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات

لشعورهم وتفسيره بالادراك على الحكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد وانكار لشعورهم وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون كالبيان لعمههم والعامل في اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى الحيوة وقرأ نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرأ ابن عامر والكسائي اننا بنونين على الخبر لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل وعد محمد وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث نظرا الى الاهتمام ان هذا الا اساطير الاولين التي هي كالاسمار قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم على تكذيبهم واعراضهم ولا تكن في ضيق اي امر ضيق مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس ويقولون متى هذا الوعد العذاب الموعود ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد او الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه بعض الذي تستعجلون حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس بتاخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة الافضال وجمعها فضول وفواضل ولكن اكثرهم

لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اي سترت وما يعلنون من عداوتك فيجازيهم عليه وما من غائبة في السماء والارض خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عاقبة وعافية الا في كتاب مبين بين او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح وانه لهدى ورحمة للمؤمنين فانهم المنتفعون به ان ربك يقضي بينهم بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بحقيقة ما يقضي فيه وحكمه فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم انك على الحق المبين وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره انك لا تسمع الموتى تعليل آخر للامر من حيث انه يقطع طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم راسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين فان اسماعهم في هذه الحال ابعد وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا من يؤمن بآياتنا من هو في علم الله كذلك فهم مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله واذا وقع القول عليهم اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب اخرجنا لهم دابة من الارض وهي الجساسة روي ان طولها ستون ذراعا ولها قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروي

انه عليه السلام سئل من اين تخرج فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام تكلمهم من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروي انها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم في انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه ان الناس كانوا بآياتنا خروجها وسائر احوالها فانها من آيات الله تعالى وقيل القرآن وقرأ غير الكوفيين ان الناس بالكسر لا يوقنون لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول الله او علة خروجها او تكلمها على حذف الجار ويوم نحشر من كل امة فوجا يوم القيامة ممن يكذب بآياتنا بيان للفوج اي فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبي واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم حتى اذا جاءوا الى المحشر قال اكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما الواو للحال اي اكذبتم بها بادي الراي غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف اي اجمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها اماذا كنتم تعملون ام اي شيء كنتم تعملون بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك ووقع القول عليهم حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم في النار بعد ذلك بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فهم لا ينطقون باعتذار لشغلهم بالعذاب الم يروا ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحيوة في مواد الابدان وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم

في معاشهم ومعادهم انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا فان اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون لدلالتها على الامور الثلاثة ويوم ينفخ في الصور في الصور او القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ففزع من في السموات ومن في الارض من الهول عبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه الا من شاء الله ان لا يفزع بان ثبت قلبه قيل هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لانه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك وكل اتوه حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره وقرأ حمزة وحفص اتوه بلفظ الفعل وقرئ اتاه للتوحيد للفظ الكل داخرين صاغرين وقرئ دخرين وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة في مكانها وهي تمر مر السحاب في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتبين حركتها صنع الله مصدر مؤكد لنفسه وهو لمضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله الذي اتقن كل شيء احكم خلقه وسواه على ما ينبغي انه خبير بما تفعلون عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جاء بالحسنة فله خير منها اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحدة وقيل خير منها اي خير حاصل من جهتها وهو الجنة وهم من فزع يومئذ آمنون يعني به خوف عذاب يوم القيامة وبالاول ما يلحق الانسان من التهيب لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقرأ الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وآمن يعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى افامنوا مكر الله وقرأ الكوفيون ونافع يومئذ بالفتح والباقون بكسرها ومن جاء با

بالسيئة قيل بالشرك فكبت وجوههم في النار فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد
بالوجوه انفسهم كما اريدت بالايدي في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات او اضمار القول اي قيل لهم ذلك
انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها امر الرسول ان يقول لهم
ذلك بعدما بين المبدا والمعاد وشرح احوال القيامة اشعارا بانه قد اتم الدعوة وقد كملت
وما عليه بعد الا الاشتغال بشانه والاستغراق في عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه
الاضافة تشريف لها وتعظيم لشانها وقرئ التي حرمها وله كل شيء خلقا و
ملكا وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين والثابتين على ملة الاسلام
وان اتلو القران وان اواظب على تلاوته لينكشف لي حقائقه في تلاوته شيئا
فشيئا او اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل فمن اهتدى باتباعه اياي في ذلك
فانما يهتدي لنفسه فان منافعه عائدة اليه ومن ضل بمخالفتي فقل انما انا من
المنذرين فلا علي من وبال ضلاله شيء اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت
وقل الحمد لله على نعمة النبوة او على ما علمني ووفقني للعمل به سيريكم آياته القاهرة
في الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض او في الاخرة فتعرفونها فتعرفون انها
آيات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة وما ربك بغافل عما تعملون فلا تحسبوا
ان تاخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرئ في السبعة بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود
وصالح وابراهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله سورة القصص
مكية وقيل الا قوله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله الجاهلين وهي ثمان وثمانون آية
بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك نقرؤه بقراءة جبريل ويجوز ان يكون بمعنى
ننزله مجازا من نبإ موسى وفرعون بعض نبئهما مفعول نتلو بالحق محقين لقوم
يؤمنون لانهم المنتفعون به ان فرعون علا في الارض استئنافا مبين لذلك البعض
والارض ارض مصر وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا
في طاعته او اصنافا في استخدامه استعمل كل صنف في عمل او احزابا بان اغرى بينهم
العداوة كيلا يتفقوا عليه يستضعف طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة حال
من فاعل جعل او صفة شيعا او استئناف وقوله يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم
بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك
على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه
انه كان من المفسدين فلذلك اجترأ على قتل كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد
ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ان نتفضل عليهم بانقاذهم
من باسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث انهما
واقعان تفسير للنبإ او حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف
مقارنة المراد له لجواز ان يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع ان منة
الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز ان يجري مجرى المقارن و
نجعلهم ائمة مقدمين في امر الدين ونجعلهم الوارثين لما كان في ملكة فرعون
وقومه ونمكن لهم في الارض ارض مصر والشام واصل التمكين ان تجعل للشيء مكانا
يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر ونري فرعون وهامان وجنودهما
منهم من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون من ذهاب ملكهم وهلاكهم على
يد مولود منهم وقرئ يرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع

واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه
فاذا خفت عليه بان يحس به فالقيه في اليم في البحر يريد النيل ولا تخافي عليه ضيعة
ولا شدة ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك عن قريب بحيث تامنين عليه وجاعلوه
من المرسلين روي انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني
اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت
مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها من السعاية فارضعته ثلاثة اشهر ثم الح فرعون
في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فاخذت له تابوتا فقذفته في النيل
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا تعليل لالتقاطهم اياه بما
هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرئ حمزة والكسائي وحزنا ان
فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في كل شيء فليس ببدع منهم
ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين
فعاقبهم الله بان ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراض لتاكيد خطائهم او لبيان الموجب
لما ابتلوا به وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطا وقالت
امرات فرعون اي لفرعون حين اخرجته من التابوت احياه او لانه كانت لها ابنة
برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحري يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه فبرات
وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها لا تقتلوه خطاب
بلفظ الجمع للتعظيم عسى ان ينفعنا فان فيه مخائل اليمن ودلائل النفع وذلك لما
رات من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه او نتخذه
ولدا او نتبناه فانه اهل له وهم لا يشعرون حال من الملتقطين او من القائلة
والمقول له اي وهم لا يشعرون انهم على الخطا في التقاطه او في طمع النفع منه والتبني

له او من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اي وهم لا يشعرون انه لغيرنا وقد
تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة
حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول فيها
ويؤيده انه قرئ فرغا وقرئ فزعا من الفزع اي خائفة او من الهم لفرط
وثوقها بوعد الله او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي به
انها كادت لتظهر بموسى اي بامره وقصته من فرط الضجر او الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا
على قلبها بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله او من الواثقين
بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه وقرئ موسى اجراء للضمة في جار الواو مجرى ضمتها
في استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه
ما قبله وقالت لاخته مريم قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت به عن جنب
عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب وهو بمعناه وهم لا يشعرون انها تقص
او انها اخته وحرمنا عليه المراضع ومنعناه ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع
او مرضع وهو الرضاع او موضعه يعني الثدي من قبل من قبل قصها اثره فقالت
هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون
في ارضاعه وتربيته روي ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى
تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تاتي بمن يكفله
فاتت بامها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فلما وجد ريحها استانس
والتقم ثديها فقال لها من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امراة
طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت
به الى بيتها من يومها وهو قوله فرددناه الى امه كي تقر عينها بولدها ولا تحزن

بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علم مشاهدة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان وعد الله
حق فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلى من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض
بما فرط منها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون ولما بلغ اشده مبلغه الذى لا يزيد
عليه نشوه وذلك من ثلثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروى انه لم يبعث
نبى الا على راس اربعين سنة واستوى قده او عقله اتيناه حكما نبوة وعلما بالدين
او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه
وهو اوفق لنظم القصة لانه استنباء بعد الهجرة فى المراجعة وكذلك ومثل ذلك
الذى فعلنا بموسى وامه نجزى المحسنين على احسانهم ودخل المدينة ودخل
مصر اتيا من قصر فرعون وقيل منف او حابين او عين الشمس او الا سكندرية
من نواحيها على حين غفلة من اهلها فى وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه
قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا
من شيعته وهذا من عدوه احدهما من شايعه على دينه وهو من بنى اسرائيل والاخر
من مخالفيه وهو القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذى من شيعته على الذى
من عدوه فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدى بعلى وقرئ استعانه فوكزه
موسى فضرب القبطى بجمع كفه وقرئ فلكزه اى فضرب به صدره فقضى عليه فقتله
واصله انهى حياته من قولهم قضيت عليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان
لانه لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا
يقدح ذلك فى عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما
واستغفر عنه على عادتهم فى استعظام محقرات فرطت منهم انه عدو مضل
مبين ظاهر العداوة قال رب انى ظلمت نفسى بقتله فاغفر لى ذنبى فغفر له

باستغفاره انه هو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم قال رب بما انعمت على
قسم محذوف الجواب اى اقسم بانعامك على بالمغفرة وغيرها لاتوبن فلن اكون
ظهيرا للمجرمين او استعطاف اى بحق انعامك على اعصمنى فلن اكون معينا لمن
ادت معاونته الى جرم وعن ابن عباس رضه لم يستثن فابتلى به مرة اخرى وقيل
معناه بما انعمت على من القوة اعين اولياءك فلن استعملها فى مظاهرة اعدائك
فاصبح فى المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة فاذا الذى استنصره بال
امس يستصرخه يستغيثه مشتق من الصراخ قال له موسى انك لغوى مبين
بين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل اخر فلما ان اراد ان يبطش بالذى
هو عدو لهما لموسى والاسرائيلى لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بنى
اسرائيل قال يا موسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس قاله الاسرائيلى
لانه لما سماه غويا ظن انه يبطش عليه او القبطى وكانه توهم من قوله انه الذى قتل
القبطى بالامس لهذا الاسرائيلى ان تريد ما تريد الا ان تكون جبارا فى الارض تطاول
على الناس ولا تنظر العواقب وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس
فتدفع التخاصم بالتى هى احسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون
وملئه فهموا بقتله فخرج مؤمن ال فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال وجاء رجل
من اقصا المدينة يسعى يسرع صفة لرجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة
صفة له لا صلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف قال يا موسى ان الملا يأتمرون
بك ليقتلوك يتشاورون بسببك وانما سمى التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين
يأمر الاخر ويأتمر فاخرج انى لك من الناصحين اللام للبيان وليس صلة للناصحين
لان معمول الصلة لا يتقدم الموصول فخرج منها من المدينة خائفا يترقب لحوق طالب

قال رب نجنى من القوم الظالمين خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم ولما توجه
تلقاء مدين قبالة مدين قرية شعيب عم سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم يكن فى
سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان ليال قال عسى ربى ان يهدينى
سواء السبيل توكلا على الله تعالى وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلث
طرق فاخذ فى اوسطها وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا فى الاخرين ولما ورد ماء
مدين وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه وجد فوق شفيرها امة
من الناس جماعة كثيرة مختلفين يسقون مواشيهم ووجد من دونهم اى فى مكان
اسفل من مكانهم امرأتين تذودان تمنعان اغنامهما عن الماء كيلا تختلط باغنامهم
قال ما خطبكما ما شأنكما تذودان قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء يصرف الرعاء
مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان الغرض هو بيان ما
يدل على عفتهما ويدعوه الى السقى لهما ثم دونه وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر
اى ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال وابونا شيخ كبير كبير السن
لا يستطيع ان يخرج للسقى فيرسلنا اضطرارا فسقى لهما مواشيهما رحمة عليهما قيل
كانت الرعاة يضعون على راس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال او اكثر فاقله وحده
مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئرا اخرى عليها صخرة
فرفعها واستقى منها ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما انزلت الى لاى شئ انزلت
من خير قليل او كثير وحمله الاكثرون على الطعام فقير محتاج سائل ولذلك عدى باللام
وقيل معناه انى لما انزلت الى من خير الدين صرت فقيرا فى الدنيا لانه كان فى سعة
عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك فجاءته احديهما تمشى
على استحياء اى مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفورا

او صفراء وهى التى تزوجها موسى عم قالت ان ابى يدعوك ليجزيك ليكافيك اجر
ما سقيت لنا جزاء سقيك لنا ولعل موسى عم انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ
ويستظهر بمعرفته لا طمعا فى الاجر بل روى انه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع
عنه وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب عم هذه عادتنا
مع كل من ينزل بنا هذا وان من فعل معروفا فاهدى بشئ لم يحرم اخذه فلما جاءه
وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون و
قومه قالت احديهما التى استدعته يا ابت استأجره لرعى الغنم ان خير
من استأجرت القوى الامين تعليل جامع يجرى مجرى الدليل على انه
حقيق بالاستيجار وللمبالغة فيه جعل خير اسما وذكر الفعل بلفظ الماضى للدلالة
على انه امر مجرب معروف روى ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته وامانته
فذكرت اقلال الحجر وانه صوب راسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشى خلفه
قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تأجرنى ان تأجر نفسك منى
او تكون لى اجيرا او تثيبنى من اجرك الله ثمانى حجج ظرف على الاولين ومفعول به
على الثالث باضمار مضاف اى رعية ثمانى حجج فان اتممت عشرا اى عمل عشر حجج
سنين فمن عندك فاتمامه من عندك تفضلا لا من عندى الزاما عليك وهذا
استدعاء العقد لا نفسه فلعله جرى على معينة وبمهر اخر او برعية الاجل الاول
ووعد له ان يوفى الاخر ان تيسر له قبل العقد وكانت الاغنام للمزوجة مع انه
يمكن اختلاف الشرائع فى ذلك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر
والمناقشة فى مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق
فان ما يصعب عليك اعتقادك فى اطاقته ورأيك فى مزاولته ستجدنى ان شاء الله

من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة قال ذلك بيني
وبينك أي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه أيما الأجلين
أطولهما أو أقصرهما قضيت وفيتك إياه فلا عدوان علي لا تعتدي علي بطلب
الزيادة وكما لا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثماني أو
فلا أكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا إثم علي وهو أبلغ في إثبات الخيرة
وتساوي الأجلين في القضاء من أن يقال إن قضيت الأقصر فلا عدوان علي وقرئ
أيما كقوله تنظرت نصرا والسماكين أيهما علي من الغيث استهلت مواطره وأي
الأجلين ما قضيت فتكون ما مزيدة لتأكيد الفعل أي أي الأجلين جردت عزمي
لقضائه وعدوان بالكسر والله على ما نقول من الشارطة وكيل شاهد حفيظ فلما قضى
موسى الأجل وسار بأهله بامرأته روي أنه قضى أقصى الأجلين ومكث بعد ذلك عنده
عشرا أخر ثم عزم على الرجوع آنس من جانب الطور نارا أبصر من الجهة التي تلي الطور
قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر بخبر الطريق أو جذوة
عود غليظ سواء كان في رأسه نار أو لم تكن قال ؛ باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ؛ جزل
الجذى غير خوار ولا دعر ؛ والقى على قبس من النار جذوة ؛ شديدا عليه حرها والتهابها
ولذلك بينه بقوله من النار وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات لعلكم تصطلون
تستدفئون بها فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن أتاه النداء من الشاطئ
الأيمن لموسى في البقعة المباركة متصل بالشاطئ أو صلة لنودي من الشجرة
بدل من شاطئ بدل الاشتمال لأنها كانت نابتة على الشاطئ أن يا موسى أي يا موسى
إني أنا الله رب العالمين هذا وإن خالف في طه والنمل لفظا فهو طبقه في
المقصود وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز أي فألقاها فصارت ثعبانا واهتزت

فلما

فلما رآها تهتز كأنها جان في الهيئة والجثة أو في السرعة ولى مدبرا منهزما
من الخوف ولم يعقب ولم يرجع يا موسى نودي يا موسى أقبل ولا تخف إنك من
الآمنين عن المخاوف فإنه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك
تخرج بيضاء من غير سوء عيب واضمم إليك جناحك يديك المبسوطتين تتقي بهما
الحية كالخائف الفزع بإدخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس أو بإدخالهما
في الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو أن يكون ذلك في وجه العدو إظهار جرأة
ومبدأ لظهور معجزة ويجوز أن يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية
استعارة من حال الطائر فإنه إذا خاف نشر جناحيه وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه
من الرهب من أجل الرهب أي إذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ
بضمهما وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات فذانك برهانان من ربك إشارة إلى اشادة مع
العصا واليد وشدده ابن كثير وأبو عمرو ورويس برهانان حجتان وبرهان فعلان
لقولهم أبره الرجل إذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل إذا ابيض ويقال برهاء
وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن من ربك مرسلا بهما إلى فرعون
وملائه إنهم كانوا قوما فاسقين فكانوا أحقاء بأن يرسل إليهم قال رب إني قتلت
منهم نفسا فأخاف أن يقتلون بها وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله
معي ردءا وزيرا معينا وهو في الأصل اسم ما يعان به كالدفء وقرأ نافع ردا بالتخفيف
يصدقني بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة إني أخاف أن يكذبون ولساني
لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه أسند
إليه إسناد الفعل إلى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقني بالرفع على أنه صفة

والجواب محذوف قال سنشد عضدك بأخيك سنقويك به فإن قوة الشخص
بشدة اليد على مزاولة الأمور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد
ونجعل لكما سلطانا غلبة أو حجة فلا يصلون إليكما باستيلاء أو حجاج بآياتنا
متعلق بمحذوف أي اذهبا بآياتنا أو بنجعل أي نسلطكما بها أو بمعنى لا يصلون أي
تمتنعون منهم أو قسم جوابه لا يصلون أو بيان للغالبون في قوله أنتما ومن اتبعكما
الغالبون بمعنى أنه صلة لما بينه أو صلة له على أن اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي
فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى سحر تختلقه
لم يفعل قبل مثله أو سحر تعمله ثم تفتريه على الله أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع
السحر وما سمعنا بهذا يعنون السحر أو ادعاء النبوة في آبائنا الأولين كائنا في
أيامهم وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده فيعلم أني محق وأنتم
مبطلون وقرأ ابن كثير قال بغير واو لأنه قاله جوابا لمقالهم ووجه العطف أن المراد
حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة
الدار العاقبة المحمودة فإن المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الأصلية هي الجنة لأنها
خلقت مجازا إلى الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب إنما قصد
بالعرض وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء إنه لا يفلح الظالمون لا يفوزون
بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى وقال فرعون يا أيها الملأ ما
علمت لكم من إله غيري نفى علمه بإله غيره دون وجوده إذ لم يكن عنده
ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك أمر ببناء الصرح ليصعد إليه فيطلع على الحال
بقوله فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله
موسى كأنه توهم أنه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقي إليه ثم قال و

اني

وإني لأظنه من الكاذبين أو أراد أن يبني له رصدا يترصد منها أوضاع الكواكب
فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي
المعلوم كقوله أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض فإن معناه بما ليس فيهن
وهذا من خواص العلوم الفعلية فإنها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها
انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل أول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك أمر
باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه
بيا في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق بغير الاستحقاق
وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء
وكسر الجيم فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم كما مر بيانه وفيه فخامة و
تعظيم لشأن الأخذ واستحقار للمأخوذين كأنه أخذهم مع كثرتهم في كف فطرحهم
في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات بيمينه فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها
وجعلناهم أئمة قدوة للضلال بالحمل على الإضلال وقيل بالتسمية كقوله
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أو بمنع الألطاف الصارفة
عنه يدعون إلى النار إلى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيامة لا ينصرون
بدفع العذاب عنهم وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة طردا عن الرحمة أو لعن
اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون ويوم القيامة هم من المقبوحين من المطرودين
أو ممن قبح وجوههم ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة من بعد ما أهلكنا
القرون الأولى أقوام نوح وهود وصالح ولوط بصائر للناس أنوارا لقلوبهم
يتبصر بها الحقائق ويميز بين الحق والباطل وهدى إلى الشرائع التي هي سبل الله

ورحمة لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال
يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفت وما كنت بجانب الغربي
يريد الوادي او الطور فانه كان في شق الغرب من مقام موسى او الجانب الغربي
منه والخطاب لرسول الله اي ما كنت حاضرا اذ قضينا الى موسى الامر اذ اوحينا
اليه الامر الذي اردنا تعريفه وما كنت من الشاهدين للوحي اليه او على الوحي
اليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره عن ذلك
من قبيل الاخبار عن المغيبات التي لا تعرف الا بالوحي ولذلك استدرك عنه
بقوله ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر اي ولكنا اوحينا اليك
لانا انشانا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار
وتغيرت الشرايع واندرست العلوم فحذف المستدرك واقام سببه مقامه وما
كنت ثاويا مقيما في اهل مدين شعيب والمؤمنين به تتلوا عليهم تقرا عليهم
تعلما منهم اياتنا التي فيها قصتهم ولكنا كنا مرسلين اياك ومخبرين لك بها
وما كنت بجانب الطور اذ نادينا لعل المراد به وقت ما اعطاه التورية
وبالاول حين ما استنباه لانهما المذكوران في القصة ولكن رحمة من ربك
ولكن علمناك رحمة وقرئ بالرفع على هذه رحمة لتنذر قوما متعلق بالفعل
المحذوف ما اتاهم من نذير من قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى
وهي خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل على ان دعوة موسى وعيسى
كانت مختصة ببني اسرائيل وما حواليهم لعلهم يتذكرون يتعظون ولولا
ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا
رسولا لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة في سياقها لانها لما اجيبت

بها بالفاء تشبيها لها بالامر مفعول يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية
المنبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وانه لا يصدر
عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة
بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا اياتك فنتبعها
ونكون من المصدقين ما ارسلناك اي انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما
للحجة عليهم فنتبع اياتك يعني الرسول المصدق بنوع من المعجزات ونكون من
المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي
موسى من الكتاب جملة واليد البيضاء والعصا وغيرها اقتراحا وتعنتا اولم يكفروا
بما اوتي موسى من قبل يعني ابناء جنسهم في الراي والمذهب وهم كفرة زمان موسى
وكان فرعون عربيا من اولاد عاد قالوا سحران يعنون موسى وهارون او موسى
ومحمد تظاهرا تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين وقراء الكوفيين
سحران بتقدير مضاف او جعلهما سحرين مبالغة او اسناد تظاهرهما على فعلهما دلالة
على سبب الاعجاز وقرئ اظاهرا على الادغام وقالوا انا بكل كافرون اي بكل منهما
او بكل الانبياء قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما انزل على موسى
وعلى واظهارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين موسى ومحمد عم
اتبعه ان كنتم صادقين انا ساحران مختلفان وهذا من الشروط التي يراد بها
الالزام والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم فان لم يستجيبوا لك
دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به لان فعل الاستجابة
يعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعي فاذا عدي اليه حذف الدعاء غالبا
كقوله وداع دعا يا من يجيب الى الندى * فلم يستجبه عند ذلك مجيب * فاعلم

انما يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا حجة لاتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام
بمعنى النفي بغير هدى من الله في موضع الحال للتوكيد او التقييد فان هوى النفس
قد يوافق الحق ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالانهماك
في اتباع الهوى ولقد وصلنا لهم القول اتبعنا بعضه بعضا في الانزال ليتصل
التذكير او في النظم لتتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر
لعلهم يتذكرون فيؤمنون ويطيعون الذين اتيناهم الكتاب من قبله
مؤمني اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل الانجيل اثنان وثلثون
هم به يؤمنون نزلت في جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير
في من قبله للقران كالمستكن واذا يتلى عليهم قالوا امنا به اي بانه كلام الله انه الحق
من ربنا استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم به انا كنا من قبله مسلمين استيناف
اخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدث وانما هو امر تقادم عهده لما راوا ذكره
في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القران وتلاوته عليهم باعتقادهم
صحته في الجملة اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بالقران بما صبروا
بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقران قبل النزول وبعده او على اذى
المشركين ومن هاجرهم من اهل دينهم ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعون
بالطاعة المعصية كقوله عم اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون
في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه تكرما وقالوا للاغين لنا اعمالنا
ولكم اعمالكم سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا ودعاء لهم بالسلامة عما هم
فيه لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها انك لا تهدي من احببت
لا تقدر ان تدخله في الاسلام ولكن الله يهدي من يشاء فيدخله في الاسلام
وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب

فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلعم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله
قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت وقالوا
ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نخرج منها نزلت في الحارث بن عثمان
بن نوفل بن عبد مناف اتى النبي صلعم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان
اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة راس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله
عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما امنا ولم نجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت
الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم امنون فيه يجبى اليه يحمل اليه ويجمع فيه وقرأ
نافع ويعقوب في رواية بالتاء ثمرات كل شيء من كل اوب رزقا من لدنا
فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة الاصنام فكيف نعرضهم للخوف والتخطف اذا
ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون
له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يتدبرون
فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا
على المصدر من معنى يجبى او الحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين بالامر
ان الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من باس الله على ما هم عليه بقوله وكم اهلكنا
من قرية بطرت معيشتها اي وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالكم في الامن
وخفض العيش حتى اشروا فدمر الله عليهم وخربت ديارهم فتلك مساكنهم
خاوية لم تسكن من بعدهم من السكنى اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض
يوم او لا يبقى من يسكنها الا قليلا من شوم معاصيهم وكنا نحن الوارثين
منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف ويجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم
او باضمار زمان مضاف اليه او مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت وما كان ربك

وما كان عادته مهلك القرى حتى يبعث في امها في اصلها التي هي اعمالها لان
اهلها يكون افطن وانبل رسولا يتلوا عليهم اياتنا لالزام الحجة وقطع المعذرة
وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون بتكذيب الرسل والعتو في الكفرة وما
اوتيتم من شيء من اسباب الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها تتمتعون وتتزينون
به مدة حيوتكم المنقضية وما عند الله وهو ثوابه خير خير في نفسه من ذلك
لانه لذة خالصة وبهجة كاملة وابقى لانه ابدي افلا تعقلون فتستبدلون الذي
هو ادنى بالذي هو خير وقرا ابو عمرو بالياء وهو ابلغ في الموعظة افمن وعدناه
وعدا حسنا وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه لامحالة
لامتناع الخلف في وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية كمن متعناه
متاع الحيوة الدنيا الذي هو مشوب بالالام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على
الانقطاع ثم هو يوم القيمة من المحضرين للحساب او العذاب وثم للتراخي في الزمان او
الرتبة وقرا نافع وابن عامر في رواية والكسائي ثم هو بسكون الهاء تشبيها المنفصل
بالمتصل وهذه الاية كالنتيجة للتي قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم
عطف على يوم القيمة او منصوب باذكر فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون
اي الذين كنتم تزعمونهم شركاءي فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما قال
الذين حق عليهم القول بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لاملان جهنم
من الجنة والناس اجمعين وغيره من ايات الوعيد ربنا هؤلاء الذين اغوينا
اي هؤلاء الذين اغوينا هم فغووا غويا مثل ما غوينا وهو استيناف للدلالة
على انهم غووا باختيارهم فانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان
يكون الذين صفة واغوينا هم الخبر لاجل ما اتصل به فافاد زيادة على الصفة وهو

وان كانت فضلة لكنه صار من اللوازم تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر
هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العواطف وكذا ما كانوا
ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما
مصدرية متصلة بتبرأنا اي تبرأنا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم
فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة ورأوا العذاب
لازما بهم لو انهم كانوا يهتدون لوجه من الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق
لما راوا العذاب وقيل لو للتمني اي تمنوا انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول
ماذا اجبتم المرسلين عطف على الاول فانه تعالى يسال اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم
المرسلين فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء كالعمى عليهم لا يهتدي اليهم واصله
فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من
خارج فاذا اخطاه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ما اجابوا به الرسل
او ما يعمها واذا كانت الرسل يتتعتعون في الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون العلم الى
الله تعالى فما ظنك بالضلال من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم لا يتساءلون
لا يسال بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله فاما من تاب من
الشرك وامن وعمل صالحا وجمع بين الايمان والعمل فعسى ان يكون من المفلحين عند الله
وعسى تحقيق على عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك
يخلق ما يشاء ويختار لا موجب عليه ولا مانع له ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة
بمعنى التطير وظاهره نفي الاختيار عنهم راسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار
العباد مخلوق باختيار الله تعالى منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل المراد انه ليس
لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي انه نزل

في قولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصولة مفعول ليختار والراجع
اليه محذوف والمعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة اي الخير والصلاح سبحان الله تنزيها
له ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيار وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او مشاركة
ما يشركونه وربك يعلم ما تكن صدورهم لعداوة الرسول وحقده وما يعلنون
كالطعن فيه وهو الله المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد
في الاولى والاخرة لانه المولي للنعم كلها عاجلها واجلها يحمده المؤمنون في الاخرة كما
حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده
ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم القضاء النافذ في كل شيء واليه ترجعون
بالنشور قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة
والميم مزيدة كميم دلامص الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول
الافق الغائر من اله غير الله ياتيكم بضياء كان حقه هل اله فذكر من على زعمهم ان
غيره الهة وعن ابن كثير بضياء بهمزتين افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار قل ارايتم
ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها في وسط السماء او تحريكها
على مدار فوق الافق من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب
الاشغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا
كذلك الليل ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل
افلا تبصرون لان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر ومن
رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا من فضله
في النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك
فتشكروه عليها ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون تقريع

بعد تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به او الاول لتقرير فساد رايهم
والثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشه وهوى ونزعنا واخرجنا
من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا
برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا حينئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه
فيها احد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يفترون من الباطل
ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي وكان ممن امن
به فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم
قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل او حسدهم لما روي انه قال
لموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شيء الى متى اصبر واتيناه من الكنوز
من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه مفاتح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح
به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح لتنوء بالعصبة اولي القوة خبر ان
والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي اتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى امال والعصبة
والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء
المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب بتنوء لا تفرح لا تبطر والفرح
بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضاء بها والذهول عن ذهابها فان العلم
بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال اشد الغم عندي في سرور
تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال الله تعالى ولا تفرحوا بما اتيكم وعلل النهي ههنا
بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال ان الله لا يحب الفرحين اي بزخارف الدنيا
وابتغ فيما اتاك الله من الغنى الدار الاخرة بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه
ان يكون وصلة اليها ولا تنس ولا تترك ترك المنسي نصيبك من الدنيا وهو

ان تحصل بها اخرتك او تاخذ منها ما يكفيك وَأَحْسِنْ الى عباد الله كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ
فيما انعم عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن اليك بالانعام وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ
فى الارض نهى له عما كان عليه من الظلم والبغى إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ لسوء افعالهم
قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم
بالجاه والمال وعلى علم فى موضع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيميا
وقيل علم التجارة والدهقنة وساير المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف ع وعندى صفة
له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندى فى ظنى واعتقادى أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ
اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا تعجب
وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قراه فى التورية وسمعه من حفاظ
التواريخ او رد لادعائه العلم وتعظيمه به بنفى هذا العلم منه اى اعنده مثل ذلك
العلم الذى ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين وَلَا يُسْأَلُ
عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها او معاتبة فانهم يعذبون
بها بغتة كانه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد ذلك
بان بين انه لم يكن مما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها
لا محالة فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها
سرج من ذهب ومعه اربعة الاف على زيه قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا على
ما هو عادة الناس من الرغبة يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ تمنوا مثله لا عينه
حذرا عن الحسد إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ من الدنيا وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ باحوال الاخرة
للمتمنين وَيْلَكُمْ دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى ثَوَابُ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ
لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا مما اوتى قارون بل من الدنيا وما فيها وَلَا يُلَقَّاهَا الضمير فيه

للكلمة

للكلمة التى تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او للايمان والعمل الصالح
فانهما فى معنى السيرة والطريقة إِلَّا الصَّابِرُونَ على الطاعات وعن المعاصى فَخَسَفْنَا
بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ روى انه كان يؤذى موسى ع كل وقت وهو يداريه لقرابته
حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح
موسى بين بنى اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد
قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا
رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت
بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالله ان تصدق فقالت جعل لى قارون
جعلا على ان ارميك بنفسى فخر موسى ع باكيا شاكيا عنه الى ربه فاوحى
الله تعالى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الى ركبتيه ثم قال خذيه
فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون
يتضرع اليه فى هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله تعالى اليه ما افظك استرحمك مرارا
فلم ترحمه وعزتى وجلالى لو دعانى مرة لاجبته ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا
الله حتى خسف بداره وامواله فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ من اعوان مشتقة من فاوت راسه
اذا ميلته يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فيدفعون عنه عذابه وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ
الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع وَأَصْبَحَ الَّذِينَ
تَمَنَّوْا مَكَانَهُ منزلته بِالْأَمْسِ منذ زمان قريب يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ بمقتضى مشيته لا لكرامة تقتضى البسط ولا لهوان يوجب
القبض وويكان عند البصريين مركب من وى للتعجب وكان للتشبيه والمعنى ما اشبه
الامر ان الله يبسط وقيل من ويك بمعنى ويلك وان وتقديره ويك اعلم ان الله لولا ان

مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا فلم يعطنا ما تمنينا لَخَسَفَ بِنَا لتوليده فينا ما ولد فيه لَخَسَفَ بِنَا لاجله
وقرأ حفص بفتح الخاء والسين وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ لنعمة الله او المكذبون
برسله وبما وعدوا لهم من ثواب الاخرة تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ اشارة تعظيم كانه
قال تلك التى سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ
لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ غلبة وقهرا وَلَا فَسَادًا ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون
وَالْعَاقِبَةُ المحمودة لِلْمُتَّقِينَ عما لا يرضاه الله تعالى مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ذاتا
وقدرا ووصفا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ وضع فيه الظاهر
موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ الا مثل
ما كانوا يعملون وحذف المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة فى المماثلة إِنَّ
الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ
اى معاد وهو المقام المحمود الذى وعدك ان يبعثك فيه او مكة التى اعتدت بها على
انه من العادة رده اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان العاقبة للمتقين واكد ذلك بوعد المحسنين
ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى فى الدارين روى انه لما بلغ جحفة فى
مهاجره اشتاق الى مولد ابائه فنزلت قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وما يستحقه من
الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وما يستحقه
من العذاب والاذلال يعنى به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق فكذا قوله
وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ اى سيردك الى معادك كما القى اليك
الكتاب وما كنت ترجوه إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ولكن القاه رحمة منه ويجوز ان يكون
استثناء محمولا على المعنى كانه قال وما القى اليك الكتاب الا رحمة من ربك اى لاجل
الترحم فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم وَلَا يَصُدُّنَّكَ

عَنْ آيَاتِ اللَّهِ عن قراءتها والعمل بها بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وقرئ يصدنك من اصده وَادْعُ
إِلَى رَبِّكَ الى عبادته وتوحيده وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بمساعدتهم وَلَا تَدْعُ
مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ هذا وما قبله للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لَا إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك فى حد ذاته معدوم
لَهُ الْحُكْمُ القضاء النافذ فى الخلق وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ للجزاء بالحق عن النبى ص من
قرا سورة طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك
فى السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا

سورة العنكبوت مكية وهى تسع وتسعون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الم أَحَسِبَ النَّاسُ الحسبان بما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى
مفعولين متلازمين او ما يسد مسدهما كقوله أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ
لَا يُفْتَنُونَ فان معناه احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم امنا فالترك اول مفعوليه
وغير مفتونين من تمامه ولقولهم امنا هو الثانى كقولك حسبت ضربه للتاديب
او انفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم امنا هو الثانى كقولك بمشاق التكاليف
كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظايف الطاعات وانواع المصايب
فى الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت فى الدين من المضطرب فيه
ولينالوا بالصبر عليها عوالى الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص
لا يقتضى غير الخلاص من الخلود فى العذاب روى انها فى ناس من الصحابة جزعوا
من اذى المشركين وقيل فى عمار قد عذب فى الله وقيل فى مهجع مولى عمر بن الخطاب رماه

عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه امرأته وابواه وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية في الامم كلها فلا
ينبغي ان يتوقع خلافه فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ فيتعلق علمه بالامتحان
تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم و
عقابهم ولذلك قيل المعنى وليميزن وليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم
الناس او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها أَمْ حَسِبَ
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ الكفر والمعاصي فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح
أَنْ يَسْبِقُونَا أن يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد
مفعولي حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان ابطل من الاول ولهذا
عقبه بقوله سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ اي بئس الذي يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف
المخصوص بالذم مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ في الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول
الى ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد
قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله فاما ان يلقاه
ببشر لما رضي من افعاله او بسخط لما سخط منها فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ فان الوقت المضروب
للقائه لَآتٍ لجاء واذا كان وقت اللقاء اتيا لا محالة فليبادر ما يحقق امله
ويصدق رجاءه او يستوجب القربة والرضا وَهُوَ السَّمِيعُ لاقوال العباد الْعَلِيمُ
لعقائدهم واعمالهم وَمَنْ جَاهَدَ نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن
الشهوات فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ لان منفعته لها إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ فلا
حاجة له الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ الكفر بالايمان والمعاصي

بما يتبعها

بما يتبعها من الطاعات وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ اي احسن جزاء اعمالهم وَوَصَّيْنَا
الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا بايتاء فعلا ذا حسن او كأنه في ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجري
مجرى امر معنى وتصرفا وقيل بمعنى قال اي وقلنا له احسن بوالديك حسنا وقيل حسنا
منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اي وقلنا اولهما او افعل بهما حسنا
وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا وَإِنْ جَاهَدَاكَ
لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ بالاهيته عبر عن نفيها بنفي العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم
صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه فَلَا تُطِعْهُمَا في ذلك فانه لا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر قبل إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ مرجع من
امن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بالجزاء عليه الاية
نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت بان لا تنتقل
من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا التي في لقمان و
الاحقاف وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ في جملتهم و
الكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله المرسلين او في مدخلهم
وهي الجنة وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ بان عذبهم الكفرة
على الايمان جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ ما يصيبه من اذيتهم في الصرف عن الايمان كَعَذَابِ اللَّهِ في
الصرف عن الكفر وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ فتح وغنيمة لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ في الدين
فاشركونا فيه والمراد المنافقون او قوم ضعف ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد
الاول أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ من الاخلاص والنفاق وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا بقلوبهم وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ فيجازي الفريقين وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا الذي نسلكه في ديننا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ان كان ذلك

خطيئة او ان كان بعث ومواخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع
مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت تشجيعا لهم عليه
وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وما هم بحاملين شيئا من
خطاياهم وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ أثقال ما اقترفته انفسهم وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ واثقالا
اخر معها لما تسببوا بالاضلال والحمل على المعاصي من غير ان ينتقص من اثقال من تبعهم شيء
وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سؤال تقريع وتبكيت عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ من الاباطيل التي
اضلوا بها وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا بعد المبعث
اذ روي انه بعث الى راس اربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين
ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما
يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من القصة تسلية
رسول الله صلعم وتثبيته على ما يكابده من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرير من البشاعة
فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل او ظلام او نحوهما وَهُمْ ظَالِمُونَ
بالكفر فَأَنْجَيْنَاهُ اي نوحا وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ ومن ركب معه من اولاده واتباعه وكانوا
ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث وَجَعَلْنَاهَا
اي السفينة او الحادثة آيَةً لِلْعَالَمِينَ يتعظون ويستدلون بها وَإِبْرَاهِيمَ عطف على
نوح او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم إِذْ قَالَ
لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ ظرف لارسلنا اي ارسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث
عرف الحق وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ
لَكُمْ مما انتم عليه إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الخير والشر وتميزون ما هو خير لكم مما هو شر او كنتم

تنظر

تنظرون في الامور بنظر العلم دون نظر الجهل إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ
إِفْكًا وتكذبون كذبا في تسميتها الهة وادعاء شفاعتها عند الله وتعملونها وتنحتونها للافك
وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل للافك وقرئ تخلقون من خلق
للتكثير وتخلقون من تخلق للتكليف وافكا على انه مصدر كالكذب بمعنى خلقا ذا افك إِنَّ
الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا دليل ثان على شرارة ذلك من
حيث انه لا يجدي بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم وان
يراد المرزوق وتنكيره للتعميم فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ كله فانه المالك له وَاعْبُدُوهُ
وَاشْكُرُوا لَهُ متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره
او مستعدين للقائه بهما إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وقرئ بفتح التاء وَإِنْ تُكَذِّبُوا وان تكذبوني
فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضروا انفسهم حيث
تسبب لما حل بهم من العذاب وكذا تكذيبهم وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ الذي
زال معه الشك وما عليه ان يصدق ولا يكذب فالاية وما بعدها من جملة قصة ابراهيم
الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل ان يكون اعتراضا بذكر شان النبي صلعم وقريش وهدم
مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفي قصته من حيث ان مساقها للتسلية
الرسول صلعم والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك القوم و
تكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابراهيم في قومه أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ
من مادة ومن غيرها وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدئ
ثُمَّ يُعِيدُهُ اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على ولم يروا لا على يبدئ فان الرؤية
غير واقعة عليه ويجوز ان يأول الاعادة بان ينشئ في كل سنة مثل ما كان في السنة
السابقة من النبات والثمار ونحوها ويعطف على يبدئ إِنَّ ذَٰلِكَ الاشارة الى الاعادة

او الهما دال الى الامرين على الله يسير اذ لا يفتقر في فعله الى شيء قل سيروا في الارض حكاية
كلام الله تعالى لابراهيم او محمد عم فانظروا كيف بدأ الخلق على اختلاف الاجناس والاحوال
ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة الاولى التي هي الابداء فانه والاعادة نشأتان
من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم والافصاح باسم الله تعالى مع ايقاعه مبتدأ
بعد اضماره في بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان المقصود بيان الاعادة وان
من عرف بالقدرة على الابداء ينبغي ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها اهون والكلام
في العطف ما مر وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة كالرآفة ان الله على كل شيء قدير
لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة
الاخرى كما قدر على النشأة الاولى يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء
رحمته واليه تقلبون تردون وما انتم بمعجزين ربكم عن ادراككم في الارض ولا في
السماء ان فررتم من قضائه بالتواري في الارض او الهبوط في مهاويها والتحصن في السماء او
القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء كقول حسان من يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم عن بلاء يظهر
من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بآيات الله بدلائل
وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك يئسوا من رحمتي اي ييأسون منها
يوم القيمة فعبر عنه بالماضي للتحقيق والمبالغة او يئسوا في الدنيا لانكار البعث
والجزاء واولئك لهم عذاب اليم بكفرهم فما كان جواب قومه قوم ابراهيم له وقرئ
بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وكان ذلك قول بعضهم لكن
لما قيل فيهم ورضي الباقون اسند الى كلهم فانجاه الله من النار اي فقذفوه
في النار فانجاه منها بان جعلها عليه بردا وسلاما ان في ذلك في انجائه منها

نها
لآيات هي حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض مكا
لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بالفحص عنها والتأمل فيها وقال انما اتخذتم
صلوا
من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتوا
لاجتماعكم على عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون مودة المفعول
الثاني بتقدير مضاف او بتأويلها بالمودودة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم
وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق وابن كثير
وابو عمرو والكسائي وورش مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اي هي مودة
او سبب مودة والجملة صفة اوثانا او خبر ان ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف
وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم
وقرئ انما مودة بينكم ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا
اي يقوم التناكر والتلاعن بينكم او بينكم وبين الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله
تعالى ويكونون عليهم ضدا ومأويكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم
منها فآمن له لوط هو ابن اخته واول من امن به وقيل انه امن به حين راى النار
لم تحرقه وقال اني مهاجر من قومي الى ربي الى حيث امرني ربي انه هو العزيز الذي
يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا بما فيه صلاحي وروي انه هاجر من
كوثى سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل
فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين
ايس من الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا في ذريته النبوة
فكثر منهم الانبياء والكتاب يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة وآتيناه اجره
على هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد في غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة

وانتما اهل الملل اليه والثنا والصلوة عليه الى اخر الدهر وانه في الآخرة لمن الصالحين
لفي عداد الكاملين في الصلاح ولوطا عطف على ابراهيم او على ما عطف عليه اذ قال
لقومه انكم لتأتون الفاحشة الفعلة البالغة في القبح وقرأ الحرميان وابن عامر
وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام واجمعوا على الاستفهام
في الثاني ما سبقكم بها من احد من العالمين استئناف مقرر لفحاشتها من حيث
انها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليها لخبث
طينتهم ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة بالقتل
واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق او تقطعون سبيل النسل بالاعراض
عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وتأتون في ناديكم في مجالسكم الغاصة ولا
يقال النادي الا لما فيه اهله المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من
القبائح وعدم مبالاة بها وقيل الحذف ورمي البنادق فما كان جواب قومه
الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين في استقباح ذلك او في
دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ قال رب انصرني بانزال العذاب على القوم المفسدين
بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب
واشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى
بالبشارة بالولد والنافلة قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية قرية سدوم والاضافة
لفظية لان المعنى على الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم
باصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا
اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي عم بين
اظهرهم قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم

العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهل بمن عداه واهله او تأقيت
الاهلاك باخراجهم منها وفيه تأخير البيان عن الخطاب الا امرأته كانت من الغابرين
الباقين في العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم جاءه المسا
والغم بسببهم ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما و
ضاق بهم ذرعا وضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له
لان طويل الذراع ينال ما لا ينال قصير الذراع وقالوا لما راوا فيه الضجرة لا تخف ولا
تحزن على تمكنهم منا انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين وقرأ
حمزة وابن كثير والكسائي ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم ابو بكر
في الثاني وموضع الكاف جر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف
على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء
عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس اي اضطرب
وقرأ ابن عامر منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم ولقد تركنا
آية بينة هي حكايتها الشائعة او آثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها
كانت باقية بعد وقيل بقية انهارها المسودة لقوم يعقلون يستعملون
عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا او بينة والى مدين اخاهم
شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر وافعلوا ما ترجون به ثوابه
فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجا بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض
مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة وقيل صيحة
جبريل لان القلوب ترجف لها فاصبحوا في دارهم في بلدتهم او دورهم ولم
يجمع لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا منصوبان باضمار

ذكرا وفعلا لتعليمه ما قبله مثل اهلكنا وقرأ حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير منصرف
على تأويل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا
نظرتم اليها عند مروركم بها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي
فصدهم عن السبيل السوي الذي بين الرسل لهم وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستبصار
ولكنهم لم يفعلوا او مستبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى
هلكوا وقارون وفرعون وهامان معطوف على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه
ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فائتين
بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا من المذكورين اخذنا بذنبه عاقبنا بذنبه
فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم بها كقوم
لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون
ومنهم من اغرقنا كقوم نوح عم وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة
الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالتعرض
العذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل
العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك اوهن فان لهذا
حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل يبني بناء
من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه
كما في طاغوت ويجمع على عناكب وعنكب وعكاب وعكبة واعكب وان اوهن
البيوت لبيت العنكبوت لا بيت اوهن واقل وقاية للحر والبرد منه لو كانوا يعلمون
يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يكون
المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ما

يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء على اضمار القول
اي قل للكفرة ان الله يعلم وقرأ عاصم وابو عمرو ويعقوب بالياء حملا على ما قبله
وما استفهامية منصوبة بيدعون ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين او نافية ومن
مزيدة وشيء مفعول تدعون او مصدرية وشيء مصدر او موصولة مفعول ليعلم
ومفعول يدعون عائده المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل
وعلى الاخرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة
اشراك ما لا يعد شيئا لمن هذا شأنه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل
شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا صفته قادر على مجازاتهم
وتلك الامثال يعني هذا المثل ونظائره نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم
وما يعقلها ولا يعقل حسنها وفائدتها الا العالمون الذين يتدبرون الاشياء على
ما ينبغي وعنه عم انه تلا هذه الاية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب
سخطه خلق الله السموات والارض بالحق محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود
بالذات من خلقهما افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله ان في
ذلك لاية للمؤمنين لانهم المنتفعون بها اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله بقراءته
وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار
ما لم ينكشف له اول ما قرع سمعه واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر
بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر
الله وتورث للنفس خشية منه روي ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلعم
الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلوته ستنهاه فلم
يلبث ان تاب ولذكر الله اكبر والصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به

للتعليل بان اشتمالها على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات
او لذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه وسائر
الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن
الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح
وقيل هو منسوخ باية السيف اذ لا مجادلة اشد منه وجوابه انه اخر الدواء وقيل المراد
به ذووا العهد منهم الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات
الولد وقولهم يد الله مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية وقولوا امنا بالذي
انزل الينا وانزل اليكم هو المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي عم لا تصدقوا اهل
الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم
وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون مطيعون
له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب يؤمنون به هم عبد الله سلام
واضرابه ومن تقدم عهد رسول الله صم من اهل الكتاب ومن هؤلاء ومن العرب
او اهل مكة او ممن تقدم في عهد رسول الله صم من اهل الكتاب من يؤمن به بالقرآن
وما يجحد باياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها الا الكافرون الا المتوغلون في الكفر
فان جزمهم به يمنعهم عن التأمل فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول صم
كما اشار اليه بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فان ظهور هذا
الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على امي لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة
وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفي ونفي التجوز في الاسناد اذا لارتاب المبطلون اي لو
كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين وانما سماهم مبطلين

لكفرهم او ارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب
اهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار
الواقع دون المقدر بل هو بل القرآن ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم
يحفظونه لا يقدر احد تحريفه وما يجحد باياتنا الا الظالمون الا المتوغلون في الظلم
بالمكابرة بعد وضوح دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها وقالوا لولا انزل عليه
ايات من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع وابن عامر
والبصريان وحفص ايات قل انما الايات عند الله ينزلها كما يشاء لست املكها
فاتيكم بما تقترحونه وانما انا نذير مبين ليس من شأني الا الانذار وابانته بما اعطيت
من الايات اولم يكفهم اية مغنية عما اقترحوه انا انزلنا عليك الكتاب
يتلى عليهم تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزول معهم اية ثابتة لا
تضمحل بخلاف سائر الايات او يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في ايديهم
من نعتك ونعت دينك ان في ذلك في ذلك الكتاب الذي هو اية مستمرة
وحجة مبينة لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى لقوم يؤمنون وتذكرة لمن همه
الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صم بكتف كتب
فيها بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم
نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا بصدقي
وصدقني بالمعجزات او بتبليغي ما ارسلت به اليكم ونصحي ومقابلتكم اياي
بالتكذيب والتعنت يعلم ما في السموات والارض فلا يخفى عليه حالي وحالكم
والذين امنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله منكم اولئك
هم الخاسرون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك بالعذاب

بقولهم امطر علينا حجارة من السماء ولولا اجل مسمى لكل عذاب او قوم لجاءهم
العذاب عاجلا وليأتينهم بغتة فجأة في الدنيا كوقعة بدر والاخرة عند
نزول الموت وهم لا يشعرون باتيانه يستعجلونك بالعذاب وان جهنم
لمحيطة بالكافرين ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب او هي كالمحيطة بهم الان لاحاطة
الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم يوم يغشيهم العذاب
ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت ارجلهم من جميع
جوانبهم ويقول الله او بعض ملائكته بامره كقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون
ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي
فاعبدون اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلد ولم تتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا
الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عم من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب
الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي
واسعة اذا لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها كل نفس ذائقة الموت
تناله لا محالة ثم الينا ترجعون للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغي ان يجتهد في الاستعداد
له وقرأ ابو بكر بالياء والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم
من الجنة غرفا علالي وقرأ حمزة والكسائي لنثوينهم اي لنقيمنهم من الثواء فيكون
انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين وقرئ فنعم والمخصوص
بالمدح محذوف دل عليه ما قبله الذين صبروا على اذية المشركين والهجرة للدين الى
غير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون الا على الله وكأين

من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها
الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء
في انه لا يرزقها واياكم الا الله لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا
تخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة
ليس لنا فيها معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم هذا العليم بضميركم ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر المسؤول عنهم اهل مكة
ليقولن الله لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود
فانى يؤفكون يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك الله يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر له يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا
على ان البسط والقبض على التعاقب وان لا يكون على وضع الضمير موضع من يشاء
وابهامه كان من يشاء مبهم ان الله بكل شيء عليم يعلم مصالحهم ومفاسدهم
ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله
معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون
به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك قل الحمد لله على ما عصمك من مثل
هذه الضلالة او على تصديقك واظهار حجتك بل اكثرهم لا يعقلون فيتناقضون
حيث انهم يقرون بانه المبدأ لكل ما عداه ثم انهم يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون
ما تريد بتحميدك عند مقالتهم وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير وكيف
لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة الا لهو ولعب الا كما يلهى ويلعب به
الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين وان الدار
الاخرة لهي الحيوان اي لهي دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها او هي

في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حي سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء
الثانية واوا وهو ابلغ من الحيوة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوة
ولذلك اختير عليها ههنا لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم
الحيوة والحيوة فيها عارضة سريعة الزوال فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه
شرح حالهم اي هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر كانوا في صورة من
اخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا
يكشف الشدائد الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاجأوا المعاودة الى
الشرك ليكفروا بما اتيناهم اللام فيه لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم
نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها او لام الامر
على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون
فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين يعاقبون اولم يروا يعني اهل مكة انا جعلنا
حرما امنا اي جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدي امنا اهله عن القتل و
السبي ويتخطف الناس من حولهم يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب
حوله في تغاور وتناهب افبالباطل بعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر
عليه الا الله يؤمنون بالصنم او الشيطان وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا به غيره
وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص على طريق المبالغة ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا بان زعم ان له شريكا او كذب بالحق لما جاءه يعني الرسول او
الكتاب وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا
الى التكذيب اول ما سمعوه اليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم كقوله
الستم خير من ركب المطايا اي الا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب

على

على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اي الم يعلموا ان في جهنم مثوى
للكافرين حتى اجترءوا هذه الجرأة والذين جاهدوا فينا في حقنا فاطلاق المجاهد
ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة بانواعه لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا
والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله
والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله
لمع المحسنين بالنصرة والاعانة قال عليه السلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر
عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله وهي ستون او تسع وخمسون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الم غلبت الروم في ادنى الارض ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم او في ادنى
ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة وهم من بعد غلبهم من اضافة المصدر الى
المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب والجلب سيغلبون في بضع سنين روي
ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهي ادنى ارض الروم
من فارس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا
انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن
عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر لا يقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس
في بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه
على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول
الله صلعم فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلاها
مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلعم بعد قفوله من احد وظهرت

الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة ابي وجاء به الى رسول
الله فقال تصدق به واستدل به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب
فاجيب بانه كان قبل تحريم القمار وهذه الاية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب
وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام و
المسلمون سيغلبونهم في السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض
بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل لله الامر من قبل ومن بعد
من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين
وهو وقت كونهم غالبين اي له الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شيء منهما
الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه كانه قيل قبلا وبعدا
اي اولا واخرا ويومئذ يوم يغلب الروم ويفرح المؤمنون بنصر الله من له
كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا
به المشركين وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم وقيل بنصر الله
المؤمنين باظهار صدقهم او بان ولى بعض اعدائهم بعضا حتى تفانوا ينصر من
يشاء فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء تارة اخرى وهو العزيز الرحيم ينتقم من
عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم تارة اخرى وعد الله مصدر مؤكد
لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن
اكثر الناس لا يعلمون وعده ولا صحته لجهلهم وعدم تفكرهم يعلمون
ظاهرا من الحيوة الدنيا ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها وهم عن الاخرة
التي هي غايتها والمقصود منها هم غافلون لا يخطرونها ببالهم وهم الثانية تكرير
للاولى وهو مبتداء وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين مناد

على

على تمكن غفلتهم عن الاخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله
لا يعلمون تقرير لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها
من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها و
خصائصها وافعالها واسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها
ولذلك نكر ظاهرا واما باطنها فانها مجاز الى الاخرة ووصلة الى نيلها وانموذج
لاحوالها واشعارا بانه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا
اولم يتفكروا في انفسهم اولم يحدثوا التفكر فيها او لم يتفكروا في امر انفسهم فانها
اقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلي فيها للمستبصر ما يجتلي له في الممكنات باسرها
ليتحقق له قدرة مبدعها على اعادتها قدرته على ابدائها ما خلق الله السموات
والارض وما بينهما الا بالحق متعلق بقول او علم محذوف يدل الكلام عليه و
اجل مسمى تنتهي عنده ولا تبقى بعده وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم بلقاء
جزائه عند انقضاء الاجل المسمى او قيام الساعة لكافرون جاحدون يحسبون
ان الدنيا ابدية وان الاخرة لا تكون اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم في اقطار ونظرهم الى اثار المدمرين
قبلهم كانوا اشد منهم قوة كعاد وثمود واثاروا الارض وقلبوا وجهها
لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وعمروها وعمروا
الارض اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذي زرع
لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون
بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على
العباد والتصرف في اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجئون الى واد

لا انتفع لها وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الايات الواضحات فما كان
الله ليظلمهم ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير ولكن كانوا
انفسهم يظلمون حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم ثم كان عاقبة الذين اساؤا
السوءى اي ثم كان عاقبتهم العقوبة او الخصلة السوءى فوضع الظاهر موضع الضمير
للدلالة على ما اقتضى ان يكون تلك عاقبتهم وانهم جاؤا بمثل افعالهم والسوءى
تانيث اسوء كالحسنى او مصدر كالبشرى نعت بها ان كذبوا بايات الله وكانوا
بها يستهزؤن علة او بدل او عطف بيان للسوءى وخبر كان والسوءى مصدر
اساؤا او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على
قلوبهم حتى كذبوا الايات واستهزؤا بها ويجوز ان يكون السوءى صلة الفعل وان
كذبوا تابعها والخبر محذوف للابهام والتهويل وان تكون ان مفسرة لان الاساءة
اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن
عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على ان الاسم السوءى او ان كذبوا على الوجوه المذكورة
الله يبدؤ الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم ثم اليه ترجعون للجزاء والعدول الى الخطاب
للمبالغة في المقصود وقرأ ابو بكر وابو عمرو وروح بالياء على الاصل ويوم تقوم
الساعة يبلس المجرمون يسكتون متحيرين ايسين يقال ناظرته فابلس اذا
سكت وايس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه
اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم من اشركوهم بالله شفعاء يجيرونهم من عذاب
الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه وكانوا بشركائهم كافرين يكفرون بالهتهم
حين يئسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب في المصحف شفعوا
وعلموا بني اسرائيل بالواو والسواى بالالف اثباتا للهمز على صورة الحرف الذي منه

حركته

حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي المؤمنون والكافرون لقوله
فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة ارض ذات ازهار وانهار
يحبرون يسرون سرورا تهللت له وجوههم واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا
ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون مدخلون لا يغيبون عنه فسبحان
الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين
تظهرون اخبار في معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الاوقات التي
تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها من الشواهد
الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض وتخصيص
التسبيح بالمساء والصباح لان اثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشي
الذي هو اخر النهار من عشي العين اذا نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه
لان تجدد النعم فيها اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله
وله الحمد في السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس رضه ان الاية جامعة للصلوات
الخمس تمسون صلوة المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر
وتظهرون صلوة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول
كان الواجب بمكة ركعتين في اي وقت اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة و
الاكثر على انها فرضت بمكة وعنه عم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل
فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في ليلته ومن
قال حين يمسي ادرك ما فاته في يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اي
تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة والطائر
من البيضة ويخرج الميت من الحي كالنطفة والبيضة او يعقب الحيوة الموت و

ويالعكس ويحيي الارض بالنبات بعد موتها بيبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج
تخرجون من قبوركم فانه ايضا تعقيب الحيوة الموت وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء
ومن اياته ان خلقكم من تراب اي في اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه ثم اذا انتم
بشر تنتشرون ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض ومن اياته ان خلق
لكم من انفسكم ازواجا لان حوا خلقت من ضلع آدم وساير النساء خلقن من
نطف الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس اخر لتسكنوا اليها لتميلوا اليها وتألفوا
بها فان الجنسية علة الضم والاختلاف سبب للتنافر وجعل بينكم اي بين
الرجال والنساء او بين افراد الجنس مودة ورحمة بواسطة الزواج حال الشبق
وغيرها بخلاف ساير الحيوانات نظما لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف
على التعارف والتعاون المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع
والرحمة عن الولد لقوله تعالى ورحمة منا ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون
فيعلمون ما في ذلك من الحكم ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف
السنتكم لغاتكم بان علم كل صنف لغته او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس
نطقكم واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية والوانكم
بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث
يقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية
لهما في التخليق يختلفان في شيء لا محالة ان في ذلك لآيات للعالمين لا تكاد
تخفى على عاقل من ملك او انس او جن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله
تعالى وما يعقلها الا العالمون ومن اياته منامكم في الزمانين لاستراحة
القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل

وابتغاؤكم بالنهار من فضله فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من
الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده ساير الآيات الواردة
فيه ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة
ومن اياته يريكم البرق مقدر بان كقوله * الا ايها الزاجري احضر الوغى * وان
اشهد اللذات هل انت مخلدي * او الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقولهم تسمع
بالمعيدي خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق كقوله * فما الدهر
الا تارتان فمنهما * اموت واخرى ابتغي العيش اكدح * خوفا من الصاعقة وللمسافر
وطمعا في الغيث للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم
رؤيتهم او له على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع او تأويل الخوف والطمع
بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال مثل كلمته شفاها
وينزل من السماء ماء وقرئ بالتشديد فيحيي به الارض بعد موتها بيبسها ان
في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية
تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته ومن اياته ان تقوم السماء والارض
بامره قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما في حيزهما المعينين من غير مقيم محسوس
والتعبير بالامر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة ثم اذا دعاكم دعوة من
الارض اذا انتم تخرجون عطف على ان تقوم على تأويل مفرد كانه قيل ومن
اياته قيام السموات والارض بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة
فيقول ايها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته
بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعي المطاع على دعائه
وثم اما للتراخي زمانه او لعظم ما فيه ومن الارض متعلق بدعا كقوله دعوته

من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها واذا الثانية للمفاجأة
ولذلك ناب مناب الفاء في جواب الاولى وله من في السموات والارض كل له قانتون
منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون عليه وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده بعد
هلاكهم وهو اهون عليه والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس
فالقياس على اصولكم والا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى
هين وتذكير هو لاهون او لان الاعادة بمعنى ان يعيد وله المثل الاعلى الوصف
العجيب الشان كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن فسره بقوله لا اله الا الله اراد
به الوصف بالوحدانية الاعلى الذي ليس لغيره ما يساويه او يدانيه في السموات والارض
يصفه به ما فيهما دلالة ونطقا وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته الحكيم
الذي يجري الافعال على مقتضى حكمته ضرب لكم مثلا من انفسكم منتزعا من احوالها
التي هي اقرب الامور اليكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من مواليكم من شركاء فيما رزقناكم
من الاموال وغيرها فانتم فيه سواء وتكونون انتم وهم فيه شرع يتصرفون فيه كتصرفكم
مع انهم بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة
مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي تخافونهم ان يستبدوا بتصرف فيه
كخيفتكم انفسكم كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض كذلك مثل ذلك التفصيل نفصل
الآيات نبينها فان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لقوم يعقلون يستعملون
عقولهم في تدبر الامثال بل اتبع الذين ظلموا بالاشراك اهواءهم بغير علم جاهلين
لا يكفهم شيء فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه فمن يهدي من اضل الله
فمن يقدر على هدايته وما لهم من ناصرين يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم
عن آفاتها فاقم وجهك للدين حنيفا فقومه له غير ملتفت او ملتفت عنه وهو

للاقبال
تمثيل والاستقامة عليه والاهتمام به فطرت الله خلقته نصب على الاغراء او المصدر لما
دل عليه ما بعدها التي فطر الناس عليها خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من
ادراكه او الملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وقيل العهد المأخوذ
من آدم وذريته لا تبديل لخلق الله لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغي ان يغير ذلك اشارة
الى الدين المأمور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة الدين القيم المستوي
الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم منيبين
اليه راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من
الناب وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لان الآية خطاب
للرسول والامة لقوله واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين غير انها
صدرت بخطاب الرسول تعظيما له من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين و
تفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وقرأ حمزة والكسائي
فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به وكانوا شيعا فرقا تشايع كل امامها
الذي اصل دينها كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون ظنا بانه
الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا واذا مس
الناس ضر شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين اليه من دعاء غيره ثم
اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون
فاجأ فريق منهم الاشراك بربهم الذي عافاهم ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه
للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله فتمتعوا غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ
وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض ام انزلنا
عليهم سلطانا حجة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم دلالة

كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ونطق بما كانوا به يشركون باشراكهم وصحته او بالامر
الذي بسببه يشركون به في الوهيته وإذا أذقنا الناس رحمة نعمة من صحة وسعة
فرحوا بها بطروا بسببها وإن تصبهم سيئة شدة بما قدمت أيديهم بشؤم معاصيهم إذا هم
يقنطون فاجؤوا القنوط من رحمته وقرأ ابو عمرو والكسائي بكسر النون أولم يروا أن
الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كا
المؤمنين إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فآت
ذا القربى حقه كصلة الرحم واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به
والمسكين وابن السبيل ما وظف لهما من الزكاة والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لمن بسط له ولذلك
رتب على ما قبله بالفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته اي يقصدون
بمعروفهم اياه خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى وأولئك هم المفلحون حيث حصلوا
بما بسط لهم النعيم المقيم وما آتيتم من ربا زيادة محرمة في المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد مكافاة
وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربا ليربو في اموال الناس ليزيد ويزكو
في اموالهم فلا يربو عند الله فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه وقرأ نافع ويعقوب لتربوا
اي لتزيدوا او لتصيروا ذوي ربا وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله تبتغون به
وجهه خالصا فأولئك هم المضعفون ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي
والموسر لذي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم او اموالهم ببركة زكوتهم
وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه
للتعظيم كأنه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كأنه قال من
فعل ذلك فاولئك هم المضعفون واولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم
ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له

لوازم الالوهية ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على
ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون له
شركاء فقال سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من
شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع
الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي فكل منها مستقلة بالتأكيد
لتعجيز الشركاء وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب
والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار والضلالة
والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور بما كسبت ايدي الناس
بشؤم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه وفي
البحر بان جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا بعض جزائه
فان تمامه في الآخرة واللام للعلة او للعاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون لعلهم
يرجعون عما هم عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل
ليشهدوا مصداق ذلك ويتحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين استئناف للدلالة
على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك في اكثرهم وما دونه
من المعاصي في قليل منهم فأقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة من قبل
ان يأتي يوم لا مرد له لا يقدر ان يرده احد وقوله من الله متعلق بيأتي ويجوز
ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ
يصدعون يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال من كفر
فعليه كفره اي وباله وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون
يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص

تفضل
ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله علة ليمهدون او ليصدعون والاقتصار
على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى كلامه انه
لا يحب الكافرين فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتأكيد اختصاص الصلاح
المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له ومن فضله دال على ان الاثابة تفضل
محض وتأويله بالعطاء والزيادة على الثواب عدول عن الظاهر ومن آياته ان يرسل
الرياح الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب
ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح
على ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته يعني المنافع التابعة لها وقيل
الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي هو مع هبوبها والعطف على
علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل
دل عليه ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله يعني تجارة البحر ولعلكم تشكرون
ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤوهم بالبينات
فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير وكان حقا علينا نصر المؤمنين اشعار
بان الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله تعالى ان ينصرهم
وعنه عليه السلام ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله تعالى ان يرد عنه نار
جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام الله الذي يرسل
الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء في سمتها كيف يشاء سائرا
او واقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا
قطعا تارة اخرى وقرأ ابن عامر بالسكون على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر
وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به من

يشاء من عباده يعني بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون لمجيء الخصب
وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتأكيد والدلالة على
تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال
لمبلسين لآيسين فانظر الى آثار رحمت الله اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع
الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص كيف يحيي الارض بعد موتها
وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة ان ذلك يعني الذي قدر على احياء الارض
بعد موتها لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم
من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا ويحتمل
ان يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من مواد ما تفتتت وتبددت من جنسها
في بعض الاعوام السالفة وهو على كل شيء قدير لان نسبة قدرته على جميع الممكنات على
سواء ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا فرأوا الاثر او الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم
وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط
وقوله لظلوا من بعده يكفرون جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه
الآيات ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم
وسوء رأيهم فان النظر السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله تعالى ويلتجئوا اليه بالاستغفار
اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته وان يبادروا الى الشكر والاستدامة
بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا ضرب
زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمته فانك لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما سدوا عن الحق
مشاعرهم ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين قيد الحكم به ليكون اشد استحالة
فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة الحركات شيئا فشيئا وقرأه

ابن كثير بالياء مفتوحة ورفع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم سماهم عميا
لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمي قلوبهم وقرء حمزة وحده تهدي العمي
ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي اللفظ وتدبر المعنى
ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان فهم مسلمون لما تامرهم به الله الذي خلقكم
من ضعف اي ابتداكم ضعفا وجعل الضعف اساس امركم لقوله خلق الانسان من
عجل او خلقكم من اصل ضعيف وهو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك اذا
اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة
اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد في جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر رضي
قرأتها على رسول الله صلعم من ضعف فاقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر
والتنكير مع التكرير لان المتأخر ليس عين المتقدم يخلق ما يشاء من ضعف وقوة و
شيبة وشيبة وهو العليم القدير فان الترديد في الاحوال المختلفة مع امكان
غيره دليل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة القيامة سميت بها لانها تقوم في ساعة
وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا في الدنيا
او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين
فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام غير ساعة
استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم في الاخرة او نسيانا كذلك مثل ذلك
الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا يؤفكون يصرفون في الدنيا وقال الذين اوتوا
العلم والايمان الملائكة والانس لقد لبثتم في كتاب الله في علمه او قضائه
او ما كتبه لكم اي اوجبه او اللوح او القرآن وهو قوله تعالى ومن ورائهم برزخ
الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه فهذا يوم البعث الذي انكرتموه

ولكنكم

ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في النظر والفاء لجواب شرط محذوف تقديره
ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اي فقد تبين بطلان انكاركم فيومئذ لا ينفع
الذين ظلموا معذرتهم وقرأ الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر
او لان تأنيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي
اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم
استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا
القرآن من كل مثل ولقد وصفناهم فيه بانواع الصفات التي هي في الغرابة كالامثال
مثل صفة المبعوثين يوم القيمة فيما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون لهم من
الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بينا لهم من كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث
وصدق الرسول ولئن جئتهم باية من ايات القرآن ليقولن الذين كفروا من فرط
عنادهم وقساوة قلوبهم ان انتم يعنون الرسول والمؤمنين الا مبطلون مزورون
كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم و
يصرون على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب
تكذيب المحق فاصبر على اذاهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين
كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك ولا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا
يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك
وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ ولا يستحقنك اي لا يزيغنك فيكونوا احق بك
من المؤمنين عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد كل ملك سبح الله تعالى بين السماء والارض وادرك ما ضيعه في يومه وليلته
سورة لقمان مكية وقيل الا اية وهي الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فان

فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف لانه لا ينافي شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلاثا من قوله
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وهي اربع وثلثون ايات
بسم الله الرحمن الرحيم
الم تلك ايات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين حالان من الايات و
العامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر او الخبر محذوف الذين يقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون بيان لاحسانهم
او تخصيص لهذه الثلثة من شعبه لفضل اعتداد بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما
حيل بينه وبين خبره اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون
لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح ومن الناس من يشتري لهو الحديث
ما يلهي عما يعني كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتبار فيها
والمضاحيك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهي تبيينية ان اراد به الحديث
المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت في النضر بن الحارث اشترى
كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد
وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري
القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل
الله دينه او قراءة كتابه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله
ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة
القرآن ويتخذها هزوا ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائي و
يعقوب وحفص عطفا على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق
باستيثار الباطل عليه واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا متكبرا لا يعبأ بها

كان لم يسمعها مشابها حاله حال من لم يسمعها كان في اذنيه وقرا مشابها من
في اذنيه ثقل لا يقدر ان يسمع والاولى حال من المستكن في ولى او مستكبرا والثانية
بدل منها او حال من المستكن في لم يسمعها ويجوز ان يكونا استينافين فبشره
بعذاب اليم اعلمه بان العذاب يحيقه لا محالة وقرأ نافع في اذنيه وذكر البشارة
على التهكم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم اي لهم
نعيم جنات فعكس للمبالغة خالدين فيها حال من الضمير في لهم او جنات و
العامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني
لغيره لان قوله جنات وعد وليس كل وعد حقا وهو العزيز الذي لا يغلبه
شيء فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده الحكيم الذي لا يفعل الا ما يستدعيه
حكمته خلق السموات بغير عمد ترونها استيناف قد سبق في الرعد
والقى في الارض رواسي جبالا شوامخ ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم فان
تشابه اجزائها يقتضي تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها
لذاته او لشيء من لوازمه بحيز ووضع معينين وبث فيها من كل دابة وانزلنا
من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنفعة وكانه
استدل به على عزته التي هي كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها
بقوله هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه هذا الذي ذكر
مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق او ما مرتفع
بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني معلق عنه بل الظالمون في ضلال مبين
اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذي لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر
موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم ولقد اتينا لقمان الحكمة

يعني لقمان بن باعوراء من اولاد آزر ابن اخت ايوب او خالته وعاش حتى ادرك داود
واخذ منه العلم والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء
استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال
الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع
فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم
وقليل فاعله وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يد غيري فتفكر داود فيه
فصعق صعقة وانه امر بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان
والقلب ثم بعد ايام امر بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال
هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا ان اشكر لله لان اشكر او اي اشكر فان
ايتاء الحكمة في معنى القول ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان نفعه عائد اليها وهو دوام
النعمة واستحقاق مزيدها ومن كفر فان الله غني لا يحتاج الى الشكر حميد
حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال واذ قال لقمان
لابنه انعم او اشكم او ماثان وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير يا بني
لا تشرك بالله باسكان الياء وقيل يا بني اقم الصلوة باسكان الياء وحفص فيهما و
في يا بني انها ان تك بفتح الياء والبزي مثله في الاخير وقرأ الباقون في الثلثة
بكسر الياء ولا تشرك بالله قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا
تشرك جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا
نعمة منه اصلا ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا ذات وهن او تهن
وهنا على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها
والجملة في موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا

وفصاله

وفصاله في عامين وفطامه في انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ و
فصله وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان ان اشكر لي ولوالديك تفسير
لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال في البين اعتراض
مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ومن ثم قال لمن قال من ابر امك ثم امك ثم امك
ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي المصير فاحاسبك على شكرك وكفرك وان جاهداك
على ان تشرك بي ما ليس لك به علم باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما و
قيل اراد بنفي العلم به نفيه فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا
معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم واتبع في الدين سبيل من اناب الي
بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم مرجعك ومرجعهما فانبئكم
بما كنتم تعملون بان اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان
في تضاعيف وصية لقمان تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كانه قال وقد وصينا
بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلوا الباري
في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز ان يستحقها في الاشراك فما ظنك بغيرهما
ونزولها في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلثا لم تطعم فيها شيئا
ولذلك قيل من اناب الي ابو بكر فانه اسلم بدعوته يا بني انها ان تك مثقال
حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة والاحسان ان تك مثلا في الصغر
كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتانيثها
لاضافة المثقال الى الحبة كقول الشاعر: كما شرقت صدر القناة من الدم، او لان
المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض في اخفى
مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاه كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ

بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر في وكنته يأت بها الله يحضرها فيحاسب عليها ان الله
لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك وأمر
بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد سيما في
ذلك ان ذلك اشارة الى الصبر او الى كل ما امر به من عزم الامور مما عزمه الله من الامور اي
قطعه قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا
عزم الامر اي جد ولا تصعر خدك للناس لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما
يفعل المتكبرون من الصعر وهو الصيد داء يعتري البعير فيلوي عنقه وقرأ نافع وابو عمرو
وحمزة والكسائي ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل علاه واعلاه وعالاه ولا تمش
في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر
ان الله لا يحب كل مختال فخور علة للنهي وتاخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده
والمختال للماشي مرحا لتوافق رؤس الاي واقصد في مشيك توسط فيه بين الدبيب
والاسراع وعنه عم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة كان اذا مشى
اسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد
سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اوحشها
لصوت الحمير والحمار مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال الطويل الاذنين وفي
تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد
الصوت لان المراد تفضيل الجنس في النكير دون الاحاد او لانه مصدر في الاصل
الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات بان جعلها اسبابا محصلة لمنافعكم
وما في الارض بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او غير وسط واسبغ عليكم نعمه
ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة و

تفصيلها

وتفصيلها في الفاتحة وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار في كل سين اجتمع مع
الغين والخاء والقاف كصلخ وصقر وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة ومن
الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا
هدى راجع الى الرسول ولا كتاب منير انزله الله تعالى بل بالتقليد كما قال واذا
قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا وهو منع
صريح من التقليد في الاصول اولو كان الشيطان يدعوهم يحتمل ان يكون
الضمير لهم ولابائهم الى عذاب السعير اي ما يؤل اليه من التقليد او الاشراك
وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار او للتعجب ومن يسلم
وجهه الى الله بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمت المتاع الى الزبون
ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمن معنى الاخلاص وهو
محسن في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل
للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى في شاهق فتمسك باوثق عرى الحبل
المتدلي منه والى الله عاقبة الامور اذ الكل صائر اليه ومن كفر فلا يحزنك
كفره فانه لا يضرك في الدنيا والاخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن وليس بمستفيض
الينا مرجعهم في الدارين فننبئهم بما عملوا بالاهلاك والتعذيب ان الله عليم
بذات الصدور فمجاز عليه فضلا عما في الظاهر نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا
فانما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل
عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط ولئن سالتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى
غيره بحيث اضطروا الى اذعانه قل الحمد لله على الزامهم والجائهم الى الاعتراف

بما يوجب بطلان معتقدهم بل أكثرهم لا يعلمون أن ذلك يلزمهم لله ما في السموات
والارض لا يستحق العبادة فيهما غيره إن الله هو الغني عن حمد الحامدين الحميد المستحق
للحمد وان لم يحمد ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ولو ثبت كون الاشجار اقلاما و
توحيد شجرة لان المراد تفصيل الاحاد والبحر يمده من بعده سبعة أبحر والبحر
المحيط بسعته مدادا ممدودا بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد بيمده لانه من مد الدواة
وامدها ورفعه للعطف على محل ان ومعمولها ويمده حال او الابتداء على انه مستانف
او للحال ونصبه البصريان بالعطف على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده وقرئ يمده
بالتاء والياء ما نفدت كلمات الله بكتبها بتلك الاقلام وبذلك المداد و
ايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير إن الله عزيز لا يعجزه
شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر والاية جواب لليهود سالوا رسول الله او امروا
وفد قريش ان يسالوه عن قوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد انزل التورية
وفيها علم كل شيء ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله
شان عن شان لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال
تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون إن الله سميع يسمع كل
مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق ألم تر أن
الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل
يجري كل من النيرين يجري في فلكه إلى أجل مسمى الى منتهى معلوم الشمس الى اخر السنة
والقمر الى اخر الشهر وقيل الى يوم القيمة والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل
ههنا منتهى الجري وثمة غرضه حقيقة او مجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات
وأن الله بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك اشارة الى الذي ذكر من سعة العلم

وشمول

وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري بها بأن الله هو الحق بسبب
انه الثابت في ذاته الواجب من جميع ذاته او الثابت الهيته وأن ما تدعون
من دونه الباطل المعدوم في حد ذاته لا يوجد ولا يتصف الا بجعله او
الباطل الهيته وقرا البصريان والكوفيين غير ابي بكر بالياء وأن الله هو العلي
الكبير مترفع على كل شيء ومتسلط عليه ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة
الله باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد اخر على باهر قدرته وكمال حكمته
وشمول انعامه والباء للصلة او الحال وقرئ والفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون
العين وقد جوز في مثله الكسر والفتح والسكون ليريكم من آياته دلائله إن
في ذلك لآيات لكل صبار شكور على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الافاق
والانفس شكور يعرف النعم ويتعرف مانحها او للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف
صبر ونصف شكر وإذا غشيهم علاهم وغطاهم موج كالظلل كما يظل من جبل
او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له
الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف والشدة بل
فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد مقيم على الطريق القصد الذي هو التوحيد
او متوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار غدار
فانه نقض للعهد الفطري ولما كان في البحر والختر اشد الغدر كفور للنعم يا أيها
الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ
لا يجزئ من اجزا اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف اي لا يجزي فيه ولا مولود
عطف على والد او مبتدا خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على
ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر

في الاخرة إن وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحياة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي
إن الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو اتى رسول
الله فقال متى قيام الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امراتي
ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه مفاتح الغيب خمس وتلا هذه
الاية وينزل الغيث في ابانه المقدر له والمحل المعين له في علمه وقرا ابن عامر و
نافع وعاصم بالتشديد ويعلم ما في الأرحام اذكر ام انثى تام ام ناقص وما تدري
نفس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم على شيء وتفعل خلافه وما تدري
نفس بأي أرض تموت كما لا تدري في اي وقت روي ان ملك الموت مر على سليمان
فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني
فمر الريح ان تحملني وتلقيني بالهند ففعل فقال الملك كان دوام نظري اليه تعجبا منه
اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله والدراية للعبد
لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل عليه انه ان عمل حيلة وابعد فيها
وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيرهما لم ينصب له دليلا عليه
وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تانيثها بتانيث كل في كلتهن إن الله عليم يعلم
الاشياء كلها خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه من قرا سورة لقمان كان
له لقمان رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهي عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلثون آية وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ان جعل اسما للسورة او القران فمبتدا خبره تنزيل الكتاب على ان التنزيل بمعنى

المنزل

المنزل وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره لا
ريب فيه فيكون من رب العالمين حالا من الضمير في فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد
الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير
في فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله أم يقولون افتراه فانه انكار لكونه من رب
العالمين وقوله بل هو الحق من ربك فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا انه اشار
اولا الى اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم
اضرب عن ذلك الى ما يقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه فان ام
منقطعة ثم اضرب عنه الى اثبات انه الحق المنزل من الله تعالى وبين المقصود من تنزيله
فقال لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك اذ كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون
بانذارك اياهم الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم
استوى على العرش مر بيانه في الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ما لكم
اذا جاوزتم رضاء الله احد ينصركم ويشفع لكم او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل
هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به للناصر
فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر أفلا تتذكرون بمواعظ الله تعالى يدبر الأمر
من السماء إلى الأرض يدبر امر الدنيا باسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة
اثارها الى الارض ثم يعرج إليه ثم يصعد اليه ويثبت في علمه موجودا في يوم كان
مقداره ألف سنة مما تعدون في برهة من الزمان متطاولة يعني بذلك
استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره في اللوح فينزل
به الملك ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة
الف سنة فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضي قضاء الف

فينزل به الملك ثم يعرج هذا الالف الى الف الاخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يعرج اليه
الامر كله يوم القيمة وقيل يدبر المامور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحي
ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخالص وقرئ
يعرج ويعدون ذلك عالم الغيب والشهادة فيدبر امرها على وفق الحكمة العزيز الغالب
على امره الرحيم على العباد في تدبيره وفيه ايماء بانه يراعي المصالح تفضلا واحسانا الذي
احسن كل شيء خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه
بدل من كل شيء بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته
وخلقه مفعول ثان وقرء نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشيء على الاول مخصوص
بمنفصل وعلى الثاني بمتصل وبدا خلق الانسان يعني ادم من طين ثم جعل نسله ذريته
سميت به لانها تنسل منه اي تنفصل من سلالة من ماء مهين ممتهن ثم سويه قومه بتصوير
اعضائه على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافة الى نفسه تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب
وان له شانا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله قيل من عرف نفسه فقد عرف ربه
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما
تشكرون تشكرون شكرا قليلا وقالوا ائذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا مخلوطا
بتراب الارض لا نتميز منه او غبنا فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من
صل اللحم اذا انتن وقرء ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه ائنا لفي خلق
جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا وقرء نافع والكسائي ويعقوب انا على الخبر
والقائل ابي بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به بل هم بلقاء ربهم بالبعث او
بتلقي ملك الموت وما بعده كافرون جاحدون قل يتوفاكم يستوفي نفوسكم لا يترك
منها شيئا ولا يبقي منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقضيته واستقضيته وتعجلته

واستعجلته ملك الموت الذي وكل بكم بقبض ارواحكم واحصاء اجالكم ثم الى ربكم ترجعون
للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزي
ربنا قائلين ربنا ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا منك تصديق رسلك فارجعنا الى
الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره
لرايت امرا فظيعا ويجوز ان يكون لو للتمني والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في علم الله
تعالى بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك رؤية في هذا الوقت
او يقدر ما دل عليه صلة اذ والخطاب للرسول او لكل احد ولو شئنا لاتينا كل
نفس هداها ما تهتدي به الى الايمان والعمل بالتوفيق له ولكن حق القول مني ثبت قضائي
وسبق وعيدي وهو لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وذلك تصريح بعدم
ايمانهم لعدم المشية المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولا يدفعه جعل ذوق
العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم
لقاء يومكم هذا فانه من الوسائط والاسباب المقتضية له انا نسيناكم تركناكم من الرحمة
او في العذاب ترك المنسي وفي استيناف وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام
منهم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون كرر الامر للتاكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله
وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبر امر العاقبة
والتفكر فيها دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها
وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذاب الله وسبحوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث
بحمد ربهم حامدين له خوفا من عذاب الله وشكرا على ما وفقهم للاسلام واتاهم
الهدى وهم لا يستكبرون عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا تتجافى
جنوبهم ترتفع وتتنحى عن المضاجع الفرش ومواضع النوم يدعون ربهم داعين اياه

خوفا من سخطه وطمعا في رحمته وعن النبي صلعم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عم اذا
جمع الله الاولين والاخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلايق كلهم سيعلم اهل
الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع
فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء
فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان ناس
من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم ومما رزقناهم ينفقون في وجوه
الخير فلا تعلم نفس ما اخفي لهم لا ملك مقرب ولا نبي مرسل من قرة اعين مما تقر به عيونهم
وعنه عم يقول الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقروا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم وقرء
حمزة ويعقوب اخفي على انه مضارع اخفيت وقرئ نخفي واخفى والفاعل للكل هو الله
تعالى وقرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية
معلق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي جوزوا جزاء او اخفي للجزاء فان اخفاءه
لعلو شانه وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله تعالى ثوابهم افمن كان مؤمنا
كمن كان فاسقا خارجا عن الايمان لا يستوون في الشرف والمثوبة تاكيد وتصريح والجمع
للحمل على المعنى اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى فانها الماوى الحقيقي
والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة وقيل الماوى جنة من الجنان نزلا سبق في ال عمران
بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او على اعمالهم واما الذين فسقوا فماواهم النار
مكان جنة الماوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها
عبارة عن خلودهم فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون
اهانة لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم من العذاب الادنى في عذاب الدنيا يريد

ما محنوا به من السنة القحط سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب الاكبر عذاب
الاخرة لعلهم لعل من بقي منهم يرجعون يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة
فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه الايات ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه
ثم اعرض عنها فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها و
ارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما في بيت الحماسة ولا يكشف
الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها انا من المجرمين منتقمون فكيف
بمن كان اظلم من كل ظالم ولقد اتينا موسى الكتاب كما اتيناك فلا تكن في
مرية في شك من لقائه من لقاء الكتاب كقوله وانك لتلقى القران فانا اتيناك من
الكتاب مثل ما اتيناه منه فليس ببدع ما لم يكن قط حتى ترتاب فيه او من لقاء موسى
الكتاب او من لقائك موسى وعنه عم رايت ليلة اسري بي موسى عم رجلا ادم طوالا
جعدا كانه من رجال شنوءة وجعلناه اي المنزل على موسى هدى لبني اسرائيل
وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام بامرنا اياهم به
او بتوفيقنا له لما صبروا وقرء حمزة والكسائي ورويس لما صبروا اي لصبرهم على
الطاعة او عن الدنيا وكانوا باياتنا يوقنون لامعانهم فيها بالنظر ان ربك هو
يفصل بينهم يوم القيمة فيقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل فيما كانوا
فيه يختلفون من امر الدين اولم يهد لهم الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف
والفاعل ضمير ما دل عليه كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي كثرة من اهلكناهم
من القرون الماضية او ضمير الله بدلالة القراءة بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل
مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشون بالتشديد ان في ذلك
لايات افلا يسمعون سماع تدبر واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز

التي جرز نباتها اى قطع وازيل لا التي لا تنبت لقوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع
باليمن تاكل منه اى بالزرع انعامهم كالتبن والورق وانفسهم كالحب والثمر افلا يبصرون
فيستدلون به على كمال قدرته وفضله ويقولون متى هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من
قوله ربنا افتح بيننا ان كنتم صادقين في الوعد به قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا
ايمانهم ولا هم ينظرون وهو يوم القيمة فانه يوم نصر المؤمنين على الكفرة والفصل بينهم
وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا ام المقتولون منهم فيه فانه لا ينفعهم
ايمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا على سؤالهم من حيث المعنى باعتبار
ما عرف من غرضهم فانهم لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال
فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ باية السيف وانتظر النصرة
عليهم انهم منتظرون الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى انهم احقاء بان ينتظر
هلاكهم او ان الملائكة ينتظرونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل الكتاب وتبارك
الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل الكتاب

سورة الاحزاب في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام مدنية وهي ثلث وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اتق الله ناداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشان التقوى
والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهى عنه بقوله ولا تطع الكافرين
والمنافقين اى فيما يعود بوهن في الدين روي ان ابا سفيان وعكرمة بن ابي
جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم
ابن ابي ومعتب بن قشير وجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر الهتنا وقل انها
تشفع وندعك وربك فنزلت ان الله كان عليما بالمصالح والمفاسد حكيما لا يحكم

الا بما يقتضيه الحكمة واتبع ما يوحى اليك من ربك كالنهي عن طاعتهم ان الله كان
بما تعملون خبيرا فموح اليك ما يصلحه ويغني عن الاستماع من الكفرة وقرأ ابو عمرو
بالياء على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين اى ان الله خبير بمكائدهم فيدفعها
عنك وتوكل على الله وكل امرك الى تدبيره وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور كلها
ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ما جمع قلبين في جوف لان القلب معدن الروح
الحيواني المتعلق للنفس الانساني اولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد
وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم
ابناءكم وما جمع الزوجية والامومة في امراة ولا الدعوة والبنوة في رجل و
المراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل
لابي معمر او لجميل بن اسد الفهري ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها كالام ودعي الرجل
ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن محمد او المراد
نفي الامومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفي القلبين لتمهيد اصل يحمل عليه
والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لادائه الى تناقض وهو ان يكون كل منهما
اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة والدعي الذين لا ولادة بينها وبينه
وامه وابنه الذين بينهما وبينه ولادة وقرأ ابن عمرو اللاي بالياء وحده على
ان اصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمزة
وحده واصل تظهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية في الظاء وقرأ ابن عامر
تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائي بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ
تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من اظهر ومعنى الظهار
ان يقول للزوجة انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية

من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام
يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف
وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او
للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان المراة وظهرها الى السماء وادعياء
جمع دعي على الشذوذ فكانه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم اشارة الى
كل ما ذكر او الى الاخير قولكم بافواهكم لا حقيقة له في الاعيان كقول الهاذي
والله يقول الحق ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدي السبيل سبيل
الحق ادعوهم لابائهم انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة وقوله
هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل قصد به
الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق فان لم تعلموا اباءهم
تنسبونهم اليهم فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم في الدين ومواليكم
اولياؤكم فيه فقولوا هذا اخي ومولاي بهذا التاويل وليس عليكم جناح
فيما اخطأتم به ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي او بعده
على النسيان وسبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدت
او ولكن فيما تعمدت فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ
واعلم ان التبني لا عبرة له عندنا وعند ابي حنيفة رحمه الله يوجب عتق مملوكه ويثبت
النسب لمجهوله الذي يمكن لحاقه به النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم في الامور
كلها فانه لا يامرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك
اطلق فيجب ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم من امرها و
شفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روي انه اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج

فقال ناس نستاذن اباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اى في الدين فان
كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة و
ازواجه امهاتهم منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك كالاجنبيات
ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء واولوا الارحام وذووا القرابات
بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة
والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزل وهو هذه الاية او اية المواريث
او فيما فرض الله من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام اى صلة لاولى
اى اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق
الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما يقدر الاولوية
فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا
كان ما ذكر في الايتين ثابتا في اللوح او في القران وقيل في التورية واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء
الى الدين القيم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى ابن مريم خصهم بالذكر
لانهم مشاهير ارباب الشرائع وقدم نبينا عليه السلام تعظيما له واخذنا منهم ميثاقا غليظا
عظيم الشان او مؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف تعظيما له ليسأل
الصادقين عن صدقهم اى فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيمة الانبياء
الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين
لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق او المؤمنين الذين صدقوا
عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم واعد للكافرين عذابا
اليما عطف على اخذنا من حيث ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين

او على ما دل عليه ليبا لكانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان
ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا ريح الصبا
وجنودا لم تروها الملائكة روى انه لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم
خرج اليهم في ثلاثة الاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب شهر لا
حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى بعث الله تعالى عليهم صبا باردة في ليلة
شاتية فاحصرتهم وسفت التراب في وجوههم واطفات نيرانهم وقلعت خيامهم
وماجت الخيل بعضها في بعض وكبرت الملائكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن
خويلد الاسدي اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وكان
الله بما تعملون من حفر الخندق وقرا البصريان بالياء اي بما يعمل المشركون من التحزب
والمحاربة بصيرا رائيا اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي
من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش
واذ زاغت الابصار مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب
الحناجر رعبا فان الرية تنتفخ من شدة الروع فيرتفع بارتفاعها الى راس
الحنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب وتظنون بالله الظنونا الانواع
من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز وعده في اعلاء دينه او ممتحنهم
فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكى عنهم
والالف مزيدة في امثاله تشبيها للفواصل بالقوافي وقد اجرى نافع وابن عامر
وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا
وهو القياس هنالك ابتلي المؤمنون اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت

من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح واذ يقول
المنافقون والذين في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله
من الظفر واعلاء الدين الا غرورا وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا
محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ
قالت طائفة منهم يعني اوس بن قيظي واتباعه يا اهل يثرب اهل المدينة
وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم لا موضع قيام لكم ها هنا
وقرا حفص بالضم على انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا الى منازلكم هاربة
وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا او لا
مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ويستاذن فريق منهم النبي
للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان
يكون تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها وما هي بعورة
بل هي حصينة ان يريدون الا فرارا اي وما يريدون بذلك الا الفرار
من القتال ولو دخلت عليهم دخلت المدينة او بيوتهم من اقطارها من
جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم
من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المترتب عليه ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة
المسلمين لاتوها لاعطوها وقرا الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها وما
تلبثوا بها بالفتنة اي باعطائها الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب وقيل
ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا
يولون الادبار يعني بني حارثة عاهدوا رسول الله صلعم يوم احد حين فشلوا
ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله وكان عهد الله مسئولا عن الوفاء به مجازى عليه

قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انف
او قتل في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا
اي وان لا ينفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا او زمانا
قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء ان اراد
بكم رحمة فاختصر الكلام كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في
العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع
الضر عنهم قد يعلم الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله صلعم وهم المنافقون
والقائلين لاخوانهم من ساكني المدينة هلم الينا قربوا انفسكم الينا وقد ذكر
اصله في الانعام ولا ياتون البأس الا قليلا الا اتيانا او زمانا او بأسا قليلا
فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكنهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون
الا قليلا لقوله تعالى ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم و
معناه لا ياتي اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم
بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبها
على الحال من فاعل ياتون او المعوقين او الذم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون
اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه كنظر المغشي عليه او كدوران
عينه او مشبهين به او مشبهة بعينه من الموت من معالجة سكرات الموت خوفا
ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد
ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد او اللسان اشحة على الخير نصب
على الحال او الذم ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرار لان كلا منهما مقيد من
وجه اولئك لم يؤمنوا اخلاصا فاحبط الله اعمالهم فاظهر بطلانها اذ لم تثبت

اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا
هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي هؤلاء
لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة وان
يات الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون
الى البدو حاصلون بين الاعراب يسالون كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم
عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا
الا قليلا رياء وخوفا من التعيير لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة
حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد او هو في
نفسه قدوة يحسن التاسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها
هذا القدر من الحديد وقرا عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجو الله و
اليوم الاخر اي ثواب الله ولقاءه ونعيم الاخرة او ايام الله واليوم الاخر خصوصا وقيل
هو كقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الاخر داخل فيها والرجاء يحتمل الامل والخوف
ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان الضمير للمخاطب لا
يبدل منه وذكر الله كثيرا وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسي
بالرسول من كان كذلك ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله
ورسوله بقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين من قبلكم
الاية وقوله عم سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عم
انهم سائرون اليكم بعد تسع او عشر وقرا حمزة وابو بكر بكسر الراء وفتح الهمزة و
صدق الله ورسوله وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما صدقا
في البلاء واظهار الاسم في التعظيم وما زادهم فيه ضمير لما راوا او الخطب او البلاء الا ايمانا

بالله ومواعيده وتسليما لأوامره ومقاديره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه من الثبات مع الرسول والمقاتلة لإعلاء الدين من صدقني إذا قال لك الصدق فإن
المعاهد إذا وفى بعهده فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه نذره بأن قاتل
حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر والنحب النذر استعير للموت لأنه
كنذر لازم في رقبة كل حيوان ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد
ولا غيروه تبديلا شيئا من التبديل روي أن طلحة ثبت مع رسول الله ص يوم أحد حتى
أصيبت يده فقال ع أوجب طلحة وفيه تعريض لأهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله
ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم تعليل
للمنطوق والمعرض به فكأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون
بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم أو المراد به التوفيق
للتوبة إن الله كان غفورا رحيما لمن تاب ورد الله الذين كفروا يعني الأحزاب
بغيظهم متغيظين لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل أو تعاقب وكفى
الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وكان الله قويا على إحداث ما يريده عزيزا
غالبا على كل شيء وأنزل الذين ظاهروهم ظاهروا الأحزاب من أهل الكتاب يعني
قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به ولذلك يقال
لقرن الثور فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وقرئ بضم السين روي أن جبريل
أتى رسول الله ص صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب فقال أتنزع لامتك والملائكة
لم يضعوا السلاح إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة وأنا عامد إليهم فأذن في الناس
أن لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة فحاصرهم إحدى وعشرين أو خمسا وعشرين حتى جهدهم
الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد

بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي ع وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق
سبعة أرقعة فقتل منهم ستمائة أو أكثر وأسر سبعمائة وأورثكم أرضهم مزارعهم و
وديارهم حصونهم وأموالهم نقودهم ومواشيهم وأثاثهم روي أنه ع جعل عقارهم
للمهاجرين فتكلم فيه الأنصار فقال إنكم في منازلكم وقال عمر أما تخمس كما خمست يوم
بدر قال لا إنما جعلت هذه لي طعمة وأرضا لم تطؤوها كفارس والروم وقيل
خيبر وقيل كل أرض تفتح إلى يوم القيامة وكان الله على كل شيء قديرا فيقدر
على ذلك يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا السعة
والتنعم فيها وزينتها زخارفها فتعالين أمتعكن أعطكن المتعة وأسرحكن
سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار وبدعة روي أنهن سألنه ثياب الزينة وزيادة
النفقة فنزلت فبدأ بعائشة رض فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات
اختيارها فشكر لهن الله ذلك فأنزل لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح
بإرادتهن الدنيا وجعلها قسيما لإرادتهن الرسول يدل على أن المخيرة إذا اختارت
زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك وإحدى الروايتين عن علي ويؤيده قول
عائشة رض خيرنا رسول الله ص فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح
المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لأن الفرقة كانت بإرادتهن كاختيار المخيرة
نفسها فإنه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف في وجوبه للمدخول
بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ أمتعكن وأسرحكن بالرفع على الاستئناف
وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن
أجرا عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لأنهن كلهن
كن محسنات يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة ظاهر

قبحها على قراءة ابن كثير وأبي بكر والباقون بكسر الياء يضاعف لها العذاب ضعفين
ضعفي عذاب غيرهن أي مثليه لأن الذنب منهن أقبح فإن زيادة قبحه تتبع زيادة فضل
المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الأنبياء بما لا يعاتب
به غيرهم وقرأ البصريان يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل و
نصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي وكيف
وهو سببه ومن يقنت منكن ومن يدم على الطاعة لله ورسوله ولعل ذكر الله
تعالى للتعظيم لقوله تعالى وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين مرة على الطاعة ومرة
على طلبهن رضاء النبي ص بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائي ويعمل
بالياء أيضا حملا على لفظ من ويؤتها على أن فيه ضمير اسم الله وأعتدنا لها رزقا كريما
في الجنة زيادة على أجرها يا نساء النبي لستن كأحد كجماعة واحدة من جماعة النساء في الفضل
إن اتقيتن مخالفة حكم الله تعالى ورضاء رسوله فلا تخضعن بالقول فلا تجئن بقولكن
خاضعا لينا مثل قول المريبات فيطمع الذي في قلبه مرض فجور وقرئ بالجزم عطفا
على محل فعل النهي على أنه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول وقلن
قولا معروفا حسنا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن من وقر يقر وقارا أو قر يقر
حذفت الأولى من راءي أقررن ونقلت كسرتها إلى القاف فاستغني عن همزة الوصل
ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت وهو لغة فيه ويحتمل أن يكون من قار
يقار إذا اجتمع ولا تبرجن ولا تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية الأولى تبرجا
مثل تبرج النساء في أيام الجاهلية القديمة وقيل هي ما بين آدم ونوح وقيل الزمان
الذي ولد فيه إبراهيم ع كانت تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض
نفسها والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد ع وقيل الجاهلية الأولى جاهلية الكفر

قبل الإسلام والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق في الإسلام ويعضده قوله ع لأبي الدرداء
إن فيك جاهلية قال جاهلية كفر أو إسلام قال بل جاهلية كفر وأقمن الصلاة وآتين
الزكاة وأطعن الله ورسوله في سائر ما أمركن به ونهاكن عنه إنما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لأمرهن ونهيهن على الاستئناف
ولذلك عمم الحكم أهل البيت نصب على النداء أو المدح ويطهركم عن المعاصي تطهيرا
واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة أهل
البيت بفاطمة وعلي وابنيهما عليهم السلام لما روي أنه ع خرج ذات غدوة وعليه مرط
مرحل من شعر أسود فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء الحسن والحسين فأدخلهما
فيه ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت والاحتجاج بذلك
على عصمتهم وكون إجماعهم حجة ضعيف لأن التخصيص بهم لا يناسب ما قبل
الآية وما بعدها والحديث يقتضي أنهم أهل البيت لا أنه ليس غيرهم واذكرن
ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين الأمرين وهو
تذكير بما أنعم عليهن حيث جعلهن أهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن
من برحاء الوحي مما يوجب قوة الإيمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء
والائتمار فيما كلفن به إن الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين
ولذلك خيركن ووعظكن أو يعلم من يصلح للنبوة ومن يصلح أن يكون أهل بيته
إن المسلمين والمسلمات الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله تعالى والمؤمنين
والمؤمنات المصدقين بما يجب أن يصدق والقانتين والقانتات
المداومين على الطاعة والصادقين والصادقات في القول والعمل والصابرين
والصابرات على الطاعات وعن المعاصي والخاشعين والخاشعات المتواضعين

تعالى بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات
الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات
بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات واجرا
عظيما على طاعتهم والاية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال
روي ان ازواج النبي صلعم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير
نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المؤمنين فما نزل فينا شيء فنزلت
وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري وعطف الزوجين على
الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله تعالى مسلمات مؤمنات
وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات وما كان لمؤمن ولا مؤمنة
ما صح له اذا قضى الله ورسوله اي قضى رسول الله صلعم وذكر الله لتعظيم امره والاشعار
بان قضاءه قضاء الله لانه نزلت في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب
خطبها رسول الله صلعم لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت
عقبة وهبت نفسها للنبي صلعم فزوجها من زيد امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم
ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم لله تعالى ورسوله والخيرة
ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما في سياق النفي وجمع
الثاني للتعظيم وقرا الكوفيون وهشام يكون بالياء ومن يعص الله ورسوله
فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب واذ تقول للذي انعم الله
عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك
الله فيه وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك زينب وذلك انه صلعم ابصرها بعد
ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب

بالتسبيـ

بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلعم و
قال اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رايت منها
الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال له امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا
تطلقها ضرارا وتعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان
طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه
ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانه حسن بل
على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك
ان يصمت او يفوض الامر الى الله فلما قضى زيد منها وطرا حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها
حاجة وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل
لا حاجة لي فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه امر بتزويجها منه او جعلها زوجته
بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي صلعم ان الله تولى انكاحي
وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم
وشاهد بين على قوة ايمانه لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم
اذا قضوا منهن وطرا علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه حكم الامة واحد الا ما
خصه الدليل وكان امر الله امره الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج
زينب ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان
ومنه فروض العسكر لارزاقهم سنة الله سن ذلك سنة في الذين خلوا من قبل
من الانبياء وهو نفي الحرج عنهم فيما اباح لهم وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء
مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح
لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله

تعريض بعد تصريح وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغي ان لا يخشى الا منه
ما كان محمد ابا احد من رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد
وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والقاسم
وابراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم ولكن
رسول الله وكل رسول ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم
واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول
الله من عرفتم انه لم يعش له ولد ذكر وخاتم النبيين واخرهم الذي ختمهم او ختموا
به على قراءة عاصم بالفتح فلو كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا كما قال صلعم في
ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى عم بعده لانه اذا
نزل كان على دينه مع ان المراد انه اخر من نبئ وكان الله بكل شيء عليما فيعلم من
يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شانه يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا
كثيرا يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو اهله من التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد و
سبحوه بكرة واصيلا اول النهار واخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة
على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار
لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلوة
هو الذي يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما
يصلحكم والمراد بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم
مستعار من الصلو وقيل الترحم والانعطاف المعنوي ماخوذ من الصلوة المشتملة
على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة
دعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم مجابو الدعوة

ليخرجكم

ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان و
الطاعة وكان بالمؤمنين رحيما حيث اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل
في ذلك ملائكته المقربين تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه
يوم لقائه عند الموت او الخروج عن القبر او دخول الجنة سلام اخبار بالسلامة
عن كل مكروه وافة واعد لهم اجرا كريما هي الجنة ولعل اختلاف النظم لمحافظة
الفواصل والمبالغة فيما هو اهم يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت
اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته باذنه
بتيسيره واطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتاتى
الا بمعونة من جناب قدسه وسراجا منيرا يستضاء به عن ظلمات الجهالات ويقتبس
من نوره انوار البصائر وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا على
سائر الامم او على اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك
ولا تطع الكافرين والمنافقين تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم ودع اذاهم
ايذاءهم اياك ولا تحتفل به او ايذاءك اياهم مجازاة او مواخذة على كفرهم
ولذلك قيل انه منسوخ وتوكل على الله فانه يكفيهم وكفى بالله وكيلا موكولا
اليه الامر في الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب
يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل له
وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة
باذاهم والداعي الى الله تعالى بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء

به فان من ناداه الله بربها نا على جميع خلقه كان حقيقا بان يكتفى به عن غيره يا ايها الذين
امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن تجامعوهن وقراه
حمزة والكسائي بالالف وضم التاء فما لكم عليهن من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن
تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله
او تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما
لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء
بمعنى يعتدون فيها وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات
والحكم عام للتنبيه على ان من شان المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة تخيرا لنطفته وفائدة
ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة كما يؤثر في النسب
يؤثر في العدة فمتعوهن اي ان لم يكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف
المفروض دون المتعة وهي سنة ويجوز ان يؤول التمتيع بما يعمهما او الامر المشترك
بين الوجوب والندب فان المتعة سنة للمفروض لها وسرحوهن اخرجوهن من
منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز
تفسيره بالطلاق السني لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن يا ايها
النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن مهورهن لان المهر
اجر على البضع وتقييد الاحلال له باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل
لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك
مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدو امرها وما جرى عليها وتقييد
القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات عمك وبنات عماتك وبنات

خالاتك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة
ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلعم فاعتذرت اليه فعذرني
ثم انزل الله تعالى هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامراة مؤمنة
ان وهبت نفسها للنبي نصب بفعل يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه
التقييد بان التي للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك حل امراة
مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق
ذلك والقائل به ذكر اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام
شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ ان بالفتح اي لان وهبت او مدة ان
وهبت كقولك اجلس ما دام زيد جالسا ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط
الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا توجب له حلها الا بارادة نكاحها
فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم
الرجوع اليه في قوله خالصة لك من دون المؤمنين ايذان بانه مما خص به لشرف
نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد
بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه السلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح
طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد اي خلص احلالها او احلال
ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير في وهبت او
صفة لمصدر محذوف اي هبة خالصة قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم
من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطئ حيث لم يسم وما ملكت ايمانهم
من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغي ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله لكيلا
يكون عليك حرج ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين

في نحو ذلك لمجرد قصد التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة والعكس اخرى وكان الله
غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما في مظان الحرج ترجي من تشاء منهن تؤخرها
وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك وتضاجعها او تطلق
من تشاء وتمسك من تشاء وقرا حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى
واحد ومن ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في
شيء من ذلك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن
ذلك التفويض الى مشيئتك اقرب الى قرة اعينهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا
لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت
بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء واعينهن بالنصب
وتقر على البناء للمفعول وكلهن تاكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تاكيدا لهن
والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في احسانه وكان الله عليما بذات الصدور
حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى لا يحل لك النساء بالياء لان تانيث
الجمع غير حقيقي وقرا البصريان بالتاء من بعد من بعد التسع وهو في حقه كالاربع
في حقنا او من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لا يحل له نكاح اخرى ولا ان تبدل بهن
من ازواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق
ولو اعجبك حسنهن حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون
مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن و
اختلف في ان الاية محكمة او منسوخة بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك
من تشاء على المعنى الثاني فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل لا يحل
لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن لك ولا ان تبدل

بهن ازواجا من اجناس اخر الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول
الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا فتحفظوا امركم ولا تتخطوا
ما حد لكم يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الا وقت
ان يؤذن لكم او ماذونا لكم الى طعام متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى
للاشعار بانه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان اذن لكم كما اشعر به قوله
غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا او المجرور في
لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو
غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة والكسائي اناه لانه مصدر انى الطعام
اذا ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا تمكثوا
والاية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام النبي صلعم فيدخلون ويقعدون منتظرين
لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته بالاذن لغير
الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم ولا مستانسين لحديث لحديث بعضكم بعضا
او حديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا
او ولا تمكثوا مستانسين ان ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه
وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم من اخراجكم لقوله والله لا يستحيي
من الحق يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حياء كما لم يتركه الله تعالى ترك الحيي
فامركم بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء واذا
سالتموهن متاعا شيئا ينتفع به فاسالوهن المتاع من وراء حجاب ستر روي
ان عمر رضه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين
بالحجاب فنزلت وقيل انه عم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصاب يد رجل يد عايشه فكره

النبي فنزلت ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر الشيطانية وما كان لكم وما
صح لكم أن تؤذوا رسول الله أن تفعلوا ما يكرهه ولا أن تنكحوا أزواجه من
بعده أبدا من بعد وفاته أو فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روي أن أشعث بن قيس
تزوج المستعيذة في أيام عمر رضي الله عنه فهم برجمهما فأخبر بأنه عليه السلام فارقها قبل أن يمسها فترك
من غير نكير إن ذلكم يعني إيذاءه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما و
فيه تعظيم من الله لرسوله وإيجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال
إن تبدوا شيئا كنكاحهن على ألسنتكم أو تخفوه في صدوركم فإن الله كان بكل شيء
عليما فيعلم ذلك فيجازيكم به وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل و
مبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن
ولا أبناء أخواتهن استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روي أنه لما نزلت آية الحجاب
قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله أو نكلمهن أيضا من وراء حجاب فنزلت
وإنما لم يذكر العم والخال لأنهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم أبا في قوله وإله آبائك
إبراهيم وإسمعيل وإسحاق أو لأنه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة أن يصفا لأبنائهما
ولا نسائهن يعني نساء المؤمنات ولا ما ملكت أيمانهن من العبيد والإماء و
قيل من الإماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله فيما أمرتن به إن الله كان
على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه خافية إن الله وملائكته يصلون على النبي
يعتنون بإظهار شرفه وتعظيم شأنه يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا أنتم
أيضا فإنكم أولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام
عليك أيها النبي وقيل وانقادوا لأوامره والآية تدل على وجوب الصلاة والسلام
عليه في الجملة فقيل يجب الصلاة كلما جرى ذكره لقوله عم رغم أنف رجل ذكرت عنده

فلم يصل علي وقوله من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فأبعده الله ويجوز
الصلاة على غيره تبعا ويكره استقلالا لأنه في العرف صار شعارا لذكر الرسول
ولذلك كره أن يقال محمد عز وجل وإن كان عزيزا جليلا إن الذين يؤذون
الله ورسوله يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي أو يؤذون رسول الله
بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم ومن جوز
إطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين
لعنهم الله أبعدهم الله من رحمته في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا
يهينهم مع الإيلام والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا
بغير جناية استحقوا بها فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا روي أنها نزلت في منافقين
يؤذون عليا رضي الله عنه وقيل في أهل الإفك وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن
كارهات يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن
من جلابيبهن يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن إذا برزن لحاجة ومن
للتبعيض فإن المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض ذلك أدنى أن يعرفن
يميزن من الإماء والقينات فلا يؤذين فلا يؤذيهن أهل الريبة بالتعرض
لهن وكان الله غفورا لما سلف رحيما بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات
منها لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف إيمان
وقلة ثبات عليه أو فجور عن تزلزلهم في الدين أو فجورهم والمرجفون في المدينة
يرجفون أخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من إرجافهم وأصله التحريك
من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الإخبار الكاذب لكونه متزلزلا غير ثابت لنغرينك
بهم لنأمرنك بقتالهم وإجلائهم أو ما يضطرهم إلى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك

عطف على لنغرينك ثم للدلالة على أن الجلاء ومفارقة جوار الرسول أعظم ما يصيبهم
فيها في المدينة إلا قليلا زمانا أو جوارا قليلا ملعونين نصب على الشتم أو الحال
والاستثناء شامل له أيضا أي لا يجاورونك عطف لنغرينك إلا ملعونين ولا
يجوز أن ينتصب عن قوله أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا لأن ما بعد كلمة الشرط
لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل مصدر مؤكد أي سن الله ذلك
في الأمم الماضية وهو أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء وسعوا في وهنهم بالإرجاف
ونحوه أينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لأنه لا يبدلها ولا يقدر أحد أن يبدلها
يسألك الناس عن الساعة عن وقت قيامها استهزاء وتعنتا أو امتحانا قل إنما علمها عند الله
لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا أو تكون
الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز أن يكون التذكير لأن الساعة في معنى اليوم
وفيه تهديد للمستعجلين وإسكات للمتعنتين إن الله لعن الكافرين وأعد لهم
سعيرا نارا شديدة الإيقاد خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا
نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم تقلب وجوههم في النار تصرف من جهة إلى جهة كاللحم
يشوى بالنار أو من حال إلى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب ونقلب ومتعلق
الظرف يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب
وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر
وقرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فأضلونا السبيلا
بما زينوا لنا ربنا آتهم ضعفين من العذاب مثلي ما آتيتنا منه لأنهم ضلوا وأضلوا والعنهم
لعنا كثيرا كثير العدد وقرأ بالباء أي لعنا هو أشد اللعن وأعظمه يا أيها الذين
آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا فأظهر براءته من مقولهم يعني

أداء ومضمونه وذلك أن قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص
أو اتهمه ناس بقتل هارون لما خرج معه إلى الطور فمات هناك فحملته الملائكة
ومروا بهم حتى رأوه غير مقتول وقيل أحياه الله تعالى فأخبرهم ببراءته أو قرفوه
بعيب في بدنه من برص أو أدرة لفرط تستره حياء فأطلعهم الله تعالى على أنه بريء منه
وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله وقولوا
قولا سديدا قاصدا إلى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهي عن ضده كحديث
زينب من غير قصد يصلح لكم أعمالكم يوفقكم للأعمال الصالحة أو يصلحها بالقبول
والإثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن
يطع الله ورسوله في الأوامر والنواهي فقد فاز فوزا عظيما يعيش في الدنيا
حميدا وفي الآخرة سعيدا إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض فأبين أن يحملنها
وأشفقن منها وحملها الإنسان تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها
أمانة من حيث إنها واجبة الأداء والمعنى أنها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت
على هذه الأجرام العظام وكانت ذات شعور وإدراك لأبين أن يحملنها وأشفقن
منها وحملها الإنسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فإن الراعي لها والقائم
بحقوقها بخير الدارين إنه كان ظلوما حيث لم يف بها ولم يراع حقها جهولا بكنه
عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الأغلب وقيل المراد بالأمانة الطاعة
التي تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل
من المختار وإرادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن أدائها و
منه قولهم حامل الأمانة ومحتملها لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته فيكون الإباء عنه

اتيانا بما يمكن ان يتاتى منه والظلم والجهالة للخيانة والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق
هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها انى فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعنى
فيها ونارا لمن عصانى فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغى
ثوابا وعقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه
بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل والتكليف
وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وباباهن الاباء الطبيعى
الذى هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه
ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة
للحمل عليه فان من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدى
ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما ليعذب
الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين
والمؤمنات تعليل للحمل من حيث انه نتيجة كالتاديب للضرب فى ضربته تاديبا و
ذكر التوبة فى الوعد اشعارا بان كونهم ظلوما جهولا فى جبلتهم لا يخليهم
عن فرطات وكان الله غفورا رحيما حيث تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز
على طاعاتهم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطى الامان من عذاب القبر

سورة سبا مكية وقيل قوله الا الذين اوتوا العلم وايها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض خلقا ونعمة فله الحمد فى الدنيا لكمال
قدرته وعلى تمام نعمته وله الحمد فى الاخرة لان ما فى الاخرة ايضا كذلك فليس
هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف يدل على انه المنعم بالنعم الدنياوية

نو

وتقييد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيا وية قد يكون بواسطة
من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الاخرة وهو الحكيم الذى احكم امور الدارين
الخبير ببواطن الاشياء يعلم ما يلج فى الارض كالغيث ينفذ فى موضع وينبع فى اخر و
كالكنوز والدفاين والاموات وما يخرج منها كالحيوان والنبات والفلزات
وماء العيون وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق و
الانداء والصواعق وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة
وهو الرحيم الغفور للمفرطين فى شكر نعمته مع كثرتها او فى الاخرة مع ما له من سوابق
هذه النعم الفائتة للحصر وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة انكار لمجيئها
او استبطاء استهزاء بالوعد به قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه وربى لتا تينكم
عالم الغيب تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر
امكانه وتنفى استبعاده على ما مر غير مرة وقرا حمزة والكسائى علام الغيب
للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدا خبره
لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وقرا الكسائى لا يعزب بالكسر
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين جملة مؤكدة لنفى العزوب ورفعهما
بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفى الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال
والمفتوح على ذرة بانه فتح فى موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء
يمنعه اللهم اذا جعل الضمير فى عنه للغيب وجعل المثبت فى اللوح خارجا
عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شىء الا
مسطورا فى اللوح ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات علة لقوله لتاتينكم
وبيان لما يقتضى اتيانها اولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه

ولا من عليه والذين سعوا فى اياتنا بالابطال وتزهيد الناس فيها معاجزين
مسابقين كى يفوتونا وقرا ابن كثير وابو عمرو معجزين اى مثبطين عن الايمان من
اراده اولئك لهم عذاب من رجز من سيئ العذاب اليم مؤلم ورفعه ابن كثير
ويعقوب وحفص ويرى الذين اوتوا العلم ويعلم اولوا العلم من الصحابة ومن
شايعهم من الامة او من مسلمى اهل الكتاب الذى انزل اليك من ربك القران
هو الحق ومن رفع الحق جعل هو مبتدا والحق خبره والجملة ثانى مفعولى
يرى وهو مرفوع مستانف للاستشهاد باولى العلم على الجهلة الساعين فى الايات
وقيل منصوب معطوف على ليجزى اى وليعلم اولو العلم عند مجىء الساعة انه الحق
عيانا كما علموه الان برهانا ويهدى الى صراط العزيز الحميد الذى هو التوحيد
والتدرع بلباس التقوى وقال الذين كفروا قال بعضهم لبعض هل ندلكم
على رجل يعنون محمدا ينبئكم يحدثكم باعجب الاعاجيب اذا مزقتم كل ممزق
انكم لفى خلق جديد انكم تنشاون خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم
كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة
فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده فان ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف
اليه او محجوب بينه وبينه بان ممزق يحتمل ان يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت
بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد فهو جديد
كحديد من حد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه افترى على
الله كذبا ام به جنة جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم
اياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه على ان ما بين الصدق والكذب واسطة
وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافتراء اخص من الكذب

بل الذين لا يؤمنون بالاخرة فى العذاب والضلال البعيد رد من الله عليهم
ترديدهم واثبات لهم ما هو افظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب
بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له فى
الوقوع ومقدما عليه فى اللفظ للمبالغة فى استحقاقهم له والبعيد فى الاصل
صفة الضال ووصف الضلال به على الاسناد المجازى افلم يروا الى ما
بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشا نخسف بهم
الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء تذكير بما يعاينونه مما يدل
على كمال قدرة الله تعالى وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم الاحياء حتى جعلوه
افتراء وهزوا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم
من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هى وانا ان نشا نخسف بهم الارض
او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالايات بعد ظهور البينات وقرا حمزة والكسائى
يشا ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله كذبا وحفص كسفا بالتحريك
ان فى ذلك النظر والتفكر فيهما وما يدلان عليه لاية لدلالة لكل عبد منيب راجع
الى ربه فانه يكون كثير التامل فى امره ولقد اتينا داود منا فضلا اى على
ساير الانبياء وهو ما ذكر بعد او على ساير الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب
والملك والصوت الحسن يا جبال اوبى معه رجعى معه التسبيح على الذنب
او النوحة وذلك اما بخلق صوت مثل صوته فيها او بحملها اياه على التسبيح اذا
تامل ما فيها او سيرى معه حيث سار وقرئ اوبى من الاوب اى ارجعى فى التسبيح
كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا او من اتينا باضمار قولنا او قلنا والطير عطف

على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة
بحركة الاعراب او على فضلا او مفعول معه لاوبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف
على ضميره وكان الاصل ولقد اتينا داود منا فضلا تاويب الجبال والطير
فبدل بهذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شانه وكبرياء سلطانه
حيث جعل الجبال والطير كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيته فيها والنا
له الحديد جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بالاته او
بقوته ان اعمل امرناه ان اعمل وان مفسرة او مصدرية سابغات دروعا واسعات
وقرئ صابغات وهو اول من اتخذها وقدر في السرد وقدر في نسجها بحيث
يتناسب حلقها او قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق
ورد بان دروعه لم يكن مسمرة ويؤيده قوله والنا له الحديد واعملوا صالحا
الضمير فيه لداود واهله اني بما تعملون بصير فاجازيكم عليه ولسليمان الريح
اي وسخرنا له الريح وقرئ الريح والرياح بالرفع اي ولسليمان الريح مسخرة غدوها
شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك وقرئ غدوتها
وروحتها واسلنا له عين القطر النحاس المذاب اسال له من معدنه فنبع
منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماها عينا وكان ذلك باليمن ومن الجن
من يعمل بين يديه عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة او جملة من مبتدا
وخبر باذن ربه بامره ومن يزغ منهم عن امرنا ومن يعدل منهم عما امرناه
من طاعة سليمان وقرئ يزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير عذاب الاخرة
يعملون له ما يشاء من محاريب قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت بها لانها

يذب عنها ويحارب عليها وتماثيل وصورا وتماثيل للملائكة والانبياء على ما
اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير
شرع مجدد وروي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد
ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما فاذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان
وصحاف كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية وهي من الصفات
الغالبة كالدابة وقدور راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها
اعملوا ال داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على العلة اي اعملوا له
واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل له شكر او الوصف له او الحال او المفعول به
وقليل من عبادي الشكور المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه
في اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان توفيقه للشكر نعمة يستدعي شكرا اخر لا الى
نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر فلما قضينا عليه الموت اي
على سليمان ما دلهم على موته ما دل الجن وقيل ال داود الا دابة الارض اي
الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تاثر الخشبة من فعلها يقال
ارضت الارضة الخشبة ارضا وارضت ارضا مثل اكلت القوادح الاسنان اكلا
تاكل منساته عصاه من نسات البعير اذا طردته لانها يطرد بها وقرئ بفتح
الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين
ومنساته على مفعالة كميضاة في ميضاة ومن ساته اي طرف عصاه مستعار من
ساة القوس وفيه لغتان كقحة وقحة وقراء نافع وابو عمرو منساته بالف
ساكنة بدلا من الهمزة وابن ذكوان بهمزة ساكنة وحمزة اذا وقف جعلها بين
بين فلما خر تبينت الجن علمت الجن بعد التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون

الغيب ما لبثوا في العذاب المهين انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا
موته حيث ما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن وانها في
خبره بدل منه اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وذلك ان
داود عم اسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عم فمات قبل تمامه فوصى الى
سليمان عم فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا اجله واعلم به فاراد ان يعمي عليهم
موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه
فقبض وهو متكئ عليها فبقي كذلك حتى اكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان
يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا
على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلثا وخمسين سنة وملك وهو
ابن ثلث عشرة سنة وابتداء عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان
لسبا لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو
عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرجه بين بين فلم
يؤده الراوي كما وجب في مسكنهم في مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مارب
بينها وبين صنعاء مسيرة ثلث وقراء حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائي بالكسر
حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع اية علامة دالة على وجود الصانع
المختار وانه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجاز المحسن والمسيء معاضدة للبرهان
السابق كما في قصتي داود وسليمن عم جنتان بدل من اية او خبر محذوف تقديره الاية
جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتين من البساتين عن يمين وشمال
جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منها في تقاربها وتضايقها كانها
جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق

ربكم واشكروا له حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء
بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استيناف للدلالة على موجب الشكر
اي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم
رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت اخصب
البلاد واطيبها لم تكن فيها عاهة ولا هامة فاعرضوا عن الشكر فارسلنا عليهم سيل
العرم سيل الامر العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه و
صعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا ضربت لهم
بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه ثقبا على مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة
التي عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء السيل
من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل
خمط مر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك او كل شجر لا شوك
له والتقدير ذواتي اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في كونه بدلا
او عطف بيان واثل وشيء من سدر قليل معطوفان على اكل لا على خمط
فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقرئا بالنصب عطفا على جنتين ووصف
السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين
وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم وقراء ابو عمرو ذواتي اكل بغير تنوين
وقراء الحرميان بتخفيف اكل ذلك جزيناهم بما كفروا بكفرانهم النعمة او
بكفرهم الرسل اذ روي انه بعث اليهم ثلثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم
لا للتخصيص وهل نجازي الا الكفور وهل يجازي بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ
في الكفران او الكفر وقراء حمزة والكسائي ويعقوب وحفص نجازي بالنون والكفور

بالتسبب وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها بالتوسعة على اهلها
وهي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة متن الطريق
ظاهرة لابناء السبيل وقدرنا فيها السير بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت
الرائح في قرية الى ان يبلغ الشام سيروا فيها على ارادة القول بلسان الحال او المقال
ليالي واياما متى شئتم من ليل ونهار آمنين لا يختلف الامن فيها باختلاف
الاوقات او سيروا آمنين وان طالت مدة سفركم فيها او سيروا فيها ليالي اعماركم
وايامها لا تلقون فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا اشروا النعمة وملوا العافية
كبني اسرائيل فسألوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها
على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله تعالى
بتخريب القرى المتوسطة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد ويعقوب ربنا باعد بلفظ
الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا في الترفيه وعدم الاعتداد بما انعم الله
تعالى عليهم فيه ومثله قراءة من قرأ ربنا بعد او بعد على النداء واسناد الفعل الى
بين وظلموا انفسهم حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها فجعلناهم احاديث يتحدث
الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق
ففرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة
والازد بعمان ان في ذلك فيما ذكر لآيات لكل صبار عن المعاصي شكور على النعم ولقد
صدق عليهم ابليس ظنه صدق في ظنه او صدق يظن ظنا مثل فعلته جهدك
ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه كما في صدق وعده لانه نوع من القول وشدده
الكوفيون بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق
حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبا حين

رأى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين رأى اباهم النبي ضعيف العزم او ما
ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها
فقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون
لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من المؤمنين لم يتبعوه في
العصيان وهم المخلصون وما كان له عليهم على المتبعين من سلطان تسلط
واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها
في شك الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء او ليتميز المؤمن
من الشاك او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم
حصول متعلقه مبالغة وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى وربك على كل شيء
حفيظ محافظ والزنتان متآخيتان قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم اي
زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثاني
لقيام صفته مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير
كلاما ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه من دون الله والمعنى ادعوهم فيما يهمكم
من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم
اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة
من خير او شر في السموات ولا في الارض في امر ما وذكرهما للعموم العرفي او لان
آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان
الاسباب القريبة للخير والشر سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم
فيهما من شرك من شركة لا خلقا ولا ملكا وما له منهم من ظهير يعينه على تدبير
امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده ولا تنفعهم شفاعة ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع

الشفاعة عند الله الا لمن اذن له اذن له ان يشفع او اذن ان يشفع له لعلو شأنه
ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى الثاني كاللام
في جئتك لزيد وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي بضم الهمزة حتى اذا فزع عن قلوبهم
غاية لمفهوم الكلام من ان ثم توقفا وانتظارا للاذن اي يتربصون فزعين حتى اذا
كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة
وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ
فرغ اي نفي الوجل فرغ الزاد اذا فني قالوا قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم
في الشفاعة قالوا الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ
بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي
ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه قل من يرزقكم من السموات والارض يريد به
تقرير قوله لا يملكون قل الله اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم ان سكتوا
او تلعثموا في الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم وانا او اياكم لعلى
هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق
والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية
لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ
الدال على من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح لانه في صورة
الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان
اتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء
وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لان
الهادي كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها او ركب جوادا يركضه
حيث يشاء والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك لا يرى شيئا او محبوس في مطمورة

لا يستطيع ان يتفصى منها قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون هذا
ادخل في الانصاف وابلغ في الاخبات حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى
المخاطبين قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل
بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل في
القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم
به شركاء لارى باي صفة الحقتموهم بالله في استحقاق العبادة وهو استفسار
عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم كلا ردع لهم عن المشاركة
بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال
القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون متسمة بالذلة متأبية عن قبول العلم
والقدرة رأسا والضمير لله او للشأن وما ارسلناك الا كافة للناس الا ارسالة
عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا
لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة فلا يجوز جعلها حالا من الناس
على المختار بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على
مخالفتك ويقولون من فرط جهلهم متى هذا الوعد يعنون المبشر به والمنذر
عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا ان كنتم صادقين يخاطبون به
الرسول والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم وعد يوم او زمان وعد واضافته
الى اليوم للتبيين ويؤيده انه قرئ يوم على البدل وقرئ يوما باضمار اعني
لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اذا فاجأكم وهو جواب تهديد
جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار وقال الذين كفروا
لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولا بما تقدمه من الكتب الدالة

على البعث وقيل ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب عن الرسول فاخبروهم انهم يجدون
نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه يوم القيمة ولو ترى
اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اي موضع المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض
القول يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا يقول الاتباع
للذين استكبروا للرؤسا لولا انتم لولا اضلالكم وصدكم عن الايمان لكنا
مؤمنين باتباع الرسول قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم
عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين انكروا انهم كانوا صادين لهم عن
الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى واثروا التقليد
عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا
بل مكر الليل والنهار اضراب عن اضرابهم اي لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم
لنا دائما ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا راينا اذ تامروننا ان نكفر بالله و
نجعل له اندادا والعاطف يعطفه على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف على
الاتساع وقرئ مكر الليل بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور واسروا
الندامة لما راوا العذاب واضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال
واخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح
للاثبات والسلب كما في اشكيته وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في
اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم هل يجزون
الا ما كانوا يعملون اي لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على اعمالهم وتعدية يجزى
اما لتضمين معنى يقضي او لنزع الخافض وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال
مترفوها تسلية لرسول الله صلعم مما مني به من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب

لان

الداعي المعظم الى التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك في الشهوات
والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا
انا بما ارسلتم به كافرون مقابلة الجمع بالجمع وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا
فنحن اولى بما تدعونه ان امكن وما نحن بمعذبين اما لان العذاب لا يكون او لانه
اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب فرد ذلك الحسبان فقال قل ان ربي يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات
ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيته ولكن اكثر الناس
لا يعلمون فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما يكون
للاستدراج كما قال وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى قربة
والتي اما لان المراد وما جماعة اموالكم واولادكم او لانها صفة محذوف كالتقوى
والخصلة وقرئ باللذي اي بالشيء الذي يقربكم الا من امن وعمل صالحا
استثناء من مفعول يقربكم اي الاموال والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح
الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم
واولادكم على حذف المضاف فاولئك لهم جزاء الضعف ان يجازوا الضعف
الى عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل
وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز او المصدر لفعله
الذي دل عليه لهم بما عملوا وهم في الغرفات امنون من المكاره وقرئ بفتح الراء
وسكونها وقرا حمزة في الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون في اياتنا
بالرد والطعن فيها معاجزين مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا
اولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى فهذا في شخص واحد باعتبار

وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير وما انفقتم من شيء فهو يخلفه عوضا اما
عاجلا او اجلا وهو خير الرازقين فان غيره وسط في ايصال رزقه لا حقيقة
لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا المستكبرين والمستضعفين ثم يقول للملائكة اهؤلاء
اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما يتوقعون من
شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم
ولان عبادتهم مبدا الشرك واصله وقرا حفص بالياء فيهما قالوا سبحانك انت
ولينا من دونهم انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كانهم
بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم
على الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين حيث اطاعوهم في
عبادة غير الله تعالى وقيل كانوا يتمثلون ويخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم
اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني
للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اذ الامر فيه كله لله لان الدار دار الجزاء
وهو المجازي وحده ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم
بها تكذبون عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات قالوا ما هذا يعنون محمدا صلعم الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد
اباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه وقالوا ما هذا يعنون القران الا افك
لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى باضافته الى الله سبحانه وقال الذين كفروا
للحق لما جاءهم لامر النبوة او للاسلام او للقران والاول باعتبار معناه وهذا
باعتبار لفظه واعجازه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل و
التصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في
لما من المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له وتعجب بليغ منه وما

الينا

اتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك وما ارسلنا
اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه
له فمن اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرايهم
ثم هددهم فقال وكذب الذين من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا معشار ما اتيناهم
وما بلغ هؤلاء عشر ما اتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ
اولئك عشر ما اتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي فكيف
كان نكير فحين كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير فكيف كان نكيري
لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير في كذب لان الاول للتكثير والثاني للتكذيب
او الاول مطلق والثاني مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء قل انما اعظكم
بواحدة ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة وهي ما دل عليه ان تقوموا لله وهو
القيام من مجلس رسول الله صلعم او الانتصاب في الامر خالصا معرضا عن المراء والتقليد
مثنى وفرادى متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر
ويخلط القول ثم تتفكروا في امر محمد وما جاء به لتعلموا حقيته ومحله الجر على البدل
او البيان او الرفع او النصب باضمار هو او اعني ما بصاحبكم من جنة فتعلموا
ما به جنون يحمله على ذلك او استئناف منبه لهم على ان ما عرفوا من رجاحة
عقله كاف في ترجيح صدقه فانه لا يدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم
من غير تحقيق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤوس الاشهاد ويلقي نفسه الى الهلاك
فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا اي
شيء به من اثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قدامه لانه
مبعوث في نسم الساعة قل ما سالتكم من اجر اي شيء سالتكم من اجر على الرسالة

فهو لكم والمراد نفي السؤال كانه جعل التنبي مستلزما لاحد الامرين اما الجنون
واما توقع نفع دنيوي عليه لانه اما ان يكون لغرض او غيره وايا ما كان يلزم
احدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما موصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما اسألكم
عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل ونفعهم وتقرباته قرباهم ان اجري
الا على الله وهو على كل شيء شهيد مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرأ ابن
كثير وحمزة والكسائي وابو بكر باسكان الياء قل ان ربي يقذف بالحق يلقيه
وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به الى اقطار
الافاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الياء
علام الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او
خبر ثان او خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني وقرأ
حمزة وابو بكر الغيوب بالكسر كالبيوت والباقون بالضم كالعيور وقرئ بالفتح
كالصبور والصبور على انه مبالغة غايب قل جاء الحق اي الاسلام وما يبدئ
الباطل وما يعيد وزهق الباطل اي الشرك بحيث لم يبق له اثر ماخوذ من هلاك
الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال ٭ اقفر من اهله عبيد ٭ فاليوم
لا يبدي ولا يعيد ٭ وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا
يعيده او لا يبدي خيرا لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعده
قل ان ضللت عن الحق فانما اضل على نفسي فان وبال الضلال عليها لانه
بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية
بقوله وان اهتديت فبما يوحي الي ربي فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه انه
سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ولو ترى اذ فزعوا

عند

عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب لو محذوف مثل رأيت قطيعا فلا
فوت فلا يفوتون الله بهرب او تحصن واخذوا من مكان قريب من ظهر الارض
الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا
ولا فوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اي فلا فوت هناك وهناك
اخذ وقالوا آمنا به بمحمد وقد مر ذكره في قوله ما بصاحبكم وانى لهم التناوش
ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد من جانب
بعيد فانه في حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل لحالهم في الاستخلاص
بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد عنهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة
تناوله من ذراع في الاستحالة وقرأ ابو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب
الواو لضمتها او انه من ناشت الشيء اذا طلبته قال رؤبة اقحمني جار ابي الخاموش
اليك ناش القدر النؤوش ٭ او من ناشت اذا تاخرت ومنه قوله ٭ تمنى نئيشا ان يكون
اطاعني ٭ وقد حدثت بعد الامور امور ٭ فيكون بمعنى التناول من بعد وقد
كفروا به بمحمد او بالعذاب من قبل من قبل ذلك اوان التكليف ويقذفون
بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول من المطاعن
او في العذاب من البت على نفيه من مكان بعيد من جانب بعيد من امره وهو
الشبه التي تمحلوها في امر الرسول وحال الاخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل
حالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه
وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك والعطف
على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم
بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان في الدنيا وحيل بينهم وبين

ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة به من النار وقرأ ابن عامر والكسائي باشمام الضم للحاء
كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا في شك مريب
موقع في الريبة او ذي ريبة منقول من المشكك او الشاك نعت به الشك للمبالغة
عن رسول الله صلعم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة وآيها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كانه شق العدم باخراجهما
منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضي جاعل الملائكة رسلا وسائط بين الله وبين
الانبياء والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا
الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه اولي اجنحة مثنى وثلاث
ورباع ذوي اجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها و
يعرجون او يسرعون بها نحو ما وكلهم الله تعالى عليه فيتصرفون فيه على ما امرهم
به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد ونفي ما زاد عليها لما روي انه عم راى جبرئيل
ليلة المعراج وله ستمائة جناح يزيد في الخلق ما يشاء استيناف للدلالة على ان
تفاوتهم في ذلك مقتضى مشيته ومؤدى حكمته لا امر تستدعيه ذواتهم لان
اختلاف الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم
تنافي لوازم الامور المتفقة وهو محال والاية متناولة زيادات الصور والمعاني
كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس ان الله على كل
شيء قدير وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة
ما يفتح الله للناس ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب من رحمة

كنعمة

كنعمة وامن وصحة وعلم ونبوة فلا ممسك لها يحبسها وما يمسك فلا مرسل له يطلقه
واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثاني مطلق يتناولها
والغضب وفي ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه من بعده من بعد امساكه
وهو العزيز الغالب على ما يشاء ليس لاحد ان يتنازع فيه الحكيم لا يفعل الا بعلم
واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق امر
الناس بشكر انعامه فقال يا ايها الناس اذكروا نعمت الله عليكم احفظوها
بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم انكر ان يكون لغيره في ذلك
مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء
والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك
غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق بانه وصف او بدل فان الاستفهام بمعنى النفي
او لانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائي حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم
صفة لخالق او استيناف مفسر له او كلام مبتدا وعلى الاخير يكون اطلاق هل
من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل
من قبلك اي فتأس بهم في الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه استغناء
بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضي زيادة التسلية والحث على
المصابرة والى الله ترجع الامور فيجازيك واياهم على الصبر والتكذيب يا ايها
الناس ان وعد الله بالحشر والجزاء حق لا خلف فيه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
فيذهلكم التمتع بها عن طلب الاخرة والسعي لها ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان
بان يمنيكم بالمغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا
التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر او جمع كقعود

إن الشيطان لكم عدو عداوة عامة قديمة فاتخذوه عدوا في عقائدكم وافعالكم
وكونوا على حذر منه في مجامع احوالكم إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير
تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى
الدنيا الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة وأجر كبير وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للأماني
الفارغة وبناء للأمر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله أفمن زين له سوء عمله فرآه
حسنا تقرير له أي أفمن زين له سوء عمله بأن غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس
رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن
الاعمال واستقبحها على ما هي عليه فحذف الجواب لدلالة فإن الله يضل من يشاء ويهدي
من يشاء وقيل تقريره أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف
الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليه ومعناه فلا تهلك نفسك
عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب والفاءات الثلاث للسببية غير ان الاوليين
دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع الحسرات على غيهم للدلالة
على تضاعف اغتمامه على احوالهم او كثرة مساوي افعالهم المقتضية للتأسف وعليهم
ليس صلة لها لان صلة المصدر لا تتقدمه بل صلة تذهب او بيان للمتحسر عليه إن الله
عليم بما يصنعون فيجازيهم عليه والله الذي أرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة
والكسائي الريح فتثير سحابا على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة
الدالة على كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها
ويجوز ان يكون اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر فسقناه الى بلد ميت
وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص بالتشديد فأحيينا به الارض بالمطر

النازل منه وذكر السحاب كذكره او بالسحاب فانه سبب السبب او الصائر مطرا بعد موتها
بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع
كذلك النشور أي مثل احياء الموات نشور الاموات في صحة المقدورية اذ ليس
بينهما الا احتمال اختلاف المادة في المقيس والمقيس عليه وذلك لا مدخل له فيها
وقيل في كيفية الاحياء فانه تعالى يرسل ماء من تحت العرش تنبت منه اجساد
الخلق من كان يريد العزة الشرف والمنعة فلله العزة جميعا أي فليطلبها
من عنده فان له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح و
صعودهما اليه مجاز عن قبوله اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن في يرفعه
للكلم فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد ويؤيده انه نصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان
ويقويه او لله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناءين
والمصعد هو الله تعالى او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر و
الدعاء وقراءة القرآن وعنه عم هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر
اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن
عمل صالح لم يقبل والذين يمكرون السيئات المكرات السيئات يعني
مكرات قريش للنبي م في دار الندوة وتداورهم الرأي في احدى ثلث حبسه
وقتله واجلائه لهم عذاب شديد لا يؤبه دونه بما يمكرون به ومكر
أولئك هو يبور يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة لا تتغير به كما دل عليه بقوله
والله خلقكم من تراب بخلق آدم منه ثم من نطفة بخلق ذريته منها ثم جعلكم ازواجا
ذكرانا واناثا وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه الا معلومة له وما يعمر من معمر وما يمد

في عمر من مصيره الى الكبر ولا ينقص من عمره من عمر المعمر لغيره بان تعطى له عمر ناقص من عمره او لا
ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابلة عليه او
للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق
وقيل الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل
ان يكون فيه ان حج عمرو فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمر
من عمره وينقص فانه يكتب في صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا ينقص على بناء
الفاعل الا في كتاب وهو علم الله او اللوح او الصحيفة ان ذلك على الله يسير
اشارة الى الحفظ او الزيادة والنقص وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ
شرابه وهذا ملح اجاج ضرب مثل للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش
والسائغ الذي يسهل انحداره والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد
والتخفيف وملح على فعل ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية
تلبسونها استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم او تمام التمثيل والمعنى
كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما لا يتساويان فيما
هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال
فطرته لا يساوي المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة
والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصة العظمى وهي بقاء احدهما على الفطرة
الاصلية دون الاخير او تفضيل للاجاج على الكافر بما يشارك فيه العذب من
المنافع والمراد بالحلية اللآلي واليواقيت وترى الفلك فيه في كل مواخر
تشق الماء بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة
بمواخر ويجوز ان يتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون

على ذلك وحرف الترجي باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى هي
مدة دوره او منتهاه يوم القيمة ذلكم الله ربكم له الملك الاشارة الى الفاعل
لهذه الاشياء وفيها اشعار بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل
ان يكون له الملك كلاما مبتدأ في قران والذين تدعون من دونه ما يملكون
من قطمير للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة ان تدعوهم
لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لعدم
قدرتهم على الانتفاع او لتبريهم منكم مما تدعون لهم ويوم القيمة يكفرون
بشرككم باشراككم لهم يقرون ببطلانه ويقولون ما كنتم إيانا تعبدون
ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك وهو الله سبحانه
وتعالى فانه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال
آلهتهم ونفي ما يدعون لهم يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم
وما يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لشدة افتقارهم
سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان
ضعيفا والله هو الغني الحميد المستغني على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات
حتى استحق عليهم الحمد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد بقوم آخرين
أطوع منكم او بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر
ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس أخرى واما قوله
وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففي الضالين المضلين فانهم يحملون
اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شيء من

من اوزار غيرهم وان تدع مثقلة نفس اثقلتها الاوزار الى حملها بحمل بعض اوزارها
لا يحمل منه شيء لم تجب بحمل شيء منه ان يحمل نفى ان يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها ذنب
غيرها ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو ذا قرابتها فاضمر المدعو لدلالة ان تدع
عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى من جعل كان التامة فانها لا يلائم
نظم الكلام انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب غائبين عن عذابه او
عن الناس في خلواتهم او غائبا عنهم عذابه واقاموا الصلوة فانهم المنتفعون
بالانذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر ومن تزكى ومن تطهر عن دنس المعاصي
فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد
لخشيتهم واقامتهم الصلوة فانهما من جملة التزكي والى الله المصير فيجازيهم
على تزكيهم وما يستوي الاعمى والبصير الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان
للصنم ولله عز وجل ولا الظلمات ولا النور ولا الحق ولا الباطل ولا الظل
ولا الحرور ولا الثواب والعقاب ولا لتأكيد نفي الاستواء وتكريرها
على الشقين لمزيد التأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم
ما تهب نهارا والحرور ما تهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات
تمثيل اخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء و
الجهلاء ان الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم اياته والاتعاظ بعظاته
وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة
في اقناطه عنهم ان انت الا نذير فما عليك الا الانذار واما الاسماع
فلا اليك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك
بالحق محقين او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله

بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اهل عصر
الا خلا مضى فيها نذير من نبي او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة
قرينة البشارة سيما وقد قرن به من قبل او لان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة
وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم وبالزبر كصحف ابراهيم وبالكتاب المنير كا
لتورية والانجيل على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف
لتغاير الوصفين ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة
الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها
اجناسها او اصنافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيئاتها من الصفرة و
الخضرة ونحوهما ومن الجبال جدد اي ذو جدد اي خطط وطرائق يقال جدة الحمار للخطة
السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى جدة وجدد بفتحتين و
هو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب
سود عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلف اللون
ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تأكيد مضمر يفسره ما بعده فان الغربيب
تأكيد للاسود ومن حق التأكيد ان يتبع المؤكد ونظيره في الصفة قول النابغة
والمؤمن العائذات الطير وفي مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار
والاظهار ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك كاختلاف
الثمار والجبال انما يخشى الله من عباده العلماء اذ شرط الخشية معرفة المخشي
والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه ولذلك قال عم اني اخشاكم
لله واتقاكم له ولهذا اتبعه ذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان

المقصود حصر الفاعلية ولو عكس الامر وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على ان الخشية
مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية
لدلالته على انه معاقب المصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ان الذين يتلون
كتاب الله يداومون على قراءته ومتابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد
بكتاب الله القران او جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص
حال المكذبين واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيف اتفق
من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة
تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان لن تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران
صفة للتجارة وقوله ليوفيهم اجورهم علة لمدلوله اي ينتفي عنها الكساد وتنفق
عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور اعمالهم او لمدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا
ذلك ليوفيهم او عاقبة ليرجون ويزيدهم من فضله على ما يقابل اعمالهم انه غفور
لفرطاتهم شكور لطاعتهم اي مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبر
ان ويرجون حال من واو وانفقوا والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني القران ومن
للتبيين او الجنس ومن للتبعيض هو الحق مصدقا لما بين يديه احقه مصدقا لما
تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياها في
العقائد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير عالم بالبواطن والظواهر
فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي
هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على ان العمدة في ذلك الامور
الروحانية ثم اورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبر عنه
بالماضي لتحققه او اورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذي

اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا من عبادنا يعني علماء
الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم فان الله اصطفاهم على سائر الامم
فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ومنهم
سابق بالخيرات باذن الله بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل
والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط
الصالح بالسيء والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة
وهو معنى قوله عم اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة يرزقون بغير حساب
واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم
فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر
على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل و
الركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان ذلك هو الفضل
الكبير اشارة الى التوريث او الاصطفاء او السبق جنات عدن يدخلونها
مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة او الذين اصطفينا او للمقتصد والسابق فان
المراد بهما الجنس وقرئ جنة عدن وجنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرأ ابو
عمرو يدخلونها على بناء المفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ
يحلون من حليت المرأة فهي حالية من اساور من ذهب مرصع باللؤلؤ من الاولى
للتبعيض والثانية للتبيين ولؤلؤا عطف على ذهب اي من ذهب مرصع با
اللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا على محل من اساور
ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن همهم من خوف
العاقبة او همهم من اجل المعاش وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها و

وقرئ الحزن ان ربنا لغفور للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا دار المقامة
دار الاقامة من فضله من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب
تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد اتبع نفي النصب
نفي ما يتبعه مبالغة والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت
بموت ثان فيموتوا فيستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطف
على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل
كلما خبت زيد اسعارها كذلك نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران
وقرئ ابو عمرو ويجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى
يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو
الصياح استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا
غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر
على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم
كانوا يحسبون انه صالح والان تحقق لهم خلافه اولم نعمركم ما يتذكر فيه
من تذكر وجاءكم النذير جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه يتناول
كل عمر يمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين الى الستين
وعنه م العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن ادم ستون سنة والعطف على معنى
اولم نعمركم فانه للتقرير كانه قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبي او الكتاب
وقيل العقل او الشيب او موت الاقارب فذوقوا فما للظالمين من نصير
يدفع العذاب عنهم ان الله عالم غيب السموات والارض لا يخفى عليه
خافية فلا تخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور تعليل له لانه اذا علم

مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم
خلائف في الارض ملقى اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف
جمع خليفة والخلفاء جمع خليف فمن كفر فعليه كفره جزاء كفره ولا يزيد الكافرين
كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان له
والتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء
قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو اشد البغض مقت الله وبالخسار
خسار الاخرة قل ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله يعني
آلهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء الله او لانفسهم فيما يملكونه
اروني ماذا خلقوا من الارض بدل من ارأيتم بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبروني
كانه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء اروني اي جزء من الارض استبدوا بخلقه
ام لهم شرك في السموات ام لهم شركة مع الله في خلق السموات فاستحقوا
بذلك شركة في الالوهية ذاتية ام اتيناهم كتابا ينطق على انا اتخذناهم شركاء
فهم على بينة منه على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز
ان يكون هم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرأ نافع وابن عامر
ويعقوب وابو بكر والكسائي على بينات فيكون ايماء الى ان الشرك خطير
لا بد فيه من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا
غرورا لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو
تقرير الاسلاف للاخلاف والرؤساء للاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون
لهم بالتقرب اليهم ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا كراهة ان تزولا
فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لان الامساك

منع ولئن زالتا ان امسكهما ما امسكهما من احد من بعده من بعد الله او من بعد الزوال
والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى زائدة والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا
حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى
من احدى الامم وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم
قالوا لعن الله اليهود والنصارى لو اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى
الامم اي واحدة من الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التي يقال فيها احدى
الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
ما زادهم اي النذير او مجيئه على التسبب الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا في
الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيء واصله وان مكروا المكر السيء فحذف
المفعول الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف ولا يحيق
ولا يحيط المكر السيء الا باهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر
اي لا يحيق الله فهل ينظرون ينتظرون الا سنة الاولين سنة الله فيهم بتعذيب
مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اذ لا يبدلها
بجعل غير التعذيب تعذيبا ولا يحولها بان ينقلها من المكذبين الى غيرهم وقولهم اولم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليها
بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من اثار الماضين وكانوا اشد
منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض
انه كان عليما بالاشياء كلها قديرا عليها ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا
من المعاصي ما ترك على ظهرها على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم

وقيل

وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى
وهو يوم القيامة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم
على اعمالهم عن النبي م من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ادخل
من اي باب شئت

سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانون آيات

وعنه عليه الصلاة والسلام تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي
له كل حاجة

بسم الله الرحمن الرحيم

يس كالم في المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طيء على ان اصله يا انيسين
فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل من الله في ايمن الله وقرئ بالكسر كجير و
بالفتح على البناء كاين او الاعراب على اتل يس او باضمار حرف القسم و
الفتحة لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث او اعرابا على هذه يس وامال الياء حمزة
والكسائي وابو بكر وروح وادغم النون في الواو والقرآن الحكيم ابن عامر والكسائي
وابو بكر وورش ويعقوب وهي واو القسم او العطف ان جعل يس مقسما
انك لمن المرسلين على صراط مستقيم لمن الذين ارسلوا على صراط مستقيم
وهو التوحيد والاستقامة في الامور ويجوز على صراط خبرا ثانيا او حالا
من المستكن في الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا و
ان دل عليه لمن المرسلين التزاما تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعنى
المفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب باضمار اعني او فعله
على انه على اصله وقرئ بالجر على البدل من القرآن لتنذر قوما متعلق بتنزيل او
بمعنى لمن المرسلين ما انذر اباؤهم قوما غير منذر اباؤهم يعني اباءهم الاقربين
لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارسالك او الذي

انذر اباؤهم او شيئا انذر به اباؤهم على المصدر فهم غافلون متعلق بالنفي على الاول اى
لم ينذروا فبقوا غافلين وبقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخرى اى ارسلتك
اليهم لتنذرهم فانهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم يعني قوله لاملأن جهنم
من الجنة والناس اجمعين فهم لا يؤمنون لانهم ممن علم انهم لا يؤمنون انا جعلنا
في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغني عنهم الايات
والنذر بتمثيلهم بالذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان فالاغلال واصلة الى
اذقانهم فلا تخليهم يطأطئون رؤوسهم له فهم مقمحون رافعون رؤوسهم غاضون
ابصارهم في انهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون
رؤوسهم له وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم
فهم لا يبصرون وبمن احاط بهم سدان فغطى ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم
في انهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الايات والدلايل وقرا حمزة
والكسائي وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان
بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشى وقيل الايتان في بني مخزوم وحلف
ابو جهل ان يرضخ راس النبي صلعم فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده
انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوا عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي
اخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه الله وسواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم
لا يؤمنون سبق تفسيره في البقرة انما تنذر انذارا يترتب عليه البغية المرومة
من اتبع الذكر اى القران بالتامل فيه والعمل به وخشي الرحمن بالغيب وخاف
عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله او في سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن
منتقم قهار فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي الموتى الاموات بالبعث او الجهال

بالهداية ونكتب ما قدموا ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة واثارهم
الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل وتاسيس ظلم وكل
شيء احصيناه في امام مبين يعني اللوح المحفوظ واضرب لهم ومثل لهم من قولهم
هذه الاشياء على ضرب واحد اى مثال واحد وهو يتعدى الى المفعولين لتضمنه
معنى الجعل وهما مثلا اصحاب القرية على حذف مضاف اى اجعل لهم مثلا مثل اصحاب
القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا
له والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل من اصحاب القرية والمرسلون رسل
عيسى الى اهلها واسناده الى نفسه في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين لانه فعل
رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا بثالث
وهو شمعون فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك انهم كانوا عبدة اصنام
فارسل اليهم عيسى عم فلما قربا من المدينة رايا حبيب النجار يرعى غنما فسالهما
فاخبراه فقال امعكما اية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له
ولد مريض فمسحاه فبرا فامن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق وبلغ
حديثهما الى الملك وقال لهما النا اله سوى الهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك
قال حتى انظر في امركما فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر
اصحاب الملك حتى استانسوا به واوصلوه الى الملك فانس به فقال له يوما
سمعت انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون
من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما ايتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام
مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعا في حدقتيه

تقريبا وقرئ ابو بكر فعززنا مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول للدلالة
ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به

فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارايت لو سالت الهك حتى يصنع مثل
هذا حتى يكون لك ولهما الشرف قال ليس لي عنك سر الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا
ينفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت امنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة
ايام فقام وقال اني دخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم
فيه فامنوا وقال فتحت ابواب السماء فرايت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلثة قال
الملك من هم قال شمعون وهذان فلما راى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فامن
وتبعه قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عم فهلكوا قالوا ما انتم الا بشر مثلنا
لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي
اعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء وحي ورسالة ان انتم الا تكذبون في
دعوى الرسالة قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله وهو
يجري مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم وما علينا الا
البلاغ المبين الظاهر البين بالايات الشاهدة لصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه
لا يحسن الا ببينة قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه
واستقباحهم له وتنفرهم عنه لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم وليمسنكم
منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم
وقرئ طيركم معكم ائن ذكرتم وعظتم به وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم
او توعدتم بالرجم والتعذيب وقد زيد الف بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى
اتطيرتم لان ذكرتم وان وان بغير استفهام وان ذكرتم بمعنى طائركم
معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف
بالعصيان فمن ثم جاءكم الشؤم او في الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم

بمن يجب ان يكرم ويتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى وهو حبيب النجار
وكان ينحت اصنامهم وهو ممن امن بمحمد عم وبينهما ستمائة سنة وقيل كان في غار
يعبد الله فلما بلغه خبر الرسول اتاه واظهر دينه قال يا قوم اتبعوا المرسلين
اتبعوا من لا يسالكم اجرا على النصح وتبليغ الرسالة وهم مهتدون الى خير
الدارين وما لي لا اعبد الذي فطرني تلطف في الارشاد بايراده في معرض
المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد تقريعهم على
تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال واليه ترجعون مبالغة في
التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال ااتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن
بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا لا تنفعني شفاعتهم ولا ينقذون بالنصر والمظاهرة
اني اذا لفي ضلال مبين فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق
المقتدر على النفع والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل اني امنت بربكم
الذي خلقكم فاسمعون فاسمعوا ايماني وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه
اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم قبل ان يقتلوه قيل ادخل الجنة قيل له ذلك
لما قتلوه بشرى بانه من اهل الجنة او كرامة واذنا في دخولها كسائر الشهداء ولما
هموا بقتله رفعه الله الى الجنة على ما قاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان
المقول دون المقول له لانه معلوم والكلام استيناف في حيز الجواب عن
السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في نصر دينه ولذلك قال يا ليت
قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فانه جواب عن السؤال
عن قوله عند ذلك القول له وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها
بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة على داب الاولياء او لكظم الغيظ

والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطاء عظيم في امره وانه كان على حق
وقرئ المكرمين وما خبرية او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية جاءت
على الاصل والباء صلة غفر اي باي شيء غفر لي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة
على اذيتهم وما انزلنا على قومه من بعده من بعد اهلاكه او رفعه من جند من
السماء لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه
استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا ان
ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شيء سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك
من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اي ومما كنا منزلين على من قبلهم
من حجارة وريح وامطار شديدة ان كانت ما كانت الاخذة والعقوبة الا
صيحة واحدة صاح بها جبريل وقرئت بالرفع على كان التامة فاذا هم خامدون
ميتون شبهوا بالنار رمزا الى ان الحي كالنار الساطع والميت كرمادها كما قال لبيد
وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع * يا حسرة على
العباد تعالي فهذه من الاحوال التي من حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليه ما ياتيهم
من رسول الا كانوا به يستهزؤن فان المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط
بنصحهم خير الدارين احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم الملائكة
والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة
لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق
بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد باجراء الوصل
مجرى الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن قوله كم اهلكنا قبلهم من القرون
لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام انهم اليهم لا يرجعون

بدل من كم على المعنى اي الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم
وقرئ بالكسر على الاستيناف وان كل لما جميع لدينا محضرون يوم القيمة
للجزاء فان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وما مزيدة للتاكيد وقراء ابن عامر
وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فتكون ان نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول
ولدينا ظرف له او لمحضرون واية لهم الارض الميتة وقرئ نافع بالتشديد احييناها
خبر الارض والجملة خبر اية او صفتها اذ لم يرد بها معينة وهي الخبر او المبتداء والاية
خبرها واستيناف لبيان كونها اية واخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه ياكلون
قدم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات
من نخيل واعناب من انواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال
على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق
الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع واثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ
بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون اي شيئا من العيون
فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة عند الاخفش ليأكلوا
من ثمره ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله على طريقة الالتفات والاضافة اليه لان
الثمر بخلقه وقرئ حمزة والكسائي بضمتين وهو لغة فيه او جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون
وما عملته ايديهم عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما
وقيل ما نافية والمراد ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الاول قراءة الكوفيين
غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن من غيرها افلا يشكرون امر بالشكر
من حيث انه انكار لتركه سبحان الذي خلق الازواج كلها الانواع والاصناف
مما تنبت الارض من النبات والشجر ومن انفسهم الذكر والانثى ومما لا يعلمون

وازواجا مما لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته واية لهم الليل نسلخ
منه النهار نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام في اعرابه ما
سبق فاذا هم مظلمون داخلون في الظلام والشمس تجري لمستقر لها لحد معين ينتهي
اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع سيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد
ابطاء بحيث يظن ان لها هناك وقفة قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم او استقرار
لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها
ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما
الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها اي لا سكون
فانها متحركة دائما ولا مستقر على ان لا بمعنى ليس ذلك اي الجري على هذا التقدير
المتضمن للحكم التي تكل الفطن عن احصائها تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور
العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه قدرنا مسيره منازل او سيره في منازل
وهي ثمانية وعشرون الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع
النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانا الاكليل
القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية
فرع الدلو المقدم فرع الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحدة
منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان في اخر منازله وهو الذي يكون فيه قبيل
الاجتماع دق واستقوس وقراء الكوفيون وابن عامر والقمر بنصب الراء حتى عاد
كالعرجون القديم كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ
كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول
فصاعدا لا الشمس ينبغي لها يصح لها ويتسهل ان تدرك القمر في سرعة سيره

فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في اثاره ومنافعه او في مكانه با
لنزول الى محله او سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا
يتيسر لها الا ما اريد بها ولا الليل سابق النهار يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل
المراد بهما اياتهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا
للاول وتبديل الادراك بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره وكل وكلهم والتنوين عوض
المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما في الذات
او للكواكب فان ذكرهما مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون فيه بانبساط واية
لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن
لانهن مزارعها وتخصيصهم لان استقرارهم في السفن اشق وتماسكهم فيها اعجب
وقراء نافع وابن عامر ذرياتهم في الفلك المشحون المملوء وقيل المراد فلك نوح
وحمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها اباءهم الاقدمين وفي اصلابهم ذرياتهم
وتخصيص الذرية لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب مع الايجاز وخلقنا
لهم من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل فانها سفائن البر او من السفن
والزوارق وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق
او فلا استغاثة كقولهم اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون ينجون من الموت
به الا رحمة منا ومتاعا الا لرحمة وللتمتيع بالحيوة الى حين زمان قدر لاجالهم
واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم بالوقائع التي خلت والعذاب
المعد في الاخرة او نوازل السماء ونوائب الارض كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم
وما خلفهم من السماء والارض او عذاب الدنيا وعذاب الاخرة او عكسه او
ما تقدم من الذنوب وما تاخر لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله و

جواب اذا محذوف دل عليه قوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا
عنها معرضين كأنه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا
عليه واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله على محاويجكم قال الذين كفروا بالصانع
يعني معطلة كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور
بمشيئته انطعم من لو يشاء الله اطعمه على زعمكم وقيل قاله مشركوا قريش حين
استطعمهم فقراء المؤمنين ايهاما بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم ولم يطعمهم
فنحن احق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء
على اطعام الفقراء وتوفيقهم له ان انتم الا في ضلال مبين حيث امرتمونا
بما يخالف مشيئة الله ويجوز ان يكون جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين
لهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعنون وعد البعث
ما ينظرون ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تأخذهم وهم
يخصمون يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله
فاخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون واصله يختصمون فسكنت التاء و
ادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرأ
ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو به مع اختلاس
وعن نافع الفتح فيه والاسكان وكأنه جوز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما
وقرأ حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية في شيء من
امورهم ولا الى اهلهم يرجعون فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم الصيحة ونفخ
في الصور اي مرة ثانية وقد سبق في سورة المؤمنين فاذا هم من الاجداث
من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم ينسلون يسرعون وقرئ بالضم

قالوا يا ويلنا وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ اهبنا من
هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح ورمز و
اشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن
هبنا على من الجارة والمصدر وسكت حفص وحده عليها سكتة لطيفة والوقف
عليها في سائر القراءات حسن هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون مبتدأ
وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع او هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر
محذوف او مبتدأ وخبره محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من
كلامهم جواب وقيل جواب الملائكة او المؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا
لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان جواب الذي يهمهم هو السؤال عن البعث
دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وارسل الرسل
فصدقوكم وليس الامر كما تظنونه فانه ليس ببعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث
وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال ان كانت ما كانت الفعلة الا صيحة واحدة
هي النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على كان التامة فاذا هم جميع لدينا محضرون
بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب
التي ينوطان بها فيما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما
كنتم تعملون وحكاية لما يقال لهم حين يرون العذاب تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس وكذا
قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون متلذذون في النعمة من الفكاهة
وفي تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه
اعلى ما يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
في شغل بالسكون ويعقوب في رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز

ان يكون في شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس
وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون
والكل لغات هم وازواجهم في ظلال جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب
ويؤيده قراءة حمزة والكسائي في ظلل على الارائك على السرر المزينة متكئون
وهم مبتدأ وخبره في ظلال وعلى الارائك جملة مستأنفة او خبر ثان او متكئون
والجاران صلتان له او تأكيد للضمير في فاكهون وعلى الارائك متكئون خبر آخر
لان وازواجهم عطف على هم للمشاركة في الاحكام الثلثة وفي ظلال حال من
المعطوف والمعطوف عليه لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ما يدعون به لانفسهم
يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه او ما يتداعونه كقولهم
ارتموه بمعنى تراموه او يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي او ما
يدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة او موصوفة او مرتفعة بالابتداء
ولهم خبرها وقوله سلام بدل منها او صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها
او خبر محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي ولهم سلام وقرئ بالنصب على المصدر
او الحال اي لهم مرادهم خالصا قولا من رب رحيم اي يقول الله او يقال
لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة
تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص وامتازوا
اليوم ايها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى
الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا من كل خير
او تفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا يرى الم اعهد اليكم
يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة و

عهده

عهده اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن
عبادة غيرها وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها المزين لها وقرئ اعهد
بكسر حرف المضارعة واحهد واحد على لغة تميم انه لكم عدو مبين تعليل للمنع عن عبادته
بالطاعة فيما يحملهم عليه وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم
اشارة الى ما عهد اليهم او الى عبادته والجملة استئناف لبيان المقتضي للعهد
بشقيه او بالشق الآخر والتنكير للمبالغة والتعظيم او للتبعيض فان التوحيد
سلوك بعض الطريق المستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون
رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن
له ادنى عقل ورأي والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة
والكسائي بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف
والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد الاجيال هذه
جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها
اليوم بكفركم في الدنيا اليوم نختم على افواههم نمنعها من الكلام وتكلمنا
ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون بظهور آثار المعاصي عليها و
دلالتها على افعالها او بانطاق الله تعالى اياها وفي الحديث انهم يجحدون و
يخاصمون فيختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم ولو نشاء لطمسنا
على اعينهم لمسحنا اعينهم حتى تصير ممسوحة فاستبقوا الصراط فاستبقوا
الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين الاستباق
معنى الابتدار او جعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف فانى
يبصرون الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم

وابطال قواهم على مكانتهم مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرا ابو بكر مكاناتهم فما استطاعوا
مضيا ذهابا ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل ولا
يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء
كالعتي والعتي ومضيا كصبي والمعنى انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم
احقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة
امهالهم ومن نعمره ومن نطل عمره ننكسه في الخلق نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه
وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدو امره وقرا عاصم وحمزة ننكسه من
التنكيس وهو ابلغ والنكس اشهر افلا يعقلون ان من قدر على ذلك قدر
على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على تدرج وقرا نافع وابن
ويعقوب بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد لقولهم ان محمد
شاعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القران فانه لا يماثله لفظا ولا معنى لانه غير مقفى
ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها
وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتاتى له ان اراد قرضه على ما اختبر من طبعه
نحوا من اربعين سنة وقوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل
انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت اتفاقي من غير تكلف وقصد منه
الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا في تضاعيف المنثورات على ان الخليل ما عد المشطور
من الرجز شعرا هذا وقد روي انه حرك البائين وكسر التاء الاولى بلا اشباع
وسكن الثانية وقيل الضمير للقران اي ما يصح للقران ان يكون شعرا ان هو الا
ذكر عظة وارشاد من الله وقران مبين وكتاب سماوي يتلى في المعابد
ظاهر انه ليس من كلام البشر لما فيه من الاعجاز لينذر القران او الرسول ويؤيده

قراءة

وقراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء من كان حيا عاقلا فهيما فان غير
الغافل كالميت او مؤمنا في علم الله تعالى فان الحيوة الابدية بالايمان وتخصيص
الانذار به لانه المنتفع به ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين
المصرين على الكفر وجعلهم في مقابلة من كان حيا اشعارا بانهم لكفرهم
ولسقوط حجتهم وعدم تاملهم اموات في الحقيقة اولم يروا انا خلقنا لهم
مما عملت ايدينا مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر الايدي
واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث
انعاما خصها بالذكر لما فيها من بدايع الفطرة وكثرة المنافع فهم لها مالكون
متملكون بتمليكنا اياهم او متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا اياها
لهم قال اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا وذللناها
لهم وصيرناها منقادة لهم فمنها ركوبهم مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه
كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه جمع ركوبة وركوبهم اي ذو ركوبهم او فمن منافعها
ركوبهم ومنها ياكلون اي ياكلون لحمه ولهم فيها منافع من الجلود والاصواف
والاوبار ومشارب من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر وامالها
ابن عامر وحده برواية هشام افلا يشكرون نعم الله في ذلك اذ لولا خلقه
لها وتذليله اياها كيف امكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة واتخذوا
من دون الله الهة اشركوها بها في العبادة بعدما راوا منه تلك القدرة الباهرة
والنعم المتظاهرة وعلموا انه المتفرد بها لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروهم
فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانه لا يستطيعون نصرهم وهم لهم
لالهتهم جند محضرون معدون لحفظهم والذب عنهم او محضرون اثرهم

الى النار فلا يحزنك فلا يهمنك وقرئ بضم الياء من احزن قولهم في الله بالالحاد
والشرك او فيك بالتكذيب والتهجين انا نعلم ما يسرون وما يعلنون
فيجازيهم عليه وكفى ذلك ان تتسلى به وهو تعليل للنهي على الاستيناف ولذلك
لو قرئ انا بالفتح على حذف لام التعليل جاز اولم ير الانسان انا خلقناه
من نطفة فاذا هو خصيم مبين تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى
انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا في الخصومة
بينا ومنافاة لجحود القدرة على ما هو اهون مما عمله في بدء خلقه ومقابلة النعمة
التي لا مزيد عليها وهي خلقه من اخس شيء وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب
روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلعم بعظم بال يفتته بيده فقال اترى الله يحيي هذا بعدما رم
فقال عم نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا
هو بعد ما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما في نفسه وضرب لنا
مثلا امرا عجيبا وهو نفي القدرة على احياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز
عما عجزوا عنه ونسي خلقه خلقنا اياه قال من يحيي العظام وهي رميم منكرا
اياه مستبعدا له والرميم ما بلي من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشيء
صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على
ان العظم ذو حيوة فيؤثر فيه الموت كساير الاعضاء قل يحييها الذي انشاها
اول مرة فان قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه والمادة على حالها في القابلية
اللازمة لذاتها وهو بكل خلق عليم يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية
خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة اصولها وفصولها ومواقعها وطريق
تمييزها وضم بعضها الى بعض على النمط السابق باعادة الاعراض والقوى التي

كانت

كانت فيها او احداث مثلها الذي جعل لكم من الشجر الاخضر كالمرخ والعفار
نارا بان يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار
فاذا انتم منه توقدون لا تشكون في انها نار تخرج منه فمن قدر على احداث
النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة
الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلي وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله تعالى
فمالئون منها البطون اوليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم
شانهما بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر والحقارة بالاضافة اليهما
او مثلهم في اصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر بلى جواب من
الله لتقرير ما بعد النفي مشعر بانه لا جواب سواه وهو الخلاق العليم كثير المخلوقات
والمعلومات انما امره انما شانه اذا اراد شيئا ان يقول له كن تكون فيكون وهو
يكون اي يحدث وهو تمثيل لتاثير قدرته في مراده بامر المطاع للمطيع في حصول المامور
من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة
وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائي عطفا
على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب عما
قالوا فيه معللا بكونه مالكا الملك كله قادرا على كل شيء واليه ترجعون وعد
ووعيد للمقرين والمنكرين وقرا يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس كنت
لا اعلم ما روي في فضل يس كيف خصت به فاذا انه لهذه الاية وعنه عم ان لكل
شيء قلبا وقلب القران يس من قراها يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من
الاجر كانما قرا القران اثنين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك
الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون

عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون
دفنه وايما مؤمن مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه
حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان
ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

سورة الصافات مكية وآيها مائة واحدى او اثنتان وثمانون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا اقسم بالملائكة الصافة
في مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر الله
الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور فيها والناس عن المعاصي
بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه على انبيائه
واوليائه او بطوائف الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة
لها والجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون
او بنفوس العلماء الصافين في العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح
التالين آيات الله وشرائعه او بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل او العدو
التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة العدو والعطف لاختلاف الذوات او
الصفات والفاء لترتيب الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم
فالآيب فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاشاقة الى قبول الخير و
التلاوة افاضة او الرتبة كقوله عليه السلام رحم الله المحلقين والمقصرين غير انه لفضل
المتقدم على المتأخر وهذا للعكس وادغم ابو عمرو وحمزة التاءات فيما يليها
لتقاربها فانها من طرف اللسان واصول الثنايا ان الهكم لواحد جواب القسم

والفائدة

والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه على ما هو المألوف في كلامهم واما
تحقيقه فبقوله رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودها
وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل وجود الصانع الحكيم ووحدته
على ما مر غير مرة ورب بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول
افعال العباد فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب او مشارق الشمس
في السنة وهي ثلثمائة وستون تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب و
لذلك اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة وقيل انها مائة
وثمانون انما يجب او لم يختلفا وقابلت الاعتدال انا زينا السماء الدنيا القربى
منكم بزينة الكواكب بزينة هي الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة
ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على ابدالها منه بزينة او هي
لها كاضوائها واوضاعها او بان زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى
المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة
ابي بكر بالتنوين والنصب على الاصل او بان زانتها الكواكب على اضافته الى الفاعل
وركوز الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات في الست
المتوسطة بينها وبين السماء الدنيا ان تحقق لم يقدح في ذلك فان اهل الارض يرونها
باسرها كجواهر مشرقة متلألئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة وحفظا
منصوب باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى كانه قال انا خلقنا
الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد خارج من الطاعة
برمي الشهب لا يسمعون الى الملأ الاعلى كلام مبتدأ لبيان حالهم بعد ما حفظ
السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي ان يكون الحفظ من

شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف ان واهدارها
كقوله الا ايها الزاجري احضر الوغى فان اجتماع ذلك منكر والضمير
لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه و
تهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من التسمع وهو
تطلب السماع والملأ الاعلى الملائكة واشرافهم ويقذفون ويرمون من كل جانب من جوانب السماء
اذا قصدوا صعوده دحورا علة اي للدحور وهو الطرد او مصدر لانه والقذف
متقاربان او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع داحر وهو ما يطرد به
ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول او صفة له اي قذفا
دحورا ولهم عذاب اي عذاب آخر واصب دائم او شديد وهو عذاب الآخرة
الا من خطف الخطفة استثناء من واو لا يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس
والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد
مفتوح الخاء ومكسورها واصلهما اختطف فاتبعه شهاب ثاقب اتبع بمعنى تبع
والشهاب ما يرى كان كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين
ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله ولقد
زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في
الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة السماء من حيث انه يرى كانه على
سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر في بعض الاوقات رجما لشيطان يتصعد الى
قرب الفلك للتسمع وما روي ان ذلك حدث بميلاد النبي ان صح فلعل المراد كثرة
وقوعه او مصيره دحورا واختلف في ان المرجوم يتأذى به فيرجع او يحترق به لكن
قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون

عنه رأسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما
ان الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة
استهلكتها ثاقب مضيء كانه يثقب الجو بضوئه فاستفتهم فاستخبرهم والضمير لمشركي
مكة او لبني آدم اهم اشد خلقا ام من خلقنا يعني ما ذكر من الملائكة والارض وما
بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه
اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرأ ام من عددنا وقوله انا خلقناهم من
طين لازب فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود وان
المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم
سواء وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية هي
الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما باقيان قابلان
للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوث
العالم او بقصة آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة فلزمهم
ان يجوزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل فان من قدر على خلق هذه
الاشياء قدر على ما لا يعتد به بالاضافة اليها سيما ومن ذلك بدأهم اولا وقدرته
ذاتية لا تتغير بل عجبت من قدرة الله وانكارهم البعث ويسخرون من تعجيبك
وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء اي بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي
ان تعجبت منها وهؤلاء بجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكر البعث ممن
هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله اما على الفرض والتخييل
او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشيء
وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا لا يذكرون

وإذا وعظوا بشيء لا يتعظون به أي إذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم وإذا رأوا آية معجزة تدل على صدق القائل به يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون إنه سحر أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها وقالوا إن هذا يعنون ما يرونه إلا سحر مبين ظاهر سحريته أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون أصله أنبعث إذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الإنكار وإشعارا بأن البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحال أشد إنكارا وهو أبلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة وقراءة نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية أوآباؤنا الأولون عطف على محل إن واسمها أو على الضمير في مبعوثون فإنه مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع وابن عامر الواو بمعنى الترديد قل نعم وأنتم داخرون صاغرون وإنما اكتفى في الجواب لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ وقال أي الله أو الرسول نعم وهو لغة فيه فإنما هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر أي إذا كان ذلك فإنما البعثة زجرة أي صيحة واحدة هي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه إذا صاح عليها وأمرها في الإعادة كأمر كن في الإبداء ولذلك رتب عليها فإذا هم ينظرون فإذا هم قيام من مراقدهم أحياء يبصرون أو ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين اليوم الذي نجازى بأعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون جواب الملائكة وقيل هو أيضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء أو الفرق بين المحسن والمسيء احشروا الذين ظلموا أمر الله الملائكة أو أمر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم إلى الموقف وقيل منه إلى الجحيم وأزواجهم وأشباههم عابد الصنم مع عبدته وعابد الكواكب مع عبدتها كقوله وكنتم أزواجا

ثلاثة أو نساءهم اللاتي على دينهم أو قرناءهم من الشياطين وما كانوا يعبدون من دون الله من الأصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون وفيه دليل على أن الذين ظلموا المشركين فاهدوهم إلى صراط الجحيم فعرفوهم طريقها ليسلكوها وقفوهم احبسوهم في الموقف إنهم مسؤولون عن عقائدهم وأعمالهم والواو لا توجب الترتيب مع جواز أن يكون موقفهم أي غير موقف السؤال في الجحيم ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع بل هم اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم وأصل الاستسلام طلب السلامة أو متسالمون كأنه يسلم بعضهم بعضا ويخذله وأقبل بعضهم على بعض يعني الرؤساء والأتباع أو الكفرة والقرناء يتساءلون يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين عن أقوى الوجوه وأيمنها أو عن الدين أو عن الخير كأنكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الإنسان الذي هو أقوى الجانبين وأشرفه وأنفعه ولذلك سمي يمينا وتيمن بالسانح أو عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال أو عن الحلف فإنهم كانوا يحلفون لهم أنهم على الحق قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين أجابهم الرؤساء أولا بمنع إضلالهم بأنهم كانوا ضالين في أنفسهم وثانيا بأنهم ما أجبروهم على الكفر إذ لم يكن لهم عليهم تسلط وإنما جنحوا إليه لأنهم كانوا قوما مختارين الطغيان فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون فأغويناكم إنا كنا غاوين ثم بينوا أن ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان أمرا مقتضيا لا محيص لهم عنه وأن غاية ما فعلوا بهم أنهم دعوهم إلى الغي لأنهم كانوا على الغي فأحبوا أن يكونوا مثلهم وفيه إيماء بأن غوايتهم

في الحقيقة ليست من قبلهم إذ لو كان كل غواية لإغواء غاو فمن أغواهم فإنهم فإن الأتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية إنا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بالمشركين لقوله إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون أي عن كلمة التوحيد أو على من يدعوهم إليه ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا م بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم بأن ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون إنكم لذائقو العذاب الأليم بالإشراك وتكذيب الرسل وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله إلا قليلا وهو ضعيف في غير المحلى باللام وعلى الأصل وما تجزون إلا ما كنتم تعملون إلا مثل ما عملتم إلا عباد الله المخلصين استثناء منقطع إلا أن يكون الضمير في تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة فإن ثوابهم مضاعف والمنقطع أيضا بهذا الاعتبار أولئك لهم رزق معلوم خصائصه من الدوام أو تمحض اللذة ولذلك فسره بقوله فواكه فإن الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذي والقوت بالعكس وأهل الجنة لما أعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت أرزاقهم فواكه خالصة وهم مكرمون في نيله يصل إليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا في جنات النعيم في جنات ليس فيها إلا النعيم وهو ظرف أو حال من المستكن في مكرمون أو خبر ثان لأولئك وكذلك على سرر متقابلين يحتمل الحال والخبر فيكون متقابلين حالا من ضمير مكرمون يطاف عليهم بكأس بإناء فيه خمر أو خمر كقوله وكأس شربت على لذة من معين من شراب معين أي نهر معين أي ظاهر للعيون أو خارج من العيون وهو صفة للماء من عان الماء إذا نبع وصف به خمر الجنة لأنها تجري كالماء أو للإشعار

بأن يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من أنواع الأشربة لكمال اللذة وكذلك قوله بيضاء لذة للشاربين وهما أيضا صفتان لكأس ووصفها بلذة إما للمبالغة أو لأنها تأنيث لذ بمعنى لذيذ كطب وزنه وفعل قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بأرض العدى من خشية الحدثان لا فيها غول غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله إذا أفسده ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف إذا ذهب عقله أفرده بالنفي وعطفه على ما يعمه لأنه من عظم فساده كأنه جنس برأسه وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي من أنزف الشارب إذا نفد عقله أو شرابه وأصله للنفاد يقال نزف المطعون إذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها وعندهم قاصرات الطرف قصرن أبصارهن على أزواجهن عين نجل العيون جمع عيناء كأنهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة فإنه أحسن ألوان الأبدان فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف عليهم أي يشربون فيتحادثون على الشراب قال وما بقيت من اللذات إلا أحاديث الكرام على المدام والتعبير عنه بالماضي للتأكيد فيه فإنه ألذ تلك اللذات إلى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا قال قائل منهم في مكالمتهم إني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول أئنك لمن المصدقين يوبخني على البعث بالتصديق وقرئ بتشديد الصاد من التصدق أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال أي ذلك القائل هل أنتم مطلعون إلى أهل النار لأريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله أو بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار لأريكم ذلك القرين فتعلموا

ابن مترلك كمن مترلتهم وعن ابي عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الالف على
انه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ان ادب المجالسة تمنع الاستبداد به او خاطب
الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والامرونه او شبه
اسم الفاعل بالمضارع فاطلع عليهم فرآه اى قرينه في سواء الجحيم وسطه قال تالله ان
كدت لتردين لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين وان هي المخففة واللام هي الفارقة
ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين فيها افما نحن بميتين عطف على
محذوف اى انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اى بمن شانه الموت وقرئ بمائتين
الا موتتنا الاولى التى كانت في الدنيا وهى متناولة لما في القبر بعد الاحيا للسوال
ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين
كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له او معاودة الى مكالمة جلسائه
تحدثا بنعمة الله وتبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ ان هذا لهو
الفوز العظيم يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون كلام الله لتقرير قوله والاشارة
الى ما هم عليه من النعمة والخلود والامن لمثل هذا فليعمل العاملون اى لنيل مثل
هذا يجب ان يعمل لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهو ايضا
يحتمل الامرين اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم شجرة ثمرها نزل اهل النار وانتصاب
نزلا على التمييز او على الحال وفي ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة
ما يقام للنازل ولهم ما وراء ذلك ما يقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار
وهو اسم شجرة صغيرة الورق ذفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة
انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة او ابتلاء في الدنيا فانهم
لما سمعوا انها في النار قالوا كيف والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق

الشجر حفظها من الاحراق انها شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها
ترتفع الى دركاتها طلعها حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته اياه في الشكل او
الطلوع من الشجر كانه رؤوس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالـ
مستخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة
قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت بذلك فانهم لآكلون منها من الشجرة او من
طلعها فمالئون منها البطون لغلبة الجوع او الجبر على اكلها ثم ان لهم عليها
اى بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون
ثم لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق او
صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب
به والاول مصدر سمي به ثم ان مرجعهم لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها
فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله
هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون
اليه كما يورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم
انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم
تلك الشدائد بتقليد الآباء في الضلال والاهراع الاسراع الشديد كانهم
يزعجون على الاسراع على اثرهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف
على نظر وبحث ولقد ضل قبلهم قبل قومك اكثر الاولين ولقد ارسلنا
فيهم منذرين انبياء انذروهم من العواقب فانظر كيف كان عاقبة
المنذرين من الشدة والفظاعة الا عباد الله المخلصين الا الذين تنبهوا
بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح اى الذين اخلصهم الله لدينه

والخطاب مع الرسول والمقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم ورأوا آثارهم
ولقد نادانا نوح شرع في تفصيل القصص بعد اجمالها اى ولقد دعانا حين ايس من
قومه فلنعم المجيبون اى فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها
ما حذف لقيام ما يدل عليه ونجيناه واهله من الكرب العظيم من الغرق واذى
قومه وجعلنا ذريته هم الباقين اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى
يوم القيامة اذ روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه وازواجهم وتركنا
عليه في الآخرين من الامم سلام على نوح هذا الكلام جيء به على الحكاية والمعنى يسلمون
عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء في العالمين
متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة والثقلين
جميعا انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة
له على احسانه انه من عبادنا المؤمنين تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره
واصالة امره ثم اغرقنا الآخرين يعني كفار قومه وان من شيعته لابراهيم ممن
شايعه في الايمان واصول الشريعة ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع او غالبا وكان
بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وكان بينهما نبيان هود وصالح
اذ جاء ربه متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة او بمحذوف هو اذكر بقلب
سليم من آفات القلوب او من العلائق خالص لله او مخلص له وقيل حزين من السليم
بمعنى اللديغ ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه اذ قال لابيه
وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء او سليم ائفكا آلهة دون
الله تريدون اى اتريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم
المفعول له لان الاهم ان يقرر انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان

يكون افكا مفعولا به وآلهة بدل منه على انها افك في نفسها للمبالغة والمراد بها
عبادتها بحذف المضاف اى تريدون عبادة آلهة او حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب
العالمين بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم
به غيره او امنتم من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن
عبادته او يجوز الاشراك به او يقتضي الامن من عقابه على طريقة الالزام وهو كالحجة
على ما قبله فنظر نظرة في النجوم فرأى مواقعها واتصالاتها او في علمها او
في كتابها ولا منع منه مع ان قصده ايهامهم وذلك حين سألوه ان يعيد معهم فقال
اني سقيم اراهم انه استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه
الى معيدهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى او اراد انى
سقيم القلب لكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه او بصدد
الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا
ليصحني فاذا السلامة داء فتولوا عنه مدبرين هاربين مخافة العدوى فراغ
الى آلهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة فقال اى
للاصنام استهزاء الا تأكلون يعني الطعام الذي كان عندهم ما لكم لا تنطقون
فراغ عليهم فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه
ضربا باليمين مصدر لراغ عليهم لانه في معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم
يضربهم ضربا وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعي قوة الفعل وقيل
باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه الى ابراهيم
بعد ما رجعوا فرأوا اصنامهم مكسرة وبحثوا عن كاسرها فظنوا انه هو كما شرحه
في قوله قالوا من فعل هذا بآلهتنا الآية يزفون يسرعون من زفيف النعام وقرأ حمزة على

بناء المفعول من ازف اي يحملون على الزفيف ويزفون اي يزف بعضهم بعضا ويزفون من
وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفوا بعضا لتسارعهم
اليه قال اتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام والله خلقكم وما تعملون
اي وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من
اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد او عملكم
بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون او انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم
كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك وبهذا المعنى تمسك به اصحابنا على خلق
الاعمال ولهم ان يرجحوه على الاولين لما فيهما من حذف او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه
في الجحيم في النار الشديدة من الجحمة وهي شدة التاجج واللام بدل الاضافة اي جحيم ذلك البنيان
فارادوا به كيدا فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم
فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه حيث
جعل النار عليه بردا وسلاما وقال اني ذاهب الى ربي الى حيث امرني ربي و
هو الشام او حيث اتجرد فيه لعبادته سيهدين او البناء على عادة الله تعالى
معه ولم يكن كذلك حال موسى حين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل
فلذلك ذكر بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين بعض الصالحين يعينني على
الدعوة والطاعة ويونسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله
فبشرناه بغلام حليم بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبي لا يوصف
بالحلم ويكون حليما واي حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدني
ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه عم
وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه فلما بلغ معه السعي اي فلما وجد وبلغ ان يسعى

معه في اعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعي لا به لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ
فان بلوغهما لم يكن معا كانه قال فلما بلغ السعي فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل
في الرفق والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان
له يومئذ ثلث عشرة سنة قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك يحتمل انه
راى ذلك وانه راى ما هو تعبيره وقيل انه راى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يامرك
بذبح ابنك فلما اصبح روى انه من الله او من الشيطان فلما امسى راى مثل ذلك
فعرف انه من الله ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولذلك سميت
الايام الثلثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب اسمعيل لانه الذي وهب
له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله عم
انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والاخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان
يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما سهل الله فخرج السهم على
عبد الله فداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة و
كان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان
البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه
مراهقا وما روي انه عم سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب
اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن
يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوي وما روي ان يعقوب كتب الى يوسف
مثل ذلك لم يثبت وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح الياء فيهما فانظر ماذا
ترى من الراي وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله
فيثبت قدمه ان جزع ويامن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة

بالانقياد له قبل نزوله وقرا حمزة والكسائي ماذا تري بضم التاء وكسر الراء خالصة و
الباقون بفتحها وابو عمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين والباقون باخلاص فتحها
قال يا ابت افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذفا دفعة او على الترتيب كما عرفت او امرك على
ارادة المامور به والاضافة الى المامور ولعله فهم من كلامه انه راى انه يذبحه
مامورا به او علم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل
الامر به في المنام دون اليقظة ليكون مبادرتهما الى الامتثال ادل على كمال الانقياد
والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا ستجدني ان شاء الله من الصابرين
على الذبح او على قضاء الله فلما اسلما استسلما لامر الله او سلم الذبيح نفسه
وابراهيم ابنه وقد قرئ بهما واصلهما سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من ان ينازع
فيه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة
وقيل كبه على وجهه باشارته لئلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند
الصخرة بمنى او في موضع المشرف على مسجده او المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه
ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روي انه
امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم تقطع جواب لما محذوف تقديره كان ما كان
مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله على ما انعم عليهما
من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق لمثله غيرهما واظهار فضلهما به على العالمين
مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لافراج
تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عم كان مامورا
بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي
يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها وفديناه بذبح

بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدي به الله
نبيا وابن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا
اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى
اخذه فصارت سنة والفادي على الحقيقة ابراهيم وانما قال وفديناه لانه
المعطي له والامر به على التجوز في الفداء او الاسناد واستدل به الحنفية على
ان نذره ذبح شاة وليس فيه ما يدل عليه وتركنا عليه في الاخرين سلام
على ابراهيم سبق بيانه في قصة نوح كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا
المؤمنين لعله طرح عنه انا اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة وبشرناه باسحق
نبيا من الصالحين مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا
حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال ليس
بشرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة الى
تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اي بان يوجد اسحق
نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين
مقدرون خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها
حيثما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر
الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال و
التكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه وعلى ابراهيم في اولاده وعلى اسحق
بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب او افضنا
عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله او
على نفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه

وفي ذلك تنبيه على أن النسب لا أثر له في الهدى والضلال وأن الظلم في أعقابهما لا يعود
عليهما بنقيصة وعيب ولقد مننا على موسى وهارون أنعمنا عليهما بالنبوة
وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من
تغلب فرعون أو الغرق ونصرناهم الضمير لهما مع القوم وكانوا هم الغالبين على فرعون
وقومه وآتيناهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التوراة وهديناهما
الصراط المستقيم الطريق الموصل إلى الحق والصواب وتركنا عليهما في الآخرين
سلام على موسى وهارون إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين
سبق مثله وإن إلياس لمن المرسلين هو إلياس بن ياسين سبط هارون أخي
موسى بعث بعده وقيل إدريس وإدراس مكانه وفي حرف أبي وإن إبليس
وقرأ ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة إلياس إذ قال لقومه ألا تتقون
عذاب الله أتدعون بعلا أتعبدونه أو تطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان
لأهل بك من الشام وهو البلد الذي يقال له الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة
اليمن والمعنى أتدعون بعض البعول وتذرون أحسن الخالقين وتتركون
عبادته وقد أشار فيه إلى المقتضي للإنكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله الله
ربكم ورب آبائكم الأولين وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص بالنصب
على البدل فكذبوه فإنهم لمحضرون أي في العذاب وإنما أطلقه اكتفاء بالقرينة
أو لأن الإحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا إلا عباد الله المخلصين مستثنى
من الواو لا من المحضرين لفساد المعنى وتركنا عليه في الآخرين سلام على إل ياسين
لغة في إلياس كسيناء وسينين وقيل جمع له مراد به هو وأتباعه كالمهلبين لكن
فيه أن العلم إذا جمع يجب تعريفه باللام أو للمنسوب إليه بحذف ياء النسب كالأعجمين

وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على إضافة آل إلى ياسين لأنهما
في المصحف مفصولان فيكون ياسين أبا إلياس وقيل محمد أو القرآن أو غيره من
كتب الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله إنا كذلك نجزي المحسنين
إنه من عبادنا المؤمنين إذ الظاهر أن الضمير لإلياس وإن لوطا لمن المرسلين
إذ نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين سبق بيانه
وإنكم يا أهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم إلى الشام فإن سدوم
في طريقه مصبحين داخلين في الصباح وبالليل أي ومساء أو نهارا وليلا
ولعلها وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء أفلا تعقلون
أفليس فيكم عقل تعتبرون به وإن يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون إذ أبق
هرب وأصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه حسن إطلاقه
عليه إلى الفلك المشحون المملوء فساهم فقارع أهله فكان من المدحضين
فصار من المغلوبين بالقرعة وأصله المزلق عن مقام الظفر روي أنه لما وعد
قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمره الله به فركب السفينة فوقفت فقالوا
ههنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال أنا الآبق وزج بنفسه
في الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من
ليم كمشيب في شوب فلولا أنه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة
عمره أو في بطن الحوت وهو قوله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين
وقيل من المصلين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه
حث على إكثار الذكر وتعظيم لشأنه ومن أقبل عليه في السراء أخذ بيده
عند الضراء فنبذناه بأن حملنا الحوت على لفظه بالعراء بالمكان الخالي عما

يغطيه من شجر أو نبت روي أن الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى
انتهوا إلى البر فلفظه واختلف في مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة
أيام وقيل عشرون وقيل أربعون وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل
حين يولد وأنبتنا عليه أي فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين من شجر ينبسط على وجه
الأرض ولا يقوم على ساق يفعيل من قطن بالمكان إذا أقام به والأكثر على أنها كانت
الدباء غطته بأوراقها عن الذباب فإنه لا يقع عليه ويدل عليه أنه قيل لرسول الله
إنك لتحب القرع قال أجل هي شجرة أخي يونس وقيل التين وقيل الموز تغطى بورقه
واستظل بأغصانه وأفطر على ثماره وأرسلناه إلى مائة ألف هم قومه الذين
هرب عنهم وهم أهل نينوى والمراد به ما سبق من إرساله أو إرسال ثان إليهم أو إلى
غيرهم أو يزيدون في مرأى الناظر أي إذا نظر إليهم قال هم مائة ألف أو أكثر والمراد
الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا فصدقوه أو فجددوا الإيمان به بمحضره
فمتعناهم إلى حين إلى أجلهم المسمى ولعله إنما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم
به سائر القصص تفرقة بينهما وبين أرباب الشرائع الكبر وأولي العزم من الرسل أو اكتفاء
بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة فاستفتهم ألربك البنات
ولهم البنون معطوف على مثله في أول السورة أمر رسوله أولا باستفتاء قريش
عن وجه إنكارهم البعث وساق الكلام في تقريره جارا لما يلائمه من القصص موصولا
بعضها ببعض ثم أمر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات
ولأنفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات
أخر التجسيم وتجويز الفناء على الله تعالى فإن الولادة مخصوصة بالأجسام الكائنة
الفاسدة وتفضيل أنفسهم عليه حيث جعلوا أوضع الجنسين له وأرفعهما لهم واستهانتهم

بالملائكة حيث أنثوهم ولذلك كرر الله تعالى إنكار ذلك وإبطاله في كتابه مرارا
وجعله مما تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا والإنكار
ههنا مقصور على الأخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما أو لأن فسادهما مما تدركه
العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم أم خلقنا الملائكة
إناثا وهم شاهدون وإنما خص علم المشاهدة لأن أمثال ذلك لا تعلم إلا بها فإن
الأنوثة ليست من لوازم ذاتهم ليمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والإشعار
بأنهم لفرط جهلهم يبتون به كأنهم قد شاهدوا خلقهم ألا إنهم من إفكهم ليقولون
ولد الله لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه وإنهم لكاذبون فيما يتدينون به وقرئ
ولد الله أي الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث أصطفى البنات على البنين استفهام إنكار واستبعاد والاصطفاء
أخذ صفوة الشيء وعن نافع كسر الهمزة على حذف الاستفهام لدلالة أم بعدها عليها
أو على الإثبات بإضمار القول أي لكاذبون في قولهم اصطفى أو إبدال من ولد الله
ما لكم كيف تحكمون بما لا يرتضيه عقل أفلا تذكرون أنه منزه عن ذلك
أم لكم سلطان مبين حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بناته
فأتوا بكتابكم الذي أنزل عليكم إن كنتم صادقين في دعواكم وجعلوا
بينه وبين الجنة نسبا يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم أن يبلغوا
هذه المرتبة وقيل قالوا إن الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا الله و
الشيطان أخوان ولقد علمت الجنة إنهم إن الكفرة أو الإنس والجنة إن فسرت
بغير الملائكة لمحضرون في العذاب سبحان الله عما يصفون من الولد والنسب
إلا عباد الله المخلصين استثناء من المحضرين منقطع أو متصل إن فسر الضمير بما

بما عليهم وما بينهما اعتراض او من يصفون فانكم وما تعبدون عود الى خطابهم
ما انتم عليه على الله بفاتنين مفسدين الناس بالاغواء الا من هو صال الجحيم الا
من سبق في علمه انه من اهل النار ويصلاها لا محالة وانتم ضميرهم وللخطاب غلب فيهم
المخاطب على الغايب ويجوز ان يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادا
مسد الخبر اى انكم وآلهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها ما انتم على ما تعبدونه
بفاتنين بباعثين على طريق الفتنة الا ضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صال
بالضم على انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين او تخفيف صائل
على القلب كشاك في شائك او المحذوف منه كالمنسي كما في قولهم ما باليت به بالة
فان اصلها بالية كعافية وما منا احد الا له مقام معلوم حكاية اعتراف الملائكة
بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى وما منا الا له مقام معلوم في المعرفة
والعبادة والانتهاء الى امر الله في تدبير العالم لا يتجاوزه فحذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل
بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علم الملائكة ان المشركين معذبون بذلك
وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا
الكفرة بالافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت
مراتبهم فيها لا يتجاوزونها فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وانا لنحن الصافون
في اداء الطاعة ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون الله عما لا يليق به
ولعل الاول اشارة الى درجاتهم في الطاعات وهذا في المعارف وما في ان
واللام وتوسيط الفصل من التاكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك
دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو كلام النبي صلعم والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام

معلوم في الجنة او بين يدي الله في القيمة وانا لنحن الصافون له في الصلوة والمنزهون له
عن السوء وان كانوا ليقولون اى مشركوا قريش لو ان عندنا ذكرا من الاولين
كتابا من الكتب التي نزلت عليهم لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا العبادة
له ولم نخالف مثلهم فكفروا به اى لما جاءهم الذكر الذي هو اشرف الاذكار والمهيمن
عليها فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين اى وعدنا
لهم بالنصر والغلبة وهو قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وهو
باعتبار الغالب والمقضي بالذات وانما سماه كلمة وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد
فتول عنهم فاعرض عنهم حتى حين هو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم
الفتح وابصرهم فسوف يبصرون ما قضينا لك من التاييد والنصرة والثواب في
الاخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون روى انه لما نزل فسوف
يبصرون قالوا متى هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم فاذا نزل العذاب بفنائهم
شبهه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول صلعم وقرئ نزل على اسناده
الى الجار والمجرور ونزل اى العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين
صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب
لما كثرت فيهم الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا وان وقعت في وقت اخر
وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تاكيد الى تاكيد واطلاق بعد
تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع
المساءة او الاول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الاخرة سبحان ربك
رب العزة عما يصفون عما قاله المشركون فيه على ما حكى في السورة واضافة
الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له او لمن اعزه وقد ادرج فيه جملة
صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد وسلام على المرسلين تعميم

للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم والحمد لله رب العالمين على ما افاض عليهم وعلى من اتبعهم
من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه و
يسلمون على رسله وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر
يوم القيمة فليكن اخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة الى اخر السورة وعن النبي صلعم
من قرا سورة والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت
عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا

سورة ص مكية وآياتها ست وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ص قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل انه امر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى
فانه يعارض لصوت الاول اى عارض القرآن بعملك وبالفتح لذلك او لحذف حرف القسم
وايصال فعله اليه او اضماره والفتح في موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم السورة
وبالجر والتنوين على تاويل الكتاب والقرآن ذي الذكر الواو للقسم ان جعل
ص اسما للحروف او مذكورا للتحدي او للرمز بكلام مثل صدق محمد او للسورة خبر المحذوف
او لفظ الامر وللعطف ان جعل مقسما به كقولهم الله لافعلن بالجر والجواب محذوف
دل عليه ما في ص من الدلالة على التحدي بالمعادلة اى انه لمعجز او الواجب العمل به او ان محمدا
لصادق او قوله بل الذين كفروا اى ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا في
عزة اى استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب
ايضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره والمراد بالذكر العظة او الشرف او الشهرة او
ذكر ما يحتاج اليه في الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق
للدلالة على شدتهما وقرئ في غرة اى غفلة عما يجب عليهم النظر فيه كم اهلكنا من قبلهم من

قرن وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا فنادوا استغاثة او توبة واستغفارا
ولات حين مناص اى ليس الحين حين مناص ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث
للتاكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين وقيل
هي النافية للجنس اى ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره اى ولا ارى
حين مناص وقرئ بالرفع على انه اسم لا او مبتداء محذوف الخبر اى ليس حين مناص حاصلا
لهم او لا حين مناص كائن لهم وبالكسر كقوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا
ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضماير في قوله
لولاك هذا العام لم احجج او لان اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله اوان
صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ اصله حين
مناصهم ثم بنى الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية بالهاء كالاسماء
والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به على الامام ولا يرد
عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه
الدليل ولقوله العاطفون تحين لا من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم والمناص المنجا
من ناصه ينوصه اذا فاته وعجبوا ان جاءهم منذر منهم بشر مثلهم او امي من عدادهم
وقال الكافرون وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان
كفرهم جسرهم على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره معجزة كذاب فيما يقول على الله اجعل
الآلهة الها واحدا بان جعل الالوهية التي كانت لهم لواحد ان هذا لشيء عجاب
بليغ في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه اباؤنا وما نشاهده من ان الواحد لا يفي
علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو ابلغ ككرام وكرام روى انه
لما اسلم عمر شق ذلك على قريش فاتوا ابا طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت

هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلعم وقال هؤلاء
قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل عليهم فقال ماذا تسألونني قالوا ارفض
منا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال ارايتم ان اعطيتكم ما سألتم أمعطي
كلمة انتم واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا
لا اله الا الله فقاموا وقالوا اجعل الالهة الها واحدا وانطلق الملأ منهم وانطلق اشراف قريش من مجلس ابي
طالب بعد ما بكتهم رسول الله ان امشوا قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا واثبتوا
على آلهتكم على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول
يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت
ولادتها ومنه الماشية اي اجتمعوا وقرئ يمشون ان اصبروا ان هذا لشيء يراد ان
هذا الامر لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد لنا وان هذا الذي يدعيه من التوحيد
او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى او يريده كل احد اوان دينكم
لشيء يطلب ليؤخذ منكم ما سمعنا بهذا بالذي يقوله في الملة الآخرة الى الملة التي ادركنا
عليها اباءنا او في ملة عيسى التي هي اخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون
حالا من هذا اي ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا في الملة المترقبة
ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه أأنزل عليه الذكر من بيننا انكار لاختصاصه
بالوحي وهو مثلهم او ادون منهم في الشرف والرياسة كقولهم لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم وامثال ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد
وقصور النظر على الحطام الدنيوي بل هم في شك من ذكري من القرآن او الوحي لميلهم
الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس في عقيدتهم ما يبتون به من قولهم هذا ساحر
كذاب ان هذا الا اختلاق بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه

زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه
أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم خزائن رحمته وفي تصرفهم
حتى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها عمن شاءوا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم
والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه
العزيز اي الغالب الذي لا يغلب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح
ذلك فقال أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما كأنه لما انكر عليهم التصرف في نبوته
بانه ليس لهم ملك عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية لها اردف لها ذلك بانه ليس لهم
مدخل في امر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها
فليرتقوا في الاسباب جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ذلك فليصعدوا
في المعارج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلوا
الوحي الى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب في الاصل هو الوصلة
وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية جند ما هنالك
مهزوم من الاحزاب اي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور
عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف في الامور الربانية فلا تكترث بما
يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء و
هو يلائم ما بعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب
لمثل هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد ذو
الملك الثابت بالاوتاد كقوله ولقد غنوا فيها في ظل ملك
ثابت الاوتاد ماخوذ من ثبات البيت المطنب باوتاده او ذو الجموع الكثيرة
سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضهم كالوتد يشد البناء وقيل ...

وكان يمد يدي المعذب ورجليه على اربعة اوتاد او يتركه حتى يموت وثمود وقوم لوط
واصحاب الايكة واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب اولئك الاحزاب يعني المتحزبين
على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم ان كل الا كذب الرسل بيان لما
اسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع من التاكيد ليكون تسجيلا
على استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب عليهم فحق عقاب وهو اما مقابلة الجمع
بالجمع او جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم وما ينظر هؤلاء وما ينتظر
قومك او الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم في علم
الله الا صيحة واحدة هي النفخة ما لها من فواق من توقف مقدار فواق وهو ما بين
الحلبتين او رجوع وترداد فان فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرأ حمزة والكسائي
بالضم وهما لغتان وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذي توعدنا به
او الجنة التي تعد للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال للصحيفة الجائزة قط لانها
قطعة من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها قبل يوم
الحساب استعجلوا ذلك استهزاء اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود
واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية في اعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه بعظائم
النعم والمكرمات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل و
التعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان
او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على اهمال عنان
نفسه ادنى اهمال ذا الايد ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد واد واياد بمعنى
انه اواب رجاع الى مرضات الله وهو تعليل للايد دليل على ان المراد به القوة
في الدين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل انا سخرنا الجبال معه يسبحن

تسبيحه ويسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية
والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال بالعشي والاشراق ووقت الاشراق وهو حين
تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال
شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ انه صلى صلوة الضحى وقال هذه صلوة الاشراق
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الاية والطير محشورة
اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة
منه مدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر كل له اواب كل واحد من
الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه وبين ما قبله انه يدل على
الموافقة في التسبيح وهذا على المداومة عليها او كل منهما ومن داود مرجع لله
التسبيح وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد
للمبالغة وقيل ان رجلا ادعى بقرة على اخر وعجز عن البيان فاوحي اليه ان اقتل المدعى
عليه فاعلمه فقال صدقت اني قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت بذلك
هيبته صدقت اني قتلت اباه واتيناه الحكمة النبوة او كمال العلم واتقان العمل
وفصل الخطاب فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل او الكلام المخلص الذي ينبه
المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف
والاستئناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمي به
اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلوة وقيل هو الخطاب
الفصل الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء في وصف كلام الرسول
فصل لا نزر ولا هذر وهل اتاك نبأ الخصم استفهام معناه التعجب والتشويق
الى استماعه والخصم في الاصل مصدر ولذلك اطلق الجمع اذ تسوروا المحراب اذ

تسعدوا سور الغرفة تفعل من عليها السور كتسنم من السنام واذ متعلق
بمحذوف اى نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع في عهد
داود وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اى قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه
من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه الرسول لم يكن حينئذ واذ الثانية اذ دخلوا على داود
بدل من الاولى او ظرف لتسوروا ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب
والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه فانه كان عم جزأ زمانه يوما للعبادة و
يوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صورة
الانسان في يوم الخلوة قالوا لا تخف خصمان نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب
الخصم خصما بغى بعضنا على بعض وهو على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة
وهو المشهور فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر في الحكومة وقرئ ولا
تشطط اى ولا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل من معنى الشطط وهو
مجاوزة الحد واهدنا الى سواء الصراط الى وسطه وهو العدل ان هذا اخي
بالدين او بالصحبة له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضان
وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ في المقصود و
قرئ تسع وتسعون نعجة بفتح التاء ونعجة بكسر النون فقال اكفلنيها ملكنيها
وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اى نصيبي
وعزني في الخطاب وغلبني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج لم
اقدر رده او في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني
خطابا حيث زوجها دوني وقرئ وعازني اى غالبني وعزني على تخفيف
غريب لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به المبالغة

في انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق المدعي
والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة
وان كثيرا من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط ليبغي ليتعدى بعضهم
على بعض وقرئ بفتح الياء على تقدير نون الخفيفة وحذفه كقوله اضرب عنك الهموم
طارقها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم
اى وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم وظن داود انما فتناه ابتليناه
بالذنب او امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا
ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه او خر للسجود راكعا او مصليا كانه احرم بركعتي
الاستغفار واناب ورجع الى الله بالتوبة واقصى ما في هذا الاشعار بانه عم ود
ان يكون له ما لغيره وكان له امثاله فنبهه الله بهذه القضية فاستغفر واناب عنه
وما روي ان بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان
ان صح فلعله خطب مخطوبته او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم
وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى وما قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد
مرارا فامر ان يتقدم حتى قتل فتزوجها هراء وافتراء ولذلك قال علي رضي الله عنه من حدث
بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا
ان يقتلوه فتسوروا المحراب فدخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا
التحاكم فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر
ربه مما هم به واناب فغفرنا له ذلك اى ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفى
لقربة بعد المغفرة وحسن مآب مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة
في الارض استخلفناك على الملك فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء والقائمين

بالحق فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله تعالى ولا تتبع الهوى ما تهوى النفس وهو يؤيد
ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعي وتظليم الآخر قبل مسألته فيضلك عن
سبيل الله لدلائله التي نصبها على الحق ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد
بما نسوا يوم الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة
الحق ومخالفة الهوى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا خلقا باطلا لا حكمة
فيه او ذوي باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات وما بينهما لاعبين
او للباطل الذي هو متابعة الهوى بل للحق الذي هو مقتضى الدليل من التوحيد
والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على وضعه موضع
المصدر مثل هنيئا ذلك ظن الذين كفروا الاشارة الى خلقها باطلا والظن
بمعنى المظنون فويل للذين كفروا من النار بسبب هذا الظن ام نجعل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام منقطعة والاستفهام فيها للانكار
والتسوية بين الحزبين التي هي من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التي في قوله ام نجعل
المتقين كالفجار كانه انكر التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين
والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان
التسوية من الحكيم الرحيم والآية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان
يكون في الدنيا والغالب فيها عكس ما يقتضي الحكمة فيه او غيرها وذلك يستدعي ان
يكون لهم حال اخرى يجازون فيها كتاب انزلناه اليك مبارك نفاع وقرئ بالنصب
على الحال ليدبروا آياته ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات
الصحيحة والمعاني المستنبطة وقرئ لتدبروا على الاصل اى انت وعلماء امتك
وليتذكر اولوا الالباب وليتعظ به ذوو العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز

في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية لبيان ما لا يعرف
الا من الشرع وارشاد الى ما يستقل به العقل ولعل التدبر للاول والتذكر للثاني
ووهبنا لداود سليمان نعم العبد اى نعم العبد سليمان اذ ما بعده تعليل
للمدح وهو من حاله انه اواب رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح مرجع
له اذ عرض عليه ظرف لاواب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور بالعشي بعد
الظهر الصافنات الصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو
من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يكون الا في العراب الخلص الجياد جمع جواد او جود
وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود في الركض وقيل جمع جيد روي انه عم غزا دمشق
ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها
ولم يزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له فاغتم لما فاته
واستردها فعقرها تقربا الى الله فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي اصل احببت
ان يتعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي تعديته وقيل هو
بمعنى تقاعدت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا اى برك وحب الخير مفعول له والخير
المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عم
الخير معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة حتى توارت بالحجاب اى غربت الشمس
شبه غروبها بتواري المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليه ردوها
علي الضمير للصافنات فطفق مسحا بالسوق والاعناق اى فاخذ يمسح السيف مسحا بساقها
واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها
وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ما قبلها كموقن وعن ابي عمرو

بالسوق كما في سوقي وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالتباس ولقد فتنا
سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب واظهر ما قيل فيه ما روي مرفوعا انه قال
لاطوفن الليلة على سبعين امراة تاتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل
ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة جاءت بشق رجل والذي نفس محمد بيده لو قال
ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان
يغذوه في السحاب فما شعر به الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه بان لم يتوكل على الله
وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب ابنته جرادة فاحبها فكان لا يرقا
دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح
مع ولايدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبره اصف فكسر الصورة وضرب المراة
وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل للطهارة
اعطاها خاتمه فكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه
صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء
الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة
قد ادركته وكان يدور على البيوت ويتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت
الصورة في بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت
في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا
الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله
عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لا يضره قال رب
اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي

مناسبة لحالي او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي
لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة
لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه
بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة انك انت الوهاب
المعطي ما تشاء لمن تشاء فسخرنا له الريح فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ
الرياح تجري بامره رخاء لينة من الرخاوة لا تزعزع او لا تخالف ارادته كالمأمور المنقاد
حيث اصاب اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطا الجواب والشياطين عطف
على الريح كل بناء وغواص بدل منه واخرين مقرنين في الاصفاد عطف على
كل كانه فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة
قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلا
ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران
في الصفد وهو القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما
فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه عكس وعد واوعد وفي ذلك نكتة هذا
عطاؤنا اي هذا الذي اعطيناك من الملك والبسطة والتسليط على ما لم يسلط
به غيرك عطاؤنا فامنن او امسك فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب
حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك او
من العطاء او صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره وقيل
الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم في القيد
وان له عندنا لزلفى في الاخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن ماب
هو الجنة واذكر عبدنا ايوب هو ابن عيص بن اسحق وامراته ليا بنت يعقوب

اذ نادى ربه بدل من عبدنا وايوب عطف بيان له اني مسني الشيطان بنصب
بتعب وعذاب الم وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به ولولاه لقال انه مسه
بالاسناد الى الشيطان اما لان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة
ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم
يغزه او لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس
الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد من النصب والعذاب ما كان
يوسوس اليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرا يعقوب
بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل
اركض برجلك حكاية لما اجيب به اي فقلنا له اركض برجلك الارض هذا مغتسل بارد وشراب
اي فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل اي تغتسل به وتشرب منه فيبرا باطنك وظاهرك
وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى ووهبنا له
اهله بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم واحييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم
ومثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى لاولي
الالباب وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجاء الى الله فيما يحيق بهم وخذ بيدك
ضغثا عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه فاضرب به ولا تحنث
روي ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افراثيم بن يوسف ذهبت لحاجة
وابطات فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية في
الحدود انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه
الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك
خيفة ان يفتنه او قومه في الدين نعم العبد ايوب انه اواب مقبل بشراشره على الله

واذكر

واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب وقرا ابن كثير عبدنا وضع الجنس
موضع الجمع او على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق ويعقوب عطف
عليه اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال
الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن
المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعماة انا
اخلصناهم بخالصة جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هي
ذكرى الدار تذكرهم للاخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسببها وذلك لان
مطمح نظرهم فيما ياتون به ويذرون جوار الله والفوز بلقائه وذلك في الاخرة و
اطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف نافع وهشام
بخالصة الى ذكرى للبيان او لانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله وانهم
عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم
في الخير جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير على تخفيفه كاموات جمع ميت او
ميت واذكر اسمعيل واليسع وهو ابن اخطوب استخلفه الياس على
بني اسرائيل ثم استنبئ واللام كما في قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا
وقرا حمزة والكسائي والليسع تشبيها بالمنقول من الليسع من اللسع وذا الكفل
ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبي
من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلوة
وكل اي وكلهم من الاخيار هذا اشارة الى ما تقدم من امورهم ذكر شرف لهم
او نوع من الذكر وهو القران ثم شرع في بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال وان
للمتقين لحسن ماب مرجع جنات عدن عطف بيان لحسن ماب وهو من الاعلام

الغالبة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده وانتصب عنها مفتحة لهم الابواب
على الحال والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر
او انهما خبران لمحذوف متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب حالان
متعاقبان او متداخلان من الضمير في لهم لا من المتقين للفصل والاظهر ان يدعون استيناف
لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره فالاقتصار على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم
لمحض التلذذ فان التغذي للتحلل ولا تحلل ثم وعندهم قاصرات الطرف لا ينظرن الى
غير ازواجهن اتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز
فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهم في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم
الحساب لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء ما قبله
ان هذا لرزقنا ما له من نفاد انقطاع هذا اى الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا
وان للطاغين لشر مآب جهنم اعرابه ما سبق يصلونها حال من جهنم فبئس المهاد
المهد والمفترش مستعار من فرش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم هذا
هذا فليذوقوه اى ليذوقوا هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز
ان يكون مبتدا وخبره حميم وغساق وهو على الاولين خبر محذوف اى هو حميم
والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقرا
حفص وحمزة والكسائي غساق بتشديد السين وآخر اى مذوق او عذاب آخر
وقرا البصريان واخرى ومذوقات اى انواع عذاب اخر من شكله من مثل هذا
المذوق او العذاب في الشدة وتوحيد الضمير على انه لما ذكر او للشراب الشامل
للحميم والغساق او للغساق وقرئ بالكسر وهي لغة ازواج اجناس خبر لاخر او صفة
له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية

ما قيل للرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال و
الاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة
للفوج او حال او مقول فيهم لا مرحبا اى ما اتوا بهم رحبا وسعة انهم صالوا النار داخلون
النار باعمالهم مثلنا قالوا اى الاتباع للرؤساء بل انتم لا مرحبا بكم بل انتم احق بما قلتم
او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا انتم قدمتموه لنا قدمتم العذاب او الصلي
لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمه من العقائد الزائغة والاعمال القبيحة فبئس القرار
فبئس المقر جهنم قالوا اى الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا
في النار مضاعفا اى ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله
ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقالوا اى الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا
نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين تسترذلونهم ويسخرون بهم اتخذناهم
سخريا صفة اخرى لرجالا وقرا الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على انه
انكار على انفسهم وتانيب لها في الاستسخار منهم وقرا نافع وحمزة والكسائي سخريا بالضم
وقد سبق مثله في المؤمنين ام زاغت عنهم الابصار فلا نراهم وام
معادلة لما لنا لا نرى على ان المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا ليسوا ههنا ام زاغت
عنهم ابصارنا او لاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اى الامرين فعلنا بهم الاستسخار
منهم ام تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهما على انفسهم او منقطعة
والمراد الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور
انظارهم على رثاثة حالهم ان ذلك الذي حكيناه عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به
ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار وهو بدل من حق او خبر محذوف وقرئ بالنصب
على البدل من ذلك قل يا محمد للمشركين انما انا منذر انذركم عذاب الله وما من اله الا الله

الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته القهار لكل شيء رب السماوات والارض
وما بينهما من خلقها واليه امرها العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب الغفار الذي يغفر
ما يشاء من الذنوب لمن يشاء وفي هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد
للموحدين والمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو هو الانذار قل
هو اى ما انبأتكم به من اني نذير من عقوبة من هذه صفته وانه واحد في الوهيته
وقيل ما بعده من نبأ آدم نبأ عظيم انتم عنه معرضون لتمادي غفلتكم فان
العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر واما
على النبوة فقوله ما كان لي من علم بالملإ الاعلى اذ يختصمون فان اخباره عن تقاول
الملائكة وما جرى بينهم على ما وردت في الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب
لا يتصور الا بالوحي واذ متعلق بعلم او بمحذوف اذ التقدير من علم بكلام الملإ الاعلى
ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اى لانما كانه لما جوز ان الوحي ياتيه
بين بذلك ما هو المقصود به تحقيقا لقوله انما انا منذر ويجوز ان يرتفع باسناد
يوحى اليه وقرئ انما بالكسر على الحكاية اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا
من طين بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة التي دخلت عليها اذ مشتملة
على تقاول الملائكة وابليس في خلق آدم واستحقاقه للخلافة والسجود على ما مر
في البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود منها
هو انذار المشركين على استكبارهم على النبي صلعم بمثل ما حاق ابليس على استكباره
على آدم هذا ومن الجائز ان يكون مقاولة الله اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملإ الاعلى
بما يعم الله والملائكة فاذا سويته عدلت خلقته ونفخت فيه من روحي واحييته
بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته فقعوا له فخروا له ساجدين تكرمة

وتبجيلا له وقد مر الكلام فيه في البقرة فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس
استكبر تعظم وكان وصار من الكافرين باستكباره امر الله واستكباره عن المطاوعة
وكان منهم في علم الله قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي خلقته
بنفسي من غير توسط كاب وام والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف
الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعي للتعظيم
او بانه الذي تشبث به في تركه وهو لا يصلح مانعا اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده
لبعض سيما وله مزيد اختصاص استكبرت ام كنت من العالين تكبرت من غير
استحقاق او كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الان ام لم تزل كنت من
المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار قال انا
خير منه ابداء للمانع وقوله خلقتني من نار وخلقته من طين دليل عليه وقد سبق
الكلام فيه قال فاخرج منها من الجنة او السماء او الصورة الملكية فانك رجيم
مطرود من الرحمة ومحل الكرامة وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني
الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم مر بيانه في الحجر قال فبعزتك
فبسلطانك وقهرك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصهم الله
لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا قلوبهم لله على اختلاف القراءتين قال فالحق
والحق اقول اى فاحق الحق واقوله وقيل الحق الاول اسم الله تعالى ونصبه بحذف حرف
القسم كقوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم
اجمعين وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف والجملة تفسير الحق المقول
وقرا عاصم وحمزة برفع الاول على الابتداء اى الحق يميني او قسمي او الخبر اى انا الحق وقرئا
مرفوعين على حذف الضمير من اقول كقوله كله لم اصنع ومجرورين على اضمار حرف القسم في الاول

وحكاية لفظ المقسم به في الثاني للتوكيد وهو سائغ فيه اذا شارك الاول وبرفع الاول
وجره ونصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا والضمير في منهم للناس والكلام فيهم والمراد
منك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين واجمعين تاكيد له وللضمير في قل
ما اسالكم عليه من اجر اي على القران او تبليغ الوحي وما انا من المتكلفين
المتصنعين بما لست من اهله على ما عرفتم من حالي فانتحل النبوة واتقول القران ان هو
الا ذكر عظة للعالمين للثقلين ولتعلمن نباه وهو ما فيه من الوعد والوعيد او صدقه
باتيان ذلك بعد حين بعد الموت او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وفيه تهديد
وعن النبي عم من قرا سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات
وعصمه ان يصر على ذنب صغيرا او كبيرا

سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادي الاية ايها خمس وسبعون او ثنتان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب خبر محذوف مثل هذا او مبتدا خبره من الله العزيز الحكيم وهو على
الاول صلة التنزيل وخبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة او التنزيل والظاهر ان الكتاب
على الاول السورة وعلى الثاني القران وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرا او الزم
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا بالحق او بسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله
فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء وقرئ برفع الدين على
الاستيناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتاكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به
مؤكدا واجراه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال الا لله الدين الخالص
اي الا هو الذي وجب اختصاصه بان يخلص له الطاعة فانه المتفرد بصفات الالوهية
والاطلاع على الاسرار والضماير والذين اتخذوا من دونه اولياء يحتمل المتخذين من الكفرة

والمتخذ

والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة
المساق عليهم وهو مبتدا خبره على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى باضمار
القول وان الله يحكم بينهم وهو متعين على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر بما
في حيزه حالا او بدلا من الصلة وزلفى مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم
الا ليقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا فيما هم فيه يختلفون
من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم و
لمعبودهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم ان الله لا يهدي لا يوفق للاهتداء
الى الحق من هو كاذب كفار فانهما فاقدا البصيرة لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا
لاصطفى مما يخلق ما يشاء اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوق لقيام الدلالة على امتناع
وجود واجبين ووجوب استناد ما عدا الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لا يماثل الخالق
فيقوم مقام الولد له ثم قرر ذلك بقوله سبحانه هو الله الواحد القهار فان الالوهية
الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهي تنافي المماثلة فضلا عن التوالد
لان كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية
المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله خلق السموات
والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور الليل على النهار يغشي كل واحد
منهما الاخر كانه يلف عليه لف اللباس باللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف با
اللفافة او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وسخر الشمس و
القمر كل يجري لاجل مسمى هو منتهى دوره او منقطع حركته الا هو العزيز الغالب
على كل ممكن الغالب على كل شيء الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما
في هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها

زوجها استدلال اخر بما اوجده في العالم السفلي مبدوا به من خلق الانسان
لانه اقرب واكثر دلالة واعجب وفيه على ما ذكره ثلاث دلالات خلق ادم اولا
من غير اب وام ثم خلق حوا من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفايت للحصر منهما وثم للعطف
منهما وثم للعطف بمحذوف هو صفة نفس مثل خلقها او على معنى واحدة اي من نفس
وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الايتين
فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منه
حواء وانزل لكم وقضى من السماء او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء
حيث كتب في اللوح او احدث لكم باسباب نازلة كاشعة الكواكب والامطار
من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز يخلقكم
في بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسي والانعام اظهارا لما
فيها من عجايب القدرة غير انه غلب اولي العقل او خصهم بالخطاب لانهم المقصودون
خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية
من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف في ظلمات ثلاث ظلمة البطن والرحم والمشيمة
او الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه افعاله الله ربكم هو المستحق لعبادتكم
والمالك له الملك لا اله الا هو اذ لا يشاركه في الخلق غيره فانى تصرفون يعدل بكم
عن عبادته الى الاشراك ان تكفروا فان الله غني عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده
الكفر لاستضرارهم به رحمة عليهم وان تشكروا يرضه لكم لانه سبب فلاحكم وقراه
ابن كثير ونافع في رواية وابو عمرو والكسائي باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف
الالف موصولة بمتحرك وعن ابي عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها ولا تزر وازرة
وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازاة

انه عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه خافية من اعمالكم واذا مس الانسان ضر دعا
ربه منيبا اليه لزوال ما ينازع العقل في الدلالة على ان مبدا الكل منه ثم اذا
خوله اعطاه من الخول وهو التعهد او الخول وهو الافتخار نعمة منه من الله نسي ما
كان يدعو اليه اي نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه او ربه الذي كان يتضرع
اليه وما مثله الذي في قوله وما خلق الذكر والانثى من قبل من قبل النعمة وجعل لله
اندادا ليضل عن سبيله وقراه ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال و
الاضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين قل تمتع بكفرك قليلا
امر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع تشه لا سند له واقناط الكافرين من التمتع
في الاخرة ولذلك علله بقوله انك من اصحاب النار على سبيل الاستيناف للمبالغة امن
هو قانت قايم بوظايف الطاعات اناء الليل ساعاته وام متصلة بمحذوف تقديره الكافر
خير امن هو قانت او منقطعة والمعنى بل امن هو قانت كمن ضده وقرا الحجازيان وحمزة
بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت لله كمن جعل له اندادا ساجدا وقايما حالان من
ضمير قانت وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر الاخرة
ويرجوا رحمة ربه في موضع الحال او الاستيناف للتعليل قل هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيها
باعتبار القوة العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه
اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون انما يتذكر
اولوا الالباب بامثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام قل يا عبادي
الذين امنوا اتقوا ربكم بلزوم طاعته للذين احسنوا في هذه الدنيا
حسنة اي للذين احسنوا بالطاعات في الدنيا مثوبة حسنة في الاخرة وقيل

معناه للذين احسنوا حسنة في الدنيا هي الصحة والعافية وفي هذه بيان لمكان حسنة
وأرض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه
إنما يوفى الصابرون على مشاق الطاعة من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان لها
أجرهم بغير حساب اجرا لا يهتدي اليه حساب الحساب وفي الحديث انه ينصب الموازين
يوم القيمة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا ينصب لاهل البلاء
بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض
مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين
موحدا له وأمرت لأن أكون أول المسلمين وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم
في الدنيا والآخرة لان قصب السبق في الدين بالاخلاص او لانه اول من اسلم وجهه لله
من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار
بان العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهي ايضا يقتضيه
لما يلزم من السبق في الدين ويجوز ان يجعل اللام مزيدة كما في اردت لان افعل فيكون
امرا بالتقدم في الاخلاص والبدء بنفسه في الدعاء اليه بعد الامر به قل إني
أخاف إن عصيت ربي بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك والريا
عذاب يوم عظيم لعظمة ما فيه قل الله أعبد مخلصا له ديني امر بالاخبار عن
اخلاصه وان يكون مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مأمورا بالعبادة
والاخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه
قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديدا وخذلانا لهم قل إن الخاسرين الكاملين
في الخسران الذين خسروا أنفسهم بالضلال وأهليهم بالاضلال يوم القيمة
حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا

اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل
الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده ألا ذلك هو الخسران المبين مبالغة في
خسرانهم لما فيه من الاستيناف والتصدير بألا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران
ووصفه بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار شرح لخسرانهم ومن تحتهم ظلل
اطباق من النار وهي ظلل للآخرين ذلك يخوف الله به عباده ذلك العذاب هو الذي
يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي
والذين اجتنبوا الطاغوت البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام
على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت ثم وصف به للمبالغة في النعت ولذلك
اختص بالشيطان أن يعبدوها بدل اشتمال منه وأنابوا إلى الله واقبلوا اليه
بشراشرهم عما سواه لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل او الملائكة عند حضور
الموت فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضع فيه الظاهر
موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبدا اجتنابهم بانهم نقاد في الدين
يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الافضل أولئك الذين هداهم الله
لدينه وأولئك هم أولو الألباب العقول السليمة عن منازعة العادة وفي
ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها أفمن حق عليه
كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار جملة شرطية معطوفة على محذوف
دل عليه الكلام تقديره أانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه
وكررت الهمزة في الجزاء لتاكيد الانكار والاستبعاد ووضع من في النار
موضع الضمير لذلك وللدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع
الخلف فيه وان اجتهاد الرسول في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار

ويجوز ان يكون انت تنقذ جملة مستانفة للدلالة على ذلك والاشعار بالجزاء
المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض
مبنية بنيت بناء المنازل على الارض تجري من تحتها الأنهار اي من تحت تلك الغرف
وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف في معنى الوعد لا يخلف الله الميعاد لان الخلف
نقص وهو على الله محال ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء هو المطر فسلكه فادخله ينابيع
في الأرض هي عيون ومجاري كائنة فيها او مياه نابعة فيها اذ الينبوع جاء للمنبع
وللنابع فنصبها على الظرف او المصدر او الحال ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه اصنافه
من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما ثم يهيج ثم يتم جفافه لانه
اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منبته فتراه مصفرا من يبسه ثم يجعله حطاما
فتاتا إن في ذلك لذكرى لتذكيرا بانه لا بد من صانع حكيم دبره وسواه
وبانه مثل الحيوة الدنيا فلا تغتر بها لأولي الألباب اذ لا يتذكر به غيرهم أفمن
شرح الله صدره للإسلام حتى تمكن فيه بيسر عبر به عمن خلق نفسه شديدة الاستعداد
لقبوله غير متابية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق بالنفس القابل
للاسلام فهو على نور من ربه يعني المعرفة والاهتداء الى الحق وعنه عم اذا دخل النور
القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي
عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزوله وخبره محذوف دل عليه قوله فويل
للقاسية قلوبهم من ذكر الله من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من
لان القاسي من اجل الشيء اشد تابيا عن قبوله من القاسي عنه لسبب اخر وللمبالغة
في وصف اولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر واسنده
الى الله وقابله بقساوة القلب واسنده اليهم أولئك في ضلال مبين يظهر للناظر

بادنى نظر والاية نزلت في حمزة وعلي وابي لهب وولده الله نزل أحسن الحديث يعني
القران روي ان اصحاب رسول الله ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم
الله وبناء نزل عليه تاكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه كتابا
متشابها بدل من احسن او حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم
وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة مثاني جمع مثنى او مثنى ومثنى على ما مر في
الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القران سور وآيات والانسان عظام
وعروق واعصاب او جعل تمييزا عن متشابها كقولك رايت رجلا حسنا شمائله تقشعر
منه جلود الذين يخشون ربهم تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة
الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس
بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب قمطر من القمط وهو الشد ثم تلين جلودهم
وقلوبهم إلى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان اصل امره
بالرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمئنان
وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها ذلك اي الكتاب او الكائن
من الخشية والرجاء هدى الله يهدي به من يشاء هدايته ومن يضلل الله ومن
يخذله فما له من هاد يخرجه من الضلالة أفمن يتقي بوجهه يجعله درقة يقي به
نفسه لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه سوء العذاب
يوم القيمة كمن هو آمن منه فحذف الخبر كما حذف في نظائره وقيل للظالمين اي لهم
فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو
ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وباله والواو للحال وقد مقدرة كذب الذين
من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يخطر ببالهم ان الشر

بأسهم فأذاقهم الله الخزي الذل في الحيوة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي و
الإجلاء ولعذاب الآخرة المعد لهم أكبر لشدته ودوامه لو كانوا يعلمون لو كانوا من أهل
العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل
مثل يحتاج إليه الناظر في أمر دينه لعلهم يتذكرون يتعظون به قرآنا عربيا
حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا أو مدح له
غير ذي عوج لا اختلال فيه بوجه ما وهو أبلغ من المستقيم وأخص بالمعاني وقيل
بالشك استشهادا بقوله * وقد أتاك يقين غير ذي عوج * من الإله وقول غير مكذوب
وهو تخصيص له ببعض مدلوله لعلهم يتقون علة أخرى مرتبة على الأولى ضرب الله
مثلا للمشرك والموحد رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل
مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من أن يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته
ويتنازعون فيه بعبد يتشاركه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهامهم المختلفة
في تحيره وتوزع قلبه والموحد لمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل
من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخس الاختلاف وقرأ نافع وابن عامر
والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وثلاثتها
مصادر وصف بها أو حذف منها ذا أو رجل سالم أي وهنا لك رجل سالم
وتخصيص الرجل لأنه أفطن للضر والنفع هل يستويان مثلا صفة وحالا ونصبه
على التمييز ولذلك وحد وقرئ مثلين للإشعار باختلاف النوع أو لأن المراد هل
يستويان في الوصفين على أن الضمير للمثلين فإن التقدير مثل رجل ومثل رجل
الحمد لله كل الحمد له لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لأنه المنعم بالذات والمالك على
الإطلاق بل أكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره من فرط جهلهم إنك ميت

وإنهم ميتون فإن الكل بصدد الموت وفي عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون
لأنه مما سيحدث ثم إنكم على تغليب المخاطب على الغيب يوم القيمة عند ربكم
تختصمون فتحتج عليهم بأنك كنت على الحق بالتوحيد وكانوا على الباطل
في التشريك واجتهدت في الإرشاد والتبليغ ولجوا في التكذيب والعناد و
يعتذرون بالأباطيل مثل أطعنا سادتنا ووجدنا آباءنا وقيل المراد به الاختصام
العام فيخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم في الدنيا فمن أظلم ممن كذب على
الله بإضافة الولد والشريك إليه وكذب بالصدق وهو ما جاء به محمد إذ جاءه من غير توقف
وتفكر في أمره أليس في جهنم مثوى للكافرين وذلك يكفيهم مجازاة لأعمالهم
واللام يحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فإنهم يكذبون بما علم
صدقه وهو ضعيف لأنه مخصوص بمن فاجأه ما علم مجيء الرسول به بالتكذيب والذي
جاء بالصدق وصدق به للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله أولئك هم
المتقون وقيل هو النبي والمراد هو ومن تبعه كما في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب
لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول والمصدق أبو بكر وذلك يقتضي إضمار الذي
وهو غير جائز وقرئ وصدق به بالتخفيف أي صدق به الناس فأداه إليهم كما نزل
أو صار صادقا بسببه لأنه معجز يدل على صدقه وصدق به على البناء للمفعول لهم
ما يشاؤن عند ربهم في الجنة ذلك جزاء المحسنين على إحسانهم ليكفر الله عنهم
أسوء الذي عملوا خص الأسوء للمبالغة فإنه إذا كفر كان غيره أولى بذلك أو للإشعار
بأنهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون أنهم مقصرون مذنبون وأنما يفرط
من الصغاير أسوء ذنوبهم ويجوز أن يكون بمعنى السيء كقولهم الناقص والأشج أعدلا
بني مروان وقرئ أسوء جمع سوء ويجزيهم أجرهم ويعطيهم ثوابهم بأحسن الذي

كانوا يعملون فيعد لهم محاسن أعمالهم بأحسنها في زيادة الأجر وعظمته لفرط إخلاصهم
فيها أليس الله بكاف عبده استفهام إنكار للنفي مبالغة في الإثبات والعبد رسول الله
ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده وفسر بالأنبياء صلوات الله عليهم ويخوفونك
بالذين من دونه يعني قريشا فإنهم قالوا له إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا لعيبك إياها وقيل
إنه بعث خالدا إلى العزى ليكسرها فقال له سادنها أحذركها إن لها شدة فعمد إليها خالد فهشم
أنفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه لأنه الآمر له بما خوف عليه ومن يضلل الله حتى غفل
عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد يهديه إلى الرشاد ومن يهد
الله فما له من مضل إذ لا راد لفعله كما قال أليس الله بعزيز غالب منيع ذي انتقام
ينتقم من أعدائه ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله لوضوح البرهان
على تفرده بالخالقية قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر
هل هن كاشفات ضره أي أرأيتم بعدما تحققتم أن خالق العالم هو الله أن آلهتكم
إن أراد الله أن يصيبني بضر هل يكشفنه أو أرادني برحمة بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمسكها
عني وقرأ أبو عمرو كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته
قل حسبي الله كافيا في إصابة الخير ودفع الضر إذ تقرر بهذا التقرير أنه القادر الذي لا مانع
لما يريده من خير أو شر روي أن النبي ص سألهم فسكتوا فنزل ذلك وإنما قال كاشفات
وممسكات على ما يصفونها به من الأنوثة تنبيها على كمال ضعفها عليه يتوكل المتوكلون
لعلمهم بأن الكل منه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم اسم للمكان استعير للحال
استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم إني عامل أي على مكانتي
فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والإشعار بأن حاله لا يقف فإنه تعالى يزيده على
مر الأيام قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين فسوف تعلمون

من يأتيه عذاب يخزيه فإن خزي أعدائه دليل غلبته وقد أخزاهم الله يوم بدر ويحل
عليه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس لأجلهم
فإنه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق متلبسا به فمن اهتدى فإنما يهتدي
لنفسه إذ نفع به نفسه ومن ضل فإنما يضل عليها فإن وباله لا يتخطاها وما أنت
عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وإنما أمرت بالبلاغ وقد بلغت
الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها أي يقبضها عن الأبدان بأن
يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها إما ظاهرا أو باطنا وذلك عند الموت أو ظاهرا
لا باطنا وذلك عند الموت وظاهرا لا باطنا وهو في النوم فيمسك التي قضى عليها الموت
ولا يردها إلى البدن وقرأ حمزة والكسائي قضي بضم القاف وكسر الضاد والموت بالرفع
ويرسل الأخرى أي النائمة إلى بدنها عند اليقظة إلى أجل مسمى وهو الوقت المضروب
لموته وهو غاية جنس الإرسال وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه في ابن آدم نفس وروح
بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والحيوة
فتتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه إن في ذلك
من التوفي والإمساك والإرسال لآيات دالة على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته
لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالأبدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت
وإمساكها باقية لا يفنى بفنائه وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة في توفيها
عنها بالكلية حين الموت وإمساكها باقية لا يفنى بفنائه وما يعتريها من السعادة
والشقاوة والحكمة في توفيها عن ظواهرها وإرسالها حسا بعد حين إلى توفي آجالها
أم اتخذوا بل اتخذ قريش من دون الله شفعاء تشفع لهم عند الله قل أولو كانوا
لا يملكون شيئا ولا يعقلون أو يشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم

جمادات لا تقدر ولا تعلم قل لله الشفاعة جميعا لعله رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء
اشخاص مقربون هي تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة لا يستطيع احد شفاعة
الا باذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال له ملك السموات والارض فانه
مالك الملك كله لا يملك احد ان يتكلم في امره دون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون
يوم القيمة فيكون الملك له ايضا حينئذ واذا ذكر الله وحده دون
آلهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة انقبضت ونفرت واذا
ذكر الذين من دونه يعني الاوثان اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم
حق الله ولقد بالغ في الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا
حتى تنبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلئ غما حتى ينقبض اديم وجهه والعامل في
اذا المفاجاة قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة التجئ الى الله
بالدعاء لما تحيرت في كفرهم وعجزت في عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء
والعالم بالاحوال كلها انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون فانت وحدك
تقدر ان تحكم بيني وبينهم ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لا
فتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم في الوعد وبدا لهم سيئات ما كسبوا سيئات اعمالهم او كسبهم حين
تعرض صحائفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وحاط بهم جزاؤه فاذا مس
الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده
ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا
بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها

تفضلا فان التخويل مختص به قال انما اوتيته على علم على علم مني بوجوه كسبه او باني ساعطاه
لما لي من استحقاق او من الله بي واستيهالي والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة و
التذكير لان المراد بها شيء منها بل هي فتنة امتحان بها ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله
وتانيث الضمير باعتبار الخبر او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون
ذلك وهو دليل على ان الانسان للجنس قد قالها الذين من قبلهم قارون وقومه
الهاء لقوله انما اوتيته على علم عندي لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والذين
من قبلهم قارون وقومه فانه قاله ورضي به قومه فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
من متاع الدنيا فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات اعمالهم او جزاء اعمالهم
وسماه سيئة لانه في مقابلة اعمالهم السيئة رمزا الى ان جميع اعمالهم كذلك والذين ظلموا
بالعتو من هؤلاء المشركين ومن للبيان او للتبعيض سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما اصاب
اولئك وقد اصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم وما هم
بمعجزين فائتين اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حيث حبس
عنهم الرزق سبعا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون بان الحوادث كلها من
الله بوسط او غيره قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا في الجناية عليها
بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن
لا تقنطوا من رحمة الله لا تياسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب
جميعا عفوا ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على اطلاقه فيما
عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية والتعليل بقوله انه هو الغفور
الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي
عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر

الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله
بان الله يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على انه المستغني والمنعم
على الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي انه عم ما احب ان لي الدنيا وما فيها بها
فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلاث مرات
وما روي ان اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف
ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل في عياش والوليد بن الوليد
في جماعة فتنوا فافتتنوا او في الوحشي لا ينفي عمومها وكذا قوله وانيبوا الى ربكم واسلموا
له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون فانها لا تدل على حصول المغفرة لكل
احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن التوبة والاخلاص في العمل وتنافي الوعيد
بالتعذيب واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم القرآن والمامور به دون
المنهي عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم
كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون
بمجيئه فتتداركون ان تقول نفس كراهة ان تقول وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس
او للتكثير لقول الاعشى ه ورب بقيع لو هتفت بجوه ه اتاني كريم ينفض الراس مغضبا
يا حسرتى وقرئ بالياء على الاصل على ما فرطت بما قصرت في جنب الله في جانبه
او في حقه وهو طاعته قال سابق البربري ه اما تتقين الله في جنب وامق ه له كبد حرى
عليك تقطع ه وهو كناية فيها مبالغة كقوله ه ان السماحة والمروة والندى ه في قبة
ضربت على ابن الحشرج ه وقيل في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه
من قوله والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين المستهزئين
باهله ومحل وان كنت نصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله

هداني بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب
لو ان لي كرة فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على انه لا يخلو من هذه
الاقوال تحيرا وتعللا بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت
من الكافرين رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه
لان تقديمه يفرق القرائن وتاخير المردود يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر بالتفريط
ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تاخير قدرة الله في فعل العبد ولا ما
من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتانيث للنفس ويوم
القيمة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد وجوههم
مسودة بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر
ان ترى من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو اليس في جهنم مثوى للمتكبرين
عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك وينجي الله الذين اتقوا وقرئ و
ينجي بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيص لها باهم اقسامه
وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع
تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجي او لقوله لا يمسهم السوء ولا هم
يحزنون وهما حالا واستيناف لبيان المفازة الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان
وكفر وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه له مقاليد السموات والارض لا يملك
امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية
عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزائن لا يدخلها ولا
يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته
وقيل جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه انه سال النبي عم

عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول
ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على
كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات توحد بها وتمجد وهي مفاتيح خير
السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون
متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد مطلع
على افعالهم مجازٍ عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله و
في هلاك الكافرين بان خسروا انفسهم والتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية
للكرم او بما يليه والمراد بايات الله دلائل قدرته واستبداده بامر السموات والارض
او كلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم له حظ من الرحمة والثواب
قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون اي افغير الله اعبد بعد هذه الدلائل و
المواعيد وتامروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض الهتنا نؤمن
بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تامروني اعبد لانه بمعنى تعبدونني
على ان اصله تامرونني ان اعبد فحذفت ان ورفع كقوله احضر الوغاء ويؤيده قراءة
اعبد بالنصب وقرا ابن عامر تامرونني باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية
فانها تحذف كثيرا ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل لئن اشركت
ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل و
اقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى
موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم
لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت كما صرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن
دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب

على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك
وكن من الشاكرين انعامه عليه وفيه اشارة الى موجب الاختصاص وما قدروا الله
حق قدره وما قدروا عظمته في انفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكا ووصفوه
بما لا يليق به وقرئ بالتشديد والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات
بيمينه تنبيه على عظمته وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته
ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار
القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض
اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات
قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان
المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات
على انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى
عما يشركون ما ابعد واعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم او ما يضاف اليه من الشركاء
ونفخ في الصور يعني المرة الاولى فصعق من في السموات ومن في الارض خر
ميتا او مغشيا عليه الا من شاء الله قيل جبريل وميكائيل واسرافيل فانهم
يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى وهي تدل على ان المراد
بالاول ونفخ في الصور نفخة واحدة كما صرح به في مواضع واخرى يحتمل النصب والرفع
فاذا هم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون
وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون
ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل سماه نورا لانه
يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمي الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة

ولذلك اضاف اسمه الى الارض او بنور خلق فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضافه الى
نفسه ووضع الكتاب للحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف
الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف
وجيء بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون
وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب
على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا
يفوته شيء من افعالهم ثم فصل التوفية وقال وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا
افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض على تفاوت اقدامهم في الضلالة والشرارة جمع زمرة
واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة
الشعر ورجل زمر قليل المروة وقرا الكوفيون حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها
ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرئ الكوفيون فتحت بتخفيف
التاء وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم من جنسكم
يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا وقتكم هذا وهو
وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا
توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب
على الكافرين كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وانهم
من اهل النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك
بالكفرة وقيل هو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا
ابواب جهنم خالدين فيها ابهم القائل لتهويل ما يقال لهم فبئس مثوى
المتكبرين اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم سبق ذكره ولا ينافي اشعاره بان مثواهم

في النار لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم
فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال عم ان الله اذا خلق العبد للجنة
استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة فاذا خلق
العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله
به النار وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة اسراعا بهم الى دار الكرامة
وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا على تفاوت مراتبهم في الشرف
وعلو الطبقة حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها حذف جواب اذا للدلالة على
ان لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة تفتح لهم
قبل مجيئهم منتظرين وقرا الكوفيون فتحت بالتخفيف وقال لهم خزنتها سلام عليكم
لا يعتريكم بعده مكروه طبتم طهرتم من دنس المعاصي فادخلوها خالدين مقدرين
الخلود والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول
العاصي بعفوه لانه يطهره وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب
واورثنا الارض يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها
تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه
نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي يتبوأ كل منا في اي مقام اراده من الجنة الواسعة
مع ان في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة
وترى الملائكة حافين محدقين من حول العرش اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف
يسبحون بحمد ربهم ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى
ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى درجات
العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق وقضي بينهم بالحق اي بين

الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم
على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اي على ما قضى بيننا بالحق و
القائلون هم المؤمنون من المقضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم
عن النبي صلعم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة واعطاه الله ثواب
الخائفين وعن عائشة انه عم كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية وآيها خمس او ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم امال ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر صريحا ونافع برواية ورش وابو عمرو
بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين او النصب باضمار اقرأ ومنع
صرفه للتعريف والتأنيث او لانها على زنة اعجمي كقابيل وهابيل تنزيل الكتاب
من الله العزيز العليم لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن من الاعجاز والحكم الدال على
القدرة الكاملة والحكمة البالغة غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
ذي الطول صفات اخر لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود
منه والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب
مشدده او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وامن الالباس او ابدال وجعله
وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب
وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين
لان الغفر هو الستر فيكون لذنب باقيا وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب
كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب
المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها لا اله

الا هو فيجب الاقبال الكلي على عبادته اليه المصير فيجازي المطيع والعاصي ما يجادل في آيات
الله الا الذين كفروا لما حقق امر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض
الحق لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق واما الجدال فيه لحل عقده واستنباط
حقائقه وقطع تشبث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم الطاعات ولذلك
قال عم ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه على الحقيقة فلا يغررك
تقلبهم في البلاد فلا يغررك امهالهم واقبالهم في دنياهم وتقلبهم في بلاد
الشام واليمن بالتجارات المربحة فانهم ماخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم
كما قال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم والذين تحزبوا على الرسل
وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود وهمت كل امة من هؤلاء برسولهم و
قرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا من اصابتهم بما ارادوا من تعذيب وقتل من
الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل بما لا حقيقة له ليدحضوا به الحق ليزيلوه به
فاخذتهم بالاهلاك جزاء لهم فكيف كان عقاب فانكم تمرون على ديارهم
وترون اثره وهو تقرير فيه تعجيب وكذلك حقت كلمة ربك وعيده او قضاؤه
بالعذاب على الذين كفروا لكفرهم انهم اصحاب النار بدل من كلمة ربك بدل
الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى الذين يحملون العرش ومن حوله
الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم
حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له او كناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم
عنده وتوسطهم في نفاذ امره يسبحون بحمد ربهم يذكرون الله بمجامع الثناء
من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم
دون التسبيح ويؤمنون به اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق

الآية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون للذين آمنوا واشعارا بان حملة العرش وسكان الفرش
في معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب
المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة في الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس
لانها اقوى المناسبات كما قال انما المؤمنون اخوة ربنا اي يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون
او حال وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت رحمته وعلمه فازيل عن اصله للاغراق في
وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصود بالذات ههنا
فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم
عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد والدلالة على شدة العذاب
ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم اياها ومن صلح من آبائهم وازواجهم
وذرياتهم عطف على هم الاول اي ادخلهم معهم هؤلاء ليتم سرورهم او الثاني لبيان
عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد انك انت العزيز الذي
لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد
وقهم السيئات العقوبات او جزاء السيئات وهو تعميم بعدما سالوا المسبب تخصيص
او مخصوص بمن صلح او المعاصي في الدنيا لقوله ومن تق السيئات يومئذ فقد
رحمته اي ومن تقها في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كانهم طلبوا السبب بعد
ما سالوا المسبب وذلك هو الفوز العظيم يعني الرحمة او الوقاية او مجموعهما ان
الذين كفروا ينادون يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم
الامارة بالسوء اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ظرف لفعل دل عليه المقت الاول
لا له لانه اخبر عنه ولا للثاني لان مقتهم انفسهم يوم القيمة حين عاينوا جزاء اعمالهم الخبيثة
الا ان يؤول بنحو الصيف ضيعت اللبن وتعليل الحكم وزمان المقتين واحد قالوا

ربنا امتنا اثنتين اي اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم صيرتنا امواتا عند
انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشيء عادم الحياة ابتداء او تصييرا كالتصغير والتكبير
ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل
احد مفعوليه تصيير وصرف له عن الآخر واحييتنا اثنتين الاحياءة الاولى واحياءة
البعث وقيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجل والثانية في القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياء
الاول علما في القبر والثانية البعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه
ولم يكترثوا به ولذلك تسبب لقوله فاعترفنا بذنوبنا فان اعترافهم بها من اغترارهم
بالدنيا وانكارهم بالبعث فهل الى خروج نوع خروج من النار من سبيل طريق
فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا او تحيرا ولذلك اجيبوا بقوله
ذلكم الذي انتم فيه بانه بسبب انه اذا دعي الله وحده متحدا او توحيد وحده
فحذف الفعل واقيم مقامه في الحالية كفرتم بالتوحيد وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك فالحكم
لله المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد العلي الكبير من ان
يشرك به ويسوى بغيره حيث حكم على من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق بالعذاب السرمد ثم
العبادة هو الذي يريكم آياته الدالة على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا
لنفوسكم وينزل لكم من السماء رزقا اسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم وما يتذكر
بالآيات التي هي كالمركوزة في العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك في التقليد
واتباع الهوى الا من ينيب يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكر فيها فان الجازم
بشيء لا ينظر فيما ينافيه فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك ولو كره الكافرون
اخلاصكم وشق عليهم رفيع الدرجات ذو العرش خبران آخران للدلالة على
علو صمديته من المعقول والمحسوس الدال على تفرده في الالوهية وان من ارتفعت

درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذي هو أصل العالم الجسماني في
قبضة قدرته لا يصح أن يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات أو مصاعد الملائكة
إلى العرش والسموات أو درجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب على المدح يلقي الروح
من أمره على من يشاء من عباده خبر رابع للدلالة على أن الروحانيات أيضا مسخرات لأمره
بإظهار آثارها وهو الوحي وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحي ومن
أمره بيانه لأنه أمر بالخير أو مبدؤه والأمر هو الملك المبلغ إلى من عنده للنبوة وفيه دليل
على أنها عطائية لينذر غاية الإلقاء والمستكن فيه لله أو لمن أو للروح واللام
مع القرب يؤيد الثاني يوم التلاق يوم القيامة فإن فيه تتلاقى الأرواح و
الأجساد وأهل السماء والأرض والمعبودون والعباد والعامل والأعمال يوم هم
بارزون خارجون من قبورهم أو ظاهرون لا يسترهم شيء أو ظاهرة نفوسهم
لا تحجبهم غواشي الأبدان أو أعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء من
أعيانهم وأعمالهم وأحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وإزاحة لنحو ما يتوهم
في الدنيا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم
ولما يجاب به أو لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الأسباب وارتفاع الوسائط
وأما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما اليوم تجزى كل نفس بما كسبت كأنه
نتيجة لما سبق وتحقيقه أن النفوس تكتسب بالعقائد والأعمال هيئات توجب
لذتها وألمها لكنها لا تشعر بها في الدنيا لعوائق تشغلها فإذا قامت قيامتها زالت
العوائق وأدركت لذتها وألمها لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة العقاب إن الله
سريع الحساب إذ لا يشغله شأن عن شأن فيصل إليهم ما يستحقونه سريعا وأنذرهم
يوم الآزفة أي القيامة سميت بها لأزوفها أي قربها أو الخطة الآزفة وهي مشارفتهم

النار وقيل الموت إذ القلوب لدى الحناجر فإنها ترتفع عن أماكنها فتلتصق
بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا كاظمين على الغم حال من أصحاب
القلوب على المعنى لأنه على الإضافة أو منها أو من ضميرها في لدى وجمعه كذلك
لأن الكظم من أفعال العقلاء كقوله فظلت أعناقهم لها خاضعين أو من مفعول
أنذرهم على أنه حال مقدرة ما للظالمين من حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع
ولا شفيع مشفع والضمائر إن كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع
ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وأنه لظلمهم يعلم خائنة الأعين النظرة
الخائنة كالنظرة الثانية إلى غير المحرم واستراق النظر إليه أو خيانة الأعين وما تخفي
الصدور من الضمائر والجملة خبر خامس للدلالة على أنه ما من خفي إلا وهو متعلق العلم
والجزاء والله يقضي بالحق لأنه المالك الحاكم على الإطلاق فلا يقضي بشيء إلا وهو
حقه والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء تهكم بهم لأن الجماد لا يقال فيه
إنه يقضي أو لا يقضي وقرأ نافع وهشام بالتاء على الالتفات أو إضمار قل إن
الله هو السميع العليم تقرير لعلمه بخائنة الأعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على
ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه أولم يسيروا في الأرض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم
كعاد وثمود كانوا هم أشد منهم قوة قدرة وتمكنا وإنما جيء بالفصل وحقه أن
يقع بين معرفتين لمضارعة أفعل للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر أشد
منكم بالكاف وآثارا في الأرض مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى و
أكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم
من الله من واق يمنع العذاب عنهم ذلك الأخذ بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات

بالمعجزات والأحكام الواضحة فكفروا فأخذهم الله إنه قوي متمكن مما يريده غاية
التمكن شديد العقاب لا يؤبه بعقاب دون عقابه ولقد أرسلنا موسى بآياتنا
يعني المعجزات وسلطان مبين وحجة قاهرة ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين
أو لإفراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشأنه إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا
ساحر كذاب يعني موسى وفيه تسلية لرسول الله صلعم وبيان لعاقبة من هو أشد الذين
كانوا من قبلهم بطشا وأقربهم زمانا فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء
الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم أي أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم أولا
كي يصدوا عن مظاهرة موسى وما كيد الكافرين إلا في ضلال في ضياع ووضع الظاهر
فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلة وقال فرعون ذروني أقتل موسى
كانوا يكفونه عن قتله ويقولون إنه ليس الذي تخافه بل هو ساحر ولو قتلته
ظن أنك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا في أهون شيء
دليل على أنه تيقن أنه نبي فخاف من قتله أو ظن أنه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله
وليدع ربه فإنه تجلد وعدم مبالاة بدعائه إني أخاف إن لم أقتله أن يبدل
دينكم أن يغير ما أنتم عليه من عبادته وعبادة الأصنام كقوله
ويذرك وآلهتك أو أن يظهر في الأرض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب
والتهارج إن لم يقدر أن يبطل دينكم بالكلية وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو
وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء
والهاء ورفع الفساد وقال موسى أي لقومه لما سمع كلامه إني عذت بربي وربكم
من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر الكلام بإن تأكيدا وإشعارا على
أن السبب المؤكد في دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لأن المطلوب

هو الحفظ والتربية وإضافته إليه وإليهم حثا لهم على موافقته لما في تظاهر الأرواح
من استجلاب الإجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية
الحق والدلالة على الحامل له على القول وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي
عذت فيه وفي الدخان بالإدغام وعن نافع مثله وقال رجل مؤمن من آل فرعون من
أقاربه وقيل من متعلق بقوله يكتم إيمانه والرجل إسرائيلي أو غريب موحد كان
بينهم أتقتلون رجلا أتقصدون قتله أن يقول لأن يقول أو وقت أن يقول
من غير روية وتأمل في أمره ربي الله وحده وهو في الدلالة على الحصر مثل صديقي
زيد وقد جاءكم بالبينات المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات من
ربكم أضافه إليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم إلى
الاعتراف به ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وإن يك كاذبا فعليه
كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه إلى قتله وإن يك صادقا يصبكم
بعض الذي يعدكم فلا أقل من أن يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في التحذير وإظهار للإنصاف
وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا أو يصيبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا و
هو بعض مواعيده كأنه خوفهم بما هو أظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول
لبيد تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لأنه أراد
بالبعض نفسه إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب احتجاج ثالث لعله
ذات وجهين أحدهما أنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله إلى البينات ولما
عضده بتلك المعجزات وثانيهما أن من خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم إلى
قتله ولعله أراد به المعنى الأول وخيل إليهم الثاني لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون
بأنه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب وطريق النجاة يا قوم لكم الملك اليوم

ظاهرين غالبين عالين في الارض ارض مصر فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا اي فلا
تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما ادرج
نفسه في الضميرين لانه كان منهم في القرابة وليريهم انه معهم ومساهمهم فيما ينصحهم
قال فرعون ما اريكم الا ما ارى ما اشير اليكم الا ما ارى فاستصوبه من قتله وما اهديكم
وما اعلمكم الا ما علمت من الصواب وقلبي ولساني متواطئان عليه الا سبيل الرشاد
طريق الصواب وقرئ بالتشديد على انه فعال للمبالغة من رشد كعلام او من رشد
كعباد لا من ارشد كجبار لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات
وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له مثل يوم الاحزاب
مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم
مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر وايذاء
الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم
بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد
من حيث ان المنفي فيه نفي حدوث تعلق ارادته بالظلم ويا قوم اني اخاف عليكم
يوم التناد يوم القيامة ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل
والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكي في الاعراف وقرئ بالتشديد
وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه يوم تولون عن الموقف مدبرين
منصرفين عنه الى النار وقيل فارين عنها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه
ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف يوسف بن يعقوب على ان فرعون
فرعون موسى او على نسبة احوال الاباء الى الاولاد او سبطه يوسف بن افرائيم بن يوسف
من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات فما زلتم في شك مما جاءكم به

من الدين حتى اذا هلك مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيبه برسالتهم
تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ
الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الضلال يضل الله
في العصيان من هو مسرف مرتاب شاك فيما يشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك
في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاول لانه بمعنى الجمع بغير
سلطان بغير حجة بل اما بتقليد او بشبهة داحضة اتاهم كبر مقتا عند الله وعند
الذين آمنوا فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف
مضاف اي وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان وفاعل كبر كذلك
اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله يطبع الله على كل قلب متكبر جبار
استئنافا للدلالة على الموجب لجدالهم وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين
على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم رأت عيني وسمعت اذني اي على حذف
مضاف اي على كل ذي قلب متكبر وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا بناء مكشوفا عاليا
من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات بيان لها وفي
ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع الى معرفتها فأطلع الى اله موسى
عطف على ابلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجي ولعله اراد ان يبني له رصدا في
موضع عال ليرصد منه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية
فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى اياه وان يرى فساد قول موسى بان اخباره
من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو
مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه واني لاظنه كاذبا
في دعوى الرسالة وكذلك ومثل ذلك التزيين زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل

سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله ويدل عليه انه قرئ وزين بالفتح وبالتوسط
الشيطان وقرأ الحجازيان والشامي وابو عمرو وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى
بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده وما كيد فرعون الا في تباب
اي خسار وقال الذي آمن يعني مؤمن آل فرعون وقيل موسى يا قوم اتبعون اهدكم
بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما عليه فرعون
وقومه سبيل الغي يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع تمتع يسير لسرعة زوالها وان الآخرة
هي دار القرار لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها عدلا من
الله وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى
وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب بغير تقدير
وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمال وجعل
الجزاء اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل
عمدة والايمان حالا للدلالة على انه شرط في اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك
ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم
عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه
وعطفه على النداء الثاني الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على
الاول فان ما بعده ايضا تفسير لما اجمل فيه تصريحا او تعريضا او على الاول تدعونني
لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالى واللام و
اشرك به ما ليس لي به بربوبيته علم والمراد نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية
لا بد لها من برهان فاعتقادها لا يصح الا عن ايقان وانا ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع
لصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة

والقدرة

والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله
انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة اي حق عدم دعوة
الهتكم الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي الوهيتها او عدم دعوة
مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب
ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل
فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى
لا قطع لبطلان دعوة الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا و
يؤيده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد وان مردنا الى الله بالموت
وان المسرفين في الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار
ملازموها فستذكرون وقرئ فستذكرون فستذكر بعضكم بعضا عند معاينة
العذاب ما اقول لكم من النصيحة وافوض امري الى الله ليعصمني من كل سوء ان الله بصير
بالعباد فيحرسهم وكأنه جواب توعدهم المفهوم من قوله فوقاه الله سيئات ما
مكروا شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى وحاق بآل فرعون بفرعون و
قومه فاستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك وقيل بطلبة
المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلي والوحوش صفوف
حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق او القتل او النار النار يعرضون
عليها غدوا وعشيا جملة مستأنفة او النار خبر محذوف ويعرضون استئناف
للبيان او بدل ويعرضون استئناف للبيان او بدل ويعرضون حال منها
او من الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل
يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف

اذا قتلوا يوذن لك لا رواحهم كما روى ابن مسعود رضه ان ارواحهم في اجواف طير سود
تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتابيد
وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ويوم تقوم الساعة اي هذا ما دامت الدنيا
فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا آل فرعون يا آل فرعون اشد العذاب عذاب
جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وقرأ نافع وحمزة والكسائي
ويعقوب وحفص ادخلوا اي يقال للملائكة ادخلوهم النار واذ يتحاجون في
النار واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل العطف على غدوا فيقول الضعفاء للذين
استكبروا تفصيله انا كنا لكم تبعا تباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع بمعنى اتباع
على الاضمار او التجوز فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او الحمل ونصيبا
مفعول لما دل عليه مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيئا فيكون صلة لمغنون قال الذين
استكبروا انا كل فيها نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا
وقرئ كلا على التاكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا
من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم كقولك كل يوم
لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار لخزنة جهنم اي لخزنتها ووضع جهنم موضع
الضمير للتهويل او لبيان محلهم فيها اذ يحتمل ان يكون جهنم ابعد دركاتها من قولهم
بئر جهنام بعيدة القعر ادعوا ربكم يخفف عنا يوما قدر يوم من العذاب شيئا
من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه قالوا
اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات اراد به الزامهم الحجة وتوبيخهم على اضاعتهم
اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة قالوا بلى قالوا فادعوا فانا لا نجترئ فيه

والذين امنوا بالحجج

اذ لم يوذن في الدعاء لامثالكم وفيه اقناط لهم عن الاجابة وما دعاء الكافرين
الا في ضلال في ضياع لا يجاب انا لننصر رسلنا بالظفر والانتقام لهم من الكفرة
في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدارين ولا ينتقض ذلك بما
كان لهم من الغلبة امتحانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد
كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيمة للشهادة على الناس من
الملائكة والانبياء والمؤمنين يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول
وعدم نفع المعذرة لانها باطلة او لانه لا يوذن لهم فيعتذرون وقرأ غير
الكوفيين ونافع بالتاء ولهم اللعنة البعد من الرحمة ولهم سوء الدار جهنم ولقد
اتينا موسى الهدى ما يهتدى به في الدين من المعجزات والصحف والشرايع واورثنا
بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم بعده من ذلك التورية هدى وذكرى هداية
وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي الالباب لذوي العقول السليمة فاصبر على اذى
المشركين ان وعد الله حق بالنصر لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر
لذنبك واقبل على امر دينك وتدارك فرطاتك بترك الاولى والاهتمام بامر العدى با
لاستغفار فانه تعالى كافيك في النصر واظهار الامر وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار
ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة
ركعتان بكرة وركعتان عشيا ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان
اتيهم عام في كل مجادل مبطل وان نزلت في مشركي مكة او اليهود حين قالوا لست صاحبنا
بل هو مسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار ان في صدورهم
الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او ارادة الرياسة او ان النبوة و
الملك لا يكون الا لهم ما هم ببالغيه ببالغي دفع الايات او المراد فاستعذ بالله فالتجئ

اليه انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
فمن قدر على خلقها مع عظمها اولا من غير اصل قدر على خلق الانسان ثانيا من اصل
وهو بيان لا يشكل مما يجادلون فيه من امر التوحيد ولكن اكثر الناس لا يعلمون
لانهم لا ينظرون ولا يتاملون لفرط غفلتهم واتباعهم اهواءهم وما يستوي الاعمى
والبصير الغافل والمستبصر والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء و
المحسن والمسيء فينبغي ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة
لا في المسيء لان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعطف الثاني
عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود والدلالة
بالصراحة قليلا ما تتذكرون اي تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس
او الكفار وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب والالتفات او امر الرسول بالمخاطبة
ان الساعة لاتية لا ريب فيها في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل
على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور نظرهم
على ظاهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اعبدوني استجب لكم اثبكم
لقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين
صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته
للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها وقرأ ابن كثير وابو بكر سيدخلون
بضم الياء وفتح الخاء الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتستريحوا فيه بان
خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدوء الحواس والنهار مبصرا
يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل
الى الحال ان الله لذو فضل على الناس لا يوازيه فضل وللاشعار به لم يقل المفضل

ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس
لتخصيص الكفران بهم ذلكم المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية
الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصيص اللاحقة
السابقة وتقريرها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استينافا
بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون
عن عبادته الى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون
اي كما افكوا افك عن الحق كل من جحد بايات الله ولم يتاملها الله الذي جعل لكم
الارض قرارا والسماء بناء استدلال ثان بافعال اخر مخصوصة وصوركم فاحسن
صوركم بان خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات
متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات اللذائذ
ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين فان كل ما سواه مربوب مفتقر
بالذات معرض للزوال هو الحي المتفرد بالحيوة الذاتية لا اله الا هو اذ لا موجود
يساويه او يدانيه في ذاته وصفاته فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين
اي الطاعة من الشرك والرياء الحمد لله رب العالمين قائلين له قل اني نهيت
ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج و
الايات فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها وامرت ان اسلم لرب العالمين
ان انقاد له واخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة
ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اطفالا والتوحيد لارادة الجنس او على
تاويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا اشدكم اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره
ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا في قوله ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا

نافع وابو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين وقرئ شيخا بالكسر كقوله طفلا ومنكم
من يتوفى من قبل من قبل الشيخوخة او بلوغ الاشد ولتبلغوا ويفعل ذلك لتبلغوا
اجلا مسمى هو وقت الموت او القيمة ولعلكم تعقلون ما في ذلك من الحجج والعبر هو
الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فاذا اراده فانما يقول له كن فيكون فلا يحتاج
في تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث
انه يقتضي قدرة ذاتية غير موقوفة على العدد والمواد الم تر الى الذين يجادلون
في ايات الله انى يصرفون عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل والمجادل
فيه او للتوكيد الذين كذبوا بالكتاب بالقران او بجنس الكتب السماوية وبما
ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب او الوحي او الشرائع فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم
اذ الاغلال في اعناقهم ظرف اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضي لتيقنه
والسلاسل عطف على الاغلال او مبتدا وخبره يسحبون في الحميم والعائد محذوف
اي يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء
على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال
في اعناقهم بمعنى اعناقهم في الاغلال واضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ثم في النار
يسجرون يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه سجر بالحب
اي ملئ والمراد تعذيبهم بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض ثم قيل لهم
اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل
ان يقرن بهم الهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا
من قبل شيئا اي بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فانهم ليسوا
شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك مثل هذا الضلال يضل الله

الكافرين

الكافرين حتى لا يهتدوا الى شيء ينفعهم في الاخرة او يضلهم عن الهتهم حتى لو تطالبوا لم
يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض تبطرون وتتكبرون بغير الحق
وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح والعدول الى
الخطاب للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم الابواب السبعة المقسومة
لكم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى
النظم فبئس مدخل المتكبرين لكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثوى
عبر بالمثوى فاصبر ان وعد الله باهلاك الكفار حق كائن لا محالة فاما نرينك فان
نرك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا يلحق مع ان وحدها
بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ان تراه فالينا يرجعون يوم
القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل
فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم
في الاخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص
عليك اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصتهم
اشخاص معدودة وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله فان المعجزات عطايا
قسمها بينهم على ما اقتضت حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها و
الاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والاخرة
قضي بالحق بانجاء المحق وتعذيب المبطل وخسر هنالك المبطلون المعاندون
باقتراح الايات بعد ظهور ما يغنيهم عنها الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا
منها ومنها تاكلون فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب

وهو الابل والبقر ولكم فيها منافع كالالبان والجلود والاوبار ولتبلغوا عليها
حاجة في صدوركم بالمسافرة عليها وعليها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون
وانما قال على الفلك ولم يقل في الفلك للمزاوجة وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة
وقيل لانه يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد يكون لاغراض
دينية واجبة او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة ويريكم اياته دلائله الدالة
على كمال قدرته وفرط رحمته فاي ايات الله اي اية من تلك الايات تنكرون فانها لظهورها
لا تقبل الانكار وهو ناصب اي اذ قدرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة
بالتاء في اي اغرب منها في الاسماء غير الصفات لابهامه افلم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا
في الارض ما بقي منهم من القصور والمصانع ونحوهما وقيل اثار اقدامهم في الارض
لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة
باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به فلما جاءتهم رسلهم بالبينات
المعجزات والايات الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم واستحقروا علم الرسل
والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادارك علمهم في الاخرة
وهو قولهم لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم
تهكما بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او علم الانبياء وفرحهم به
ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون و
قيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما راوا تمادي جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا
بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم
فلما راوا باسنا شدة عذابنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين

يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال
لم يكن بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر
منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم كالتفسير لقوله فما اغنى عنهم والباقيتان لان
رؤية الباس مسببة عن مجيء الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية سنة الله
التي قد خلت في عباده اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر
المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم الباس اسم مكان استعير للزمان
عن النبي صلعم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى واستغفر له

سورة السجدة مكية واياتها ثلاث واربع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعلته مبتدا فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته تعديدا للحروف
فتنزيل خبر محذوف او مبتدا لتخصصه بالصفة وخبره كتاب وهو على الاولين
بدل منه او خبر اخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به
لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن
الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية فصلت اياته ميزت
باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اي فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل
والمعاني او فصلت بين الحق والباطل قرانا عربيا نصب على المدح او الحال من
فصلت وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه لقوم يعلمون لقوم يعلمون العربية او اهل
العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرانا او صلة لتنزيل او لفصلت والاول اولى لوقوعه
بين الصفات بشيرا ونذيرا للعاملين به والمخالفين له وقرئا بالرفع على الصفة لكتاب
او الخبر لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره وقبوله فهم لا يسمعون سماع تامل وطاعة

وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه أغطية جمع كنان وفي آذاننا وقر صمم وأصله
الثقل وقرئ بالكسر ومن بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة
على أن الحجاب مبتدأ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ و
هذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن إدراك ما يدعوهم إليه واعتقاده ومج أسماعهم
له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول فاعمل على ديننا أو في إبطال أمرنا إننا
عاملون على ديننا أو في إبطال أمرك قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم
إله واحد لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا أدعوكم إلى ما تنبو عنه
العقول والأسماع وإنما أدعوكم إلى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل
العقل وشواهد النقل فاستقيموا إليه فاستقيموا في أفعالكم متوجهين إليه أو فاستووا
إليه بالتوحيد والإخلاص في العمل واستغفروه مما أنتم عليه من سوء العقيدة والعمل
ثم هددهم على ذلك فقال وويل للمشركين من فرط جهالتهم واستخفافهم
بالله الذين لا يؤتون الزكاة لبخلهم وعدم إشفاقهم على الخلق وذلك من أعظم
الرذائل وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما يزكي
أنفسهم وهو الإيمان والطاعة وهم بالآخرة هم كافرون حال مشعرة بأن امتناعهم
عن الزكاة لاستغراقهم في الدنيا وإنكارهم للآخرة إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم أجر غير ممنون لا يمن به عليهم من المن وأصله الثقل أو القطع من مننت الحبل
إذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملونه
قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين في مقدار يومين أو بنوبتين
وخلق في كل نوبة ما خلق في أسرع ما يكون ولعل المراد من الأرض ما في جهة السفل
من الأجرام البسيطة ومن خلقها في يومين أنه خلق لها أصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها

صارت أنواعا وكفرهم به إلحادهم في ذاته وصفاته وتجعلون له أندادا ولا يصح
أن يكون له ند ذلك خالق الأرض في يومين رب العالمين خالق جميع ما وجد من
الممكنات ومربيها وجعل فيها رواسي استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما
هو خارج عن الصلة من فوقها مرتفعة عليها ليظهر للناظرين ما فيها من وجوه الاستبصار
ويكون منافعها معرضة للطلاب وبارك فيها وأكثر خيرها بما خلق فيها من أنواع النبات
والحيوانات وقدر فيها أقواتها أقوات أهلها بأن عين لكل نوع ما يصلحه و
يعيش به أو أقواتا تنشأ منها بأن خص حدوث كل قوت بقطر من أقطارها وقرئ
وقسم فيها أقواتها في أربعة أيام في تتمة أربعة أيام كقولك سرت من البصرة إلى
بغداد في عشرة وإلى الكوفة في خمسة عشر ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للإشعار
باتصالهما لليومين الأولين والتصريح على الفذلكة سواء أي استوت سواء بمعنى
استواء والجملة صفة أيام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير في
أقواتها أو في فيها وقرئ بالرفع على هي سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره
هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها أو بقدر أي قدر فيها الأقوات
للطالبين لها ثم استوى إلى السماء قصد نحوها من قولهم استوى إلى مكان
كذا إذا توجه إليه توجها لا يلوي على غيره والظاهر أن ثم لتفاوت ما بين الخلقين
لا للتراخي في المدة لقوله والأرض بعد ذلك دحاها ودحوها متقدم على خلق الجبال
من فوقها وهي دخان أمر ظلماني ولعله أراد به مادتها والأجزاء المتصغرة
التي ركبت منها فقال لها وللأرض ائتيا بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر
وأبرزا ما أودعتكما من الأوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة أو ائتيا في الوجود
على أن الخلق السابق بمعنى التقدير أو الترتيب للرتبة والإخبار وإتيان السماء حدوثها

وإتيان الأرض أن تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه أو ليأت كل منكما الأخرى في حدوث
ما أريد توليده منكما ويؤيده قراءة آتيا من المواتاة أي لتوافق كل واحدة أختها
فيما أردت منكما طوعا أو كرها شئتما ذلك أو أبيتما والمراد إظهار كمال قدرته ووجوب
وقوع مراده لا إثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال قالتا أتينا
طائعين منقادين بالذات والأظهر أن المراد تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات
عنها وتمثيلهما بأمر المطاع وإجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون وما قيل أنه تعالى
خاطبهما وأقدرهما على الجواب إنما يتصور على الوجه الأول والأخير وإنما قال طائعين على المعنى
باعتبار كونهما مخاطبين كقوله ساجدين فقضاهن سبع سماوات فخلقهن خلقا إبداعيا
وأتقن أمرهن والضمير للسماء على المعنى أو مبهم وسبع سماوات حال على الأول وتمييز على
الثاني في يومين قيل خلق السماوات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة
وأوحى في كل سماء أمرها شأنها وما يتأتى منها بأن حملها عليه اختيارا أو طبعا وقيل أوحى
إلى أهلها بأوامره وزينا السماء الدنيا بمصابيح فإن الكواكب كلها ترى كأنها
تتلألأ عليها وحفظا أي وحفظناها من الآفات أو من المسترقة حفظا وقيل مفعول له
على المعنى كأنه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز
العليم البالغ في القدرة والعلم فإن أعرضوا عن الإيمان بعد هذا البيان فقل أنذرتكم
صاعقة فحذرهم أن يصيبهم عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة مثل صاعقة عاد
وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهي المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقته
الصاعقة صعقا فصعق صعقا إذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا يجوز
جعله صفة لصاعقة أو ظرفا لأنذرتكم لفساد المعنى من بين أيديهم ومن خلفهم
من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة أو من جهة الزمن الماضي بالإنذار عما

جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما أعد لهم في الآخرة وكل من
اللفظين يحتملهما أو من قبلهم ومن بعدهم إذ قد بلغهم خبر المتقدمين وأخبرهم
هود وصالح عن المتأخرين داعين إلى الإيمان بهم أجمعين ويحتمل أن يكون عبارة
عن الكثرة كقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ألا تعبدوا إلا الله بأن لا تعبدوا
أو أي لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا إرسال الرسل لأنزل ملائكة برسالته
فإنا بما أرسلتم به على زعمكم كافرون إذ أنتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فأما
عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق فتعظموا فيها على أهلها بغير استحقاق و
قالوا من أشد منا قوة اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم أن
الرجل منهم ينزع الصخرة فيقتلعها بيده أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو
أشد منهم قوة قدرة فإنه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا
يقدر عليه غيره وكانوا بآياتنا يجحدون يعرفون أنها حق وينكرونها وهو عطف
على فاستكبروا فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة بردها من
الصر وهو البرد الذي يصر أي يجمع أو شديدة الصوت في هبوبها من الصرير
في أيام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان و
البصري بالسكون على التخفيف أو النعت على فعل أو الوصف بالمصدر قيل كن
آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء وما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء لنذيقهم
عذاب الخزي في الحياة الدنيا أضاف العذاب إلى الخزي وهو الذل على
قصد وصفه به لقوله ولعذاب الآخرة أخزى وهو في الأصل صفة المعذب
وإنما وصف به العذاب على الإسناد المجازي للمبالغة وهم لا ينصرون
بدفع العذاب عنهم وأما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الحجج

وادي سال الوادي وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم
الثاء فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الضلالة على الهدى فأخذتهم صاعقة
العذاب الهون صاعقة من السماء فأهلكتهم وإضافتها إلى العذاب ووصفه بالهون
للمبالغة بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون
من تلك الصاعقة ويوم يحشر أعداء الله إلى النار وقرأ نافع بالنون مفتوحة وضم
الشين ونصب أعداء وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله عز وجل فهم يوزعون
يحبس أولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة أهل النار حتى إذا ما
جاءوها إذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم
سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون بأن ينطقها الله أو يظهر عليها
آثارا تدل على ما اقترف بها فتنطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا
سؤال توبيخ أو تعجب ولعل المراد به نفس التعجب قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل
شيء أي ما نطقنا بعجب من قدرة الله الذي أنطق كل حي ولو أول الجواب والنطق بدلالة الحال
بقي الشيء عاما في الموجودات الممكنة وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون يحتمل
أن يكون تمام كلام الجلود وأن يكون مستأنفا وما كنتم تستترون أن يشهد
عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم أي كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب
الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم أن أعضاءكم تشهد عليكم بها فما استترتم
عنها وفيه تنبيه على أن المؤمن ينبغي أن يتحقق أنه لا يمر عليه حال إلا وعليه رقيب
ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم
إشارة إلى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم
خبران له ويجوز أن ظنكم بدلا وأرداكم خبرا فأصبحتم من الخاسرين إذ صار ما

منحوا للاستسعاد به في الدارين سببا للشقاء في المنزلين فإن يصبروا فالنار مثوى لهم
لا خلاص لهم منها وإن يستعتبوا يسألوا العتبى وهو الرجوع إلى ما يحبون فما هم من
المعتبين المجابين إليها ونظيره قوله تعالى حكاية أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقرئ
وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين أي إن يسألوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة
وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة قرناء أخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض
على البيض وهو القشر وقيل أصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم
ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر الآخرة وإنكاره وحق
عليهم القول أي كلمة العذاب في أمم في جملة أمم كقوله إن تك عن أحسن الصنيعة مأفوكا ففي
آخرين قد أفكوا وهو حال من الضمير المجرور وعليهم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس
وقد عملوا مثل أعمالهم إنهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللأمم
وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وعارضوه بالخرافات أو ارفعوا أصواتكم
بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغي ولغا يلغو
إذا هذى لعلكم تغلبون أي تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا
المراد بهم هؤلاء القائلون وعامة الكفار ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون سيئات
أعمالهم وقد سبق مثله ذلك إشارة إلى الأسوأ جزاء أعداء الله خبره النار عطف
بيان للجزاء أو خبر محذوف لهم فيها في النار دار الخلد فإنها دار إقامتهم و
هو كقولك في هذه الدار دار سرور وتعني بالدار عينها على أن المقصود هو الصفة
جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ينكرون الحق أو يلغون وذكر الجحود الذي هو سبب
اللغو وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس يعني شيطاني
النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما إبليس وقابيل فإنهما سنا الكفر والقتل

وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وأبو بكر والسوسي أرنا بالتخفيف كفخذ في فخذ وقرأ
الدوري باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت أقدامنا ندوسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما
في الدرك الأسفل ليكونا من الأسفلين مكانا أو ذلا إن الذين قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته
وإقرارا بوحدانيته ثم استقاموا في العمل وثم لتراخيه عن الإقرار في الرتبة من حيث إنه مبدأ
الاستقامة أو لأنها عسر قلما يتبع الإقرار وما روي عن الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة
من الثبات على الإيمان وإخلاص العمل وأداء الفرائض فجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة
فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن أو عند الموت أو الخروج
من القبر ألا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا ما خلفتم وأن مصدرية أو مخففة مقدرة
بالباء أو مفسرة وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على لسان الرسل
نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كان الشياطين
تفعل بالكفرة وفي الآخرة بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم
ولكم فيها في الآخرة ما تشتهي أنفسكم من اللذائذ ولكم فيها ما تدعون ما
تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو أعم من الأول نزلا من غفور رحيم حال مما تدعون
للإشعار بأن ما يتمنون بالنسبة إلى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف ومن
أحسن قولا ممن دعا إلى الله إلى عبادته وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال
إنني من المسلمين تفاخرا به واتخاذا للإسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول
فلان لمذهبه والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت في النبي عم وقيل في
المؤذنين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة في الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة
لتأكيد النفي ادفع بالتي هي أحسن منها وهي الحسنة على أن المراد بالأحسن الزائد مطلقا
أو بأحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات وإنما أخرجه مخرج الاستئناف على أنه جواب من قال
كيف

كيف أصنع للمبالغة ولذلك وضع الأحسن موضع الحسنة فإذا الذي بينك وبينه عداوة
كأنه ولي حميم أي إذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقاها
وما يلقى هذه السجية وهي مقابلة الإساءة بالإحسان إلا الذين صبروا فإنها تحبس النفس
عن الانتقام وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة
وإما ينزغنك من الشيطان نزغ نخس شبه به وسوسته لأنه يبعث على ما لا ينبغي كالدفع
الدفع بما هو أسوأ وجعل النزغ نازغا على طريقة جد جده أو أريد به نازغ وصفا للشيطان
بالمصدر فاستعذ بالله من شره ولا تطعه إنه هو السميع لاستعاذتك العليم أو
بنيتك أو بصلاحك ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا
للقمر لأنهما مخلوقان مأموران مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للأربعة
المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما إشعارا بأنهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار
إن كنتم إياه تعبدون فإن السجود أخص العبادات وهو موضع السجود عند
الاقتران بالأمر به وعند أبي حنيفة آخر الآية الأخرى لأنه تمام المعنى فإن استكبروا عن
الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار أي دائما
لقوله وهم لا يسأمون أي لا يملون ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة يابسة
متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت
وربت تزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ ربأت أي زادت إن الذي
أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير من الإحياء والإماتة إن الذين
يلحدون يميلون عن الاستقامة في آياتنا بالطعن والتحريف والتأويل الباطل
والإلغاء فيها لا يخفون علينا فنجازيهم على إلحادهم أفمن يلقى في النار خير
أم من يأتي آمنا يوم القيامة قابل الإلقاء في النار بالإتيان آمنا مبالغة في إحال

حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد انه بما تعملون بصير وعيد بالمجازاة
ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله ان الذين يلحدون في آياتنا او
مستانف وخبران محذوف مثل معاندون او هالكون او اولئك ينادون و
الذكر القرآن وانه لكتاب عزيز كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتأتى ابطاله وتحريفه
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات
او مما فيه من الاخبار الماضية والامور الآتية تنزيل من حكيم حميد اى حكيم حميد يحمده
كل خلق بما ظهر عليه من نعمه ما يقال لك اى ما يقول لك كفار قومك الا ما قد قيل للرسل
من قبلك الا مثل ما قال لهم كفار قومهم او ما يقول الله لك ~~كفار قومك~~ الا مثل ما قال لهم
ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم وهو على الثاني يحتمل ان
يكون المقول بمعنى ان حاصل ما اوحى اليك واليهم وعد المؤمن بالمغفرة والكافر
بالعقوبة ولو جعلناه قرآنا اعجميا جواب لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم والضمير
للذكر لقالوا لولا فصلت آياته بينت بلسان نفقهه أأعجمي وعربي أكلام اعجمي
ومخاطب عربي انكار مقرر للتحضيض والاعجمي يقال للذي لا يفهم كلامه والكلام وهذا
قراءة ابي بكر وحمزة والكسائي وقرئ أعجمي وهو منسوب الى العجم وقراءة هشام
اعجمي على الاخبار وعلى هذا يجوز ان يكون المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها
اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستلزام
تعذرا والدلالة على انهم لا ينفكون عن التعنت في الآيات كيف جاءت قل هو للذين
آمنوا هدى الى الحق وشفاء لما في الصدور من الشك والشبه والذين لا يؤمنون
مبتدا خبره في آذانهم وقر على تقدير هو في آذانهم وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك
لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات ومن جوز العطف على عاملين عطف على ذلك

على الذين

على الذين آمنوا هدى اولئك ينادون من مكان بعيد اى هم وهو تمثيل لهم في عدم
قبولهم واستماعهم له بمن يصيح به من مسافة بعيدة ولقد آتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب كما اختلف في القرآن ولولا كلمة سبقت
من ربك وهي العدة بالقيامة وفصل الخصومة حينئذ او تقدير الآجال لقضي بينهم
باستئصال المكذبين وانهم وان اليهود والذين لا يؤمنون لفي شك منه
من التوراة او القرآن مريب موجب للاضطراب من عمل صالحا فلنفسه نفعه ومن
اساء فعليها ضرره وما ربك بظلام للعبيد فيفعل بهم ما ليس له ان يفعله
اليه يرد علم الساعة اى اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا هو وما تخرج من ثمرات
من اكمامها من اوعيتها جمع كم بالكسر وقراءة نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع
لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق
ويحتمل ان يكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله وما تحمل
من انثى ولا تضع الا بعلمه الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به ويوم يناديهم
اين شركائي بزعمكم قالوا آذناك اعلمناك ما منا من شهيد من احد يشهد
لهم بالشركة اذ تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ
او من احد يشاهدهم لهم بانهم كانوا محقين وضل عنهم ما كانوا يدعون يعبدون
من قبل لا ينفعهم او لا يرونه وظنوا وايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق
بحرف النفي لا يسأم الانسان لا يمل من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة وقرئ
من دعاء بالخير وان مسه الشر الضيقة فيؤوس قنوط من فضل الله ورحمته
وهذا صفة الكافر لقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ
في يأسه من جهة البنية والتكرير وما في القنوط من ظهور اثر اليأس ولئن اذقناه

رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي حقي استحققته لما لي
من الفضل والعمل او لي دائما لا يزول وما اظن الساعة قائمة تقوم ولئن رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى اى ولئن قامت على التوهم كان لي عند الله الحالة
الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق
لا ينفك عنه فلننبئن الذين كفروا فلنخبرنهم بما عملوا بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس
ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يمكنهم التفصي عنه واذا انعمنا
على الانسان اعرض عن الشكر ونأى بجانبه وانحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد
عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله في جنب الله واذا مسه الشر
فذو دعاء عريض كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو
ابلغ من الطويل اذ الطول اطول امتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله
قل ارأيتم اخبروني ان كان القرآن من عند الله اى القرآن ثم كفرتم به من غير
نظر واتباع دليل من اضل ممن هو في شقاق بعيد اى من اضل منكم فوضع الموصول
موضع الصلة شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا في الآفاق
يعني ما اخبرهم النبي م من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله له
ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة
وفي انفسهم ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم او في ما في بدن الانسان من
عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة حتى يتبين لهم انه الحق الضمير للقرآن او الرسول
او التوحيد او الله او لم يكف بربك اى او لم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد
كأنه قيل او لم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل الا مع كفى انه على
كل شيء شهيد بدل منه والمعنى او لم يكفك انه تعالى على كل شيء شهيد محقق له يحقق

امرك

امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة او مطلع فيعلم حالك
وحالهم او لم يكف الانسان رادعا عن المعاصي انه تعالى مطلع على كل شيء لا يخفى عليه
خافية الا انهم في مرية من شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية من لقاء ربهم
بالبعث والجزاء الا انه بكل شيء محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها
لا يفوته شيء منها عن النبي م من قرأ سورة السجدة اعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات

سورة حم عسق مكية وهي ثلاث وخمسون آية وتسمى سورة الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق لعلهما اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وان كانا اسما
واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق كذلك يوحي اليك والى
الذين من قبلك الله العزيز الحكيم اى مثل ما في هذه السورة من المعاني او ايحاء
مثل ايحائها اوحى الله اليك والى الرسل قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على
حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وقرأ ابن
كثير يوحى بالفتح على ان كذلك مبتدا ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى
مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقررتان
لعلو شأن الموحى به كما مر في السورة المتقدمة او بالابتداء كما في قراءة نوحي بالنون
والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان له وقوله له ما في السموات
وما في الارض وهو العلي العظيم خبران له على الوجه الاخير استئناف مقرر لعزته
وحكمته تكاد السموات وقرأ نافع والكسائي بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة
الله وقيل من دعاء الولد له وقرأ البصريان وابو بكر ينفطرن والاول ابلغ لانه
مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تنفطرن بالتاء لتاكيد التانيث وهو نادر

من فوقهن أي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الأول لأن أعظم
الآيات وأدلها على علو شأنه من تلك الجهة وعلى الثاني ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق
الأولى وقيل الضمير للأرض فإن المراد بها الجنس والملائكة يسبحون بحمد ربهم
ويستغفرون لمن في الأرض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والإلهام
وإعداد الأسباب المقربة إلى الطاعة وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر
الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوهم عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين
فالمراد به الشفاعة ألا إن الله هو الغفور الرحيم إذ ما من مخلوق إلا وهو ذو حظ
من رحمته والآية على الأول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثاني دلالة على تقدسه عما نسب
إليه وأن عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة
وفرط غفرانه ورحمته والذين اتخذوا من دونه أولياء شركاء وأندادا الله حفيظ
عليهم رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم بها وما أنت يا محمد عليهم بوكيل
بموكل بهم أو بموكل إليه أمرهم وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا الإشارة
إلى مصدر يوحي أو إلى معنى الآية المتقدمة فإنه مكرر في القرآن في مواضع جمة فيكون
الكاف مفعولا به وقرآنا عربيا حالا منه لتنذر أم القرى أهل أم القرى وهي
مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع يوم القيامة يجمع فيه الخلائق والأرواح
والأشباح أو العمال والأعمال وحذف ثاني مفعولي الأول وأول مفعولي الثاني
للتهويل وإيهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن لا ريب فيه اعتراض
لا محل له فريق في الجنة وفريق في السعير أي بعد جمعهم في الموقف يجمعون ثم
تفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين
على الحال منهم أي وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق أو متفرقين في

داري الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة مهتدين أو ضالين
ولكن يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون ما لهم
من ولي ولا نصير أي ويدعهم بغير ولي ولا نصير في عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة
في الوعيد إذ الكلام في الإنذار أم اتخذوا بل اتخذوا من دونه أولياء كالأصنام
فالله هو الولي جواب شرط محذوف مثل إن أرادوا وليا بحق فالله هو الولي بالحق
وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم
أنتم والكفار فيه من شيء من أمور الدين أو الدنيا فحكمه إلى الله مفوض
إليه يميز المحق من المبطل بالنصر أو بالإثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل
متشابه فارجعوا فيه إلى المحكم من كتاب الله ذلكم الله ربي عليه توكلت في مجامع
الأمور وإليه أنيب أرجع في المعضلات فاطر السموات والأرض خبر آخر لذلكم
أو مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ بالجر على البدل من الضمير أو الوصف لإلى الله من أنفسكم
من جنسكم أزواجا نساء ومن الأنعام أزواجا أي وخلق للأنعام من جنسها أزواجا
أو خلق لكم من الأنعام أصنافا أو ذكورا وإناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث
وفي معناه الذر والذرو فيه في هذا التدبير وهو جعل الناس والأنعام أزواجا
يكون بينهم توالد فإنه كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شيء أي ليس مثله شيء يزاوجه
ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في
نفيه عنه فإنه إذا نفي عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه أولى ونظيره قول
رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب ألا وفيهم الطيب الطاهر لذاته ومن قال
الكاف فيه زائدة لعله عنى أنه يعطي معنى ليس مثله غير أنه آكد لما ذكرناه وقيل مثله
صفته أي ليس كصفته صفة وهو السميع البصير لكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات

والأرض خزائنها يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق على وفق مشيئته
إنه بكل شيء عليم فيفعله على ما ينبغي شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي
أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أي شرع لكم من الدين
دين نوح ومحمد ومن بينهما من أرباب الشرائع وهو الأصل المشترك فيما بينهم المفسر
بقوله أن أقيموا الدين وهو الإيمان بما يجب تصديقه والطاعة في أحكام الله ومحله
النصب على البدل من مفعول شرع أو الرفع على الاستيناف كأنه جواب وما ذلك المشروع
أو الجر على البدل من هاء به ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا في هذا الأصل أما فروع
الشرائع فمختلفة كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كبر على المشركين
عظم عليهم ما تدعوهم إليه من التوحيد الله يجتبي إليه من يشاء يجتلب
إليه والضمير لما تدعوهم أو للدين ويهدي إليه بالإرشاد والتوفيق من ينيب
يقبل إليه وما تفرقوا يعني الأمم السالفة وقيل أهل الكتاب لقوله وما تفرق
الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم العلم بأن التفرق ضلال متوعد
عليه أو العلم بمبعث الرسول أو أسباب العلم من الرسل والكتب وغيرها فلم يلتفتوا
إليها بغيا بينهم عداوة أو طلبا للدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك بالإمهال
إلى أجل مسمى هو يوم القيامة أو آخر أعمارهم المقدرة لقضي بينهم باستئصال
المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وإن الذين أورثوا الكتاب من
بعدهم يعني أهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول أو المشركين الذين
أورثوا القرآن من بعد أهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا لفي شك
منه من كتابهم لا يعلمونه كما هو أو لا يؤمنون به حق الإيمان أو من القرآن
مريب مقلق أو مدخل في الريبة فلذلك فلأجل ذلك التفرق أو الكتاب أو العلم
الذي

الذي أوتيه فادع إلى الاتفاق على الملة الحنيفية أو الاتباع لما أوتيت وعلى هذا يجوز أن يكون
اللام في موضع إلى لإفادة الصلة أو التعليل واستقم كما أمرت واستقم على الدعوة كما أمرك
الله ولا تتبع أهواءهم الباطلة وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب يعني جميع الكتب المنزلة
لا كالكفار الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض وأمرت لأعدل بينكم في تبليغ الشرائع والحكومة
والأول إشارة إلى كمال القوة النظرية وهذا إشارة إلى كمال القوة العملية الله ربنا وربكم
خالق الكل ومتولي أمره لنا أعمالنا ولكم أعمالكم فكل مجاز بعمله لا حجة بيننا وبينكم
لا حجاج بمعنى لا خصومة إذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد
الله يجمع بيننا يوم القيامة وإليه المصير مرجع الكل لفصل القضاء وليس في الآية ما يدل
على متاركة الكفار رأسا حتى تكون منسوخة بآية القتال والذين يحاجون في الله
في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه أو من بعد
ما استجاب الله لرسوله فأظهر دينه بنصرة يوم بدر أو من بعد ما استجاب له أهل الكتاب
بأن أقروا بنبوته واستفتحوا به حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة وعليهم
غضب بمعاندتهم ولهم عذاب شديد على كفرهم الله الذي أنزل الكتاب جنس الكتاب
بالحق ملتبسا به بعيدا من الباطل أو بما يحق إثباته من العقائد والأحكام والميزان
والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس أو العدل بأن أنزل الأمر به أو آلة
الوزن أوحى بإعدادها وما يدريك لعل الساعة قريب إتيانها فاتبع الكتاب
واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل أن يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه أعمالك
ويوفى جزاءك وقيل تذكير القريب لأنه بمعنى ذات قرب أو لأن الساعة بمعنى البعث يستعجل
بها الذين لا يؤمنون بها استهزاء والذين آمنوا مشفقون منها خائفون منها
مع اعتنائها لتوقع الثواب ويعلمون أنها الحق الكائن لا محالة ألا إن الذين يمارون

في الساعة يجادلون فيها من المرية أو من مرية الناقة إذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لأن كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فإن البعث أشبه الغائبات إلى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو أبعد عن الاهتداء إلى ما وراءه الله لطيف بعباده بر بهم بصنوف من البر لا يبلغها الأوهام يرزق من يشاء أي يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته وهو القوي الباهر القدرة العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة ثوابها شبهه بالزرع من حيث أنه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث في الأصل إلقاء البذر في الأرض ويقال للزرع الحاصل منه نزد له في حرثه فنعطه بالواحد عشرا إلى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيئا منها على ما قسمنا له وما له في الآخرة من نصيب إذ الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى أم لهم بل لهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم شرعوا لهم بالتزيين من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم أوثانهم وإضافتها إليهم لأنهم متخذوها شركاء وإسناد الشرع إليها لأنها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به أو صور من سنه لهم ولولا كلمة الفصل أي القضاء السابق بتأخير الجزاء أو العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة لقضي بينهم بين الكافرين والمؤمنين أو المشركين وشركائهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم وقرئ أن بالفتح عطفا على كلمة الفصل أي ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فإن العذاب الأليم غالب في عذاب الآخرة ترى الظالمين في القيامة مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم أي وباله لاحق بهم أشفقوا أو لم يشفقوا والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات

في أطيب بقاعها وأنزهها لهم ما يشاؤون عند ربهم أي ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم ذلك إشارة إلى ما للمؤمنين هو الفضل الكبير الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ذلك الثواب الذي يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد أو ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي يبشر من بشره قل لا أسألكم عليه على ما أتعاطاه من التبليغ والبشارة أجرا نفعا منكم إلا المودة في القربى أن تودوني لقرابتي منكم أو تودوا قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا أسألكم أجرا قط ولكن أسألكم المودة وفي القربى متمكنة في أهلها أو في حق القرابة ومن أجلها كما جاء في الحديث الحب في الله والبغض في الله روي أنها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال علي وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرب إلى الله أي إلا أن تودوا الله ورسوله في تقربكم إليه بالطاعة والعمل وقرئ إلا مودة في القربى ومن يقترف حسنة ومن يكتسب طاعة سيما حب آل الرسول وقيل نزلت في أبي بكر ومودته لهم نزد له فيها في الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد أي يزد الله وحسنى إن الله غفور لمن أذنب شكور لمن أطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة أم يقولون بل يقولون افترى على الله كذبا افترى محمد بدعوى النبوة أو القرآن فإن يشأ الله يختم على قلبك استبعاد للافتراء عن مثله بالإشعار على أنه إنما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فأما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكأنه قال إن يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن والوحي عنه أو يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك أذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور استئناف لنفي الافتراء عما يقوله

بأنه لو كان مفترى لمحقه إذ من عادته تعالى محو الباطل وإثبات الحق بوحيه أو بقضائه أو بوعده بمحو باطلهم وإثبات حقه بالقرآن أو بقضائه الذي لا مرد له وسقوط الواو من يمح في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الإنسان وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى إلى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الأخذ والإبانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن علي عليه السلام هي اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الإعادة ورد المظالم وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية وإذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما تفعلون فيجازي ويتجاوز عن إتقان وحكمة وقرأ حمزة وحفص والكسائي ما تفعلون بالتاء ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف في وإذا كالوهم والمراد إجابة الدعاء أو الإثابة على الطاعة فإنها كدعاء وطلب لما يترتب عليه ومنه قوله عم أفضل الدعاء الحمد لله أو يستجيبون لله بالطاعة إذا دعاهم إليها ويزيدهم من فضله على ما سألوا واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض لتكبروا وأفسدوا فيها بطرا أو لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب والبغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية أو كيفية ولكن ينزل بقدر بتقدير ما يشاء ما اقتضته مشيئته إنه بعباده خبير بصير يعلم خفايا أمرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شأنهم روي أن أهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل في العرب فإنهم كانوا إذا أخصبوا تحاربوا وإذا أجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث

المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرأ نافع وابن عامر ينزل بالتشديد من بعد ما قنطوا أيسوا منه وقرئ بفتح النون وينشر رحمته في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان وهو الولي الذي يتولى عباده بإحسانه ونشر رحمته الحميد المستحق للحمد على ذلك ومن آياته خلق السماوات والأرض فإنها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم وما بث فيهما عطف على السماوات أو الخلق من دابة من حي على إطلاق اسم المسبب على السبب أو مما يدب على الأرض وما يكون في أحد الشيئين يصدق أنه فيهما في الجملة وهو على جمعهم إذا يشاء في أي وقت يشاء قدير متمكن منه وإذا كما يدخل الماضي يدخل المضارع وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فبسبب معاصيكم والفاء لأن ما شرطية أو متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فإن ما أصاب غيرهم فلأسباب أخر منها تعريضه للأجر العظيم بالصبر عليه وما أنتم بمعجزين في الأرض فائتين ما قضي عليكم من المصائب وما لكم من دون الله من ولي يحرسكم عنها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن الجارية في البحر كالأعلام كالجبال قالت وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار إن يشأ يسكن الريح وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور لكل من وكل همته وحبس نفسه على النظر في آيات الله والتفكر في آلائه أو لكل مؤمن كامل فإن الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر أو يوبقهن أو يهلكهن بإرسال الريح العاصفة المغرقة والمراد إهلاك أهلها لقوله بما كسبوا وأصله أو يرسلها فيوبقهن لأنه قسيم

بيكن بما تمحو ونبه على المقصود كما في قوله ويعف عن كثير اذ المعنى او يرسلها عاصفة
فيوبق ناسا بذنبهم وينج ناسا على العفو عنهم وقرئ ويعفو على الاستيناف و
يعلم الذين يجادلون في آياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منه ويعلم
او على الجزاء ونصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه ايضا غير واجب وقرأ
نافع وابن عامر بالرفع على الاستيناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى
او يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير آخرين ما لهم من محيص من محيد من العذاب
والجملة معلق عنها الفعل فما أوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا تمتعون به مدة
حيوتكم وما عند الله من ثواب الآخرة خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون
لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى موصولة تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما
اوتوا سبب التمتع بها في الحيوة الدنيا فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية وعن
علي عليه السلام بماله كله فلامه جمع فنزلت والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش
واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين بما بعده عطف على الذين آمنوا او مدح
منصوب او مرفوع وبناء يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة على انهم الاخصاء با
لمغفرة حال الغضب وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم والذين استجابوا لربهم وأقاموا
الصلوة نزلت في الانصار دعاهم رسول الله الى الايمان فاستجابوا له وامرهم
شورى بينهم لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجمعوا عليه وذلك من فرط
تدبرهم وتيقظهم في الامور وهي مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم
ينفقون في سبيل الخير والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون على
ما جعله الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات
الفضائل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار

عن مقاومة الخصم والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء على البغي ثم
عقب وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدي فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها وسمى الثانية
سيئة للازدواج او لانها تسوء من تنزل به فمن عفا واصلح بينه وبين عدوه فاجره
على الله عدة مبهمة تدل على عظم الموعود انه لا يحب الظالمين المبتدئين بالسيئة
والمتجاوزين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه بعدما ظلم وقد قرئ به فاولئك
ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون الناس
يبتدؤنهم بالاضرار ويطلبون ما لا يستحقونه تجبرا عليهم ويبغون في الارض
بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم على ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر ولم ينتصر
ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف كما حذف في قولهم السمن منوان بدرهم
للعلم به ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله
اياه وترى الظالمين لما رأوا العذاب حين يرونه فذكر بلفظ الماضي تحقيقا يقولون
هل الى مرد من سبيل اي الى رجعة الى الدنيا وتريهم يعرضون عليها على النار
ويدل عليه العذاب خاشعين من الذل متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل
ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف
كالمصبور ينظر الى السيف وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم
واهليهم بالتعريض للعذاب المخلد يوم القيمة ظرف لخسروا والقول في الدنيا
او يقال اي يقولون اذا راوهم على تلك الحال الا ان الظالمين في عذاب مقيم
تمام كلامهم او تصديق من الله لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون
الله ومن يضلل الله فما له من سبيل الى الهدى والنجاة استجيبوا لربكم من
قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله لا يرده الله بعدما حكم به من صلة لمرد وقيل صلة

يأتي اي من قبل ان يأتي يوم من الله لا يمكن رده ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير
انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحائف اعمالكم تشهد عليه السنتكم وجوارحكم فان اعرضوا
فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا او محاسبا ان عليك الا البلاغ اذ بلغت وانا اذا
اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها اراد بالانسان الجنس لقوله وان تصبهم سيئة بما
قدمت ايديهم فان الانسان كفور بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها
ولم يتأمل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم
وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضية
بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع المضمر
في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة لله ملك السموات والارض
فله ان يقسم النعمة والبلية كيف شاء يخلق ما يشاء من غير لزوم ومجال اعتراض يهب لمن يشاء
اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء
عقيما بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد مختلفة على مقتضى
المشية فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين جميعا ويعقم آخرين ولعل
تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الاية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به
مشية الله لا مشية الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن
بلاء او لتطييب قلوب آبائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التأخير
وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه
بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة انه عليم قدير فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار
وما كان لبشر وما صح له ان يكلمه الله الا وحيا كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه
تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافهة

به كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى عم
في طوى والطور لكن عطف قوله او من وراء حجاب عليه يخصه بالاول فالاية دليل على
جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء في الروع او الوحي المنزل به
الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء او يرسل
اليه نبيا فيبلغ وحيه كما امره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحي الى الرسول و
وحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال
نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا ويرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقعت
احوالا وقرأ نافع او يرسل برفع اللام انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يفعل ما تقتضيه
حكمته فيتكلم تارة بواسطة وتارة بغير وسط اما عيانا واما من وراء حجاب وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا يعني ما اوحي اليه وسماه روحا لان القلوب تحيى
به وقيل جبرئيل والمعنى ارسلناه اليك بالوحي وهو دليل على انه لم يكن
متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع ولكن
جعلناه اي الروح او الكتاب او الايمان نورا نهدي به من نشاء من
عبادنا بالتوفيق للقبول والنظر فيه وانك لتهدي الى صراط مستقيم هو الاسلام
وقرئ لتهدى اي ليهديك الله صراط الله بدل من الاول الذي له ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا الا الى الله تصير الامور بارتفاع الوسائط و
التعلقات فيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويترحمون عليه

سورة الزخرف مكية وقيل الا قوله واسأل من ارسلنا وآيها تسع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا أقسم بالقرآن على أنه جعله قرآنا عربيا وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول أبي تمام: وثناياك إنها إغريض. ولعل إقسام الله بالأشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه، والقرآن من حيث إنه معجز مبين طرق الهدى وما يحتاج إليه في الديانة أو بين للعرب يدل على أنه تعالى مصيره كذلك لعلكم تعقلون لكي تفهموا معانيه، وإنه عطف على إنا، وقرأ حمزة والكسائي بالكسر على الاستئناف. في أم الكتاب في اللوح المحفوظ فإنه أصل الكتب السماوية، وقرأ حمزة والكسائي أم الكتاب بالكسر. لدينا محفوظا عندنا عن التغيير لعلي رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة أو محكم لا ينسخه غيره، وهما خبران لإن، وفي أم الكتاب متعلق بعلي واللام لا تمنعه، أو حال منه ولدينا بدل منه أو حال من أم الكتاب. أفنضرب عنكم الذكر صفحا أفنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض، قال طرفة: أضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس. والفاء للعطف على محذوف أي أنهملكم فنضرب عنكم الذكر، وصفحا مصدر من غير لفظه فإن تنحية الذكر عنهم إعراض، أو مفعول له أو حال بمعنى صافحين، وأصله أن تولي الشيء صفحة عنقك، وقيل إنه بمعنى الجانب فيكون ظرفا، ويؤيده أنه قرئ صفحا، وحينئذ يحتمل أن يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين، والمراد إنكار أن يكون الأمر على خلاف ما ذكر من إنزال الكتب على لغتهم ليفهموه. أن كنتم قوما مسرفين أي لأن كنتم، وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الإعراض. وقرأ نافع وحمزة والكسائي إن بالكسر على أن الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم، وما قبلها دليل الجزاء. وكم أرسلنا من نبي في الأولين وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون تسلية لرسول الله صلعم عن استهزاء قومه. فأهلكنا أشد منهم بطشا أي من القوم المسرفين

صرف الخطاب عنهم إلى الرسول مخبرا عنهم ومضى مثل الأولين وسلف في القرآن قصتهم العجيبة، وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ما جرى على الأولين. ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم لعله لازم مقولهم أو ما دل عليه إجمالا أقيم مقامه تقريرا لإلزام الحجة عليهم، فكأنهم قالوا الله كما حكى عنهم في مواضع أخر، وهو الذي من صفته ما سرد من الصفات، ويجوز أن يكون مقولهم وما بعده استئناف. الذي جعل لكم الأرض مهدا فتستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها لعلكم تهتدون لكي تهتدوا إلى مقاصدكم أو إلى حكمة الصانع بالنظر في ذلك. والذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار ينفع ولا يضر فأنشرنا به بلدة ميتا مال عنه الماء، وتذكيره لأن البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك مثل ذلك الإنشار تخرجون تنشرون من قبوركم، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء وضم الراء. والذي خلق الأزواج كلها أصناف المخلوقات وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ما تركبونه على تغليب المتعدي بنفسه على المتعدي بغيره، إذ يقال ركبت الدابة وركبت في السفينة، أو المخلوق للركوب على المصنوع له، أو الغالب على النادر، ولذلك قال لتستووا على ظهوره أي ظهور ما تركبون، وجمعه للمعنى. ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين من أقرن الشيء إذا أطاقه، وأصله وجده قرينته إذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف، وقرئ بالتشديد والمعنى واحد. وعنه عم أنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله، فإذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا وإنا إلى ربنا لمنقلبون أي راجعون، واتصاله بذلك لأن الركوب للتنقل والنقلة

العظمى هو الانقلاب إلى الله، أو لأنه مخطر فينبغي للراكب أن لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله. وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سألتهم أي وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله، ولعله سماه جزءا كما سمي بعضا لأنه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق في ذاته، وقرئ جزؤا بضمتين. إن الإنسان لكفور مبين ظاهر الكفران، ومن ذلك نسبة الولد إلى الله لأنها من فرط الجهل به والتحقير لشأنه. أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين معنى الهمزة في أم الإنكار والتعجيب من شأنهم حيث لم يقنعوا بأن جعلوا له من مخلوقاته أجزاء أخس مما اختير لهم وأبغض الأشياء إليهم بحيث إذا بشر أحدهم بها اشتد غمه به كما قال: وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعل له مثلا إذ الولد لا بد أن يماثل الوالد ظل وجهه مسودا صار وجهه أسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة وهو كظيم مملوء قلبه من الكرب، وفي ذلك دلالات على فساد ما قالوه، وتعريف البنين لما مر في الذكور. وقرئ مسود ومسواد على أن في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا. أو من ينشأ في الحلية أي أوجعلوا له أو اتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات وهو في الخصام في المجادلة غير مبين مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأي. ويجوز أن يكون من مبتدأ محذوف الخبر أي أو من هذا حاله ولده، وفي الخصام متعلق بمبين وإضافة غير إليه لا يمنعه كما عرفت. وقرأ حمزة والكسائي وحفص ينشأ أي يربى، وقرئ ينشأ ويناشأ بمعناه، ونظير ذلك أعلاه وعلاه وعالاه بمعنى. وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم، وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله أنقصهم رأيا وأخسهم صنفا. وقرئ عبيد، وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب عند على تمثيل زلفاهم، وقرئ أنثا وهو جمع الجمع.

أشهدوا خلقهم أحضروا خلق الله إياهم فشاهدوهم إناثا فإن ذلك مما يعلم بالمشاهدة، وهو تجهيل وتهكم بهم. وقرأ نافع أؤشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين، وأؤشهدوا بمدة بينهما. ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة ويسألون أي عنها يوم القيامة، وهو وعيد. وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون، وشهاداتهم وهي أن لله جزءا وأن له بنات وهن الملائكة، ويساءلون من المساءلة. وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم أي لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم، فاستدلوا بنفي مشيئة عدم العبادة على امتناع النهي عنها أو على حسنها، وذلك باطل لأن المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض مأمورا كان أو منهيا حسنا كان أو غيره، ولذلك جهلهم فقال ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا. ويجوز أن يكون الإشارة إلى أصل الدعوى كأنه لما أبدى وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى أن يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم أضرب عنه إلى إنكار أن يكون لهم سند من جهة النقل فقال أم آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن أو ادعائهم ينطق على صحة ما قالوا فهم به مستمسكون بذلك الكتاب متمسكون. بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون أي لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وإنما جنحوا فيه إلى تقليد آبائهم الجهلة. والأمة الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول إليه، وقرئت بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم أي القاصد، ومنه الدين. وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون تسلية لرسول الله ودلالة على أن التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وأن مقدميهم أيضا لم يكن لهم سند منظور إليه، وتخصيص المترفين إشعار بأن التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر إلى التقليد

قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم أي تتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين
أهدى من دين آبائكم وهو حكاية أمر ماض أوحي إلى النذير أو خطاب لرسول الله
ويؤيده الأول أنه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله قالوا إنا بما أرسلتم به
كافرون أي وإن كان أهدى إقناطاً للنذير من أن ينظروا أو يتفكروا فيه فانتقمنا
منهم بالاستئصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ولا تكترث بتكذيبهم
وإذ قال إبراهيم واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك
بالدليل أو ليقلدوه إن لم يكن لهم بد من التقليد فإنه أشرف آبائهم لأبيه وقومه
إنني براء مما تعبدون بريء من عبادتكم أو معبودكم مصدر نعت به ولذلك
استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ بريء وبراء ككريم
وكرام إلا الذي فطرني استثناء منقطع أو متصل على أن ما تعم أولي العلم وغيرهم
وأنهم كانوا يعبدون الله والأوثان أو صفة على أن ما موصوفة أي إنني براء من
آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فإنه سيهدين سيثبتني على الهداية أو سيهدين
إلى ما وراء ما هداني إليه وجعلها كلمة وجعل إبراهيم عم أو الله تعالى كلمة التوحيد
باقية في عقبه في ذريته فيكون فيهم أبداً من يوحد الله ويدعو إلى توحيده وقرئ
كلمة وفي عقبه على التخفيف وفي عاقبه أي فيمن عقبه لعلهم يرجعون من أشرك منهم
بدعاء من وحده بل متعت هؤلاء وآباءهم هؤلاء المعاصرين للرسول عم من قريش
وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا في الشهوات وقرئ متعت
بالفتح على أنه تعالى اعترض به على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة في تعييرهم
حتى جاءهم الحق دعوة التوحيد والقرآن ورسول مبين ظاهر الرسالة بما له
من المعجزات ومبين أو مبين للتوحيد بالحجج والآيات ولما جاءهم الحق لينبههم

عن غفلتهم قالوا هذا سحر وإنا به كافرون زادوا شرارة فضموا إلى شركهم معاندة الحق والاستخفاف
به فسموا القرآن سحراً وكفروا به واستحقروا الرسول وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم من إحدى القريتين مكة والطائف عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة
وعروة بن مسعود الثقفي فإن الرسالة منصب عظيم لا يليق إلا بعظيم ولم يعلموا أنها
رتبة روحانية تستدعي عظيم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية لا
التزخرف بالزخارف الدنيوية أهم يقسمون رحمة ربك إنكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم
والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا وهم عاجزون
عن تدبيرها وهي خويصة أمرهم في دنياهم فمن أين لهم أن يتدبروا أمر النبوة التي
هي أعلى المراتب الإنسية وإطلاق المعيشة يقتضي أن يكون حلالها وحرامها من الله تعالى
ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات وأوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره
ليتخذ بعضهم فوق بعض درجات وأوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره
ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ليستعمل بعضهم بعضاً في حوائجهم فيحصل بينهم التآلف
والتضام وينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ثم إنه لا اعتراض
لهم علينا في ذلك ولا تصرف فكيف يكون فيما هو أعلى منه ورحمة ربك هذه يعني النبوة
وما يتبعها خير مما يجمعون من حطام الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه ولولا أن
يكون الناس أمة واحدة لولا أن يرغبوا في الكفر إذا رأوا الكفار في سعة وتنعم
لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج
ومصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون يعلون السطوح لحقارة
الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال أو علة كقولك وهبت له ثوباً لقميصه و
قرأ ابن كثير وأبو عمرو سقفاً اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفاً بالتخفيف وسقوفاً وسقفاً

وهو لغة في سقف ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون أي أبواباً وسرراً من فضة
وزخرفاً وزينة عطف على سقفاً أو ذهباً عطف على محل من فضة وإن كل ذلك
لما متاع الحياة الدنيا إن هي المخففة واللام هي الفارقة وقرأ عاصم وحمزة وهشام
بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى إلا وإن نافية وقرئ به مع إن وما والآخرة عند ربك
للمتقين عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة على أن العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا و
إشعار بما لأجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الإيمان وهو أنه تمتع
قليل بالإضافة إلى ما لهم في الآخرة مخل به في الأغلب لما فيه من الآفات قل من يتخلص عنها
كما أشار إليه بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله
بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش بالفتح أي يعم يقال عشي إذا كان في
بصره آفة وعشى إذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على أن من موصولة
نقيض له شيطاناً فهو له قرين يوسوسه ويغويه دائماً وقرأ يعقوب بالياء على
إسناده إلى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي أن يرفعه وإنهم ليصدونهم عن السبيل
عن الطريق الذي من حقه أن يسبل وجمع الضميرين للمعنى إذ المراد جنس العاشي و
الشيطان المقيض له ويحسبون أنهم مهتدون الضمائر الثلاثة الأول له والباقيات
للشيطان حتى إذا جاءنا أي العاشي وقرأ الحجازيان وابن عامر وأبو بكر جاءانا أي
العاشي والشيطان قال أي العاشي للشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
بعد المشرق من المغرب فغلب المشرق وثني وأضيف البعد إليهما فبئس القرين أنت ولن
ينفعكم اليوم أي ما أنتم عليه من التمني إذ ظلمتم إذ صح أنكم ظلمتم أنفسكم في
الدنيا بدل من اليوم أنكم في العذاب مشتركون لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وشياطينكم
في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه ويجوز أن يسند الفعل إليه بمعنى ولن ينفعكم

اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في أمر صعب معاونتهم في تحمل أعبائه وتقسيمهم لكلفه
عناءه إذ لكل منكم ما لا يسعه طاقته وقرئ إنكم بالكسر وهو يقوي الأول أفأنت تسمع الصم
أو تهدي العمي إنكار وتعجب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم
على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقروناً بالصمم كان رسول الله صلعم
يتعب نفسه في دعاء قومه وهم لا يزيدون إلا غياً فنزلت ومن كان في ضلال مبين
عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين وفيه إشعار بأن الموجب لذلك تمكنهم
في ضلال لا يخفى فإما نذهبن بك أي فإن قبضناك قبل أن نبصرك عذابهم وما
مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب النون المؤكدة فإنا منهم منتقمون بعذاب
في الدنيا والآخرة أو نرينك الذي وعدناهم أو إن أردنا أن نريك ما وعدناهم
من العذاب وقرأ يعقوب برواية رويس أو نرينك بإسكان النون وكذا نذهبن
فإنا عليهم مقتدرون لا يفوتوننا فاستمسك بالذي أوحي إليك من الآيات والشرائع
وقرئ أوحي على البناء للفاعل وهو الله تعالى إنك على صراط مستقيم لا عوج له
وإنه لذكر لك لشرف لك ولقومك وسوف تسألون عنه يوم القيامة وعن قيامكم
بحقه واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أي واسأل أممهم وعلماء دينهم أجعلنا
من دون الرحمن آلهة يعبدون هل حكمنا بعبادة الأوثان وهل جاءت في ملة
من مللهم والمراد به الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد والدلالة على أنه ليس
ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له فإنه كان أقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة
ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه فقال إني رسول رب
العالمين يريد باقتصاصه تسلية الرسول ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عم إلى التوحيد فلما جاءهم بآياتنا

اذا هم منها يضحكون فاجاؤا وقت ضحكهم منها اي استهزؤا بها اول ما راوها ولم يتاملوا فيها
وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها الا وهي بالغة اقصى درجات الاعجاز بحيث
يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الآيات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت
رجالا بعضهم افضل من بعض وكقوله "من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم" مثل النجوم التي يسري
بها الساري او الا وهي مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار وأخذناهم
بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد لعلهم يرجعون على وجه يرجى رجوعهم وقالوا
يا أيها الساحر نادوه بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم
كانوا يسمون العالم الباهر ساحرا ادع لنا ربك اي تدعو لنا بكشف عنا العذاب
بما عهد عندك بعهده من النبوة او من ان يستجيب دعوتك او ان يكشف العذاب
عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة إننا لمهتدون
اي بشرط ان تدعو لنا فتكشف عنا العذاب فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم
ينكثون فاجاؤا نكث عهدهم بالاهتداء ونادى فرعون بنفسه او بمناديه في
قومه في مجمعهم وفيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم قال يا قوم
أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر
طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي تحت قصري او امري او بين يدي
في جناني والواو عاطفة اما لهذه الانهار على الملك فتجري حال منها او واو حال
وهذه مبتداء والانهار صفتها وتجري خبرها أفلا تبصرون ذلك أم أنا خير
مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين ضعيف حقير لا يستعد لرياسة
من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة
وأم اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير اذ قدم من اسباب فضله او متصلة على اقامة

السبب

المسبب مقام السبب والمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون فتعلمون اني خير منه
فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب اي فهلا القي اليه مقاليد الملك ان كان
صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب واساورة
جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ به وقرأ يعقوب و
حفص أسورة وهي جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة والقي عليه اسورة واساور
على البناء للفاعل وهو الله تعالى أو جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه
او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه
فطلب منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم فأطاعوه فيما امرهم به انهم
كانوا قوما فاسقين فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق فلما آسفونا اغضبونا بالافراط
في العناد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فأغرقناهم
أجمعين فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم
في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به او جمع سالف كخادم وخدم وقرأ حمزة والكسائي
بضم السين واللام جمع سليف كرغيف او سالف كصبر او سلف كخشب وقرئ سلفا
بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اي ثلة قد سلفت ومثلا للآخرين
وعظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون
ولما ضرب ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله في قوله تعالى
إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ام بها او دون او غيره بان
قال النصارى اهل كتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون انه ابن الله والملائكة
اولى بذلك او على قوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا او ان محمدا يريد ان
نعبده كما عبد المسيح إذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون يضجون فرحا

لظنهم ان الرسول صار ساخرا به وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالضم من الصدود اي
يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف وقالوا أآلهتنا خير
أم هو اي آلهتنا خير عندك ام عيسى فان كان في النار فلتكن آلهتنا معه او آلهتنا الملائكة
اولى بذلك خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت آلهتنا الملائكة اولى
بذلك او آلهتنا خير ام محمد فنعبده وندع آلهتنا وقرأ الكوفيون ءآلهتنا بتحقيق الهمزتين
والف بعدهما ويعقوب برواية روح ما ضربوه لك إلا جدلا ما ضربوا هذا المثل الا لاجل
الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل بل هم قوم خصمون شداد الخصومة حراص على
اللجاج إن هو إلا عبد أنعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبني إسرائيل امرا عجيبا
كالمثل السائر لبني اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ولو نشاء لجعلنا
منكم لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم ملائكة في
الأرض يخلفون ملائكة يخلفونكم في الارض والمعنى ان حال عيسى وان كانت
عجيبة فالله تعالى قادر على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها
ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية
والانتساب الى الله سبحانه وتعالى وإنه وان عيسى لعلم للساعة لان حدوثه
او نزوله من اشراط الساعة يعلم به دنوها او لان احياء الموتى يدل على قدرة
الله عليه وقرئ لعلم اي علامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا وفي الحديث
ينزل عيسى على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة يقتل بها
الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه
عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع
والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة

فلا

والدلالة عليها فلا تمترن بها فلا تشكن فيها واتبعون واتبعوا هداي او شرعي او
رسولي وقيل هو قول الرسول امر ان يقوله هذا الذي ادعوكم اليه صراط مستقيم
لا يضل سالكه ولا يصدنكم الشيطان عن المتابعة إنه لكم عدو مبين ثابت
عداوته اذ اخرجكم عن الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات
او بآيات الانجيل او بالشرائع الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة بالانجيل او الشريعة
ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق بامر الدنيا
فان الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال عم انتم اعلم بامر دنياكم فاتقوا الله وأطيعون
فيما ابلغه عنه إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه
وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا صراط مستقيم الاشارة الى مجموع الامرين
هو تتمة كلام عيسى او استيناف من الله يدل على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك
فاختلف الأحزاب الفرق المتحزبة من بينهم من بين النصارى او اليهود والنصارى
من بين قومه المبعوث اليهم فويل للذين ظلموا من المتحزبين من عذاب يوم أليم
يوم القيمة هل ينظرون إلا الساعة الضمير لقريش او للذين ظلموا أن تأتيهم من
الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان بغتة فجاءة وهم لا يشعرون غافلون عنها لا
اشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها الأخلاء الاحباء يومئذ بعضهم لبعض
عدو اي يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب
إلا المتقين فان خلتهم لما كانت في الله تبقى نافعة ابدا يا عباد لا خوف عليكم
اليوم ولا أنتم تحزنون حكاية لما ينادي به المتقون المتحابون في الله يومئذ
الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى وكانوا مسلمين حال من الواو اي الذين
آمنوا مخلصين غير ان هذه العبارة اكد وابلغ ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم نساؤكم

وقرا ابو بكر وحمزة والكسائي بغير الياء ع

المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم او تزينون من الحبر وهو حسن
الهيئة او تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف
من ذهب واكواب الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها وفي
الجنة ما تشتهيه الانفس وقرا نافع وابن عامر وحفص ما تشتهيه على الاصل وتلذ الاعين
بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوايد في التنعم والتلذذ وانتم فيها خالدون
فان كل نعيم زايل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وتلك
الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه
يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت مبتدا والجنة خبرها والتي اورثتموها
صفتها او الجنة صفة تلك والتي خبرها او صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه تتعلق الباء
بمحذوف لا باورثتموها لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون بعضها تاكلون لكثرتها
ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القران وهو حقير بالاضافة
الى ساير نعايم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة ان المجرمين الكاملين في الاجرام
وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالايات وحكي عنهم ما يخص بالكفار في عذاب جهنم
خالدون خبر ان او خالدون خبر والظرف متعلق به لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم من
فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه في العذاب مبلسون
ايسون من النجاة وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين مر مثله غير مرة وهم فصل
ونادوا يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم مكسورا ومضموما ولعله اشعار بانهم لضعفهم
لا يستطيعون تادية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا ليقض علينا ربك والمعنى سل
ربنا ان يقضي علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لا ينافي ابلاسهم فانه جؤار وتمني
للموت من فرط الشدة قال انكم ماكثون لا خلاص لكم بموت ولا غيره لقد جئناكم بالحق بالارسال

والانزال وهو تتمة الجواب ان كان في قال ضمير الله والا فجواب متروك كانه تعالى تولى جوابهم
بعد جوابه لما امر المتق ولكن اكثركم للحق كارهون لما في اتباعه من اتعاب النفس وادآب
الجوارح ام ابرموا امرا في تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته فانا مبرمون امرا في
مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوء من كراهتهم او ام احكم المشركون امرا
من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم
حديث نفسهم بذلك ونجواهم وتناجيهم بلى نسمعهما ورسلنا والحفظة مع ذلك
لديهم ملازمة لهم يكتبون ذلك قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين منكم
فان النبي يكون اعلم بالله وبما يصح له وما لا يصح واولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن تعظيم
الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم
المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا غير ان لو
ثمه مشعرة بانتفاء الطرفين وان ههنا لا يشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلوم
للانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على ان انكاره للولد ليس لعناد ومراء بل لو كان
لكان اولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له ولد في زعمكم فانا اول العابدين
لله الموحدين له او الانفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه او
ما كان له ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة وقرا حمزة والكسائي ولد بالضم سبحان
رب السموات والارض رب العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام
لكونها اصولا ذات استمرار تبرات عما تتصف به ساير الاجسام من توليد المثل فالخالق
مبدعها وخالقها فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا
يومهم الذي يوعدون اي القيمة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع
هوى وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون في الاخرة وهو الذي في السماء اله و

في الارض اله مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه كقولك
هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرا الله والراجع مبتدا محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف
عليه ولا يجوز جعله خبرا له لانه لا يبقى عايد لكن لو جعل صلة وقدر لا له مبتدا محذوف
يكون به جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه في السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه
نفي الالهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالوهية وهو الحكيم العليم
كالدليل عليه وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما كالهواء وعنده
علم الساعة العلم بالساعة التي تقوم القيمة فيها واليه ترجعون للجزاء وقرا نافع وابن
عامر وابو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد ولا يملك الذين يدعون
من دونه الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله الا من شهد بالحق وهم يعلمون
بالتوحيد والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح
وفيه ومنفصل ان خص بالاصنام ولئن سالتهم من خلقهم سالت العابدين او المعبودين
ليقولن الله لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى يؤفكون يصرفون عن عبادته الى عبادة
غيره وقيله وقول الرسول نصب بالعطف على سرهم او على محل الساعة او لاضمار فعله اي وقال
قيله وجره عاصم وحمزة والكسائي عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدا خبره يا رب
ان هؤلاء قوم لا يؤمنون او معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب
بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع بتقدير مضاف وقيله يا رب قسمي وان هؤلاء
جوابه فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم ايسا عن ايمانهم وقل سلام تسلم منكم ومتاركة
فسوف يعلمون تسلية للرسول وتهديد لهم وقرا نافع وابن عامر بالتاء على انه
من المامور بقوله عن النبي عم من قرا سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة
يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخل الجنة بغير حساب

سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب الاية وهي سبع او تسع وخمسون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين القران والواو للعطف ان كان حم مقسما بها والا فللقسم والجواب
قوله انا انزلناه في ليلة مباركة في ليلة القدر او البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل
فيها جملة الى سماء الدنيا من اللوح ثم انزل على الرسول عم نجوما وبركتها لذلك فان نزول
القران سبب للمنافع الدينية والدنيوية او لما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة
الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية انا كنا منذرين استيناف يبين المقتضي للانزال
وكذلك قوله فيها يفرق كل امر حكيم فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة
بالحكمة يستدعي ان ينزل فيها القران الذي هو من عظايمها ويجوز ان يكون صفة
ليلة مباركة وما بينهما اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله
تعالى تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يفرق بالتشديد ونفرق
كل اي يفرقه الله ونفرق بالنون امرا من عندنا اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا
على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل او امر او ضميره المستكن
في حكيم لانه موصوف وان يكون المراد به مقابل النهي وقع مصدرا ليفرق او لفعله
مضمرا من حيث ان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلنا بمعنى امرين او مامورا انا كنا
مرسلين رحمة من ربك بدل من انا كنا منذرين اي انا انزلنا القران لان من
عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع
الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية او علة ليفرق او
امرا ورحمة مفعول به اي يفصل فيها كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من شاننا
ان نرسل فاضل كلام في قسمة الارزاق وغيرها او صدور الاوامر الالهية من باب رحمتنا

فانه فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ رحمة
على تلك رحمة انه هو السميع العليم يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وما بعده تحقيق
لربوبيته وانها لا يحق الا لمن هذه صفاته رب السموات والارض وما بينهما خبر اخر
او استيناف وقراء الكوفيون بالجر بدلا من ربك ان كنتم موقنين اى ان كنتم
من اهل الايقان فى العلوم او ان كنتم موقنين فى اقراركم اذا سالتم من خلقها فقلتم
الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو اذ لا خالق
سواه يحيي ويميت كما تشاهدون ربكم ورب ابائكم الاولين قرئ بالجر بدلا بل هم
فى شك يلعبون رد لكونهم موقنين فارتقب فانتظر لهم يوم تأتي السماء بدخان
مبين يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره
او لان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمى الشر الغالب
دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان
ذلك يكفه عن الامطار او يوم ظهور الدخان المعدود فى اشراط الساعة لما روى انه
لما قال اول الايات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس
الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله صلعم الاية وقال يملا ما بين المشرق والمغرب
يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كا
لسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره او يوم القيمة والدخان يحتمل المعنيين
يغشى الناس يحيط بهم صفة للدخان وقوله هذا عذاب اليم ربنا اكشف
عنا العذاب انا مؤمنون مقدر بقول وقع حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان
ان كشف العذاب عنهم انى لهم الذكرى من اين لهم وكيف يتذكرون بهذه
الحال وقد جاءهم رسول مبين بين لهم ما هو اعظم منه فى ايجاب الاذكار

من الايات والمعجزات ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال بعضهم يعلمه غلام اعجمى لبعض
ثقيف وقال اخرون انه مجنون انا كاشفوا العذاب بدعاء النبى عم فانه دعا فرفع القحط
قليلا كشفا قليلا او زمانا قليلا وهو ما بقى من اعمارهم انكم عائدون الى الكفر
غب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء
فيكشفه الله عنهم بعد الاربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما فى القيمة
اوله بالشرط والتقدير يوم نبطش البطشة الكبرى يوم القيمة او يوم بدر ظرف لفعل
دل عليه انا منتقمون لا لمنتقمون فان ان تحجزه عنه او بدل من يوم يأتى وقرئ نبطش
اى نحمل البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون امتحناهم بارسال موسى اليهم او اوقعناهم فى
وقرئ بالتشديد للتاكيد او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم
الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم كريم على الله او على المؤمنين او فى نفسه لشرف نسبه
وفضل حسبه ان ادوا الى عباد الله بان ادوهم الى وارسلوهم معى او بان ادوا
الى حق الله من الايمان وقبول الدعوة يا عباد الله ويجوز ان يكون ان محققة ومفسرة
لان مجيء الرسول يكون برسالة ودعوة انى لكم رسول امين غير متهم لدلالة المعجزات
على صدقه او لايتمانه الله اياه على وحيه وهو علة الامر وان لا تعلوا على الله ولا تتكبروا
عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله وان كالاولى فى وجهها انى اتيكم بسلطان
مبين علة للنهى ولذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شان لا يخفى وانى
عذت بربى وربكم التجأت اليه وتوكلت عليه ان ترجمون ان تؤذونى ضربا
او شتما او ان تقتلونى وقرئ عت بالادغام وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون فكونوا
بمعزل منى لا على ولا لى ولا تتعرضوا لى بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم
فدعا ربه بعدما كذبوه ان هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء

عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول فاسر
بعبادى ليلا اى فقال اسر او قال ان كان الامر كذلك فاسر وقرا ابن كثير ونافع
بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم واترك
البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعدما جاوزته ولا تضربه بعصاك
ولا تغير منه شيئا ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرئ بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا
كثيرا تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل حسنة
ونعمة وتنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم
منها او الامر كذلك واورثناها عطف على الفعل المقدر او على تركوا قوما اخرين
ليسوا منهم فى شيء وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر فما بكت عليهم
السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت
عليهم السماء وكسفت لمهلكهم الشمس فى نقيض ذلك ومنه ما روى فى الاخبار ان المؤمن
ليبكى عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت
عليهم اهل السماء والارض وما كانوا منظرين ممهلين الى وقت اخر ولقد نجينا بنى اسرائيل
من العذاب المهين من استعباد فرعون وقتله ابناءهم من فرعون بدل من
العذاب على حذف المضاف او جعله عذابا لافراطه فى التعذيب او حال من المهين بمعنى واقعا
من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكيرا له لنكر ما كان عليه من الشيطنة انه
كان عاليا متكبرا من المسرفين فى العتو والشرارة وهو خبر ثان اى كان متكبرا مسرفا
او حال من الضمير فى عاليا او كان رفيع الطبقة من بينهم ولقد اخترناهم اخترنا
بنى اسرائيل على علم عالمين بانهم احقاء بذلك او مع علم منا بانهم يزيغون فى بعض الاحوال
على العالمين لكثرة الانبياء فيهم او على عالمى زمانهم واتيناهم من الايات

كفلق

كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او اختبار
ظاهر ان هؤلاء يعنى كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة
على انهم مثلهم فى الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل ما حل بهم ليقولون ان
هى الا موتتنا الاولى ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية
ولا قصد فيه الى اثبات ثانية كما فى قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل
لهم انكم تموتون موتة تعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هى الا موتتنا
الاولى اى ما الموتة التى من شانها ذلك الا الموتة الاولى وما نحن بمنشرين بمبعوثين فاتوا
باباءنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين ان كنتم صادقين فى
وعدكم ليدل عليه ام هم خير فى القوة والمنعة قوم تبع تبع الحميرى الذى سار بالجيوش
وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه
وعنه عم ما ادرى اكان تبع نبيا او غير نبى وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون
كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون والذين من قبلهم كعاد وثمود اهلكناهم
استيناف بمال قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار قريش او حال باضمار قد او خبر
من الموصول ان استونف به انهم كانوا مجرمين بيان للجامع المقتضى للاهلاك
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما ما بين الجنسين وقرئ وما بينهن
لاعبين لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر فى الانبياء وغيرها ما خلقناهما
الا بالحق الا بسبب الحق الذى اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة والبعث والجزاء
ولكن اكثرهم لا يعلمون لقلة نظرهم ان يوم الفصل فصل الحق عن الباطل والمحق
عن المبطل بالجزاء او فصل الرجل عن اقاربه واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين
وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم اى ان ميعادهم فى يوم الفصل او صفة لميقاتهم

او ظرف لما دل عليه الفصل الى الفصل يوم لا يغني مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان شيئا
من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله
بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحل الرفع على البدل من الواو والنصب على الاستثناء
انه هو العزيز لا ينصر منه من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرئ
بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق في الصافات طعام الاثيم الكثير الآثام والمراد به الكافر
لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل دردي
الزيت يغلي في البطون وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام
او الزقوم لا للمهل اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما كغلي الحميم غليا مثل غلي الحميم خذوه
على ارادة القول والمقول له الزبانية فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء
وجره بقهر وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان الى سواء الجحيم
وسطه ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم كان اصله يصب من فوق رؤسهم
العذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة
على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم اي وقولوا
ذلك استهزاء به او تقريعا على ما كان يزعمه وقرأ الكسائي انك بالفتح اي ذق لانك
او عذاب انك ان هذا ان هذا العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون
ان المتقين في مقام في موضع اقامة وهو قراءة نافع وابن عامر والباقون
بفتح الميم امين يأمن صاحبه عن الآفة والانتقال في جنات وعيون بدل من
مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب
يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استئناف
والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب او مشتق من البراقة متقابلين

في مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض كذلك الامر كذلك او آتيناهم مثل ذلك وزوجناهم
بحور عين قرناهم بهن ولذلك عدي بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين
واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون ويأمرون
باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان آمنين من الضرر لا
يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع
او متصل والضمير للآخرة والموت اول احوالها او الجنة والمؤمن يشارفها بالموت و
يشاهدها عنده فكأنه فيها والاستثناء للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت
فكأنه قال لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى في المستقبل
ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ ووقيهم على المبالغة فضلا من ربك اي اعطوا كل
ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم
لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب فانما يسرناه بلسانك سهلناه حيث
انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه
فيتذكرون به لما لم يتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون
منتظرون ما يحل بك عن النبي ص من قرأ حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهي سبع او ست وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب ان جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتيج الى اضمار
مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره من الله
العزيز الحكيم وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم ان في
السموات والارض لآيات للمؤمنين وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون

المعنى ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم وما يبث من دابة ولا يحسن عطف ما على
الضمير المجرور بل عطفه على المضاف اليه باحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه
لما به يتم معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار آيات لقوم يوقنون
محمول على محل ان واسمها وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملا على الاسم
واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق من مطر وسماه
رزقا لانه سببه فاحيا به الارض بعد موتها يبسها وتصريف الرياح باختلاف
جهاتها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي وتصريف الريح آيات لقوم يعقلون
فيه القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين في والابتداء او ان الا ان يضمر في او ينصب
آيات على الاختصاص او ترفع باضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف
الآيات في الدقة والظهور تلك آيات الله تلك الآيات دلائله نتلوها عليك
حال عاملها معنى الاشارة بالحق ملتبسين به او ملتبسة به فبأي حديث بعد الله
وآياته يؤمنون اي بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في
قولك اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله وهو القرآن لقوله تعالى الله نزل
احسن الحديث وآياته دلائله المتلوة او القرآن والعطف لتغاير الوصفين وقرأ
الحجازيان وحفص وابو عمرو وروح يؤمنون بالياء ليوافق ما قبله ويل لكل
افاك كذاب اثيم كثير الآثام يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر يقيم على كفره مستكبرا
عن الايمان بالآيات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات كقوله يرى غمرات
الموت ثم يزورها كأن لم يسمعها كأنه فخففت وحذف ضمير الشأن والجملة
في موقع الحال اي يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره والبشارة
على الاصل او التهكم واذا علم من آياتنا شيئا واذا بلغه شيء وعلم انه منها اتخذها

هزوا كذلك من غير ان يرى فيها ما يناسب الهزو والضمير لآيات وفائدته الاشعار بانه اذا سمع
كلاما وعلم انه من الآيات بادر الى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه او لشيء لانه
بمعنى الآية اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم من قدامهم لانهم متوجهون اليها
او من خلفهم لانه بعد آجالهم ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا
من عذاب الله ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي الاصنام ولهم عذاب عظيم لا يتحملونه
هذا هدى الاشارة الى القرآن ويدل عليه قوله والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب
من رجز اليم وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع اليم والرجز اشد العذاب الله الذي سخر
لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه لتجري الفلك
فيه بامره بتسخيره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها
ولعلكم تشكرون هذه النعم وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا
بان خلقها نافعة لكم منه حال من ما اي سخر هذه الاشياء كائنة منه او خبر لمحذوف اي هي
جميعا منه او لما في السموات وسخر لكم تكرير للتأكيد او لما في الارض وقرئ منة على المفعول له
ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر محذوف ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون
في صنائعه قل للذين آمنوا يغفروا حذف المقول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا
اي يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقائعه باعدائه من قولهم ايام
العرب لوقائعهم او لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم
بها والآية نزلت في عمر رض شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل انها منسوخة بآية
القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون علة للامر والقوم هم المؤمنون او الكافرون
او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة او
ما يعمها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما

او ليجزي الخير والشر او الجزاء اعني ما يجزى به لا المصدر فان الاسناد اليه سيما مع المفعول به
ضعيف من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه ثم الى ربكم
ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب التوراة والحكم والحكمة
النظرية والعملية او فصل الخصومات والنبوة اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم
من الطيبات مما احل الله من اللذائذ وفضلناهم على العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت
غيرهم وآتيناهم بينات من الامر ادلة في امر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل
آيات من امر النبي عم مبينة لصدقه فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم
بحقيقة الحال بغيا بينهم عداوة وحسدا ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما
كانوا فيه يختلفون بالمؤاخذة والمجازاة ثم جعلناك على شريعة طريقة من الامر
امر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون آراء الجهال
التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين آبائك انهم لن يغنوا عنك
من الله شيئا مما اراد بك وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اذ الجنسية علة الانضمام
فلا توالهم باتباع اهوائهم والله ولي المتقين فواله بالتقى واتباع الشريعة هذا
اي القرآن او اتباع الشريعة بصائر للناس بينات تبصرهم وجه الفلاح وهدى
من الضلال ورحمة ونعمة من الله لقوم يوقنون يطلبون اليقين ام حسب
الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح
الاكتساب ومنه الجارحة ان نجعلهم ان نصيرهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله سواء محياهم ومماتهم بدل منه ان كان
الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون حياتهم ومماتهم
سيان في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص

سواء بالنصب على البدل او الحال من الضمير في الكاف والمفعولية والكاف حال و
ان كان للثاني فحال منه او استيناف يبين المقتضي للانكار وان كان لهما فبدل او حال
من الثاني وضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات في الكرامة او ترك المؤاخذة
كما استووا في الرزق والصحة في الحيوة او استيناف مقرر لتساوي محيا كل صنف و
مماته في الهداية والضلالة وقرئ ومماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم
ظرفان لقدوم الحاج ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق
الله السموات والارض بالحق كانه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق
الحق المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن واذا لم
يكن في المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لانه في معنى
العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى وهم لا يظلمون
بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسمية ذلك ظلما ولو فعله الله لم يكن منه ظلما لانه لو فعله
غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار افرأيت من اتخذ الهه هواه ترك متابعة الهدى
الى مطاوعة الهوى فكانه يعبده وقرئ آلهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده
فاذا رأى احسن منه رفضه اليه واضله الله وخذله على علم عالما بضلاله وفساد
جوهر روحه وختم على سمعه وقلبه فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات وجعل
على بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة والكسائي غشوة
فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلاله افلا تذكرون وقرئ تتذكرون وقالوا
ما هي ما الحيوة او الحال الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيا اي نكون
امواتا نطفا وما قبلها ونحيا بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيا ببقاء اولادنا
او نموت بعضنا ونحيى بعض او يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك

حيوة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وما يهلكنا
الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه وما لهم
بذلك من علم يعني نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بهما على الاستقلال
او انكار البعث او كليهما ان هم الا يظنون اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء على
التقليد والانكار لما لم يحسوا به واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات الدلالة
على ما يخالف معتقدهم او مبينات له ما كان حجتهم ما كان لهم متشبث يعارضونها
به الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين وانما سماه حجة على حسبانهم
ومساقهم او على اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فانه لا يلزم من عدم
حصول الشيء حالا امتناعه مطلقا قل الله يحييكم ثم يميتكم على ما دل عليه الحجج ثم يجمعكم
الى يوم القيمة لا ريب فيه فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت
الجمع للمجازاة على ما قرر مرارا والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها واذا
كان كذلك امكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء ولكن
اكثر الناس لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسونه ولله
ملك السموات والارض تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة
يومئذ يخسر المبطلون اي ويخسر يوم تقوم ويومئذ بدل منه وترى كل امة
جاثية مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة او باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية اي
جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم كل امة تدعى الى كتابها صحيفة
اعمالها وقرأ يعقوب كل على انه بدل الاول وتدعى صفة او مفعول ثان اليوم
تجزون ما كنتم تعملون محمول على القول هذا كتابنا اضاف صحائف اعمالهم
الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم

عملكم بلا زيادة ولا نقصان انا كنا نستنسخ نكتب للملائكة ما كنتم تعملون اعمالكم
فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته التي من جملتها الجنة
ذلك هو الفوز المبين الظاهر لخلوصه عن الشوائب واما الذين كفروا افلم تكن
آياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم الم ياتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف القول
والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها
وكنتم قوما مجرمين قوما عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله يحتمل الموعود و
المصدر حق كائن هو او متعلقه لا محالة والساعة لا ريب فيها افراد للمقصود
وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان قلتم ما ندري ما الساعة اي شيء الساعة
استغرابا لها ان نظن الا ظنا اصله نظن ظنا فادخل حرفا النفي والاستثناء
لاثبات الظن ونفي ما عداه كانه قال ما نحن الا نظن ظنا او لنفي ظنهم فيما سوى ذلك
مبالغة ثم اكده بقوله وما نحن بمستيقنين اي لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا
بين ما سمعوا من آبائهم وما تليت عليهم من الآيات في امر الساعة وبدا لهم ظهر لهم
سيئات ما عملوا على ما كانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاءها
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وهو الجزاء وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب
ترك ما ينسى كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة
اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين
يخلصونكم منها ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا استهزأتم بها ولم تتفكروا
فيها وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لا حيوة سواها فاليوم لا يخرجون
منها وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ولا هم يستعتبون لا يطلب منهم
ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد رب السموات ورب الارض

رب العالمين اذ الكل نعمة منه الدال على كمال قدرته وله الكبرياء في السموات والارض
اذ ظهر فيها آثارها وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه و
اطيعوا له عن النبي صلعم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية الا قوله قال الذين الى قوله خاسرين وآيها اربع او خمس وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما يقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود
الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه مرارا واجل مسمى وبتقدير اجل مسمى ينتهي
اليه الكل وهو يوم القيمة او كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له والذين كفروا عما
انذروا من هول ذلك الوقت ويجوز ان يكون ما مصدرية معرضون لا يتفكرون فيه
ولا يستعدون لحلوله قل ارأيتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض
ام لهم شرك في السموات اي اخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل ان تكون لها
في نفسها مدخل في خلق شيء من اجزاء العالم فيستحق به العبادة وتخصيص الشرك بالسموات
احترازا عما يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية ائتوني بكتاب من قبل
هذا من قبل هذا الكتاب يعني القرآن فانه ناطق بالتوحيد او اثارة من علم او بقية
من علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم العبادة او الامر به
ان كنتم صادقين في دعواكم وهو الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد
الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا وقرئ اثارة بالكسر اي مناظرة فان المناظرة تثير المعاني واثرة
اي شيء اوثرتم به واثرة بالحركات الثلاث في الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة المرة من مصدر
اثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة اسم ما يؤثر ومن اضل ممن يدعو من

دون الله من لا يستجيب له انكار ان يكون احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب
القادر الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا ان يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم
الى يوم القيمة ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات واما عباد
مسخرون مشتغلون باحوالهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء يضرونهم ولا ينفعونهم
وكانوا بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال او المقال وقيل الضمير للعابدين وهو
كقوله والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات او مبينات
قال الذين كفروا للحق لاجله وفي شأنه والمراد به الآيات ووضعه في موضع ضميرها ووضع
الذين كفروا موضع الضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك في
الضلالة لما جاءهم حين ما جاءهم من غير نظر وتأمل هذا سحر مبين ظاهر بطلانه
ام يقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه وانكار له
وتعجيب قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اي ان عاجلني الله بالعقوبة
فلا تقدرون على دفع شيء منها فكيف اجترئ عليه واعرض نفسي للعقاب من غير توقع
النفع ولا دفع ضر من قبلكم هو اعلم بما تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح في
آياته كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار
وهو وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن
واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرائمهم قل ما كنت بدعا من الرسل بديعا منهم
ادعوكم الى ما لا يدعون اليه واقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات كلها
ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه كقيم او مقدر بمضاف اي ذا بدع
وما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدارين على التفصيل اذ لا علم لي بالغيب ولا لتأكيد
النفي المشتمل على ما يفعل بي وما اما موصولة منصوبة او استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل اي

الله ان اتبع الا ما يوحى الي لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب
او استعجال المسلمين ان يتخلصوا عن اذى المشركين وما انا الا نذير عن عقاب الله مبين
بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة قل ارأيتم ان كان من عند الله
اي القرآن وكفرتم به ولقد كفرتم به ويجوز ان يكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو
في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل الا انها تعطفه بما عطف عليه على جملة ما قبله
والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسى عم وشهادته ما في التورية من نعت الرسول على مثله في المصدقة
للقرآن المطابقة لها او مثل ذلك وهو كونه من عند الله فآمن اي بالقرآن لما رآه من
جنس الوحي مطابقا للحق واستكبرتم عن الايمان ان الله لا يهدي القوم الظالمين
استيناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف
مثل الستم ظالمين وقال الذين كفروا للذين آمنوا لاجلهم لو كان الايمان او ما اتى به
محمد عم خيرا ما سبقونا اليه وهم سقاط اذ عامتهم فقراء وموالي ورعاة وانما قاله
قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار
او اليهود حين اسلم ابن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف مثل ظهر
عنادهم وقوله فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه وهو كقولهم اساطير
الاولين ومن قبله ومن قبل القرآن وهو خبر لقوله كتاب موسى ناصب لقوله اماما
ورحمة على الحال وهذا كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وقد قرئ به
لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق او منه لتخصيصه بالصفة وعاملها معنى
الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة على ان كونه مصدقا للتورية كما دل على انه
حق دل على انه وحي وتوفيق من الله سبحانه وقيل مفعول مصدق اي يصدق
ذي اللسان العربي باعجازه لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول

وبشرى للاخير قراءة نافع وابن عامر والبزي بخلاف عنه ويعقوب بالتاء وبشرى
للمحسنين عطف على محله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين
التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الامور التي هي منتهى العمل وثم للدلالة
على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم
يحزنون على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك اصحاب الجنة
خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين
حال من المستكن في اصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اي جوزوا جزاء
ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقرأ الكوفيون احسانا وقرئ حسنا
اي ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها ذات كره او حملا ذا كره
وهو المشقة وقرأ الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر
وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله والفصال
الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله او وقته والمراد به الرضاع التام المنتهي
به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا
انتهى امده ثلثون شهرا كل ذلك بيان لما تكابده الام في تربية الولد مبالغة
في التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط منه للفصال
حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقي ذلك وبه قال الاطباء
ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع
بهما حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة
قيل لم يبعث نبي الا بعد اربعين قال رب اوزعني الهمني واصله اولعني من اوزعته
بكذا ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي يعني نعمة الدين او ما يعمها

وغيرها وذلك يؤيد ما روي انها نزلت في ابي بكر رضي الله عنه لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه من
المهاجرين والانصار سواه وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا
من الجنس يستجلب رضاء الله عز وجل وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي واجعل لي الصلاح ساريا في
ذريتي راسخا فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ عما لا ترضيه او يشغل عنك
وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ المخلصين لك أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا يعني طاعاتهم
فان المباح حسن ولا يثاب عليه وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ لتوبتهم وقرا حمزة والكسائي وحفص
بالنون فيهما فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ كائنين في عدادهم او مثابين او معدودين فيهم وَعْدَ
الصِّدْقِ مصدر مؤكد لنفسه وان يتقبل ويتجاوز وعد الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ
اي في الدنيا وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا مبتدا خبره اولئك والمراد به الجنس وان صح
نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي أف
قراءات ذكرت في سورة بني اسرائيل أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ أبعث وقرا هشام
اتعداني بنون واحدة مشددة وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي فلم يرجع واحد منهم وَ
هُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ يقولان الغياث بالله منك او يسالانه ان يغيثه بالتوفيق للايمان
وَيْلَكَ آمِنْ اي يقولان له ويلك وهو الدعاء بالثبور بالحث على ما يخاف على تركه إِنَّ وَعْدَ
حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اباطيلهم التي كتبوها أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ
عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ بانهم اهل النار وهو يرد النزول في عبد الرحمن لانه يدل على انهم
اهلها لذلك وقد جب عنه ان كان لا اسلام فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ كقوله في
اصحاب الجنة مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ بيان للامم إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ تعليل للحكم على
الاستيناف وَلِكُلٍّ من الفريقين دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا مراتب من جزاء ما عملوا من الخير
والشر او من اجل ما عملوا والدرجات غالبة في المثوبة وهاهنا جاءت على التغليب

وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ جزاءها وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي بالنون وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
بنقص ثواب وزيادة عقاب وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ يعذبون بها
وقيل تعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض أَذْهَبْتُمْ
اي يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام
غير ان ابن كثير يقرا بهمزة ممدودة وهما يقرآن بها وبهمزتين محققتين طَيِّبَاتِكُمْ لذائذكم
فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا باستيفائها فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فما بقي لكم منها شيء فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ
الْهُونِ الهوان وقد قرئ به بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ
بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله وقرئ يفسقون بالكسر وَاذْكُرْ
أَخَا عَادٍ يعني هودا إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ جمع حقف وهو رمل مستطيل
مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على
البحر بالشحر من اليمن وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ الرسل مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ قبل هود وبعده
والجملة حال او اعتراض أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ اي لا تعبدوا او بان لا تعبدوا فان النهي
عن الشيء انذار عن مضرته إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ هائل بسبب شرككم
قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا لتصرفنا عَنْ آلِهَتِنَا عن عبادتها فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا من العذاب
على الشرك إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ في وعدك قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ لا علم لي بوقت
عذابكم ولا مدخل لي فيه فاستعجل به وانما علمه عند الله فيأتيكم به في وقته المقدر
له وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وما على الرسول الا البلاغ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ
لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا
سحابا عرض في افق السماء مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ متوجها اوديتهم والاضافة
فيه لفظية وكذا في قوله قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا اي يأتينا بالمطر بل هو اي قال هود

بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ من العذاب وقرئ قل بل رِيحٌ هي ريح ويجوز ان يكون بدل ما فِيهَا عَذَابٌ
أَلِيمٌ صفتها وكذا قوله تُدَمِّرُ تُهْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ من نفوسهم واموالهم بِأَمْرِ رَبِّهَا وقرئ يدمر
كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا او الهاء في ربها ويحتمل ان يكون
استينافا للدلالة على ان لكل ممكن فناء مقتضيا لا يتقدم ولا يتاخر ويكون الهاء لكل
شيء فانه بمعنى الاشياء اذ لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون الا بمشيئته وفي ذكر الامر
الرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ
اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرا
عاصم وحمزة والكسائي لا يرى الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن كَذَلِكَ نَجْزِي
الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ روي ان هودا لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح
فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت عنهم
واحتملتهم وقذفتهم في البحر وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ان نافية وهي احسن
من ما هاهنا لانها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت الفها هاء في مهما او شرطية محذوفة
الجواب والتقدير ولقد مكناهم في الذي او في شيء ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر
او صلة كما في قوله يرجي المرء ما ان لا يراه وتعرض دون ادناه الخطوب والاول اظهر و
كقوله تعالى هم احسن اثاثا ورئيا كانوا اكثر منهم وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا وَجَعَلْنَا لَهُمْ
سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا
على شكرها فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ من الاغناء
وهو القليل إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ صلة لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى
التعليل للحكم على ما اضيف من حيث ان الحكم مرتب عليه العذاب وكذلك حيث وَحَاقَ
بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ من العذاب وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ يا اهل مكة مِنَ الْقُرَى

كحجر ثمود وقرى قوم لوط وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ بتكريرها لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عن كفرهم فَلَوْلَا
نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً فهلا منعتهم من الهلاك آلهتهم
الذين يتقربون بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واول مفعولي
اتخذوا الراجع الى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا وآلهة بدل او عطف بيان او آلهة
وقربانا حال او مفعول له على انه بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ
غابوا عن نصرهم وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ
وذلك الاتخاذ الذي هذا اثره صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة
وآفكهم اي جعلهم آفكين وآفكهم اي قولهم الافك اي ذو الافك وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ
وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ املناهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه انفار
يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ حال محمولة على المعنى فَلَمَّا حَضَرُوهُ اي القرآن او الرسول قَالُوا
أَنْصِتُوا قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه فَلَمَّا قُضِيَ اتم وفرغ من قراءته وقرئ على
بناء الفاعل وهو ضمير الرسول عم وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ اي منذرين اياهم
بما سمعوا روي انهم وافوا رسول الله عم بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف
يقرا في تهجده قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى قيل انما قالوا ذلك
لانهم كانوا يهودا او ما سمعوا بامر عيسى عم مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ
من العقائد وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ من الشرائع يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا
بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله فان المظالم
لا تغفر بالايمان وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة با
قتصارهم على المغفرة والاجارة على ان لا ثواب لهم والاظهر انهم في توابع التكليف
كبني آدم وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ اذ لا ينجي منه مهرب وَلَيْسَ لَهُ

من دونه أولياء يمنعونه منه أولئك في ضلال مبين حيث أعرضوا عن إجابة من هذا
شأنه أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن ولم يتعب ولم يعجز
والمعنى أن قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالإيجاد أبدا بقادر على أن يحيي الموتى أي
قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر والباء مزيدة لتأكيد النفي فإنه مشتمل على أن
وما في خبرها ولذلك أجاب عنه بقوله بلى إنه على كل شيء قدير تقرير للقدرة على
وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كأنه لما صدر السورة بتحقيق المبدأ أراد
ختمها بإثبات المعاد ويوم يعرض الذين كفروا على النار منصوب بقول مضمر مقوله
أليس هذا بالحق والإشارة إلى العذاب قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما
كنتم تكفرون بكفركم في الدنيا ومعنى الأمر هو الإهانة بهم والتوبيخ لهم فاصبر
كما صبر أولوا العزم من الرسل أولوا الثبات والجد منهم فإنك من جملتهم ومن للتبيين
وقيل للتبعيض وأولوا العزم أصحاب الشرائع اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على
تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها لقوله تعالى في آدم ولم نجد له عزما وفي سليمان
وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت ومشاهيرهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى
وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه و
إبراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر و
يوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه إنا لمدركون قال
كلا إن معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة
ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب فإنه نازل بهم في وقته لا محالة كأنهم
يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار استقصروا من هوله مدة
لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة بلاغ هذا الذي وعظتم به أو هذه السورة

بلاغ أي كفاية أو تبليغ من الرسول ويؤيده أنه قرئ بلّغ وقيل مبتدأ خبره لهم وما بينهما
اعتراض أي لهم وقت يبلغونه كأنهم إذا بلغوه ورأوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم
وقرئ بالنصب أي بلغوا بلاغا فهل يهلك إلا القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ
والطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب
القوم عن النبي صلعم من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد عليه السلام وهي مدنية وقيل مكية وهي ثمان وثلثون أو تسع وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا عن الدخول في الإسلام وسلوك طريقه
أو منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر أو شياطين قريش والمصرين من أهل الكتاب
أو عام في جميع من كفر وصد أضل أعمالهم جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الأسارى وحفظ
الجوار ضالة أي ضائعة محبطة بالكفر أو مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن أو ضلالا
حيث لم يقصدوا به وجه الله أو أبطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله
بنصر رسوله وإظهار دينه على الدين كله والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعم
المهاجرين والأنصار والذين آمنوا من أهل الكتاب وغيرهم وآمنوا بما نزل
على محمد تخصيص للمنزل عليه مما يجب الإيمان به تعظيما له وإشعارا بأن الإيمان لا يتم
دونه وأنه الأصل فيه ولذلك أكده بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضا على طريقة
الحصر وحقيته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وأنزل على البنائين
ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم سترها بالإيمان وعملهم الصالح وأصلح بالهم
حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد ذلك إشارة إلى ما مر من الإضلال و
التكفير والإصلاح وهو مبتدأ خبره بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين

آمنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهذا
تصريح بما أشعر به ما قبلها ولذلك يسمى تفسيرا كذلك مثل ذلك الضرب يضرب
الله للناس يبين لهم أمثالهم أحوال الفريقين أو أحوال الناس أو يضرب أمثالهم بأن
جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والإضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين
وتكفير السيئات مثلا لفوزهم فإذا لقيتم الذين كفروا في المحاربة فضرب
الرقاب أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وأنيب منابه
مضافا إلى المفعول ضما إلى التأكيد والاختصار والتعبير به عن القتل إشعارا بأنه
ينبغي أن يكون بضرب الرقبة حيث أمكن وتصوير له بأشنع صورة حتى إذا أثخنتموهم
أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق فأسروهم واحفظوهم
والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به فإما منا بعد وإما فداء أي فإما تمنون منا أو تفدون
فداء والمراد التخيير بعد الأسر بين المن والإطلاق وبين أخذ الفداء وهو ثابت عندنا فإن
الذكر الحر المكلف إذا أسر تخير الإمام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق منسوخ
عند الحنفية أو مخصوص بحرب بدر فإنهم قالوا يتعين القتل أو الاسترقاق وقرئ فدا كعصا
حتى تضع الحرب أوزارها آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكراع
أي تنقضي الحرب ولم يبق إلا مسلم أو مسالم وقيل آثامها والمعنى حتى تضع أهل الحرب شركهم
ومعاصيهم وهو غاية للضرب أو الشد أو المن والفداء أو للمجموع بمعنى أن هذه الأحكام
جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى عليه السلام
ذلك أي الأمر ذلك أو افعلوا ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم بالاستئصال ولكن
ليبلو بعضكم ببعض ولكن أمركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوهم
فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض عذابهم

كي يرتدع

كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قاتلوا في سبيل الله أي جاهدوا وقرأ البصريان
وحفص قتلوا أي استشهدوا فلن يضل أعمالهم أي فلن يضيعها وقرئ يضل
من ضل ويضل على البناء للمفعول سيهديهم إلى الثواب أو سيثبت هدايتهم ويصلح
بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقد عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا إليها
فعملوا ما استحقوها به أو بينها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدي إليه كأنه كان
ساكنه منذ خلق أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة أو حددها لهم بحيث يكون
لكل جنة مفرزة يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله إن تنصروا دينه ورسوله
ينصركم على عدوكم ويثبت أقدامكم في القيام بحقوق الإسلام والمجاهدة مع الكفار
والذين كفروا فتعسا لهم فعثورا وانحطاطا ونقيضه لعا قال الأعشى فالتعس أولى لها
من أن أقول لها لعا وانتصابه بفعله الواجب إضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا أو
مفسرة لناصبه وأضل أعمالهم عطف عليه ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله القرآن
لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما ألفوه واشتهته أنفسهم وهو تخصيص و
تصريح بسببية الكفر بالقرآن للتعس والإضلال فأحبط أعمالهم كرره إشعارا بأنه يلزم
الكفر ولا ينفك عنه بحال أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم دمر الله عليهم استأصل عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم
وللكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر أمثالها أمثال تلك العاقبة أو العقوبة
أو الهلكة لأن التدمير يدل عليها أو السنة لقوله تعالى سنة الله التي قد خلت ذلك
بأن الله مولى الذين آمنوا ناصرهم على أعدائهم وأن الكافرين لا مولى لهم فيدفع
العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله وردوا إلى الله مولاهم الحق فإن المولى فيه بمعنى المالك
إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين

كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الدنيا ويأكلون كما تأكل الأنعام حريصين غافلين
عن العاقبة والنار مثوى لهم منزل ومقام وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك
التي أخرجتك على حذف المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب أهلكناهم
بانواع العذاب فلا ناصر لهم يدفع عنهم وهو كالحال المحكية أفمن كان على بينة
من ربه حجة من عنده وهو القرآن او ما يعمه والحجج العقلية كالنبي والمؤمنين كمن
زين له سوء عمله كالشرك والمعاصي واتبعوا أهواءهم في ذلك لا شبهة لهم
عليه فضلا عن حجة مثل الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك صفتها
العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن هو خالد في النار وتقدير الكلام امثل اهل الجنة
كمثل من هو خالد في النار او امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعري عن حرف الانكار
وحذف ما حذف استغناء بجري مثله تصويرا لمكابرة من يسوي بين التمسك بالبينة
والتابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة والنار وهو على الاول خبر محذوف تقديره
أفمن هو خالد في الجنة كمن هو خالد في النار او بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض
لبيان ما يمتاز به من على بينة في الآخرة تقريرا لانكار المساواة فيها أنهار من ماء غير
آسن استئناف بشرح المثل وحال من العائد المحذوف او خبر لمثل وآسن من أسن
الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير أسن
وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حاذرا وأنهار من خمر لذة للشاربين
لذيذة لا يكون فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار تأنيث لذ وهو مصدر
نعت به باضمار او تجوز وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة وأنهار
من عسل مصفى لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم
مقام الاشربة في الجنة بانواع ما يستلذ منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها

التوصيف

والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها ولهم فيها من كل الثمرات صنف على
هذا القياس ومغفرة من ربهم عطف على الصنف المحذوف او مبتدأ خبره
محذوف اي لهم مغفرة كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة
فقطع أمعاءهم من فرط الحرارة ومنهم من يستمع اليك حتى إذا خرجوا
من عندك يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس الرسول ويسمعون كلامه فاذا خرجوا
قالوا للذين أوتوا العلم اي لعلماء الصحابة ماذا قال آنفا ما الذي قال الساعة استهزاء
او استعلاما اذ لم يلقوا له آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم انف الشيء لما تقدم
منه مستعارا من الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا
او حال من الضمير في قال وقرئ أنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا
أهواءهم فلذلك استهزؤا وتهاونوا بكلامه والذين اهتدوا زادهم هدى
اي زادهم الله بالتوفيق والالهام او قول الرسول وآتاهم تقواهم بين لهم ما يتقون
واعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها فهل ينظرون إلا الساعة فهل ينتظرون
غيرها أن تأتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة وقوله فقد جاء أشراطها كالعلة
وقرئ ان يأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه فأنى لهم إذا جاءتهم والمعنى ان
تأتهم الساعة وح لا يفرغ له ولا ينتفع ذكراهم فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر
لذنبك اي اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما انت
عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح احوالها وافعالها وهضمها با
لاستغفار لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض
على ما يستدعي غفرانهم وفي اعادة الجار وحذف المضاف اشعار بفرط احتياجهم
وكثرة ذنوبهم فانها جنس آخر فان الذنب ما له تبعة ما بترك الاولى والله يعلم

متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها ومثواكم في العقبى فانها دار اقامتكم
فاتقوا الله واستغفروه واعدوا لمعادكم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة
اي هلا نزلت سورة في امر الجهاد فاذا أنزلت سورة محكمة مبينة لا تشابه فيها
وذكر فيها القتال اي الامر به رأيت الذين في قلوبهم مرض ضعف في الدين وقيل
نفاق ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت جبنا ومخافة فأولى لهم
فويل لهم افعل من الولي وهو القرب او فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه
او يؤول اليه امرهم طاعة وقول معروف استئناف اي امرهم طاعة او طاعة وقول
معروف خير لهم او حكاية قولهم لقراءة أبي يقولون طاعة فإذا عزم الأمر اي جد
وهو لاصحاب الامر واسناده مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل فلو صدقوا الله
اي فيما زعموا من الحرص على الايمان والجهاد والايمان لكان الصدق خيرا لهم فهل
عسيتم فهل يتوقع منكم إن توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم
عن الاسلام أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم تناحرا على الولاية
وتجاذبا لها او رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة الاقارب
والمعنى انهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا احقاء الله بان يتوقع ذلك
منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بني تميم لا يلحقون
الضمير به وخبره أن تفسدوا وإن توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم اي ان تولاكم
ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ
وتقطعوا من التقطع أولئك اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله لافسادهم
وقطعهم الارحام فأصمهم عن استماع الحق وأعمى أبصارهم فلا يهتدون سبيله
أفلا يتدبرون القرآن يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا

على المعاصي أم على قلوب أقفالها لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض منهم او للاشعار بانها
لابهام امرها في القساوة او لفرط جهالتها ونكرها كانها مبهمة منكورة واضافة الاقفال
اليها للدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة بها لا يجانس الاقفال المعهودة وقرئ
اقفالها على المصدر إن الذين ارتدوا على أدبارهم اي ما كانوا عليه من الكفر
من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة الشيطان سول
لهم سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السول
وهو التمني وفيه ان السول مهموز قلب همزته لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن
رده بقولهم هما يتساولان وقرئ سول على تقدير مضاف اي كيد الشيطان سول لهم
وأملى لهم وامد لهم في الآمال والاماني او امهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب
وأملي لهم اي وانا املي لهم فيكون الواو للحال او للاستئناف وقرأ ابو عمرو وأملي على
البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان او لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله
قال اليهود الذين كفروا بالنبي بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين او المنافقون لهم اي
احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في بعض الأمر في بعض اموركم او في بعض ما تأمرون
به كالقعود عن الجهاد والموافقة في الخروج معهم ان اخرجوا والتظافر على الرسول
والله يعلم إسرارهم ومنها قولهم هذا الذي افشاه الله عليهم وقرأ حمزة والكسائي
وحفص اسرارهم على المصدر فكيف إذا توفتهم الملائكة فكيف يعملون ويحتالون
ح وقرئ توفيهم وهو يحتمل الماضي والمضارع المحذوف احدى تائيه يضربون
وجوههم وأدبارهم تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له ذلك
اشارة الى التوفي الموصوف بأنهم اتبعوا ما أسخط الله الكفر وكتمان نعت الرسول

وعصيان الامر وكرهوا رضوانه ما يرضيه من الايمان والجهاد وغيرهما من الطاعات فأحبط
اعمالهم لذلك ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله ان لن يبرز الله
لرسوله وللمؤمنين اضغانهم احقادهم ولو نشاء لأريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم
باعيانهم فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التي نسمهم بها واللام لام الجواب كررت
في المعطوف ولتعرفنهم في لحن القول جواب قسم محذوف ولحن القول اسلوبه وامالته
الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل الكلام عن الصواب والله يعلم
اعمالكم فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات ولنبلونكم بالامر بالجهاد
وسائر التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاقها و
نبلو اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فنظهر حسنها وقبيحها او اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم
المؤمنين في صدقها وكذبها وقرأ ابو بكر الافعال الثلاثة بالياء ليوافق ما قبلها
وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو ان الذين كفروا و
صدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى هم قريظة
والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا بكفرهم وصدهم او لن يضروا رسول
الله بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم ثواب
حسنات اعمالهم بذلك او مكايدهم التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون بها الى
مقاصدهم ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب
والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله
لهم عام في كل من مات على كفره وان صح نزوله في اصحاب القليب ويدل بمفهومه على انه قد يغفر

من لم يمت على كفره سائر ذنوبه فلا تهنوا فلا تضعفوا وتدعوا الى السلم ولا تدعوا الى
الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقرئ ولا تدّعوا من ادّعى بمعنى دعا و
قرأ ابو بكر وحمزة بكسر السين وانتم الاعلون الاغلبون والله معكم ناصركم ولن
يتركم اعمالكم ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من قريب او
حميم فافردته عنه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده منه انما الحيوة الدنيا
لعب ولهو لا ثبات لها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم و
تقويكم ولا يسألكم اموالكم جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر وعشره
ان يسألكموها فيحفكم فيجهد بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية
يقال احفى شاربه اذا استأصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم ويضغنكم على
رسول الله صلعم والضمير في يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون او البخل لانه سبب الاضغان
وقرئ تخرج بالتاء والياء ورفع اضغانكم ها انتم هؤلاء اي انتم يا مخاطبون
هؤلاء الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا في سبيل الله استئناف مقرر لذلك
او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرهما فمنكم
من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية المتقدمة ومن يبخل فانما يبخل
عن نفسه فان نفع الانفاق وضر البخل عائدان اليه والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى
الامساك والتعدي فانه امساك عن مستحق والله الغني وانتم الفقراء فما يأمركم به فهو
لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان توليتم وان تتولوا عطف على ان تؤمنوا يستبدل
قوما غيركم يقيم مكانكم قوما آخرين ثم لا يكونوا امثالكم في التولي والزهد في
الايمان وهم الفرس لانه سئل عنه وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه وقال هذا
وقومه او الانصار او اليمن او الملائكة وعن النبي صلعم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية نزلت في مرجع رسول الله صلعم من الحديبية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد بفتح مكة والتعبير عنه بالماضي لتحققه او بما اتفق له
تلك السنة كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا لانه كان
بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله
لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل في الاسلام خلقا عظيما وظهر له في الحديبية
آية عظيمة وهي انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب
جميع من كان معه او فتح الروم فانهم غلبوا على الفرس في تلك السنة وقد عرف كونه
فتحا للرسول صلعم في سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء اي قضينا لك ان تدخل مكة
من قابل ليغفر لك الله علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في اعلاء الدين
وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة عن ايدي
الظلمة ما تقدم من ذنبك وما تأخر جميع ما فرط منك مما يصح ان يعاتب عليه ويتم
نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة ويهديك صراطا مستقيما
في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وينصرك الله نصرا عزيزا نصرا فيه عز و
منعة او يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة هو الذي انزل السكينة الثبات
والطمأنينة في قلوب المؤمنين حتى ثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس
عليها او انزل فيها السكون الى ما جاء به الرسول ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم
بالله واليوم الآخر ولله جنود السموات والارض يدبر امرها فيسلط بعضها
على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم اخرى كما يقتضيه حكمته وكان الله عليما بالمصالح

حكيما فيما يقدر ويدبر ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها علة لما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير اي
دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها فيدخلهم الجنة ويعذب
الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا او انزل او جميع ما ذكر او ليزدادوا
وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال ويكفر عنهم سيئاتهم يغطيها ولا يظهرها وكان
ذلك اي الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع
او دفع ضر وعند حال من الفوز ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات عطف على يدخل الا اذا جعلته بدلا فيكون عطفا على المبدل الظانين
بالله ظن السوء ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين عليهم دائرة السوء
دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء
بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى
مجرى الشر وكلاهما في الاصل مصدر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم
جهنم عطف لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في
الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال
الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية وساءت مصيرا جهنم ولله جنود السموات
والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا على امتك ومبشرا
ونذيرا على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبي والامة
او لهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه وتقووه بتقوية دينه
ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له بكرة
واصيلا غدوة وعشيا او دائما وقرأ ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء

وقرئ تعزروه بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعززوه وتوقروه
من اوقر بمعنى وقر ه ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله لانه المقصود ببيعته يد الله
فوق ايديهم حال او استئناف مؤكد له على سبيل التخييل فمن نكث نقض العهد فانما ينكث
على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله وفى مبايعته
فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرا حفص عليه بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن
عامر وروح فسنؤتيه بالنون والاية نزلت فى بيعة الرضوان سيقول لك المخلفون
من الاعراب هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله عم عام الحديبية فتخلفوا
واعتلوا بالشغل باموالهم واهاليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف
من مقاتلة قريش ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالهم
وقرئ بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله على التخلف يقولون بالسنتهم ما ليس
فى قلوبهم تكذيب لهم فى الاعتذار والاستغفار قل فمن يملك من الله شيئا فمن
يمنعكم من مشيئته وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم كقتل وهزيمة وخلل فى
المال والاهل وعقوبة على التخلف وقرا حمزة والكسائى بالضم او اراد بكم نفعا
ما يضاد ذلك وهو تعريض بالرد بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم
فيه بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا لظنكم ان
المشركين يستاصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على ان
اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وزين ذلك فى قلوبكم فتمكن فيها وقرئ
على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان وظننتم ظن السوء الظن المذكور
والمراد التسجيل عليه بالسوء او هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور
الزائغة وكنتم قوما بورا هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم ومن لم

يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وضع الكافرين موضع الضمير
ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر فانه مستوجب للسعير بكفره و
تنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض يدبره كيف
يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اذ لا وجوب عليه وكان الله غفورا
رحيما فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض و
لذلك جاء فى الحديث الالهى سبقت رحمتى غضبى سيقول المخلفون يعنى المذكورين
اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها يعنى مغانم خيبر فانه عم رجع من الحديبية
فى ذى الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوايل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد
الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرا فخصها وهم ذرونا نتبعكم يريدون
ان يبدلوا كلام الله ان يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية ان يعوضهم من مغانم
مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معى ابدا والظاهر انه فى تبوك والكلام
اسم للتكليم غلب فى الجملة المفيدة وقرا حمزة والكسائى كلم الله وهو جمع كلمة قل لن
تتبعونا نفى فى معنى النهى كذلكم قال الله من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر
فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم فى الغنايم وقرئ بالكسر بل كانوا
لا يفقهون لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا و
معنى الاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا تتبعوهم واثبات الحسد
والثانى رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين قل للمخلفين من الاعراب
كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة فى الذم واشعارا بشناعة التخلف ستدعون
الى قوم اولى باس شديد بنى حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صم او المشركين
فانه قال او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صم او المشركين فانه قال تقاتلونهم او

او يسلمون اى يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة او
يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطى الجزية وهو يدل على امامة ابى بكر رض اذ
لم يتفق هذه الدعوة لغيره الا ان صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان فى عهد
النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون لتناول تقبلهم الجزية فان
تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة فى الدنيا والجنة فى الاخرة وان تتولوا
كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على
الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج لما اوعد على التخلف نفى
الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد ومن يطع الله ورسوله يدخله
جنات تجرى من تحتها الانهار فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة فى الوعد
لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال ومن يتول يعذبه
عذابا اليما اذ الترهيب ههنا انفع من الترغيب وقرا نافع وابن عامر ندخله
ونعذبه بالنون لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة روى
انه عم لما نزل الحديبية بعث خراش بن امية الخزاعى الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش
فرجع فبعث عثمان بن عفان فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله صم اصحابه
وكانوا الفا وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا قريشا
ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سمرة او سدرة فعلم ما فى قلوبهم من الاخلاص
فانزل السكينة عليهم الطمانينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح واثابهم
فتحا قريبا فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة ياخذونها
يعنى مغانم خيبر وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا مقتضى الحكمة وعدكم
الله مغانم كثيرة تاخذونها وهى ما يفى على المؤمنين الى يوم فعجل لكم هذه

يعنى مغانم خيبر وكف ايدى الناس عنكم ايدى اهل خيبر وحلفائهم من بنى
اسد وغطفان او ايدى قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة او الغنيمة اية للمؤمنين
امارة يعرفون بها انهم من الله بمكان وصدق الرسول فى وعدهم فتح خيبر فى حين
رجوعه عن الحديبية او وعد المغانم او عنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف
هو علة لكف او عجل مثل لتسلموا او لتاخذوا او العلة لمحذوف مثل فعل ذلك
ويهديكم صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه واخرى ومغانم اخرى
معطوفة على هذه او منصوبة بفعل يفسره قد احاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها
لانها موصوفة وجرها باضمار رب لم تقدروا عليها بعد لما كان فيها من الجولة قد
احاط الله بها استولى فاظهركم بها وهى مغانم هوازن او فارس وكان الله على
كل شىء قديرا لان قدرته ذاتية لا تختص بشىء دون شىء ولو قاتلكم الذين كفروا
من اهل مكة ولم يصالحوا لولوا الادبار لانهزموا ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا
نصيرا ينصرهم سنة الله التى قد خلت من قبل اى سن غلبة انبيائه سنة قديمة
فيمن مضى من الامم كما قال كتب الله لاغلبن انا ورسلى ولن تجد لسنة الله تبديلا
تغييرا وهو الذى كف ايديهم عنكم ايدى كفار مكة وايديكم عنهم ببطن مكة
فى داخل مكة من بعد ان اظفركم عليهم اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابى جهل
خرج فى خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صم خالد بن الوليد على جند فهزمهم
حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على ان
مكة فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله وكان الله بما تعملون
من مقاتلتهم اولا طاعة لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرا ابو عمرو بالياء
بصيرا فيجازيهم عليه هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى

معكوفا محبوسا أن يبلغ محله بدل على أن ذلك كان عام الحديبية والهدي ما يهدى إلى مكة
وقرئ الهدي وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره والمراد مكانه
المعهود وهو منى لا مكانه الذي لا يجوز أن ينحر في غيره وإلا لما نحره الرسول عم حيث أحصر
فلا ينتهض حجة للحنفية على أن مذبح هدي المحصر هو الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء
مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين أن تطؤوهم أن توقعوا
بهم وتبيدوهم قال ووطئتنا وطأ على حنق وطء المقيد نابت الهرم وقال النبي عم
إن آخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد بالطائف كان آخر وقعة للنبي عم بها وأصل الوطء الدوس
وهو بدل اشتمال من رجال ونساء أو من ضميرهم في تعلموهم فتصيبكم منهم من جهتهم
معرة مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار بذلك
والإثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره إذا عراه ما يكرهه بغير علم متعلق بأن
تطؤوهم أي تطؤوهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى
لولا كراهة أن تهلكوا أناسا مؤمنين بين أظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم
بإهلاكهم مكروه لما كف أيديكم عنهم ليدخل الله في رحمته علة لما دل عليه كف
الأيدي عن أهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين أي كان ذلك ليدخل الله في رحمته
أي في توفيقه لزيادة الخير أو للإسلام من يشاء من مؤمنيهم أو مشركيهم لو
تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم
عذابا أليما بالقتل والسبي إذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر أو ظرف لعذبنا أو
صدوكم في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية الأنفة التي تمنع إذعان الحق فأنزل الله
سكينته على رسوله وعلى المؤمنين فأنزل الله عليهم الوقار والثبات وذلك
ما روي أنه عم لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز

بن حفص ليسألوه أن يرجع من عامه على أن تخلي له قريش مكة من القابل ثلاثة أيام فأجابهم وكتبوا
بينهم كتابا فقال عم لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا
اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم
أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله
أهل مكة فقال عم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم
فأنزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحلموا عليه وألزمهم كلمة التقوى كلمة الشهادة
أو بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم أو الثبات والوفاء بالعهد وإضافة
الكلمة إلى التقوى لأنها سببها أو كلمة أهل التقوى وكانوا أحق بها من غيرهم وأهلها
والمستأهل لها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم أهل كل شيء وييسره له لقد صدق الله رسوله
الرؤيا رأى عم أنه وأصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه
ففرحوا وحسبوا أن ذلك يكون في عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا
قصرنا ولا رأينا البيت فنزلت والمعنى صدقه في الرؤيا بالحق ملتبسا به فإن ما رآه
كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز أن يكون بالحق صفة مصدر
محذوف أي صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد إلى التمييز بين الثابت على الإيمان و
المتزلزل فيه وأن يكون قسما إما باسم الله تعالى أو بنقيض الباطل وقوله لتدخلن
المسجد الحرام جوابه وعلى الأولين جواب قسم محذوف إن شاء الله تعليق للعدة
بالمشيئة تعليما للعباد أو إشعارا بأن بعضهم لا يدخل لموت أو غيبة أو حكاية
لما قاله ملك الرؤيا أو النبي لأصحابه آمنين حال والشرط معترض محلقين
رؤوسكم ومقصرين أي محلقا بعضكم ومقصرا آخرون لا تخافون حال مؤكدة
أو استئناف أي لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا من الحكمة في تأخير ذلك فجعل

من دون ذلك من دون دخولكم المسجد أو فتح مكة فتحا قريبا هو فتح خيبر لتستروح إليه
قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الموعود هو الذي أرسل رسوله بالهدى ملتبسا به أو بسببه
ولأجله ودين الحق وبدين الإسلام ليظهره على الدين كله ليغلبه على جنس الدين كله بنسخ
ما كان حقا وإظهار فساد ما كان باطلا أو بتسليط المسلمين على أهله إذ ما من أهل
دين إلا وقد قهرهم المسلمون وفيه تأكيد لما وعد من الفتح وكفى بالله شهيدا على أن
ما وعده كائن أو على نبوته بإظهار المعجزات محمد رسول الله جملة مبينة للمشهود به
ويجوز أن يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف أو مبتدأ والذين معه معطوف
عليه وخبرهما أشداء على الكفار رحماء بينهم وأشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم
والمعنى أنهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله أذلة على المؤمنين
أعزة على الكافرين تراهم ركعا سجدا لأنهم مشتغلون بالصلاة في أكثر أوقاتهم يبتغون
فضلا من الله ورضوانا الثواب والرضا سيماهم في وجوههم من أثر السجود
يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه إذا أعلمه وقد قرئ ممدودة
ومن أثر السجود بيانها أو حال من المستكن في الجار ذلك إشارة إلى الوصف المذكور
أو إشارة مبهمة يفسرها كزرع مثلهم في التوراة صفتهم العجيبة الشأن المذكورة
فيها ومثلهم في الإنجيل عطف عليه أي ذلك مثلهم في الكتابين وقوله كزرع تمثيل
مستأنف أو تفسير أو مبتدأ وكزرع خبره أخرج شطأه فراخه يقال أشطأ الزرع
إذا فرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه
وقرئ شطاه بتخفيف الهمز وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمز وحذفها
وشطوه بقلبها واوا فآزره فقواه من المؤازرة وهي المعاونة أو من الإيزار
وهي الإعانة وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان فأزره كأجر في آجر فاستغلظ فصار

من الرقة إلى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمز
يعجب الزراع بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله للصحابة قلوا في
بدء الإسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى أمرهم بحيث أعجب الناس ليغيظ بهم الكفار علة
لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه أو لقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة وأجرا عظيما فإن الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان عن
النبي عم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم فتح مكة

سورة الحجرات مدنية ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا أي لا تقدموا أمرا فحذف المفعول ليذهب الوهم إلى كل
ما يمكن أو ترك لأن المقصود نفي التقديم رأسا أو لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لتقدمهم
ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم بين يدي الله ورسوله
مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الإنسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا
أمرا قبل أن يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر الله تعظيم له وإشعار بأنه
من الله بمكان يوجب إجلاله واتقوا الله في التقديم أو مخالفة الحكم إن الله سميع
لأقوالكم عليم بأفعالكم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي
أي إذا كلمتموه فلا تجاوزوا أصواتكم عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ولا
تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا أصواتكم أخفض من صوته محاماة على الترحيب و
مراعاة للأدب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه
بالنبي والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة في الاتعاظ
والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به أن تحبط أعمالكم كراهة

ان تحبط فيكون علة للنهي او لئن تحبط على ان النهي عن الفعل المعلل باعتبار التأدية لان
في الجهر والرفع استخفافا قد يؤدي الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة
وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت بن قيس كان في اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت
تخلف عن رسول الله صلعم فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الاية
واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال عم لست هناك انك تعيش
بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون انها محبطة ان الذين يغضون
اصواتهم يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب او مخافة عن مخالفة النهي قيل كان
ابي بكر وعمر بعد ذلك يسرانه حتى يستفهمهما اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى جربها للتقوى ومرنها عليها وعرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان
سبب المعرفة واللام صلة محذوف او للفعل باعتبار الاصل وضرب الله قلوبهم بانواع
المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها
من امتحن الذهب وابريزه من خبثه لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لغضهم وسائر
طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استيناف لبيان ما هو جزاء
الغاضين اجلالا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدا اسم الاشارة
المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة
في الاعتداد بغضهم والادلالة وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب
لهما على خلاف ذلك ان الذين ينادونك من وراء الحجرات من خارجها خلفها
او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة
على ان المنادي داخل الحجرة اذ لا بد ان يختلف المبتدا والمنتهى بالجهة وقرئ
الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلثتها جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بحائط

ولذلك يقال للحظيرة الابل حجرة وهي فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات
نساء النبي عم وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها او بانهم تفرقوا على
الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصين و
الاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلعم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد
فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند الى جميعهم لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه
وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة
سيما لمن كان بهذا المنصب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو ثبت صبرهم
وانتظارهم حتى تخرج فان ان وان دلت بما في خبرها على المصدر ودلت بنفسها
على الثبوت ولذلك اضمر الفعل وحتى يفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه
فان حتى مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى راسها
ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم
ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم لكان
الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء
والثواب والاسعاف بالمسؤل اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني
العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم حيث اقتصر على النصح
والتقريع لهؤلاء المسيئين الادب التاركين تعظيم الرسول يا ايها الذين امنوا ان
جاءكم فاسق بنبا فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا روي انه عم بعث وليد بن
عقبة مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه
فحسبهم مقاتلة فرجع وقال لرسول الله قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم بقتالهم
فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين

اتوها حجرة حجرة فنادوه من
ورائها او بانهم

فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وفي تعليق الامر بالتبين على
فسق المخبر يقتضي جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شيء بكلمة ان عدم عند
عدمه وان خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه
الاحرف الثلاثة دائرة مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في خبره ساد
مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله لو يطيعكم في كثير من الامر
لعنتم فانه حال من احد ضميري فيكم ولو جعل استينافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى
ان فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهي انكم تريدون ان تتبع رايكم في
الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد من العنت وفيه اشعار بان بعضهم
اشار اليه بالايقاع ببني المصطلق وقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه
في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان استدراك ببيان
عذرهم وهو انهم من فرط حبهم للايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا
قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل
ويؤيده قوله اولئك هم الراشدون اي اولئك المستثنون هم الذين
اصابوا الطريق السوي وكره يعدى بنفسه الى مفعول واحد فاذا شدد زاد
له اخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل اليكم منزلة مفعول اخر والكفر تغطية نعم
الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد فضلا
من الله ونعمة تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدين فان الفضل
فعل الله والرشد وان كان مسببا عن فعله مسند الى ضميرهم او مصدر لغير
فعله فان التحبيب والرشد فضل من الله وانعام والله عليم باحوال المؤمنين
وما بينهم من التفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم وان طائفتان

من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع فاصلحوا
بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله فان بغت احداهما على الاخرى تعدت عليها
فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ترجع الى حكمه او ما امر به وانما اطلق
الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين
فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على ما حكم الله وتقييد الاصلاح
بالعدل هاهنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة واقسطوا واعدلوا في كل الامور
ان الله يحب المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء والاية نزلت في قتال حدث
بين الاوس والخزرج في عهد النبي عم بالسعف والنعال وهي تدل على ان الباغي
مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء في الحديث لانه فاء الى امر الله فانه يجب
معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المؤمنون اخوة
من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحيوة الابدية وهو
تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال فاصلحوا
بين اخويكم ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المامورين للمبالغة في التقرير
والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين
الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله في مخالفة حكمه
والاهمال فيه لعلكم ترحمون على تقواكم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم
من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا
منهن اي لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه
خيرا عند الله من الساخر والقوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به
فشاع في الجمع او جمع لقائم كزائر وزور ولان القيام بالامور وظيفة الرجال كما

قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلين كقوم عاد وفرعون فاما
على التغليب والاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب
في المجامع وعسى باسمها استيناف بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لاغناء الاسم
عنه وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهي على هذا ذات خبر ولا تلمزوا انفسكم
اي ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان
من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم
ولا تنابزوا بالالقاب ولا يدعو بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب
السوء عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان
يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان او اشتهارهم والمراد به اما تهجين نسبة الكفر
والفسق الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الآية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان
ابي هارون وعمي موسى وزوجي محمد او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين
الايمان مستقبح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان
موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا
من الظن كونوا منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن حيث لا قاطع فيه
من العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث
يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن في الامور المعاشية ان
بعض الظن اثم تعليل مستأنف للامر والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة
عليه والهمزة فيه بدل من الواو كأنه يثم الاعمال اي يكسرها ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن
عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من

الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الجواس وفي الحديث لا تتبعوا عورات
المسلمين فان من يتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب
بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل عليه السلام عن الغيبة فقال ان
تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ايحب احدكم
ان يأكل لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه مع
مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة
وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل المأكول اخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه
ولا يمكنكم انكار كراهته تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم هذا فقد
كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب على الحال من اللحم او الاخ وشدده نافع واتقوا
الله ان الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهي عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة في التواب لانه
بليغ في قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم
روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة
على طعامه فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها
فلما راحا الى رسول الله قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما
فقال انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحواء او
خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان
يكون تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم
المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون
والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة
وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون

العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالآباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام
ولتتعارفوا ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل
الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها
الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ان الله عليم
خبير ببواطنكم قالت الاعراب آمنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة
جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك
كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون قل لم تؤمنوا اذ الايمان تصديق مع ثقة
وطمأنينة قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على الرسول بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه
آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادة
وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او لم
تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل منه الى هذا النظم احترازا من النهي عن القول بالايمان والجزم
باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لقولوا فانه حال
من ضميره اي ولكن قولوا اسلمنا ولم تواطئ قلوبكم السنتكم بعد وان تطيعوا الله ورسوله
بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم من اجورها شيئا من لاته ليتا
اذا نقص وقرأ البصريان لا يألتكم من الالت وهو لغة غطفان ان الله غفور لما
فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة و
فيه اشارة الى ما اوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب
في اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل فيه وفيما يستقبل فهي كما في قوله ثم استقاموا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس

تصلح للعبادات المالية والبدنية باسرها اولئك هم الصادقون الذين صدقوا
في ادعاء الايمان قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه به بقولكم آمنا والله يعلم
ما في السماوات وما في الارض والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وتجهيل
لهم وتوبيخ روي انه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤوا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون
فنزلت هذه يمنون عليك ان اسلموا يعدون اسلامهم عليك منة وهي النعمة التي
لا يستثيب موليها ممن يزلها اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته
وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي اسلامكم اي باسلامكم فنصب بنزع
الخافض او تضمين الفعل معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان
على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر
واذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه
ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق الآية لطف وهو انهم لما سموا ما صدر عنهم
ايمانا ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو في الحقيقة
اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم الايمان فلله المنة عليهم
بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السماوات والارض ما غاب فيهما
والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم و
قرأ ابن كثير بالياء لما في الآية المتقدمة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد
من اطاع الله وعصاه سورة ق مكية وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد الكلام فيه كما مر في ص والقرآن ذي الذكر والمجيد ذو المجد
والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وامتثل احكامه مجد

بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم
احد من جنسهم او من ابناء جلدتهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب حكاية لتعجبهم
وهذا اشارة الى اختيار الله محمدا للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار
بتعينهم لهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم من البعث على
تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت
الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده او مجملا ان كانت الاشارة الى محذوف دل عليه منذر
ثم تفسيره او تفصيله لانه ادخل في الانكار اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم
والثاني استقصار لقدرة الله عما هو اهون مما يشاهدون من صنعه أئذا متنا
وكنا ترابا اي انرجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله ذلك رجع
بعيد اي بعيد عن الوهم او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع قد علمنا
ما تنقص الأرض منهم ما تاكل من اجسادهم وهو رد لاستبعادهم بازاحة
ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام وعندنا كتاب
حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل
علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه او تاكيد لعلمه
بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق يعني النبوة الثابتة
بالمعجزات او النبي او القرآن لما جاءهم وقرئ لما بالكسر فهم في امر مريج مضطرب
من مرج الخاتم في اصبعه اذا خرج وذلك قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر
وتارة انه كاهن أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السماء فوقهم الى آثار قدرة
الله في خلق العالم كيف بنيناها ورفعناها بلا عمد وزيناها بالكواكب وما
لها من فروج فتوق بان خلقها ملساء متلاصقة الطباق والأرض مددناها

بسطناها وألقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وأنبتنا فيها من كل زوج من كل
صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر في
بدائع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا عن الفعل الاخير
ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع فأنبتنا به جنات اشجارا وثمارا و
حب الحصيد وحب الزرع الذي من شانه ان يحصد كالبر والشعير والنخل
باسقات طوالا او حوامل من اسقت الشاة اذا حملت فيكون من افعل فهو فاعل
وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لاجل القاف
لها طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من
الثمر رزقا للعباد علة لانبتنا او مصدر فان الانبات رزق وأحيينا به
بذلك الماء بلدة ميتا ارضا جدبة لا نماء فيها كذلك الخروج كما حييت هذه
البلدة يكون خروجكم احياء بعد موتكم كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب
الرس وثمود وعاد وفرعون اراد بفرعون اياه وقومه ليلائم ما قبله
وما بعده وإخوان لوط سماهم اخوانهم لانه كانوا اصهاره وأصحاب الأيكة
وقوم تبع سبق في الحجر والدخان كل كذب الرسل اي كل واحد او قوم منهم
او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه فحق وعيد فوجب وحل عليهم وعيدي
وفيه تسلية للرسول وتهديد لهم أفعيينا بالخلق الأول أفعجزنا عن الابداء
حتى نعجز عن الاعادة من عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار
بل هم في لبس من خلق جديد اي هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول
بل هم في خلط وشبهة في خلق مستانف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق
الجديد لتعظيم شانه والاشعار بانه على وجه غير متعارف ولا معتاد ولقد خلقنا

الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال
والوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة
والباء مثلها في صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية
ونحن أقرب إليه من حبل الوريد اي ونحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه
من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد مثل في القرب
قال والموت ادنى من الوريد والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان
بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا
لان الروح يرده اذ يتلقى المتلقيان مقدر باذكر او متعلق باقرب اي
هو اعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى اي يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه
غني عن استحفاظ الملكين فانه اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهي
ما فيه من تشديد تثبط العبد عن المعصية وتاكيد في اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام
الحجة يوم يقوم الاشهاد عن اليمين وعن الشمال قعيد اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد
اي مقاعد كالجليس فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كقوله واني وقيار بها لغريب وقيل
يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما
يرمي به من فيه الا لديه رقيب ملك يرقب عمله عتيد معد حاضر ولعله يكتب عليه
ما فيه ثواب وعقاب وفي الحديث كاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا
عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال
دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق لما
ذكر استبعادهم البعث للجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم
ملاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر بلفظ

الماضي وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما في قولك
جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر او الموعود الحق او الحق
الذي ينبغي ان يكون من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له او مثل الباء في
تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على انها لشدتها اقتضت الزهوق
او لاستعقابها له كانها جاءت به او على ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله
واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك اي الموت ما كنت منه
تحيد تميل وتفر عنه والخطاب للانسان ونفخ في الصور يعني نفخة البعث
ذلك يوم الوعيد اي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه والاشارة الى
مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه والاخر
يشهد بعمله او ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد
كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل
معها النصب على الحال من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في
غفلة من هذا على اضمار القول والخطاب لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغال
ما عن الاخرة او للكافر فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحاجب لامور المعاد
وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصور النظر عليها فبصرك
اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وقيل الخطاب للنبي والمعنى كنت
في غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القرآن
فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الاول قراءة من كسر التاء
والكافات على خطاب النفس وقال قرينه قال الملك الموكل عليه هذا ما لدي
عتيد هذا هو مكتوب عندي حاضر لدي او الشيطان الذي قيض له هذا

ما عندى وفى ملكتى عتيد لجهنم هيأته لها باغوائى واضلالى وما ان جعلت موصوفة
فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدل منها او خبر بعد خبر او خبر محذوف القيا
فى جهنم كل كفار خطاب من الله للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار
او الواحد وتثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله فان تزجرانى
يا ابن عفان انزجر وان تدعانى احم عرضا ممنعا او الالف بدل من نون التاكيد
على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة عنيد معاند
للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان
الاية نزلت فى وليد بن المغيرة لما منع بنى اخيه عنه معتد متعد مريب شاك
فى الله وفى دينه الذى جعل مع الله الها اخر مبتدأ متضمن معنى الشرط وخبره
فالقياه فى العذاب الشديد او بدل من كل كفار فيكون فالقياه تكريرا للتوكيد
او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اى الشيطان المقيض له وانما استونفت
كما استونفت الجملة الواقعة فى حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه ربنا
ما اطغيته كأن الكافر قال هو اطغانى فقال قرينه ربنا ما اطغيته بخلاف
الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما فى الحصول
اعنى مجئ كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان فى ضلال بعيد فاعنته
عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الراى مائلا الى الفجور كما
قال وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى قال اى الله لا تختصموا
لدى اى فى موقف الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استيناف مثل الاول وقد
قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان فى كتبى وعلى السنة رسلى فلم يبق لكم
حجة وهو حال فيه تعليل للنهى اى لا تختصموا عالمين بانى اوعدتكم والباء مزيدة

او متعدية على ان قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا
على قوله ما يبدل القول لدى اى بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل وعيدى
وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو تدل على
تخصيص الوعيد وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس لى تعذيبه يوم نقول
لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جئ بهما للتخييل والتصوير
والمعنى انها مع اتساعها يطرح فيها والجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله
لاملأن او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ او انها من
شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم
وقرأ نافع وابو بكر يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد او مفعول كالمبيع
ويوم مقدر باذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف
وازلفت الجنة للمتقين قربت لهم غير بعيد مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون
حالا وتذكيره لانه صفة محذوف اى شيئا غير بعيد او على زنة المصدر او لان
الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون على اضمار القول والاشارة الى الثواب
او مصدر ازلفت وقرأ ابن كثير بالياء لكل اواب رجاع الى الله تعالى
بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لحدوده من خشى الرحمن بالغيب
وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب فلا يجوز ان
يكون فى حكمه لان من لا يوصف به او مبتدأ خبره ادخلوها على تاويل يقال لهم
ادخلوها فان من بمعنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل او المفعول او صفة للمصدر
اى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب او العقاب بعد
غيب وهو غائب عن الاعين لا يراه احد وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم رجوا

رحمته ويخافون عذابه او بانهم يخشون مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة
اذ الاعتبار برجوعه الى الله بسلام سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم
من الله وملائكته ذلك يوم الخلود يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين لهم
ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من قرن هم
اشد منهم بطشا قوة كعاد وفرعون فنقبوا فى البلاد فخرقوا فى البلاد وتصرفوا فيها
او جالوا فى الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبيب وعلى الثانى
لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشئ والبحث عنه هل من محيص اى لهم
من الله او الموت وقيل الضمير فى نقبوا لاهل مكة اى ساروا فى اسفارهم فى بلاد
القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا
على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اى اكثروا السير
حتى نقبت اقدامهم او اخفاف مراكبهم ان فى ذلك فيما ذكر فى هذه السورة لذكرى
لتذكرة لمن كان له قلب اى قلب واع يتفكر فى حقائقه او القى السمع اى اصغى
لاستماعه وهو شهيد حاضر بذهنه ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ
بظواهره وينزجر بزواجره وفى تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب
لا يتفكر ولا يتدبر ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام
سبق تفسيره مرارا وما مسنا من لغوب من تعب واعياء وهو رد لما
زعمت اليهود ان الله تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح
يوم السبت واستلقى على العرش فاصبر على ما يقولون ما يقول المشركون
من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على خلقهم والانتقام

منهم او ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك ونزهه عن العجز عما يمكن و
الوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها قبل
طلوع الشمس وقبل الغروب يعنى الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين و
من الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوة جمع دبر وقرأ
الحجازيان وخلف وحمزة بالكسر من ادبرت الصلوة اذا انقضت وقيل المراد با
لتسبيح الصلوة فالصلوة قبل طلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل
العشاءان والتهجد وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد
العشاء واستمع لما اخبرك به من احوال القيمة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به
يوم يناد المناد اسرافيل او جبرئيل فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة
والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب بحيث
يصل نداؤه الى الكل على سواء ولعله فى الاعادة نظير كن فى الابتداء ويوم نصب
بما دل عليه يوم الخروج يوم يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة النفخة الثانية
بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء ذلك يوم الخروج من القبور وهو
من اسماء يوم القيمة وقد يقال للعيد انا نحن نحيى ونميت فى الدنيا والينا
المصير للجزاء فى الاخرة يوم تشقق تتشقق وقرأ عاصم وحمزة والكسائى وخلف
وابو عمرو بتخفيف الشين الارض عنهم سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع علينا
يسير هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على العالم القادر
لذاته الذى لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة نحن اعلم بما يقولون تسلية لرسول الله وتهديد لهم وما انت
عليهم بجبار بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع

فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فانه لا ينتفع به غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته والله اعلم

سورة والذاريات مكية وآيها ستون

بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا يعني الرياح تذرو التراب وغيره والنساء الولود فانهن يذرين الاولاد او الاسباب التي تذري الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرأ ابو عمرو وحمزة بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا فالسحب الحاملة للامطار او الرياح الحاملة للسحاب والنساء الحوامل واسباب ذلك وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا فالسفن الجارية في البحر سهلا او الرياح الجارية في مهابها او الكواكب التي تجري في منازلها ويسرا في صفة مصدر محذوف اي جريا ذا يسر فالمقسمات امرا الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او ما يعمهم وغيرها من اسباب القسمة او الرياح يقسمن الامطار بتصريف السحاب فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينها في التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فالفاء لترتيب الافعال اذ الريح مثلا تذرو الابخرة الى الجو حتى ينعقد سحابا فتحمله فتجري به باسطة له الى حيث امرت به انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب القسم كأنه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية والدين الجزاء والواقع لحاصل والسماء ذات الحبك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها العارفون والنظار ويتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها طرائق او انها تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي والحبك جمع حبكة

كطريقة

كطريقة وطرق او حبيكة كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون كالقفل والحبك كالابل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق انكم لفي قول مختلف في الرسول وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون او في القرآن او القيامة او امر الديانة ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بالطرائق في السموات في تباعدها واختلاف غاياتها يؤفك عنه من افك يصرف عنه والضمير للرسول او القرآن او الايمان من صرف اذ لا صرف اشد منه وكأنه لا صرف بالنسبة اليه او يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول على معنى يصدر افك من افك عن القول المختلف وبسببه كقوله ينهون عن اكل وشرب اي يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ افك بالفتح اي من افك الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون الكذابون من اصحاب القول المختلف واصله الدعاء بالقتل اجري مجرى اللعن الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسألون ايان يوم الدين اي فيقولون متى يوم الجزاء اي وقوعه وقرئ ايان بالكسر يوم هم على النار يفتنون يحرقون جواب للسؤال اي يقع يوم هم على النار يفتنون وهو يومهم على النار يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اي مقولا لهم هذا الذي كنتم به تستعجلون هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم والذي صفته ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه ان كل ما آتاهم حسن مرضي متلقى بالقبول انهم كانوا قبل ذلك محسنين قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل

لاستحقاقهم ذلك كانوا قليلا من الليل ما يهجعون تفسير لاحسانهم وما مزيدة اي يهجعون في طائفة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة اي في قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه ولا يجوز ان تكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت السبات والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما وبالاسحار هم يستغفرون اي انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كأنهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه وفي اموالهم حق نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس للسائل والمحروم للمستجدي والمتعفف الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض آيات للموقنين اي فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان او وجوه دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزائها في الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته وفي انفسكم اي وفي انفسكم آيات اذ ما في العالم شيء الا وفي الانسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون تنظرون نظر من يعتبر وفي السماء رزقكم اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الارزاق وما توعدون من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مستأنف خبره فورب السماء والارض انه لحق وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من

الآيات

من الآيات والرزق والوعد مثل ما انكم تنطقون اي مثل نطقكم كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا يشكوا في تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن في حق او الوصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شيء وان بما في حيزه ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده قراءة حمزة والكسائي وابي بكر بالرفع هل اتاك حديث ضيف ابراهيم فيه تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على انه اوحي اليه والضيف في الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد والمتعدد قيل كانوا اثني عشر ملكا وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف المكرمين اي مكرمين عند الله او عند ابراهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او الضيف او المكرمين فقالوا سلاما اي نسلم عليكم سلاما قال سلام اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى تكون تحيته احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرأ حمزة والكسائي قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون اي انتم قوم منكرون وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو آدم ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا فجاء بعجل سمين لانه كان عامة ماله البقر فقربه اليهم بان وضعه بين ايديهم قال الا تأكلون اي منه وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله اول ما وضعه وللانكار ان قاله حينما رأى اعراضهم فأوجس منهم خيفة فاضمر منهم خوفا لما رأى

اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاؤه لشر وقيل وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب
قالوا لا تخف انا رسل الله قيل مسح جبرئيل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه
فعرفهم وامن منهم وبشروه بغلام هو اسحق عليم بكمل علمه اذا بلغ فاقبلت
امرأته سارة الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم في صرة في صيحة من الصرير ومحله
النصب على الحال او المفعول او ولا قبلت باخذت فصكت وجهها فلطمت باطراف
الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها
من الحياء وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك
الذي بشرنا به قال ربك وانما نخبرك به عنه انه هو الحكيم العليم فيكون قوله
حقا وفعله محكما قال فما خطبكم ايها المرسلون لما علم انهم ملائكة و
انهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سال عنه قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين
يعنون قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين يريد السجيل فانه طين متحجر مسومة
مرسلة من اسامة الماشية او معلمة من السومة وهي العلامة عند ربك للمسرفين
المجاوزين الحد في الفجور فاخرجنا من كان فيها في قرى قوم لوط واضمارها ولم
ذكرها لكونها معلومة من المؤمنين ممن امن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت
من المسلمين غير اهل بيت من المسلمين واستدل به على اتحاد الايمان والاسلام
وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضي الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك
لا يقتضي اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة و
تركنا فيها اية علامة للذين يخافون العذاب الاليم فانهم المعتبرون
بها وهي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء اسود منتن وفي موسى
عطف على وفي الارض او تركنا فيها على معنى وجعلنا في موسى كقوله علفتها

تبنا وماء باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين هو معجزاته كاليد والعصا
فتولى بركنه فاعرض عن الايمان به فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه اي فتولى
بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوى به وقرئ بضم
الكاف وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون كانه جعل ما ظهر عليه من الخوارق
منسوبا الى الجن وتردد في انه حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه
وجنوده فنبذناهم في اليم فاغرقناهم في البحر وهو مليم ات بما يلام
عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير في اخذناه وفي عاد اذ ارسلنا
عليهم الريح العقيم سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها
لم تتضمن منفعة وهي الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر من شيء اتت
عليه الا جعلته كالرميم كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت
وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام
فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة اي العذاب
بعد الثلاث وقرأ الكسائي الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها
فانها جاءتهم معاينة بالنهار فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا في
دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين
ممتنعين منه وقوم نوح واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او اذكر ويجوز
ان يكون عطفا على محل في عاد ويؤيده قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي بالجر
من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الاستقامة
بالكفر والعصيان والسماء بنيناها بايد بقوة وانا لموسعون لقادرون
من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون لقادرون

لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء
او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها ليستقروا عليها فنعم
الماهدون اي نحن ومن كل شيء من الاجناس خلقنا زوجين نوعين لعلكم
تذكرون فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب بالذات لا يقبل
التعدد والانقسام ففروا الى الله من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة
اني لكم منه اي من عقابه المعد لمن اشرك او عصى نذير مبين بين كونه منذرا من الله
بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر عنه ولا تجعلوا مع الله الها اخر افراد لاعظم
ما يجب ان يفر منه اني لكم منه نذير مبين تكرير للتأكيد او الاول مرتب على ترك الايمان
والطاعة والثاني على الاشراك كذلك اي الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم
الرسول وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا وقوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول
الا قالوا ساحر او مجنون كالتفسير له ولا يجوز نصبه باتى او ما يفسره لان ما بعد ما
النافية لا يعمل فيما قبلها اتواصوا به اي كان الاولين والاخرين منهم اوصى بعضهم
بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا بل هم قوم طاغون اضراب عن ان التواصي
جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم في الطغيان
الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة
فابوا الا الاصرار والعناد فما انت بملوم على الاعراض بعد ما بذلت جهدك
في البلاغ وذكر ولا تدع التذكير والموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين
من قدر الله ايمانه او من امن فانه تزداد بصيرة وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم
مغيا بها مبالغة في ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنا في ظاهر قوله

ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه الا لنامرهم بالعبادة او
ليكونوا عبادا لي ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون اي ما اريد ان
اصرفكم في تحصيل رزقي فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمامورين به والمراد
ان يبين ان شانه مع عباده ليس شان السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم
ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا
اسالكم عليه اجرا ان الله هو الرزاق الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه
ايماء باستغنائه عنه وقرئ اني انا الرزاق ذو القوة المتين شديد القوة وقرئ
المتين بالجر صفة القوة فان للذين ظلموا ذنوبا اي للذين ظلموا رسول الله با
لتكذيب نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم مثل نصيب نظرائهم من
الامم السالفة وهو ماخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو
العظيم المملو فلا تستعجلون جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون من يوم القيمة او يوم بدر
عن النبي صم من قرأ الذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور مكية وآيها تسع او ثمان واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيها موسى كلام الله والطور
الجبل بالسريانية او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض المواد او من عالم الغيب
الى عالم الشهادة وكتاب مسطور مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة
والمراد به القران او ما كتبه الله في اللوح المحفوظ او الواح موسى او في قلوب اوليائه
من المعارف والحكم او ما يكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه

استعيرا كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس
والبيت المعمور يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة
وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص والسقف
المرفوع يعني السماء والبحر المسجور اي المملوء وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار
سجرت روي ان الله تعالى يجعل يوم القيمة البحار نارا تسجر بها جهنم او المختلط من السجير وهو
الخليط ان عذاب ربك لواقع لنازل ما له من دافع يدفعه ووجه دلالة هذه الامور
المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله وحكمته وصدق اخباره
وضبط اعمال العباد للمجازاة يوم تمور السماء مورا تضطرب والمور تردد في المجي
والذهاب وقيل تحرك في تموج ويوم ظرف لواقع وتسير الجبال سيرا اي تسير عن
وجه الارض فتصير هباء فويل يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك فويل لهم الذين هم
في خوض يلعبون اي في الخوض في الباطل يوم يدعون الى نار جهنم دعا يدفعون اليها
بعنف وذلك بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون
الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوين ويوم بدل من
يوم تمور او ظرف لقول مقدر محكيه هذه النار التي كنتم بها تكذبون
اي يقال لهم ذلك افسحر هذا اي يقال لهم ذلك كنتم تقولون للوحي هذا
سحر فهذا المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ام
انتم لا تبصرون هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه وهو
تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع على
زعمهم حين كانوا يقولون انما سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي
ادخلوها على اي وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها سواء عليكم

الامران

اي الامران الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فانه لما كان
الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيان في عدم النفع ان المتقين في
جنات ونعيم في اية جنات واي نعيم او في جنات ونعيم مخصوصة بهم فاكهين
ناعمين متلذذين بما اتيهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو
ووقيهم ربهم عذاب الجحيم عطف على اتيهم ان جعل ما مصدرية او في جنات
او حال باضمار قد من المستكن في الظرف او الحال او من فاعل اتي او مفعوله او منهما
كلوا واشربوا هنيئا اي اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا
تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا
والمعنى هنا لكم ما كنتم تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة و
زوجناهم بحور عين الباء في التزويج من معنى الوصل والالصاق او للسببية
اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن او لما في التزويج من معنى الالصاق والقران
ولذلك عطف والذين امنوا على حور اي قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين
وقيل انه مبتدا وخبره الحقنا بهم وقوله واتبعتهم ذريتهم بايمان
اعتراض للتعليل وقرا ابن عامر ويعقوب ذرياتهم للمبالغة في كثرتهم
والتصريح فان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرا ابو عمرو واتبعناهم
ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية
او منهما وتنكيره للتعظيم او الاشعار بانه يكفي للالحاق المتابعة في اصل الايمان
الحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة او الدرجة لما روي انه عم قال
مرفوعا ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم
عينه ثم تلا هذه الاية وقرا نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم وما

التناهم وما نقصناهم من عملهم من شيء بهذا الالحاق فانه كما يحتمل ان يكون بالتفضل
عليهم بنقص مرتبة الاباء او باعطاء الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ان يكون بتنقيص مرتبة
الاباء او باعطاء الابناء بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرا ابن كثير بكسر
اللام من الت يالت وعنه لتناهم من لات يليت والتناهم من الان يولن ولتناهم
من ولت يلت ومعنى الكل واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله
فان عمل صالحا فكها والا اهلكها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون
اي وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع التنعم يتنازعون فيها يتعاطون هم
وجلساؤهم بتجاذب كاسا خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث الضمير في قوله لا لغو
فيها ولا تاثيم اي لا يتكلمون بلغو الحديث في اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به
فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول وقراهما ابن
كثير والبصريان بالفتح ويطوف عليهم اي بالكاس غلمان لهم اي مماليك
مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كانهم لؤلؤ مكنون
مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عم والذي نفسي بيده ان
فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب واقبل
بعضهم على بعض يتساءلون يسال بعضهم بعضا عن احواله واعماله قالوا انا
كنا قبل في اهلنا مشفقين خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته
او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة والتوفيق ووقينا عذاب
السموم عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد
انا كنا من قبل من قبل ذلك ندعوه نعبده او نساله الوقاية انه هو
البر المحسن وقرا نافع والكسائي انه بالفتح الرحيم كثير النعم فذكر فاثبت

على ال

على التذكير ولا تكترث بقولهم فما انت بنعمت ربك بحمد الله وانعامه بكاهن ولا
مجنون كما يقولون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ما يقلق النفوس
من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه قل تربصوا فاني
معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تامرهم احلامهم
عقولهم بهذا بهذا التناقض في القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة
نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتاتى
ذلك من المجنون وامر الاحلام به مجاز عن اداتها اليه ام هم قوم طاغون
مجاوزون الحد في العناد وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه
بل لا يؤمنون فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم فلياتوا بحديث مثله
مثل القران ان كانوا صادقين في زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدوا من الفصحاء فهو
رد للاقوال المذكورة بالتحدي ويجوز ان يكون رد للتقول فان سائر الاقسام
ظاهر الفساد ام خلقوا من غير شيء ام احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر
فلذلك لا يعبدونه او من اجل لا شيء من عبادة ومجازاة ام هم الخالقون يؤيد
الاول فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله ام خلقوا السموات
والارض وام في هذه الايات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار بل لا يوقنون
اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله اذ لو ايقنوا ذلك
لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا
النبوة من شاؤا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختاره حكمته ام هم
المسيطرون الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤا وقرا قنبل و
حفص بخلاف عنه وهشام بالسين وحمزة بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاء والباقون

بالقاء خاصة أم لهم سلم مرتقى إلى السماء يستمعون فيه صاعدين فيه إلى كلام
الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن فليأت مستمعهم بسلطان
مبين بحجة واضحة تصدق استماعه أم له البنات ولكم البنون فيه تسفيه لهم وإشعار
بأن من هذا رأيه لا يعد من العقلاء فضلا أن يترقى بروحه إلى العالم المكتوب فيطلع
على الغيوب أم تسألهم أجرا على تبليغ الرسالة فهم من مغرم من التزام غرم مثقلون
محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك أم عندهم الغيب اللوح المحفوظ المثبت
فيه المغيبات فهم يكتبون منه أم يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة
برسول الله فالذين كفروا يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل
على كفرهم والدلالة على أنه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون هم الذين يحيق
بهم الكيد ويعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر أو المغلوبون في
الكيد من كايدته فكدته أم لهم إله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله
عما يشركون عن إشراكهم أو شركة ما يشركونه به وإن يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا
يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم هذا سحاب تراكم بعضها على بعض
وهو جواب قولهم فأسقط علينا كسفا من السماء فذرهم حتى يلاقوا يومهم
الذي فيه يصعقون وهو عند النفخة الأولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر
وعاصم يصعقون على المبني للمفعول من صعقه أو أصعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم
شيئا أي شيئا من الإغناء في رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب
الله وإن للذين ظلموا يحتمل العموم والخصوص عذابا دون ذلك أي دون
عذاب الآخرة وهو عذاب القبر أو المؤاخذة في الدنيا كقتلهم ببدر والقحط
سبع سنين ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك واصبر لحكم ربك بإمهالهم وإبقائك

بسام

في عنائهم فإنك بأعيننا في حفظنا منهم بحيث نراك ونكلأك وجمع العين لجمع
الضمير والمبالغة بكثرة أسباب الحفظ وسبح بحمد ربك حين تقوم من أي مكان
قمت أو من منامك أو إلى الصلاة ومن الليل فسبحه فإن العبادة فيه أشق على
النفس وأبعد عن الرياء ولذلك أفرده بالذكر وقدمه على الفعل وإدبار النجوم
وإذا أدبرت النجوم من آخر الليل وقرئ بالفتح أي في أعقابها إذا غربت وخفيت
وعنه عم من قرأ سورة والطور كان حقا على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه في جنته وصلى الله على محمد وآله

سورة النجم مكية وآيها إحدى أو اثنتان وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم إذا هوى أقسم بجنس النجوم أو الثريا فإنه غلب فيه إذا غرب أو انتثر يوم القيمة
أو انقض أو طلع فإنه يقال هوى هويا بالفتح إذا سقط وغرب وهويا بالضم إذا
علا وصعد أو بالنجم من نجوم القرآن إذا نزل أو النبات إذا سقط على الأرض وإذا
ارتفع على قوله يتعلق ما ضل صاحبكم ما عدل محمد عن الطريق المستقيم والخطاب
لقريش وما غوى وما اعتقد باطلا والمراد نفي ما ينسبون إليه وما ينطق عن الهوى
وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى إن هو ما القرآن أو الذي ينطق به إلا وحي يوحى
إلا وحي يوحيه الله إليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له وأجيب عنه بأنه إذا أوحي
إليه بأن يجتهد كان اجتهاده وما يستند إليه وحيا وفيه نظر لأن ذلك حينئذ
يكون بالوحي لا الوحي علمه شديد القوى ملك شديد قواه وهو جبريل
فإنه الواسطة في إبداء الخوارق روي عنه أنه قلع قرى قوم لوط ورفعها
إلى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين ذو مرة حصافة في عقله
ورأيه فاستوى فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله تعالى عليها قيل ما رآه

أحد من الأنبياء في صورته غير محمد مرتين مرة في السماء ومرة في الأرض وقيل استوى
بقوته على ما جعل له من الأمر وهو بالأفق الأعلى أفق السماء والضمير لجبريل ثم دنى
من النبي فتدلى فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول وقيل ثم تدلى من الأفق الأعلى
فدنى من الرسول فيكون إشعارا بأنه عرج به غير منفصل عن محله وتقرير لشدة
قوته فإن التدلي استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجله من السرير وأدلى
دلوه والدوالي الثمر المعلق فكان جبريل كقولك هو مني معقد الإزار والمسافة
بينهما فكان قاب قوسين مقدارهما أو أدنى على تقديركم كقوله أو يزيدون
والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما أوحي إليه بنفي البعد الملبس
فأوحى جبريل إلى عبده عبد الله وإضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها
ما أوحى جبريل وفيه تفخيم للموحى به أو الله إليه وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعني
بشديد القوى كما في قوله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته
وتدليه جذبه بشراشره إلى جناب القدس ما كذب الفؤاد ما رأى ببصره من
صورة جبريل أو الله تعالى أي ما كذب بصره بما حكاه له فإن الأمور القدسية
تدرك أولا بالقلب ثم ينتقل منه إلى البصر أو ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك
ولو قال ذلك كان كاذبا لأنه عرفه بقلبه كما رآه ببصره أو ما رآه بقلبه والمعنى
لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه أنه عم سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي و
قرأ هشام ما كذب أي صدقه ولم يشك فيه أفتمارونه على ما يرى أفتجادلونه
عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مري الناقة فإن كلا من المجادلين يمري
ما عند صاحبه وقرأ الكوفيون غير عاصم ويعقوب أفتمرونه أي أفتغلبونه في
المراء من ماريته فمريته أو أفتجحدونه من مراه حقه إذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى

الغلب

الغلبة فإن المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم ولقد رآه نزلة أخرى
فعلة من النزول أقيمت مقام المرة ونصبت نصبها إشعارا بأن الرؤية في هذه
المرة كانت أيضا بنزول ودنو والكلام في المرئي والدنو ما سبق وقيل تقديره
ولقد رآه نازلا نزلة أخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة
الأخيرة عند سدرة المنتهى التي ينتهي إليها علم الخلائق وأعمالهم أو ما ينزل من
فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لأنهم
يجتمعون في ظلها وروي مرفوعا أنها في السماء السابعة عندها جنة المأوى
الجنة التي يأوي إليها المتقون أو أرواح الشهداء إذ يغشى السدرة ما يغشى
تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها
الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها ما زاغ البصر ما مال بصر
رسول الله صلعم عما رآه وما طغى وما تجاوزه بل أثبته إثباتا صحيحا مستقيما
أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها لقد رأى أي والله
لقد رأى من آيات ربه الكبرى أي والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه
الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل إنها المعنية بما رأى ويجوز
أن يكون الكبرى صفة للآيات على أن المفعول محذوف أي شيئا من آيات ربه
أو من مزيدة أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى هي أصنام
كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف أو لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى
لأنهم كانوا يلوون عليها أو يطوفون وقرأ هبة الله عن البزي ورويس
عن يعقوب اللات بالتشديد على أنه سمي به لأنه صورة رجل كان يلت السويق
بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث إليها

رسول الله صلعم خالد بن الوليد فقطعها واصلها تانيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل
وخزاعة او لثقيف وهي فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين
منه منا وقرأ ابن كثير مناءة وهي مفعلة من النوء فانهم كانوا يستمطرون الانواء عندها
تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتاكيد كقوله يطير بجناحيه او الاخرى
من التاخر في الرتبة الكم الذكر وله الانثى انكار لقولهم الملائكة بنات الله
وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول
الثاني لقوله افرايتم تلك اذا قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه
وهي فعلى من الضير وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى با
الكسر لم تات وصفا وقرأ ابن كثير بالهمز من ضازه اذا ظلمه على انه مصدر نعت
به ان هي الا اسماء الضمير للاصنام اي ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها
عليها لانكم تقولون انها الهة وليس فيها شيء من معنى الالوهية او للصفة التي يصفونها
بها من كونها الهة وبنات وشفعاء او للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون
اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة
لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين سميتموها انتم سميتم بها
وآباؤكم بهواكم ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون بها ان يتبعون
وقرئ بالتاء الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق تقليدا وتوهما وما تهوى الانفس
وما تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول والكتاب فتركوه
ام للانسان ما تمنى ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه
والمراد نفي طمعهم في شفاعة الالهة وقولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقولهم لولا نزل
هذا القران على رجل من القريتين عظيم ونحوها فلله الاخرة والاولى يعطي منهما ما يشاء لمن يريد وليس

لاحد

لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا وكثير
من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئا ولا تنفع من تعلق بها الا من بعد ان ياذن الله في الشفاعة
لمن يشاء من الملائكة ان يشفع او من الناس ان يشفع له ويرضى ويراه اهلا لذلك
فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة
اي كل واحد منهم تسمية الانثى بان سموهم بنات وما لهم به من علم اي بما يقولون وقرئ
بها اي بالملائكة او التسمية ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق فان الحق
الذي هو حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتداد به في المعارف الحقيقية وانما
العبرة به في العمليات وما يكون وصلة اليها فاعرض عن من تولى عن ذكرنا
ولم يرد الا الحيوة الدنيا فاعرض عن دعوته والاهتمام بشانه فان من غفل
عن الله واعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه
لا تزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك اي امر الدنيا او كونها شهية
مبلغهم من العلم لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور همهم بالدنيا وقوله
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض
اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك في دعوتهم اذ ما عليك الا
البلاغ وقد بلغت ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا ليجزي الذين
اساؤا بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة
لما دل عليه ما قبله اي خلق العالم وسواه للجزاء او ميز الضال عن المهتدي وحفظ
احوالهم لذلك ويجزي الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهو الجنة
او باحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم
ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحد

وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش وما فحش من
الكبائر خصوصا الا اللمم الا ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبي الكبائر والاستثناء
منقطع ومحل الذين النصب على الصفة او المدح او الرفع على انه خبر محذوف ان ربك
واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر او له ان يغفر ما يشاء من الذنوب
صغيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة
من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى هو اعلم بكم اعلم باحوالكم منكم اذ انشاكم
من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم علم احوالكم ومصارف اموركم حين
ابتداء خلقكم من التراب بخلق ادم وحينما صوركم في الارحام فلا تزكوا انفسكم
فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصي والرذائل هو اعلم
بمن اتقى فانه يعلم التقي وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب ادم عم افرايت الذي
تولى عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى قليلا واكدى قطع العطاء من قولهم
اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر على انها نزلت
في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلعم فعيره بعض المشركين وقال تركت دين
الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه
بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقي اعنده علم الغيب فهو
يرى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي
وفى وفر واتم ما التزمه او امر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه
بذلك لاحتماله ما لم يحتمل غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبرئيل حين القي
في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشي
كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لان

صحف

صحفه وهي التورية كانت اشهر واكثر عندهم الا تزر وازرة وزر اخرى ان
هي المخففة من الثقيلة وهي بما بعدها في محل الجر بدلا مما في صحف موسى او الرفع هو
ان لا تزر كانه قيل ما في صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب
غيره ولا يخالف قوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد
في الارض فكانما قتل الناس جميعا وقوله من سن سنة سيئة فعليه وزرها
ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره
وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى الا سعيه اي كما لا يؤاخذ
احد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جاء في الاخبار من ان الصدقة والحج ينفعان
الميت فلكون الناوي له كالنائب عنه ثم يجزاه الجزاء الاوفى اي يجزى العبد
سعيه بالجزاء الاوفى فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدرا وان يكون
الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله وان الى ربك المنتهى انتهاء
الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع عما في الصحف وكذلك ما بعده
وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا لا يقدر على الاماتة والاحيا
غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله على سبيل العادة
وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق في الرحم
او تخلق او يقدر منها الولد من منى اذا قدر وان عليه النشاة الاخرى
الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير وابو عمرو والنشاءة بالمد وهو ايضا
مصدر نشاة وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهي ما يتاثل من الاموال
وافرادها لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضاء له قنية وانه هو
رب الشعرى يعني العبور وهي اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد

اجدادا لرسول عليه السلام وخالف قريشا في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول ابن ابي
كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه السلام وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم خالفه ايضا
في عبادتها وانه اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد نوح
وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل
ضمتها الى لام التعريف وقرأ نافع وابو عمرو عادا لولى بادغام التنوين في
اللام وقالون كذلك مع جعل الواو همزة وثمود عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل
فيه وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الف فما ابقى الفريقين وقوم نوح
ايضا عطف عليه من قبل من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين
لانهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك والمؤتفكة و
القرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهي قرى قوم لوط اهوى بعد ان رفعها
فقلبها فغشاها ما غشى فيه تهويل وتعميم لما اصابهم فباي آلاء ربك تتمارى
تتشكك والخطاب للرسول او لكل احد والمعدودات وان كانت نعما ونقما لكن
سماها آلاء من قبل ما في نقمة من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين هذا
نذير من النذر الاولى اي هذا القران نذير من جنس الانذارات المتقدمة او هذا
الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين ازفت الازفة دنت الساعة الموصوفة
بالدنو في نحو قوله اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة ليس لها نفس
قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها او الان بتاخيرها الا الله او ليس
لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه او ليس لها من غير الله كشف على
انها مصدر كالعاقبة افمن هذا الحديث يعني القران تعجبون انكارا وتضحكون
استهزاء ولا تبكون تحزنا على ما فرطتم وانتم سامدون لاهون او مستكبرون

من سمد البعير في مسيره اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود
وهو الغنا فاسجدوا لله واعبدوا اي واعبدوه دون الالهة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر مكية وايها خمس وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اية فانشق
القمر وقيل معناه سينشق يوم القيامة ويؤيد الاول انه قرئ وقد انشق القمر
اي اقتربت الساعة وقد حصل من ايات اقترابها انشقاق القمر وقوله وان يروا
اية يعرضوا عن تاملها والايمان بها ويقولوا سحر مستمر مطرد وهو يدل على
انهم راوا قبله ايات اخرى مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم
من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم او مستبشع من استمر اذا اشتدت
مرارته او مار ذاهب لا يبقى وكذبوا واتبعوا اهواءهم وما زين لهم
الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضي للاشعار بانهما من
عادتهم القديمة وكل امر مستقر منته الى غاية من خذلان او نصر في الدنيا و
شقاوة وسعادة في الاخرة فان الشيء اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ
بالفتح اي ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف
على الساعة ولقد جاءهم في القران من الانباء انباء القرون الخالية
او انباء الاخرة ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال
تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زاء و
ادغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب

حالا من ما فانها موصولة او مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها فما تغن النذر
نفي او استفهام انكار اي فاي غناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر
منه او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم يوم يدع
الداع اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله كن فيكون واسقاط الياء
اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر الى شيء نكر فظيع
تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول القيامة وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف و
قرئ نكر بمعنى انكر خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث اي يخرجون من
قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر
غير حقيقي التانيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم
خشعا وانما حسن ذلك ولا يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة
تشبه الفعل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فيكون الجملة حالا كانهم
جراد منتشر في الكثرة والتموج والانتشار في الامكنة مهطعين الى الداع مسرعين
مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون هذا يوم عسر صعب كذبت
قبلهم قوم نوح قبل قومك فكذبوا عبدنا نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه
كذبوا تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب او كذبوه بعد ما كذبوا
الرسل وقالوا مجنون هو مجنون وازدجر وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه
من جملة قولهم اي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه اني اي باني
وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب غلبني قومي فانتصر فانتقم لي منهم وذلك
بعد ياسه منهم فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه
فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب

وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتحنا
بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها
عيون الارض فغير للمبالغة فالتقى الماء ماء السماء وماء الارض وقرئ الماءان لاختلاف
النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر على حال قدرها الله في الازل
من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج
او على امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه على ذات الواح ذات
اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهي صفة
السفينة اقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها تؤدي مؤداها تجري باعيننا
تجري بمرأى منا اي محفوظا بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح
لانه نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون على حذف
الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها اي
السفينة او الفعلة اية يعتبر بها اذ شاع خبرها واستمر فهل من مدكر معتبر
وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها فكيف كان عذابي
ونذر استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع ولقد يسرنا القران
سهلناه او هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها للذكر للادكار والاتعاظ بان
صرفنا فيه انواع المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل من
مدكر متعظ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر وانذاراتي لهم بالعذاب
قبل نزوله او لمن بعدهم في تعذيبهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردا او شديدا
الصوت في يوم نحس شوم مستمر استمر شومه او استمر عليهم حتى اهلكهم
او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احدا او اشتد مرارته وكان يوم الاربعاء

اخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روى انهم دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم
ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع
عن مغارسه ساقط على الارض وقيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم و
طرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتانيث في قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى
فكيف كان عذابي ونذر كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم في الدنيا و
الثاني لما يحيق بهم في الاخرة كما قال ايضا في قصتهم لنذيقهم عذاب الخزي في الدنيا ولعذاب
الاخرة اخزى ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود با
لنذر بالانذار او المواعظ او الرسل فقالوا ابشرا منا من جنسنا او من جملتنا
لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء والاول
اوجه للاستفهام واحدا منفردا لا تبع له او من احادهم دون اشرافهم نتبعه انا
اذا لفي ضلال وسعر كانهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك اتباعهم
له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة ءالقي الذكر الكتاب والوحي عليه
من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر حمله بطره على الترفع
علينا بادعائه سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيمة من الكذاب
الاشر الذي حمله اشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل اصالح ام من كذبه
وقرا ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح
وقرئ الاشر كقولهم حذر في حذر والاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض
كالاخير انا مرسلوا الناقة مخرجوها وباعثوها فتنة لهم امتحانا لهم فارتقبهم
فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم
مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه في

نوبته

نوبته او يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى
فعقر فاجترا على تعاطي قتلها فقتلها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي
تناول الشي بتكلف فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة
واحدة صيحة جبريل فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المتكسر الذي يتخذه
من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته
في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القران
للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا
ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم الا ال لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو اخر الليل
او مسحرين نعمة من عندنا انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك كذلك نجزي من
شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا اخذتنا
بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه
قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسخناها وسويناها بسائر الوجه روى
انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل صفقة فاعماهم فذوقوا عذابي ونذر
فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر الحال ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة
غير مصروف على ان المراد بها اول نهار معين عذاب مستقر يستقر بهم حتى
يسلمهم الى النار فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل
من مدكر كرر ذلك في كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتضى
لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ للتنبيه والاتعاظ
لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تقرير قوله فباي الاء ربكما تكذبان و
ويل يومئذ للمكذبين ونحوهما ولقد جاء ال فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره

ليعلم بانه اولى بذلك كذبوا باياتنا كلها يعني الايات التسع فاخذناهم اخذ
عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شي اكفاركم يا معشر العرب خير من اولئكم الكفار
المعدودين قوة وعدة او مكانة ودينا عند الله ام لكم براءة في الزبر نزلت
ام نزل لكم في الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو في امان من العذاب ام يقولون
نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا
بعضا والتوحيد على لفظ الجميع سيهزم الجمع ويولون الدبر اي الادبار وافراده
لارادة الجنس او لان كل واحد يولي دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل
النبوة وعن عمر رضه انه لما نزلت لم اعلم ما هي فلما كان يوم بدر رايت رسول الله
يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته بل الساعة موعدهم موعد عذابهم الاصلي
وما يحيق بهم في الدنيا من طلايعه والساعة ادهى اشد والداهية امر فظيع لا يهتدى
لدوائه وامر مذاقا من عذاب الدنيا ان المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا و
سعر ونيران في الاخرة يوم يسحبون في النار على وجوههم يجرون عليها ذوقوا
مس سقر اي يقال لهم ذوقوا حر النار والمها فان مسها سبب التالم بها وسقر علم لجهنم
ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته انا كل شي خلقناه بقدر
اي انا خلقنا كل شي مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل
وقوعه وكل شي منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى
هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة في الدلالة على ان
كل شي مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار لما فيه من النصوصية
على المقصود وما امرنا الا واحدة الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة و
معاناة او كلمة واحدة وهو قول كن كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله

وما امر الس

وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم بالكفر من قبلكم
فهل من مدكر متعظ وكل شي فعلوه في الزبر مكتوب في كتب الحفظة وكل صغير و
كبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح ان المتقين في جنات ونهر انهار واكتفى
باسم الجنس او سعة او ضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء وبضم النون وسكون
الهاء جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ في مقاعد
صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من تعالى امره في الملك والاقتدار بحيث
ابهمه ذوو الافهام عن النبي صم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله تعالى يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية او مدنية او متبعضة وايها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القران لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية
صدرها بالرحمن وقدم ما هو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقران و
تنزيله وتعليمه فانه اساس الدين ومنشا الشرع واعظم الوحي واعز الكتب اذ هو
باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله خلق الا
نسان علمه البيان ايماء بان خلق البشر وما تميز به عن ساير الحيوان من البيان وهو
التعبير عما في الضمير وافهام الغير لما ادركه كتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع
واخلاء الجمل الثلث التي هي اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد
الشمس والقمر بحسبان يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما
ويتسق بذلك امور الكائنات السفلية ويختلف الفصول والاوقات ويعلم
السنون والحساب والنجم والشجر والنبات الذي ينجم من الارض ولا
ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد

الساجدين للمكلفين طوعا وكان حق النظم في الجملتين ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر يسجدان له لتطابقهما ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على ان ما يحس به من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره والسماء رفعها خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشأ اقضيته ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم امر العالم واستقام كما قال بالعدل قامت السموات والارض او ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كانه لما وصف السماء بالرفعة التي هي من حيث انها مصدر القضايا والاقدار اراد وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب ألا تطغوا في الميزان لئلا تطغوا فيه اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها خفضها مدحوة للانام للخلق وقيل الانام كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام اوعية التمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم والجذع والجمار والثمر والحب ذو العصف كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن والريحان يعني المشموم او الرزق من قولهم خرجت اطلب

ريحان الله وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان اي وخلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وهو فيعلان من الروح فقلب الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل روحان فقلب واوه ياء للتخفيف فبأي آلاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه وخلق الجان اي الجن او ابو الجن من مارج من صاف من الدخان من نار بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب فبأي آلاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما في اطوار خلقتكما حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة الموجودات رب المشرقين ورب المغربين مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما فبأي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين ارسلهما والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان يتجاوران ويتماس سطوحهما او بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه بينهما برزخ حاجز من قدرة الله او من الارض لا يبغيان لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان الدر يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب او لانهما لما اجتمعا صارا كالشيء الواحد فكان المخرج من احدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار السفن

جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع الراء كقوله لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرأ ابو بكر وحمزة بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج او السير في البحر كالاعلام كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل فبأي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره كل من عليها من على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين فان ويبقى وجه ربك ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية في حد ذاتها الا وجه الله اي الوجه الذي يلي جهته ذو الجلال والاكرام ذو الاستغناء المطلق والفضل العام فبأي آلاء ربكما تكذبان اي مما ذكرنا قبل وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا او مما يترتب على فناء الكل من الاعادة والحيوة الدائمة والنعيم المقيم يسأله من في السموات والارض فانهم مفتقرون اليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشيء نطقا كان او غيره كل يوم هو في شأن كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفي الحديث من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا فبأي آلاء ربكما تكذبان اي مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا سنفرغ لكم ايها الثقلان اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سافرغ لك فان المتجرد للشيء كان اقوى عليه واجد فيه وقرأ حمزة والكسائي بالياء وقرئ سيفرغ اليكم اي سنقصد اليكم والثقلان

الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة رأيهم وقدرهم او لانهما مثقلان بالتكليف فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارين من قضائه فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان الا بقوة وقهر وانى لكم ذلك او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما في السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله فتعرجون عليها بافكاركم فبأي آلاء ربكما تكذبان اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة او مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى ما فوق السموات العلى يرسل عليكما شواظ لهب من نار ونحاس ودخان قال يضيء كضوء السراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا او صفر مذاب يصب على رؤوسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب في رواية وقرئ ونحس وهو جمع كلحف فلا تنتصران فلا تمتنعان فبأي آلاء ربكما تكذبان فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء فاذا انشقت السماء فكانت وردة اي حمراء كوردة وقرئت بالرفع على كانت التامة فيكون من باب التجريد كقوله فلئن بقيت لارحلن بغزوة نحو الغنائم او يموت كريم كالدهان مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر فبأي آلاء ربكما تكذبان اي مما يكون بعد ذلك فيومئذ اي فيوم تنشق السماء لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله فوربك لنسألنهم ونحوه فحين يحاسبون

في الجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدم رتبة فبأي آلاء ربكما تكذبان
اي مما انعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم
من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي والاقدام مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصي
تارة وبالاقدام اخرى فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون
يطوفون بينها بين النار يحرقون بها وبين حميم آن ماء حار بلغ النهاية في الحرارة يصب
عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فبأي آلاء ربكما
تكذبان ولمن خاف مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب او قيامه
على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين فاضاف
الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله ونفيت عنه مقام الذئب
كالرجل اللعين جنتان جنة للخائف الانسي والاخرى للخائف الجني فان الخطاب
للفريقين والمعنى لكل خائف منكما او لكل واحد جنة لعقيدته والاخرى لعمله او جنة
لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها
عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فبأي آلاء ربكما تكذبان
ذواتا افنان انواع من الاشجار والثمار جمع فن او اغصان جمع فنن وهي الغصنة
التي تتشعب من فرع الشجرة وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل
فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان حيث شاؤوا في الاعالي والاسافل
قيل احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما
من كل فاكهة زوجان صنفان غريب ومعروف او رطب ويابس فبأي
آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق
من ديباج ثخين واذا كانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين

مدح للخائفين وحال منهم لان من خاف في معنى الجمع وجنى الجنتين دان قريب يناله
القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجني وقرئ بكسر الجيم فبأي آلاء ربكما
تكذبان فيهن في الجنان فان الجنتان تدل على جنان هي للخائفين او فيما فيهما من
الاماكن والقصور او في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة
والفرش قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لم يطمثهن انس
قبلهم ولا جان لم يمس الانسيات انس والجنيات جن وفيه دليل على ان الجن
يطمثون وقرأ الكسائي بضم الميم فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت
والمرجان اي في حمرة الوجه وبياض البشرة وصفائهما فبأي آلاء ربكما تكذبان
ومن دونهما ومن دون تلك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن
دونهم من اصحاب اليمين فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان خضراوان
تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على تلك الجنتين النبات
والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه دلالة على
ما بينهما من التفاوت فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان
فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاوليين وكذا ما بعده فبأي آلاء ربكما
تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فان
ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة رحمه الله على
ان من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رطبا او رمانا لم يحنث فبأي آلاء ربكما تكذبان
فيهن خيرات حسان اي خيرات فخففت لان خيرا الذي بمعنى اخير لا
يجمع وقد قرئ على الاصل حسان حسان الخلق والخلق فبأي آلاء ربكما
تكذبان حور مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن يقال امرأة

قصيرة ومقصورة اي مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن فبأي آلاء
ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كحور الاوليين وهم لاصحاب الجنتين
فانهما يدلان عليهم فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف وسائد او
نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب
عريض خضر وعبقري حسان العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد
الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى
فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك تعالى من حيث انه مطلق على
ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما في قوله الى الحول ثم اسم
السلام عليكما ذي الجلال والاكرام وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم
عن النبي صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة مكية وآيها تسع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب اذا
بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة اي لا تكون حين
تقع نفس تكذب على الله او تكذب في نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها في قوله قدمت
لحياتي او ليس لاجلها وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق او ليس لها حينئذ نفس
تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا
نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت له انه يطيقه خافضة رافعة
تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك او
بيان لما يكون حينئذ من خفض اعداء الله ورفع اوليائه او ازالة الاجرام عن مقارها

بنثر الكواكب وتسيير الجبال في الجو وقرئتا بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا
حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة
او بدل من اذا وقعت وبست الجبال بسا اي فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت
من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها فكانت هباء
غبارا منبثا منتشرا وكنتم ازواجا اصنافا ثلاثة وكل صنف يكون او يذكر مع
صنف آخر زوج فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب
المشأمة فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشأمهم
بالشمائل او اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين
يؤتونها بشمائلهم او اصحاب اليمن والشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم
والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة
الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجيب من حال الفريقين والسابقون السابقون
والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا
في حيازة الفضائل والكمالات والانبياء فانهم مقدموا اهل الاديان هم الذين
عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول ابي النجم وشعري شعري او الذين سبقوا
اولئك المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة واعليت
مراتبهم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين اي هم كثير من الاولين يعني الامم
السالفة من لدن آدم الى محمد عم وقليل من الآخرين يعني امة محمد عم ولا يخالف ذلك
قوله عم ان امتي يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر من سابقي
هذه الامة وتابعوا هذه الامة اكثر من تابعيهم ولا يرد قوله في اصحاب اليمين ثلة
من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا ينافي اكثرية احدهما وروي

مرفوعا انهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع على سرر موضونة خبر
اخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت والمتواصلة
من الوضن وهو نسج الدرع متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير في على يطوف
عليهم للخدمة ولدان مخلدون مبقون الولدان وطراوتهم باكواب واباريق حال ابدا على هيئتهم
من الشرب وغيره والكوب اناء لا عروة له ولا خرطوم والابريق اناء له ذلك وكاس
من معين من خمر لا يصدعون عنها بخمار ولا ينزفون ولا ينزفون عقولهم او لا ينفد
شرابهم وقرا الكوفيون بكسر الزاء وقرئ لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون اي لا يتفرقون
وفاكهة مما يتخيرون اي يختارون ولحم طير مما يشتهون يتمنون وحور
عين عطف على ولدان او مبتدا محذوف الخبر اي وفيها او ولهم حور وقرا حمزة و
الكسائي بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف اي هم في جنات ومصاحبة حور او على
اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وقرئتا بالنصب
على ويؤتون حورا كامثال اللؤلؤ المكنون المصون عما يضربه في الصفاء والنقاء جزاء
بما كانوا يعملون اي يفعل ذلك كله بهم جزاء باعمالهم لا يسمعون فيها لغوا باطلا
ولا تاثيما ولا نسبة الى الاثم اي لا يقال لهم اثمتم الا قيلا اي قولا سلاما سلاما
بدل من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة على فشو
السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين
في سدر مخضود لا شوك له من خضد الشوك اذا قطعه او مثني اغصانه من كثرة حمله
من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح وشجر موز او ام غيلان وله انوار كثيرة
طيبة الرائحة وقرئ بالعين منضود نضد حمله من اسفله الى اعلاه وظل ممدود
منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت وماء مسكوب يسكب لهم اين شاؤوا وكيف

شاؤوا بلا تعب او مصبوب سائل كانه لما شبه حال السابقين في التنعم باعلى ما يتصور لاهل
المدن شبه حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادي اشعارا بالتفاوت بين
الحالين وفاكهة كثيرة كثيرة الاجناس لا مقطوعة لا تنقطع في وقت ولا ممنوعة
لا تمنع عن متناولها بوجه وفرش مرفوعة رفيعة القدر او منضدة مرتفعة وقيل
الفرش النساء وارتفاعها انها على الارائك ويدل عليه قوله انا انشاناهن انشاء
اي ابتدانا هن ابتداء جديدا من غير ولادة ابداء او اعادة وفي الحديث هن اللواتي
قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد
واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فجعلناهن ابكارا عربا متحببات
الى ازواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة وروي عن نافع وعاصم مثله اترابا فان
كلهن بنات ثلث وثلثين وكذا ازواجهن لاصحاب اليمين متعلق بانشانا او صفة
لابكارا او خبر لمحذوف مثل هن او لقوله ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وهي
على الوجه الاول خبر محذوف واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم في حر
نار تنفذ في المسام وحميم وماء متناه في الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود
يفعول من الحممة لا بارد كسائر الظل ولا كريم ولا نافع نفى بذلك ما اوهم الظل
من الاسترواح انهم كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين في الشهوات وكانوا يصرون
على الحنث العظيم الذنب العظيم يعني الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اي الحلم
ووقت المواخذة بالذنب وحنث في يمينه خلاف بر فيها وتحنث اذا تاثم
وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا في هذا الوقت
كما دخلت العاطفة في قوله اواباؤنا الاولون للدلالة على ان ذلك اشد

انكارا في حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن في لمبعوثون وقرا
نافع وابن عامر او بالسكون وقد سبق مثله والعامل في الظرف ما دل عليه مبعوثون
لا هو للفصل بان والهمزة قل ان الاولين والاخرين لمجموعون وقرئ لمجمعون الى
ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا وحدت من يوم معين عند الله معلوم له
ثم انكم ايها الضالون المكذبون اي بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم
لاكلون من شجر من زقوم من الاولى للابتداء والثانية للبيان فمالئون منها
البطون من شدة الجوع فشاربون عليه من الحميم لغلبة العطش وتانيث الضمير
في منها وتذكيره في عليه على معنى ولفظ وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها
فشاربون شرب الهيم الابل التي بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع اهيم و
هيماء قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها وقيل
الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم
خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه اخص من الاخر من وجه
فلا اتحاد وقرا نافع وعاصم وحمزة شرب بضم الشين هذا نزلهم يوم الدين يوم
الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا في الجحيم وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم
بعذاب اليم لان النزل ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم
فلولا تصدقون بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالاعمال الدالة عليه او بالبعث فان
من قدر على الابداء قدر على الاعادة افرايتم ما تمنون اي ما تقذفونه في الارحام
من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها ءانتم تخلقونه تجعلونه
بشرا سويا ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت قسمناه عليكم
واقتنا موت كل بوقت معين وقرا ابن كثير بتخفيف الدال وما نحن بمسبوقين

لا يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته او لا يغلبنا احد فيسبقنا على كذا اذا
غلبته عليه على ان نبدل امثالكم على الاول حال او علة لقدرنا وعلى معنى
اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثاني صلة والمعنى على ان نبدل منكم اشباهكم
فنخلق بدلكم او نبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل وننشئكم في ما لا
تعلمون في خلق وصفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشاة الاولى فلولا
تذكرون ان من قدر عليها قدر على النشاة الاخرى فانها اقل صنعا
لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس افرايتم
ما تحرثون تبذرون حبه ءانتم تزرعونه تنبتونه ام نحن الزارعون المنبتون
لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما فظلتم تفكهون تعجبون او تندمون على اجتهادكم
فيه او على ما اصبتم لاجله من المعاصي فتحدثون فيه والتفكه التنقل باصناف الفاكهة
وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وظللتم على الاصل انا لمغرمون لملزمون
غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وقرا ابو بكر ائنا على الاستفهام
بل نحن قوم محرومون حرمنا رزقنا او محدودون افرايتم الماء الذي تشربون
اي العذب الصالح للشرب ءانتم انزلتموه من المزن من السحاب واحده مزنة وقيل
المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون بقدرتنا والرؤية ان كانت
بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا او من الاجيج فانه يحرق
الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع
بمكانه او الاكتفاء بسبق ذكرها او تخصيص ما يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب
بزيادة التاكيد فلولا تشكرون امثال هذه النعم الضرورية افرايتم النار
التي تورون تقدحون ءانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون يعني الشجرة التي منها الزناد
ءانتم

نحن جعلناها جعلنا نار الزناد تذكرة تبصرة في أمر البعث كما مر في سورة يس أو
في الظلام أو تذكيرا وأنموذجا لنار جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون
القوى وهي القفر أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام من أقوت الدار إذا خلت
من ساكنيها فسبح باسم ربك العظيم فأحدث التسبيح لما عدد من بدائع صنعه
بذكر اسمه أو بذكره فإن إطلاق اسم الشيء ذكره والعظيم صفة للاسم أو الرب وتعقيب
الأمر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وإنعامه إما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون
لوحدانيته الكافرون لنعمته أو للتعجب من أمرهم في غمط نعمه أو للشكر على ما عدها من
النعم فلا أقسم إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم أو فأقسم ولا مزيدة للتأكيد
كما في لئلا يعلم أو فلأنا أقسم فحذف المبتدأ وأشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه أنه
قرئ فلأقسم أو فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه بمواقع النجوم بمساقطها وتخصيص
المغارب لما في غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تأثيره أو بمنازلها
ومجاريها وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها وقرأ حمزة والكسائي بموقع وإنه
لقسم لو تعلمون عظيم لما في المقسم به من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة
ومن مقتضيات رحمته أن لا يترك عباده سدى وهو اعتراض بين الموصوف والصفة
إنه لقرآن كريم كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة في إصلاح المعاش
والمعاد أو حسن مرضي في جنسه في كتاب مكنون مصون وهو اللوح لا يمسه إلا
المطهرون لا يطلع على اللوح إلا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة
أو لا يمس القرآن إلا المطهرون من الأحداث فيكون نفيا بمعنى نهي أو لا يطلبه إلا
المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون والمطهرون من أطهره بمعنى
طهره والمطهرون أي أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار لهم والإلهام تنزيل من رب

العالمين

رب العالمين صفة ثالثة أو رابعة للقرآن وهو مصدر نعت به وقرئ
بالنصب أي نزل تنزيلا أفبهذا الحديث يعني القرآن أنتم مدهنون متهاونون به
كمن يدهن في الأمر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم أي شكر
رزقكم أنكم تكذبون أي بمانحه حيث تنسبونه إلى الأنواء وقرئ شكركم أي و
تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون وتكذبون أي بقولكم في القرآن إنه سحر
وشعر أو في المطر أنه من الأنواء فلولا إذا بلغت الحلقوم أي النفس وأنتم حينئذ تنظرون
حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال ونحن أقرب ونحن أعلم إليه إلى المحتضر
منكم عبر عن العلم بالقرب الذي هو أقوى سبب الاطلاع ولكن لا تبصرون لا تدركون
كنه ما يجري عليه فلولا إن كنتم غير مدينين مجزيين يوم القيامة أو مملوكين مقهورين
من دانه إذا أذله واستعبده وأصل التركيب للذل والانقياد ترجعونها ترجعون
النفس إلى مقرها وهو العامل الظرف والمحضض عليه بلولا الأولى والثانية تكرير للتوكيد
وهي بما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى إن كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم
أفعال الله وتكذيبكم بآياته إن كنتم صادقين في تعطيلكم فلولا ترجعون الأرواح
إلى الأبدان بعد بلوغها الحلقوم فأما إن كان من المقربين أي إن كان المتوفى من السابقين
فروح فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لأنها كالسبب لحياة المرحوم
وبالحياة الدائمة وريحان ورزق طيب وجنة نعيم ذات تنعم وأما إن كان
من أصحاب اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين من أصحاب اليمين أي من إخوانك
يسلمون عليك وأما إن كان من المكذبين الضالين يعني أصحاب الشمال
وإنما وصفهم بأفعالهم زجرا عنها وإشعارا بما أوجب لهم ما أوعدهم به
فنزل من حميم وتصلية جحيم وذلك ما يجد في القبر من سموم النار ودخانها

إن هذا أي الذي ذكر في السورة أو في شأن الفرق لهو حق اليقين أي حق الخبر اليقين فسبح
باسم ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شأنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا

سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات والأرض ذكر هاهنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي وفي
الجمعة والتغابن بلفظ المضارع إشعارا بأن من شأن ما أسند إليه أن يسبحه في جميع
أوقاته لأنه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات ومجيء المصدر مطلقا في
بني إسرائيل أبلغ من حيث إنه يشعر بإطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل
حال وإنما عدي باللام وهو معدى بنفسه مثل نصحت له في نصحته إشعارا بأن إيقاع
الفعل لأجل الله وخالصا لوجهه وهو العزيز الحكيم حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح
له ملك السموات والأرض فإنه الموجد لهما والمتصرف فيهما يحيي ويميت استئناف
أو خبر لمحذوف أو حال من المجرور في له وهو على كل شيء من الإحياء والإماتة وغيرهما
قدير تام القدرة هو الأول السابق على سائر الموجودات من حيث إنه موجدها
ومحدثها والآخر الباقي بعد فنائها ولو بالنظر إلى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها
أو هو الأول الذي تبتدئ منه الأسباب وتنتهي إليه المسببات فالأول خارجا
والثاني ذهنا والظاهر والباطن الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن
حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول أو الغالب على كل شيء والعالم بباطنه
والواو الأولى والأخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين وهو
بكل شيء عليم يستوي عنده الظاهر والخفي هو الذي خلق السموات والأرض
في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض كالبذور وما

يخرج

يخرج منها كالزروع وما ينزل من السماء كالأمطار وما يعرج فيها كالأبخرة وهو معكم
أينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه
ولعل تقديم الخلق على العلم لأنه دليل عليه له ملك السموات والأرض ذكره مع الإعادة
كما ذكره مع الإبداء لأنه كالمقدمة لهما وإلى الله ترجع الأمور يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور بمكنوناتها آمنوا بالله
ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من الأموال التي جعلكم الله خلفاء
في التصرف فيها فهي في الحقيقة له لا لكم أو التي استخلفكم عمن قبلكم في تملكها
والتصرف فيها وفيه حث على الإنفاق وتهوين له على النفس فالذين آمنوا منكم وأنفقوا
لهم أجر كبير وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية وإعادة ذكر الإيمان والإنفاق
وبناء الحكم على الضمير وتنكير الأجر ووصفه بالكبر وما لكم لا تؤمنون بالله أي وما
تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك قائما والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من
ضمير لا تؤمنون والمعنى أي عذر لكم في ترك الإيمان والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم
حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى أي عذر لكم في ترك الإيمان والرسول يدعوكم
إليه بالحجج والآيات وقد أخذ ميثاقكم أي وقد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان
قبل وذلك بنصب الأدلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرأ
أبو عمرو على البناء للمفعول إن كنتم مؤمنين لموجب ما فإن هذا موجب لا مزيد
عليه هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم أي الله أو العبد من
الظلمات إلى النور من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان وإن الله بكم لرءوف رحيم
حيث نبهكم بالرسل والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم
ألا تنفقوا وأي شيء لكم في أن لا تنفقوا في سبيل الله فيما يكون قربة إليه ولله ميراث

السموات والارض يرث كل شيء فيهما ولا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث
يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح
وقاتل بيان لتفاوت المنفقين باختلاف احوالهم من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات
حثا على تحري الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم
من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة اذ عز الاسلام به وكثر
اهله وقلة الحاجة الى المقاتلة والانفاق اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا
من بعد وقاتلوا اي من بعد الفتح وكلا وعد الله الحسنى اي وعد الله كلا من
المنفقين المثوبة الحسنى وهي الجنة وقرا ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء وكل
وعده ليطابق ما عطف عليه والله بما تعملون خبير عالم بظاهره وباطنه
فيجازيكم على حسبه والاية نزلت في ابي بكر فانه اول من امن وانفق في سبيل الله و
خاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا من الذي ينفق ماله في سبيله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه و
حسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات له فيضاعفه
له اي يعطي اجره اضعافا وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف
كريم في نفسه ينبغي ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا وقرا
عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى وكانه قال ايقرض
الله احد فيضاعفه له وقرا ابن كثير فيضعفه مرفوعا يوم ترى المؤمنين والمؤمنات
ظرف لقوله وله او فيضاعف او مقدر باذكر يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم
وهدايتهم الى الجنة بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف
اعمالهم من هاتين الجهتين بشريكم اليوم جنات اي يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة

بشريكم اي المبشر به جنات او بشريكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ذلك هو الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات
المخلدة يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين امنوا
انظرونا انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف او انظروا الينا
فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين ايديهم وقرا
حمزة انظرونا على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم نقتبس من نوركم نصب منير
قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق
الفاضلة فانه يتولد منها او الى الموقف فانه من ثم يقتبس او الى حيث شئتم
فاطلبوا نورا اخر فانه لا سبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين
او الملائكة فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور بحائط لعل باب يدخل
فيه المؤمنون باطنه باطن السور او الباب فيه الرحمة لانه يلي الجنة وظاهره
من قبله العذاب من جهته لانه يلي النار ينادونهم الم نكن معكم يريدون
موافقتهم في الظاهر قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين
الدوائر وارتبتم وشككتم في الدين وغرتكم الاماني كامتداد العمر
حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور الشيطان او الدنيا فاليوم
لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرا ابن عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين كفروا
ظاهرا او باطنا ماواكم النار هي مولاكم هي اولى بكم كقول لبيد فغدت كلا
الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقته محراكم اي مكانكم
الذي يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مئنة الكرم اي مكان قول القائل
انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم

ضرب وجيع او متوليكم تتولاكم كما توليتم موجباتها في الدنيا وبئس المصير النار
الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يات وقت يقال انى الامر
ياني انيا واناء اذا جاء اناه وقرئ بكسر الهمزة وسكون النون من ان يئين بمعنى ان
والمايان روي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة
ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وما نزل من الحق اي القران وهو عطف على الذكر عطف
احد الوصفين على الاخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرا نافع وحفص ويعقوب
نزل بالتخفيف وقرئ انزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف
على تخشع وقرا رويس بالتاء والمراد النهي عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكي عنهم
بقوله فطال عليهم الامد فقست قلوبهم اي فطال عليهم الزمان بطول اعمارهم
او امالهم او ما بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامد وهو الوقت
الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم
من فرط القسوة اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب
القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا
عن القساوة قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون كي يكمل عقلكم ان المصدقين
والمصدقات ان المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ بهما وقرا ابن كثير وابو
بكر بتخفيف الصاد اي الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله قرضا
حسنا عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لان معناه الذين اصدقوا او صدقوا
وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص يضاعف
لهم ولهم اجر كريم معناه والقراءة في يضاعف ما مر غير انه لم يجزم لانه
خبر ان وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم

الصديقون والشهداء عند ربهم اي اولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء
وهم المبالغون في الصدق فانهم امنوا وصدقوا جميع اخبار الله ورسوله والقائمون
بالشهادة لله ولهم او على الامم يوم القيمة وقيل والشهداء عند ربهم مبتدا و
خبر والمراد به الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد او الذين استشهدوا
في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم
ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور الموعودان لهم والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم فيه دليل على ان الخلود في النار
مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة
عرفا اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر
في الاموال والاولاد لما ذكر حال الفريقين في الاخرة حقر امور الدنيا اعني ما لا
يتوصل به الى الفوز الاجل بان بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة
الزوال لانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم جدا اتعاب الصبيان في الملاعب
من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة
والمراكب البهية والمنازل الرفيعة او تفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد
والعدد ثم قرر ذلك بقوله كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج
فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها
بحال نبات انبته الغيث فاستوى واعجب به الحراث او الكافرون
بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا راى معجبا انتقل
فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما احس به فيستغرق
فيه اعجابا ثم هاج اي يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم امور الاخرة

بقوله وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ تنفيرا عن الانهماك في الدنيا وحثا على ما يوجب
كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ اى لمن اقبل عليها ولم يطلب الاخرة بها سَابِقُوا سارعوا مسارعة
السابقين في المضمار إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ الى موجباتها وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ اى عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل
المراد به البسطة كقوله فذو دعاء عريض أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف في استحقاقها ذَلِكَ فَضْلُ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير ايجاب وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ فلا يبعد منه التفضيل بذلك وان عظم قدره مَا أَصَابَ
مِنْ مُصِيبَةٍ كجدب وعاهة فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ كمرض وآفة إِلَّا فِي
كِتَابٍ الا مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا نخلقها
والضمير للمصيبة او للارض او للانفس إِنَّ ذَلِكَ ان ثبته في كتاب عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ
لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لِكَيْلَا تَأْسَوْا اى اثبت وكتب لئلا تحزنوا
عَلَى مَا فَاتَكُمْ من نعم الدنيا وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ بما اعطاكم الله منها فان من علم
ان الكل مقدر هان عليه الامر وقرأ ابو عمرو بما اتيكم من الاتيان ليعادل ما فاتكم
وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها
وبقاؤها فلا بد لها من سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفي الاسى المانع
عن التسليم لامر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ اذ قل من يثبت نفسه حالى الضراء والسراء الَّذِينَ
يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن

او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ فان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود
في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره ولا ينتفع بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد
واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرأ نافع وابن عامر فان الله الغني
لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا اى الملائكة الى الانبياء والانبياء الى الامم بِالْبَيِّنَاتِ بالحجج والمعجزات وَأَنْزَلْنَا
مَعَهُمُ الْكِتَابَ لتبين الحق ويميز صواب العمل وَالْمِيزَانَ لتسوى به الحقوق ويقام
به العدل كما قال لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده
وقيل انزل الميزان الى نوح ويجوز ان يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع
به الاعداء كما قال وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ فان آلات الحرب متخذة
منه وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ
يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ باستعمال الاسلحة في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف
دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا او اللام صلة لمحذوف اى انزله ليعلم
الله بِالْغَيْبِ حال من المستكن في ينصر إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ على اهلاك من اراد
اهلاكه عَزِيزٌ لا يفتقر الى نصرة وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا
ثواب الامتثال فيه وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا
النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد
بالكتاب الخط فَمِنْهُمْ فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليه ارسلنا مُهْتَدٍ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن
سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على ان الغلبة في الضلال ثُمَّ
قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ اى ارسلنا رسولا

بعد رسول حتى انتهى الى عيسى والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلنا اليهم او من عاصرهما
من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وقرئ
بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل لانه اعجمي وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ
رَأْفَةً وقرئ رآفة على فعالة وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا اى وابتدعوا رهبانية
ابتدعوها او رهبانية مبتدعة على انها من المجعولات وهي المبالغة في العبادة والرياضة
والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان
من خشي وقرئت بالضم كانها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان
مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ما فرضناها عليهم إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ استثناء منقطع اى
ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم بمعنى ما
تعبدناهم بها وهو كما ينفي الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفي الندب المقصود منه
مجرد حصول مرضاة الله وهو يخالف قوله ابتدعوها ثم ندبوا اليها او ابتدعوها
الا ان يقال ابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها او لانهم اخترعوها من تلقاء
انفسهم فَمَا رَعَوْهَا اى فما رعوا جميعا حَقَّ رِعَايَتِهَا بضم التثليث والقول بالاتحاد
وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه السلام ونحوها اليها فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا اتوا بالايمان
الصحيح وحافظوا حقوقها ومن ذلك الايمان بمحمد عليه السلام مِنْهُمْ من المتسمين باتباعه أَجْرَهُمْ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ خارجون عن حال الاتباع يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
بالرسل المتقدمة اتَّقُوا اللَّهَ فيما نهاكم عنه وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ محمد عليه السلام يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ
نصيبين مِنْ رَحْمَتِهِ لايمانكم بمحمد عليه السلام وايمانكم بمن قبله ولا يبعد ان يثابوا على
دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين
كانوا في عصره وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ يريد المذكور في قوله يسعى نورهم

او الهدى يسلك به الى جنابه وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ
اى ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم او لكي يعلم او لان يعلم بادغام النون في الياء
أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ان هي المخففة والمعنى انه
لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط
بالايمان به او لا يقدرون على شيء من فضله فضلا ان يتصرفوا في اعظمه وهو النبوة
فيخصون بها من ارادوا ويؤيده قوله وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي
والمؤمنون به على شيء من فضل الله ولا ينالونه فيكون ان الفضل عطفا على ان لا يعلم
وقرئ ليلا ووجهه ان الهمزة حذفت وادغمت النون في اللام ثم ابدلت ياء وقرئ
ليلا على ان الاصل في الحروف المفردة الفتح عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الحديد كتب من الذين
امنوا بالله ورسله

سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الاول مكي وباقي مدني وآيها ثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ روي ان خولة بنت ثعلبة
ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت
ما طلقني فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها وشكت الى الله عز وجل فنزلت هذه
الآيات الاربع وقد يشعر بان الرسول والمجادلة وابو عمرو وهشام عن ابن عامر
ادغموا الدال في السين وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ للاقوال والاحوال الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ الظهار ان
يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر والحق بها الفقهاء تشبيهها
بجزء محرم وفي منعه تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل الجاهلية واصل

يظهرون يظهرون وقرا ابن عامر وحمزه والكسائي يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون
من ظاهر ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقها
الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول عم وعن عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم
وهو ايضا على لغة من ينصب وانهم ليقولون منكرا من القول اذ الشرع انكره وزورا
محرفا عن الحق فان الزوجة لا تشبه الام وان الله لعفو غفور لما سلف منه مطلقا و
او اذا تيب عنه والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اي الى
قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك
عند الشافعي بامساك المظاهر عنها في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه
يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو اقل ما ينتقض به وعند ابي حنيفة باستباحة
استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع او با
لظهار في الاسلام على ان قوله يظاهرون في الجاهلية وهو قول الثوري او بتكراره
لفظا وهو قول الظاهرية او معنى بان يحلف على ما قال وهو قول ابي مسلم او الى القول
فيها بامساكها او استباحة استمتاعها او وطيها فتحرير رقبة اي فعليهم او فالواجب
اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر
الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا على كفارة القتل من قبل ان يتماسا
ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى السببية او
ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ذلكم اي ذلكم الحكم بالكفارة
توعظون به لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه و
الله بما تعملون خبير لا يخفى عليه خافية فمن لم يجد اي الرقبة والذي غاب ماله
واجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فان افطر لغير عذر لزمه الاستيناف

وان افطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا
لابي حنيفة ومالك فمن لم يستطع اي الصوم لهرم او مرض مزمن او شبق مفرط فانه عم
رخص للاعرابي المفطر ان يعدل لاجله فاطعام ستين مسكينا ستين مدا بمد رسول الله عم
وهو رطل وثلث لانه اقل من المخرج في الفطرة وقال ابو حنيفة يعطي كل مسكين نصف
صاع من بر او صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الاخرين
او لجوازه في خلال الاطعام كما قال ابو حنيفة رح ذلك اي ذلك البيان او التعليم
للاحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله لتؤمنوا بالله ورسوله اي فرض ذلك
لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه في الجاهلية وتلك
حدود الله لا يجوز تعديها وللكافرين اي الذين لا يقبلونها عذاب اليم وهو نظير
قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا
يعادونهما فان كلا من المتعادين في حد غير حد الآخر او يضعون او يختارون حدودا غير
حدودهما كبتوا اخزوا او اهلكوا واصل الكبت الكب كما كبت الذين من قبلهم
يعني كفار الامم الماضية وقد انزلنا آيات بينات تدل على صدق الرسول وما
جاء به وللكافرين عذاب مهين يذهب عزهم وتكبرهم يوم يبعثهم الله
منصوب بمهين او باضمار اذكر جميعا لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين فينبئهم
بما عملوا اي على رؤس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم احصاه الله احاط
به عددا لم يغب منه شيء ونسوه لكثرته او تهاونهم به والله على كل شيء
شهيد لا يغيب عنه شيء الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض كليا
وجزئيا ما يكون من نجوى ثلاثة ما يقع من تناجي ثلاثة صفة لها واشتقاقها
من النجوة وهي ما ارتفع من الارض فان السر امر مرفوع الى الذهن لا يتيسر للكل ان يطلع

عليه الا هو رابعهم الا الله يجعلهم اربعة من حيث انه يشاركهم في الاطلاع عليها
والاستثناء من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين
اما لخصوص الواقعة بان الاية نزلت في تناجي المنافقين او لان الله تعالى وتر يحب
الوتر والثلاثة اول الاوتار او لان التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين
وثالث يتوسط بينهما وقرئ ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون او
تاويل نجوى بمتناجين ولا ادنى من ذلك ولا اقل مما ذكر كالواحد والاثنين ولا
اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل لا ادنى ان جعلت لا لنفي الجنس اينما كانوا
فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة ثم ينبئهم
بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء ان الله بكل شيء
عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على سواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى
ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم
ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين فنهاهم رسول الله عم ثم عادوا لمثل فعلهم
ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اي بما هو اثم وعدوان للمؤمنين
وتواص بمعصية الرسول وقرا حمزة وينتجون وهو يفتعلون من النجوى وروي عن
يعقوب واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك او
انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويقولون
في انفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد عم
نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير جهنم يا ايها
الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول
كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا وتناجوا بالبر والتقوى بما يتضمن

خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول واتقوا الله الذي اليه تحشرون
فيما تاتون وتذرون فانه مجازيكم عليه انما النجوى اي النجوى بالاثم و
العدوان من الشيطان فانه المزين لها والحامل عليها ليحزن الذين امنوا
بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم وليس الشيطان والتناجي بضارهم بضار المؤمنين
شيئا الا باذن الله الا بمشيئته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا تبالوا بنجويهم
يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس توسعوا فيه وليفسح بعضكم
عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل
عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول الله فانهم كانوا يتضامون به تنافسا
على القرب منه وحرصا على استماع كلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون
التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها واذا قيل انشزوا انهضوا
للتوسعة او لما امرتم به كصلاة او جهاد او ارتفعوا عن المجلس فانشزوا وقرا نافع
وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما يرفع الله الذين امنوا منكم بالنصر وحسن
الذكر في الدنيا وايواءهم غرف الجنان في الاخرة والذين اوتوا العلم
درجات ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان
العلم مع علو درجته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم
في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر
ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل الامر
او استكرهه يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي
نجواكم صدقة فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم
الرسول عم وانتفاع الفقراء والنهي عن الافراط في السؤال والميز بين المخلص والمنافق

ومحب الاخرة ومحب الدنيا واختلف في انه للندب او للوجوب لكنه منسوخ بقوله
ءاشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن علي عليه السلام ان في كتاب الله اية
ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو
على القول بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي
انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي ذلك التصدق خير لكم واطهر لانفسكم من الريبة
وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم اي لمن لم يجد
حيث رخص له في المناجاة بلا تصدق ادل على الوجوب ءاشفقتم ان تقدموا بين
يدي نجواكم صدقات اخفتم الفقر من تقديم الصدقة او اخفتم التقديم لما يعدكم
الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة التناجي فاذ لم تفعلوا
وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما راى منهم مما قام مقام توبتهم واذ
على بابها وقيل بمعنى اذا او ان فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلا تفرطوا في ادائهما
واطيعوا الله ورسوله في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط في ذلك
والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا الم تر الى الذين تولوا قوما غضب
الله عليهم يعني اليهود ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون بين
ذلك ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف
عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفي هذا التقييد دليل على ان الكذب يعم
ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروي انه عم كان في حجرة من حجراته فقال يدخل
عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل
المنافق وكان ازرق فقال عم له علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما
فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب

متفاقما

متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا على سوء العمل واصروا عليه اتخذوا ايمانهم
اي التي حلفوا بها وقرئ بالكسر اي ايمانهم الذي اظهروه جنة وقاية دون دمائهم
واموالهم فصدوا عن سبيل الله فصدوا الناس في خلالها منهم عن دين الله بالتحريش
والتثبيط فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف اخر لعذابهم وقيل الاول عذاب
القبر وهذا عذاب الاخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون قد سبق مثله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون
له اي لله على انهم مسلمون ويقولون كما يحلفون لكم في الدنيا انهم لمنكم
ويحسبون انهم على شيء لان تمكن النفاق في نفوسهم بحيث يخيل اليهم في الاخرة
ان الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما تروجه عليكم في الدنيا الا انهم
هم الكاذبون البالغون الغاية في الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب
والشهادة ويحلفون عليه استحوذ عليهم الشيطان استولى عليهم من حذت
الابل واحوذتها اذا استوليت عليها وهو مما جاء على الاصل فانسيهم ذكر الله
لا يذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان جنوده واتباعه
الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد وعرضوها
للعذاب المخلد ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين في جملة
من هو اذل خلق الله كتب الله في اللوح لاغلبن انا ورسلي اي بالحجة وقرا
نافع وابن عامر ورسلي بفتح الياء ان الله قوي على نصر انبيائه عزيز لا يغلب
عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله
ورسوله اي لا ينبغي ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد انه لا ينبغي ان يوادوهم
ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ولو كان المحادون

اقرب الناس اليهم اولئك اي الذين لم يوادوهم كتب في قلوبهم الايمان اثبته
فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب
يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا يثبت فيه وايدهم بروح منه اي من
عند الله وهو نور القلب او القران او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان فانه سبب
لحيوة القلب ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي
الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بقضائه او بما وعدهم من الثواب اولئك حزب
الله هم المفلحون الفائزون بخير الدارين عن النبي عم من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر مدنية واياتها اربع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم روي انه عم لما قدم
المدينة صالح بني النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبي
المنعوت في التورية بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب
بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة وحالفوا ابا سفيان فامر رسول الله صم محمد
بن مسلمة اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوا
على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله سبح لله
الى قوله والله على كل شيء قدير هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب
من ديارهم لاول الحشر اي في اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا
الذل قبل ذلك او في اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام واخر حشرهم اجلاء عمر
اياهم من خيبر اليه او في اول حشر الناس الى الشام واخر حشرهم انهم يحشرون اليه
عند قيام الساعة فيدركهم هناك او ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب و

الحشر

الحشر اخراج جمع من مكان الى اخر ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم و
ظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي ان حصونهم تمنعهم من باس الله وتغيير
النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها
واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة بسببها ويجوز ان تكون حصونهم
فاعلا لمانعتهم فاتيهم الله اي عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل
الضمير للمؤمنين اي فاتاهم نصر الله وقرئ فاتيهم اي العذاب او النصر من
حيث لم يحتسبوا لقوة وثوقهم وقذف في قلوبهم الرعب واثبت فيها
الخوف الذي يرعبها اي يملاها يخربون بيوتهم بايديهم ضنا بها على
المسلمين واخراجا لما استحسنوا من اثارها وايدي المؤمنين فانهم ايضا كانوا
يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من
حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكانهم استعملوها فيه والجملة
حال او تفسير للرعب وقرا ابو عمرو يخربون بالتشديد وهو ابلغ لما
فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشيء خرابا والتخريب الهدم
فاعتبروا يا اولي الابصار فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على
غير الله واستدل به على ان القياس حجة من حيث انه امر بالمجاوزة من
حال الى حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما
قررناه في الكتب الاصولية ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الخروج من
اوطانهم لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في
الاخرة عذاب النار استيناف معناه انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم
ينجوا من عذاب الاخرة ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله

وان الله شديد العقاب الاشارة الى ما ذكر مما حاق بهم مما كانوا بصدده وما
هو معد لهم او الى الاخير يجمع الى الوان وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة
وجمعها ليان او تركتموها الضمير لما وتانيثه لانه مفسر باللينة قائمة على اصولها
وقرئ اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو وعلى انه كرهن فباذن الله فبامره وليخزي
الفاسقين علة لمحذوف اي وفعلتم او واذن لكم في القطع ليخزيهم على فسقهم
بما غاظهم منه روي انه عم لما امر بقطع نخلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في
الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار الكفار
وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم وما افاء الله على رسوله وما اعاده عليه بمعنى صيره
له او رده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق
ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم من بني النضير
او من الكفرة فما اوجفتم عليه فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير من خيل
ولا ركاب ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد
فيء بني النضير فلان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول الله صلعم
فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيئا الا ثلثة
كانت بهم حاجة ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بقذف الرعب في قلوبهم
والله على كل شيء قدير فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها
ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه فلله وللرسول
ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسم الفيء فقيل
يسدس لظاهر الاية ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس
لان ذكر الله تعالى للتعظيم ويصرف الان سهم الرسول الى الامام على قول والى العساكر

والثغور

والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس الاخماس خمسة كالغنيمة
فانه عم يقسم الخمس كذلك ويصرف الاربعة كما شاء والان على الخلاف مذكور كيلا يكون
اي الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء دولة بين الاغنياء منكم الدولة ما يتداوله
الاغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كيلا يكون الفيء
ذا تداول بينهم او اخذه غلبة تكون بينهم ودولة بالرفع على كان التامة اي كيلا
تقع دولة جاهلية وما اتيكم الرسول وما اعطاكم من الفيء او من الامر
فخذوه لانه حلال لكم او فتمسكوا به فانه واجب الطاعة وما نهيكم عنه
عن اخذه منه او عن اتيانه فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفة الرسول ان
الله شديد العقاب لمن خالف للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى
وما عطف عليه فان الرسول لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوي القربى خصص الابدال
بما بعده والفيء بفيء بني النضير الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم بان
كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا حال
مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شانهم وينصرون الله ورسوله بانفسهم
واموالهم اولئك هم الصادقون الذين ظهر صدقهم والذين تبوءوا الدار
والايمان عطفا على المهاجرين والمراد بهم الانصار فانهم لزموا المدينة والايمان
وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوءوا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من
الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام او تبوءوا الدار واخلصوا الايمان
كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره و
مصيره من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقديره الكلام والذين
تبوءوا الدار من قبلهم والايمان يحبون من هاجر اليهم ولا يثقل عليهم ولا

يجدون في صدورهم في انفسهم حاجة ما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد
والغيظ مما اوتوا مما اعطي المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون على انفسهم ويقدمون
المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان عنده امراتان نزل عن واحدة وزوجها من
احدهم ولو كان بهم خصاصة حاجة من خصاص البناء وهي فرجه ومن يوق شح نفسه
حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك هم المفلحون
الفائزون بالثناء العاجل والثواب الاجل والذين جاءو من بعدهم هم الذين
هاجروا بعد حين قوي الاسلام والتابعون باحسان وهم المؤمنون بعد
الفريقين الى يوم القيمة ولذلك قيل ان الاية قد استوعبت جميع المؤمنين يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اي لاخواننا في الدين
ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا حقدا لهم ربنا انك رؤف رحيم فحقيق
بان تجيب دعانا الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا
من اهل الكتاب يريد الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر او الصداقة والموالاة
لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم في قتالكم او خذلانكم
احدا ابدا اي من رسول الله والمسلمين وان قوتلتم لننصرنكم لنعاونكم والله
يشهد انهم لكاذبون لعلمه لانهم لا يفعلون ذلك كما قال لئن اخرجوا لا
يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان كذلك فان ابن ابي واصحابه
اسلوا بني النضير بذلك ثم اختلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة واعجاز القران
ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار انهزاما ثم لا ينصرون
بعد بل يخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين ونفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل
ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية

مصدر

مصدر للفعل المبني للمفعول في صدورهم فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين
من الله على ما يظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله
ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته ويعلموا انه
الحقيق بان يخشى لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون جميعا مجتمعين الا في قرى محصنة
بالدروب والخنادق او من وراء جدر لفرط رهبتهم وقرا ابن كثير وابو عمرو جدار
وامال ابو عمرو فتحة الدال باسهم بينهم شديد اي وليس ذلك لضعفهم وجبنهم
فانه يشتد باسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب في قلوبهم ولان
الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين
وقلوبهم شتى متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بانهم
قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم وان تشتت القلوب يوهن قواهم كمثل
الذين من قبلهم اي مثل اليهود كمثل اهل بدر او بني قينقاع ان صح انهم
اخرجوا قبل النضير او المهلكين من الامم الماضية قريبا في زمان قريب وانتصابه
بمثل اذ التقدير كوجود مثل ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم في الدنيا
ولهم عذاب اليم في الاخرة كمثل الشيطان اي مثل المنافقين في اغراء اليهود
على القتال كمثل الشيطان اي مثل المنافقين اذ قال للانسان اكفر
اغراه على الكفر اغراء الامر المامور فلما كفر قال اني بريء منك تبرا عنه مخافة
ان يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال اني اخاف الله رب العالمين
فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين والمراد
من الانسان الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس
واني جار لكم الاية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما

على انها الخبر لكان على انه الخبر لكان وخالدان على انه الخبر لان وفى النار لغو يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ليوم القيمة سماه به لدنوه او لان الدنيا
كيوم والاخرة غده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر
فيما قدمن للاخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة فى ذلك واتقوا الله تكرير للتاكيد
او الاول فى اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثانى فى ترك المحارم لاقترانه
بقوله ان الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصى ولا تكونوا كالذين
نسوا الله نسوا حقه فانساهم انفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها
ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الهول ما انساهم انفسهم اولئك
هم الفاسقون الكاملون فى الفسوق لا يستوى اصحاب النار واصحاب الجنة
الذين استكملوا نفوسهم فاستاهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار
واحتج به اصحابنا على ان المسلم لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم الفائزون
بالنعيم المقيم لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية
الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون تمثيل وتخييل كما
مر فى قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله فان الاشارة اليه والى
امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القران لقساوة
قلبه لقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على الادغام هو الله الذى
لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ما غاب على الحس من
الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب
لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر
والعلانية هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس البليغ فى النزاهة عما يوجب

نقصانا

نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وافة مصدر
وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف
الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شىء مفيعل من الامن قلبت همزته هاء العزيز الجبار
الذى جبر خلقه على ما اراد او جبر حالهم بمعنى اصلحه المتكبر الذى تكبر عن كل ما
يوجب حاجة او نقصانا سبحان الله عما يشركون اذ لا يشاركه فى شىء من ذلك هو الله
الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها برئيا من التفاوت
المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد ومن اراد الاطناب فى شرح هذه
الاسماء واخواتها فعليه بكتابى المسمى بمنتهى المنى له الاسماء الحسنى لانها دالة
على محاسن المعانى يسبح له ما فى السموات والارض لتنزهه عن النقائص وهو كلها
وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات باسرها فانها راجعة الى الكمال فى القدرة
والعلم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر

سورة الممتحنة مدنية وايها ثلاث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء نزلت
فى حاطب بن ابى بلتعة فانه لما علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو اهل مكة كتب اليهم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وارسل مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل
جبرئيل وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبا ذلك وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد
وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب
الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت
فسل على السيف واخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما

حملك عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكنى كنت امرا
ملصقا فى قريش وليس لى فيهم من يحمى اهلى فاردت ان اخذ عندهم يدا وقد علمت
ان كتابى لا يغنى عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره تلقون اليهم بالمودة تفضون
اليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة او اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة والجملة
حال من فاعل لا تتخذوا او صفة الاولياء جرت على غير من هى له فلا حاجة فيها الى
ابراز الضمير لانه مشروط بالعمل الاسم دون الفعل وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل
احد الفعلين يخرجون الرسول واياكم اى من مكة وهو حال من كفروا او استئناف
لبيانه ان تؤمنوا بالله ربكم بان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطبة والالتفات
من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان ان كنتم خرجتم عن اوطانكم
جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط
محذوف دل عليه لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة بدل من تلقون او استئناف
معناه اى طائل لكم فى اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم
بما اخفيتم وما اعلنتم اى منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة
او مصدرية ومن يفعله منكم اى يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل
اخطاه ان يثقفوكم يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ولا ينفعكم القاء المودة
اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ما يسوءكم كالقتل والشتم
وودوا لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضى للاشعار
بانهم ودوا ذلك قبل كل شىء وان ودادتهم حاصلة وان لم يثقفوكم لن تنفعكم
ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم يوم القيمة
يفصل بينكم يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون

كفر وايمان

اليوم

اليوم حق الله لمن يفر عنكم غدا وقرا حمزة والكسائى بالتشديد وكسر الصاد وفتح الفاء وقرا ابن
عامر يفصل على البناء للمفعول مع التشديد وهو بينكم وقرا عاصم يفصل والله بما
تعملون بصير فيجازيكم عليه قد كانت لكم اسوة حسنة قدوة اسم لما يؤتسى به
فى ابرهيم والذين معه صفة ثانية او خبر كان ولكم لغو او مستكن فى حسنة
او صفة لها لا اسوة لانها وصفت اذ قالوا لقومهم ظرف لخبر كان انا برءاء منكم
جمع برئ كظريف وظرفاء ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اى بدينكم او بمعبودكم
او بكم وبه فلا نعتد بشانكم والهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة
والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده فتنقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة
الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله اسوة حسنة فان استغفاره
لابيه الكافر ليس مما ينبغى ان ياتسوا به فانه كان قبل النهى او لموعدة وعدها اياه وما
املك لك من الله من شىء من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء
جميع اجزائه ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير متصل بالاستثناء
او امر من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار
ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله
واغفر لنا ما فرط ربنا انك انت العزيز الحكيم ومن كان كذلك حقيقا
بان يجير المتوكل ويجيب الداعى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة تكرير لمزيد الحث
على التاسى بابرهيم ولذلك صدر بالقسم وبدل قوله لمن كان يرجو الله
واليوم الاخر بدل من لكم فانه يدل على انه لا ينبغى لمؤمن ان يترك التاسى بهم وان
تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله ومن يتول فان الله هو
الغنى الحميد فانه جدير بان يوعد به الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين

عادیتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم المشركين وتبرؤا عنهم وعلم
الله بذلك وانجزا اذ اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء والله قدير على ذلك والله
غفور رحيم لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم
لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اى لا ينهاكم
عن مبرة هؤلاء لان قوله ان تبروهم بدل من الذين وتقسطوا اليهم تفضوا اليهم
بالقسط اى بالعدل ان الله يحب المقسطين العادلين روى ان قتيلة بنت عبد
العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول
فنزلت انما ينهاكم الله عن مبرة هؤلاء الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم
وظاهروا على اخراجكم كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا
المخرجين ان تولوهم بدل من الذين بدل الاشتمال ومن يتولهم فاولئك هم
الظالمون لوضعهم الولاية في غير موضعها يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات
مهاجرات فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن
في الايمان الله اعلم بايمانهن فانه المطلع على ما في قلوبهن فان علمتموهن مؤمنات
العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه
علما ايذانا بانه كالعلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار الى ازواجهن الكفرة
لقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن والتكرير للمطابقة والمبالغة او الاول
لحصول الفرقة والثاني للمنع عن الاستيناف واتوهم ما انفقوا ما دفعوا اليهن
من المهور وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من جاءنا منكم رددناه فلما
تعذر عليه ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن اذ روي انه عم كان بعد
بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها مسافر

المخزومي

المخزومي طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول الله عم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها
عمر ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار
اذا اتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم
مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر بما تعتصم به الكافرات من عقد ونسب جمع
عصمة والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولا تمسكوا
بالتشديد واسئلوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسئلوا ما
ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في الاية
يحكم بينكم استيناف او حال من الحكم على حذف الضمير او جعل الحكم حاكما على المبالغة
والله عليم حكيم يشرع ما يقتضيه حكمته وان فاتكم وان سبقكم وانفلت
منكم شيء من ازواجكم احد من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شيء موقعه للتحقير
والمبالغة في التعميم او شيء من مهورهن الى الكفار فعاقبتم فجاءت عقبتكم اى نوبتكم
من اداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء
هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقبون في الركوب وغيره فاتوا الذين ذهبت
ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة ولا تؤتوا زوجها الكافر روى
انه لما نزلت الاية المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهور الكوافر فنزلت وقيل
معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فاتوا بدل الفائت من
الغنيمة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به مما يقتضي التقوى
منه يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله
شيئا نزلت يوم الفتح فانه عم لما فرغ عن بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء ولا يسرقن
ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن يريد وأد البنات ولا ياتين ببهتان يفترينه

بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف في حسنة تامرهن بها والتقييد
بالمعروف مع ان الرسول لا يامر الا به تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق
فبايعهن اذ بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء واستغفر لهن
الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني عامة
الكفار او اليهود اذ روى انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون
اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الاخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا خلاق لهم
فيها لعنادهم الرسول عم المنعوت في التورية المؤيد بالايات كما يئس الكفار من
اصحاب القبور ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر
فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر ايسهم عن النبي عم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات
شفعاء يوم القيامة

سورة الصف مدنية وقيل مكية وايها اربع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم سبق تفسيره يا ايها
الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون روى ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال
الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل ان الله يحب الذين يقاتلون في
سبيله فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر
على حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالها معا واعتناقهما في الدلالة على المستفهم
عنه كبر مقتا عند الله ما لا تفعلون المقت اشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة
ونصبه على التمييز للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم
مبالغة في المنع عنه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا مصطفين
مصدر وصف به كانهم بنيان مرصوص في تراصهم من غير فرجة حال من المستكن

في الحال

في الحال الاولى والرصاص ما لصق بعض البناء بالبعض واستحكم واذ قال موسى لقومه
مقدر باذكر او كان كذا يا قوم لم تؤذونني بالعصيان والرمي بالادرة وقد تعلمون
اني رسول الله اليكم بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار
فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم فلما زاغوا عن
الحق ازاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب والله لا يهدي
القوم الفاسقين هداية موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة واذ قال عيسى ابن
مريم يا بني اسرائيل ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم اني
رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية في حال تصديقي لما تقدمني
من التورية ومبشرا برسول ياتي من بعدي والعامل في الحالين ما في الرسول من
معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل اسمه احمد يعني محمد
صلوات الله وسلامه عليه والمعنى ديني التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اول الكتب
المشهور الذي حكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم المرسلين فلما جاءهم بالبينات
قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده
قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى ومن اظلم ممن افترى
على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اى لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام
الظاهر حقيقته المقتضي لخير الدارين فيضع موضع اجابته الافتراء على الله بتكذيب
رسوله وتسميته اياته سحرا فانه يعم اثبات المنفي ونفي الثابت وقرئ يدعى
يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين لا يرشدهم
الى ما فيه فلاحهم يريدون ليطفئوا اي يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة
لما فيها من معنى الارادة تاكيدا كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تاكيدا لها الا ابا

له او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله يعني دينه او كتابه او حجته بافواههم بطعنهم
فيه والله متم نوره مبلغ غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص
بالاضافة ولو كره الكافرون لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك يا ايها
الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقرأ ابن عامر تنجيكم
بالتشديد تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم
استيناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدي الى كمال عزهم والمراد به
الامر وانما جيء بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك ذلكم خير لكم يعني ما ذكر
من الايمان والجهاد ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله يغفر لكم
ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره
ان تؤمنوا وتجاهدوا اي هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم ويبعد جعله جوابا لهل
لان مجرد دلالته لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن
طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم الاشارة الى ما ذكر من المغفرة و
ادخال الجنة واخرى تحبونها نصر من الله ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى
عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الاجل وقيل اخرى
منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره نصر من الله وهو على الاول بدل
او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل
او الاختصاص او المصدر وفتح قريب عاجل وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل
قل يا ايها الذين امنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى الامر كانه قال امنوا و
جاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليهما اجلا وعاجلا
يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله وقرأ الحجازيان وابو عمرو بالتنوين واللام

لان المعنى كونوا بعض انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري
الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله قال الحواريون نحن
انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الاخر لما بينهما من الاختصاص
والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم
كما قال عيسى او كونوا انصارا كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى من انصاري
الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من امن به من الحور وهو البياض
وكانوا اثني عشر رجلا فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة اي
بعيسى فايدنا الذين امنوا على عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك بعد
رفع عيسى فاصبحوا ظاهرين فصاروا غالبين عن النبي م من قرأ سورة الصف كان
كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

سورة الجمعة مدنية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ
الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب لان
اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن رسولا منهم اي من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم
اياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم من خبائث
العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والشريعة او معالم
الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه وان كانوا من قبل لفي
ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبي
يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم وان هي المخففة واللام

تدل عليها واخرين منهم عطف على الاميين او المنصوب في يعلمهم وهم الذين
جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم لم يلحقوا
بهم بعد وسيلحقوا وهو العزيز في تمكينهم في هذا الامر الخارق للعادة الحكيم
في اختياره وتعليمه ذلك فضل الله تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم
الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم الاخرة مثل الذين حملوا التورية علموها وكلفوا
العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما فيها كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا من
العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل او صفة اذ ليس
المراد من الحمار معينا بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله اي مثل الذين كذبوا
وهم المكذبون بايات الله الدالة على نبوة محمد ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم
والمخصوص بالذم محذوف والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا
تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس اذ كانوا يقولون اولياء الله
واحباؤه فتمنوا الموت فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل
الكرامة ان كنتم صادقين في زعمكم ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم
بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي والله عليم بالظالمين فيجازيهم على اعمالهم
قل ان الموت الذي تفرون منه وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم
فتؤخذوا باعمالكم فانه ملاقيكم لا تفوتونه لاحق بكم والفاء لتضمن الاسم معنى
الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغير فاء ويجوز ان
يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا اذا نودي
للصلوة اذن لها يوم الجمعة بيان لاذا وانما سمي جمعة لاجتماع الناس

فيه للصلوة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لؤي لاجتماع الناس
فيه اليه واول جمعة جمعها رسول الله م انه لما قدم المدينة نزل قبا واقام بها الى الجمعة
ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار لبني سالم بن عوف فاسعوا الى ذكر الله
فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعي دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلوة
والامر بالسعي اليها يدل على وجوبها وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم خير لكم
اي السعي الى ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع الاخرة خير وابقى ان كنتم تعلمون
الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلوة اديت وفرغ
منها فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اطلاق لما حظر عليهم واحتج من
جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفي الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا
وانما هو عيادة وحضور جنازة وزيارة اخ في الله واذكروا الله كثيرا واذكروا
في جميع احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلوة لعلكم تفلحون بخير الدارين واذا
راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روي انه كان يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام
فخرج الناس اليهم الا اثني عشر فنزلت وافراد التجارة برد الكناية لانها المقصودة
فان المراد من اللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون به العير والترديد للدلالة
على ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته او للدلالة على ان الانفضاض الى
التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى
اللهو اولى بذلك وقيل تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها واذا راوا
لهوا انفضوا اليه وتركوك قائما اي على المنبر قل ما عند الله من الثواب خير
من اللهو ومن التجارة فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما يتوهمون من نفعهما
والله خير الرازقين فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه عن النبي م من قرأ سورة

الجمعة اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها فى امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية وآيها احدى عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم فى الشهادة بقوله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يعتقدوا ذلك اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب او شهادتهم هذه فانها تجرى مجرى الحلف فى التوكيد وقرئ ايمانهم جنة وقاية عن القتل والسبى فصدوا عن سبيل الله صدا او صدودا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم ذلك اشارة الى الكلام المتقدم اى ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان بانهم امنوا بسبب انهم امنوا ظاهرا ثم كفروا سرا او امنوا اذا رأوا المؤمنين ثم كفروا حينما سمعوا من شياطينهم شبهة فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها وصباحتها وان يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابى جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله فى جمع مثله فيعجب بهياكلهم ويصغى الى كلامهم كانهم خشب مسندة حال من الضمير المجرور فى لقولهم اى تسمع لما يقولونه مشبهين باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهى الخشبة التى نخر جوفها شبهوا بها فى حسن المنظر وقبح المخبر وقرأ ابو عمرو والكسائى وروى عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف او على انه كبدن فى جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم

اى وانه

اى واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم ثانى مفعولى يحسبون ويجوز ان يكون صلته والمفعول هم العدو وهذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله فاحذرهم عليه يدل على ان الضمير للمنافقين قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك وقرأ نافع بتخفيف الواو ورأيتهم يصدون يعرضون عن الاستغفار وهم مستكبرون عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم فى الكفر ان الله لا يهدى القوم الفاسقين الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم فى الكفر والنفاق هم الذين يقولون اى للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين ولله خزائن السموات والارض بيده الارزاق والقسم ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روى ان اعرابيا نازع انصاريا فى بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابى رأسه بخشبة فشكى الى ابن ابى فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله وقرئ ليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه القراءة مصدر او حال على تقدير مضاف كخروج او اخراج او مثل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا

اولادكم عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلوة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيكم عن اللهو بها وتوجيه النهى اليها للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل ذلك اى اللهو بها وهو الشغل فاولئك هم الخاسرون لانهم باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى وانفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم ادخارا للاخرة من قبل ان يأتى احدكم الموت ان يرى دلائله فيقول رب لولا اخرتنى امهلتنى الى اجل قريب امد غير بعيد فاصدق فاتصدق واكن من الصالحين بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقرأ ابو عمرو واكون منصوبا عطفا على فاصدق وقرئ بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا ولن يمهلها اذا جاء اجلها اخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز عليه وقرأ ابو بكر بالياء الموافق ما قبلها فى الغيبة عن النبى صلعم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مختلف فيها وآيها ثمان عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض بدلالتها على كماله واستغنائه له الملك وله الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة وهو على كل شئ قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال هو الذى خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه والله بما تعملون بصير فيعاملكم بما يناسب عملكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة وصوركم فاحسن صوركم فصوركم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زينكم بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص

المبدعات

المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات واليه المصير فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا لان نسبة المقتضى لعلمه الى الكل واحدة وتقديمه تقرير القدرة لان دلالة المخلوقات على قدرته اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم يأتكم يا ايها الكفار نبأ الذين كفروا من قبل كقوم نوح وهود وصالح فذاقوا وبال امرهم ضرر كفرهم فى الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر القطار ولهم عذاب اليم فى الاخرة ذلك اى المذكور من الوبال والعذاب بانه بسبب ان الشان كانت تأتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا وتعجبوا ان يكون الرسول بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع فكفروا بالرسل وتولوا عن التدبر فى البينات واستغنى الله عن كل شئ فضلا عن طاعتهم والله غنى عن عبادتهم وغيرها حميد يدل على حمده كل مخلوق زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان بما فى حيزه قل بلى اى بلى تبعثون وربى لتبعثن ثم اكد به الجواب ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة وذلك على الله يسير لقبول المادة وحصول القدرة التامة فامنوا بالله ورسوله محمد والنور الذى انزلنا يعنى القران فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه والله بما تعملون خبير فمجاز عليه يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن او مقدر باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم ليوم الجمع لاجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين ذلك يوم التغابن يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء

وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقي هو التغابن
في امور الاخرة لعظمها ودوامها ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اي عملا صالحا يكفر
عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا و
قراه ابن عامر بالنون فيهما ذلك الفوز العظيم الاشارة الى مجموع الامرين ولذلك نافع و
جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير كانها والاية
المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره
وارادته ومن يؤمن بالله يهد قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ
يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدا با
لهمز اي يسكن والله بكل شيء عليم حتى القلوب واحوالها واطيعوا الله واطيعوا
الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين اي فان توليتم فلا باس
عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون
لان ايمانهم بان الكل منه يقتضي ذلك يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله ويخاصمكم في امور الدين او الدنيا فاحذروهم
ولا تامنوا غوائلهم وان تعفوا عن ذنوبهم بترك المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك
التثريب عليها وتغفروا باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها فان الله غفور
رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم انما اموالكم واولادكم
فتنة اختبار لكم والله عنده اجر عظيم لمن اثر محبة الله وطاعته على محبة
الاموال والاولاد والسعي لهم فاتقوا الله ما استطعتم اي ابذلوا في تقواه جهدكم
وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا في وجوه الخير خالصا لوجهه

خيرا لانفسكم اي افعلوا ما هو خير لها وهو تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز
ان يكون صفة مصدر محذوف اي انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر
ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون سبق تفسيره ان تقرضوا الله بصرف
المال فيما امره قرضا حسنا مقرونا باخلاص وطيب نفس يضاعفه لكم يجعل لكم
بالواحد عشرا الى سبعمائة واكثر وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم
ويغفر لكم ببركة الانفاق والله شكور يعطي الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة
عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء العزيز الحكيم تام القدرة والعلم عن النبي
صلى الله عليه واله وسلم من قرا سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة

سورة الطلاق مدنية وايها اثنى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته
فنداؤه كندائهم او لان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل
المشارف منزلة الشارع فيه فطلقوهن لعدتهن اي وقتها وهو الطهر فان اللام في
الازمان وما يشبهها للتاقيت ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات
وظاهره يدل على ان العدة بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغي ان يكون في
الطهر وانه يحرم في الحيض من حيث ان الامر بالشيء يستلزم النهي عن ضده ولا يدل على
عدم وقوعه اذ النهي لا يستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر رض لما طلق امراته
حائضا امره عم بالرجعة وهو سبب نزوله واحصوا العدة واضبطوها واكملوها
ثلثة اقراء واتقوا الله ربكم في تطويل العدة والاضرار بهن لا تخرجوهن من بيوتهن
من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن ولا يخرجن باستبدادهن اما

لو اتفقا على الانتقال لجاز اذ الحق لا يعدوهما وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها
السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله الا ان ياتين بفاحشة مبينة مستثنى
من الاول والمعنى الا ان تبذوا على الزوج فانه كالنشوز في اسقاط حقها او الا ان تزني
فتخرج لاقامة الحد عليها او من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على ان خروجها فاحشة
وتلك حدود الله الاشارة الى الاحكام المذكورة ومن يتعد حدود الله فقد
ظلم نفسه بان عرضها للعقاب لا تدري اي النفس او انت ايها النبي او المطلق لعل
الله يحدث بعد ذلك امرا وهو الرغبة في المطلقة برجعة او استينافه فاذا بلغن
اجلهن شارفن اخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن عشرة وانفاق
مناسب او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها
تطويلا لعدتها واشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة او الفرقة تبريا عن الريبة
وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعي رح وجوبه
في الرجعة واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه ذلكم يريد
الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الاية يوعظ به من كان يؤمن بالله
واليوم الاخر فانه المنتفع به والمقصود تذكيره ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه
صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن
وتعدي حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل الله
مخرجا مما في شان الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه
لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والفوز
بخيرهما من حيث لا يحتسبون او كلام جيء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه عم

اني لاعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها
وروي ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعي اسره العدو فشكى ابوه الى رسول الله صلعم
فقال اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه
الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها ومن يتوكل على الله كافيه
ان الله بالغ امره يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرا حفص بالاضافة وقرئ بالغ
امره اي نافذ وبالغا على انه حال والخبر قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا
او مقدارا او اجلا لا يتاتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تاقيت
الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سياتي من مقاديرها و
اللائي يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن ان ارتبتم شككتم في عدتهن اي جهلتم فعدتهن
ثلاثة اشهر روي انه لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قيل فما
عدة اللائي لا يحضن فنزلت واللائي لم يحضن اي واللائي العدة كذلك واولات
الاحمال اجلهن منتهى عدتهن ان يضعن حملهن وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى
عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال بالذات وعموم ازواجا بالعرض والحكم
معلل ههنا بخلافه ثم ولانه صح ان سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها
بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلعم فقال قد حللت فتزوجي ولانه متاخر النزول فتقديمه
تخصيص وتقديم الاخر بناء للعام على الخاص والاول راجح للوفاق عليه ومن يتق الله في
احكامه فيراعي حقوقها يجعل له من امره يسرا يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك
اشارة الى ما ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم ومن يتق الله في احكامه
فيراعي حقوقها يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا

بالمضاعفة أسكنوهن من حيث سكنتم اي مكانا من سكناكم من وجدكم وسعكم
اي مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم ولا تضاروهن في السكنى
لتضيقوا عليهن فتلجئوهن الى الخروج وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى
يضعن حملهن فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل
من المعتدات والاحاديث تؤيده فإن أرضعن لكم بعد انقطاع علقة النكاح فآتوهن
أجورهن على الارضاع وأتمروا بينكم بمعروف وليأمر بعضكم بعضا بجميل في
الارضاع والاجر وإن تعاسرتم تضايقتم فسترضع له أخرى امرأة أخرى وفيه
معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه
فلينفق مما آتاه الله اي لينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه لا يكلف الله نفسا
إلا ما آتاها فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك
وعده باليسر فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا وكأين من قرية
أهل قرية عتت عن أمر ربها ورسله اعرضت عنه اعراض العاتي المعاند فحاسبناها
حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا منكرا
والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق فذاقت و
بال أمرها كفرها ومعاصيها وكان عاقبة أمرها خسرا لا ربح فيها اصلا
أعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور
في قوله فاتقوا الله يا أولي الألباب ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء
ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا الذين آمنوا
قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا يعني بالذكر جبرئيل لكثرة ذكره او لنزوله
بالذكر وهو القرآن او لانه مذكور في السموات او ذا ذكر اي شرف او محمد عم لمواظبته

على تلاوة القرآن او تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا او لانه مسبب عن انزال
الوحي اليه وابدل عنه رسولا للبيان او اراد به القرآن ورسولا منصوب بمقدر
مثل ارسل او ذكرا والرسول مفعوله او بدله على انه بمعنى الرسالة يتلوا عليكم
آيات الله مبينات حال من اسم الله او صفة رسولا والمراد بالذين في قوله تعالى
ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين آمنوا بعد انزاله اي ليحصل
لهم ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه يؤمن
من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا
يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرأ نافع
وابن عامر ندخله بالنون قد احسن الله له رزقا فيه تعجب وتعظيم لما رزقوا
من الثواب الله الذي خلق سبع سموات مبتدأ وخبر ومن الارض مثلهن اي
وخلق مثلهن في العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر يتنزل الامر بينهن
اي يجري امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا ان الله على كل شيء
قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما علة لخلق او يتنزل او مضمر يعمهما فان
كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه عن النبي صم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صم

سورة التحريم مدنية وآيها اثنتا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي انه عم خلا بمارية في يوم عائشة
او حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل
شرب عسلا عند حفصة فواطأت عائشة سودة وصفية فقلن له انا نشم
منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت تبتغي مرضات ازواجك تفسير لتحرم او

او حال من فاعله او استئناف لبيان الداعي اليه والله غفور لك هذه الزلة
فانه لا يجوز تحريم ما احل الله رحيم رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك
قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة
او الاستثناء فيها بالمشيئة حتى لا يحنث من قولهم حلل في يمينه اذا استثنى فيها واحتج
به من رأى التحريم مطلقا او تحريم المرأة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب
كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال انه عم اتى بلفظ اليمين كما قيل والله مولاكم
متولي امركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه واذ
اسر النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا تحريم مارية او العسل او
ان الخلافة بعده لابي بكر وعمر رضي فلما نبأت به اي فلما اخبرت حفصة عائشة
بالحديث واظهره الله عليه واطلع النبي عم على الحديث اي على افشائه عرف
بعضه عرف الرسول حفصة بعض ما فعلت واعرض عن بعض عن اعلام بعض
تكرما او جازاها على بعضه بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قراءة الكسائي
بالتخفيف فانه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب للسبب
والتحقيق بالعكس ويؤيد الاول فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني
العليم الخبير فانه اوفق للاعلام ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على
الالتفات للمبالغة في المعاتبة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما
ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة الرسول بحب ما يحبه
وكراهة ما يكرهه وإن تظاهرا عليه وان تتظاهرا عليه بما يسوؤه وقرأ الكوفيون
بالتخفيف فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فلن يعدم من
يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبين

قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه والملائكة بعد ذلك ظهير متظاهرون
وتخصيص جبرئيل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة وبقوله
بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به عسى ربه ان
طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن على التغليب وتعميم الخطاب وليس
فيه ما يدل على انه لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق
الكل لا ينافي طلاق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرأ نافع و
ابو عمرو يبدله بالتخفيف مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات
مصدقات قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات عن الذنوب
عابدات متعبدات او متذللات لامر الرسول سائحات صائمات سمي الصائم
سائحا لانه يسيح بالنهار بلا زاد او مهاجرات ثيبات وأبكارا وسط العاطف
بينهما لتنافيهما ولانهما في حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات
والابكار يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات
واهليكم بالنصح والتأديب وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم
انفس القبيلين على تغليب المخاطبين نارا وقودها الناس والحجارة نارا تتقد
بها اتقاد غيرها بالحطب عليها ملائكة تلي امرها وهم الزبانية غلاظ شداد
غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال
الشديدة لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون
فيما يستقبل او لا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به
يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون
اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي عن الاعتذار لانه لا عذر لهم او العذر

لا ينفعهم يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا بالغة في النصح وهو صفة
التائب فإنه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الإسناد المجازي مبالغة او
في النصاحة وهي الخياطة كأنها تنصح ما خرق الذنب وقرأ أبو بكر بضم النون
وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور والنصاحة كالثبات والثبوت
تقديره ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا نصوحا لأنفسكم وسئل علي ع
عن التوبة فقال يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الإعادة
ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تربي نفسك في طاعة
الله كما ربيتها في المعصية عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الأنهار ذكر بصيغة الإطماع جريا على عادة الملوك وإشعارا
بأنه تفضل والتوبة غير موجب وأن العبد ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء
يوم لا يخزي الله النبي احمادا لهم وتعريضا لمن ناداهم وقيل مبتدأ خبره
نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم اي على الصراط يقولون إذا طفئ
نور المنافقين ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير وقيل
يتفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون إتمامه تفضلا يا أيها النبي جاهد
الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة
فيما تجاهدهما إذا بلغ الرفق مداه ومأواهم جهنم وبئس المصير جهنم او مأواهم
ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط مثل الله حالهم
في أنهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبي والمؤمنين من
النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين يريد به تعظيم
نوح ولوط فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا عنهما من الله شيئا فلم يغن النبيان ع

عنهما

عنهما بحق الزواج إغناء ما وقيل أي لهما عند موتهما او يوم القيامة ادخلا
النار مع الداخلين مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين
الأنبياء وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون شبه حالهم في أن وصلة
الكافرين لا تضرهم بحال آسية ومنزلتها عند الله مع أنها كانت تحت أعدى أعداء
الله إذ قالت ظرف للمثل المحذوف رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا
من رحمتك او في اعلا درجات المقربين ونجني من القوم الظالمين من القبط
التابعين له في الظلم ومريم ابنة عمران عطف على امرأة فرعون تسلية للأرامل
التي أحصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه في فرجها وقرئ فيها اي في مريم
او الجبلة من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات
ربها بصحفه المنزلة او بما أوحى إلى أنبيائه وكتابه وما كتب في اللوح او
جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله
وكتابه اي بعيسى والإنجيل وكانت من القانتين من عداد المواظبين على
الطاعة والتذكير للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال
الكاملين حتى عدت من جملتهم او من نسلهم فتكون من ابتدائية عن النبي صلعم
كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا الأربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون
ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء
كفضل الثريد على سائر الطعام وعنه م من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك مكية وتسمى الواقية والمنجية لأنها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر وآيها
ثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك بقبضة قدرته التصرف في الأمور كلها وهو على

كل شيء قدير على كل ما يشاء قدير الذي خلق الموت والحياة قدرهما او أوجد
الحياة وأزالها حسبما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم أمواتا فأحياكم ولأنه
أدعى إلى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف أيها المكلفون
أيكم أحسن عملا أصوبه وأخلصه وجاء مرفوعا أحسن عقلا وأورع عن محارم
الله وأسرع في طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل البلوى المتضمن
معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لأنه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا يعلق
الفعل عنها بخلاف ما إذا وقع موقع المفعولين وهو العزيز الغالب الذي
لا يعجزه من أساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع سماوات طباقا
مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل إذا خصفتها طبقا على
طبق وصف به او طوبقت طباقا او ذات طباق جمع طبق كرحبة ورحاب
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وقرأ حمزة والكسائي من تفوت ومعناهما
كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فإن كلا من
المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر والجملة صفة ثانية للسبع وضع فيها
خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والإشعار بأنه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته
الباهرة رحمة وتفضلا وأن في إبداعها نعما جليلة لا تحصى والخطاب فيها
للرسول او لكل مخاطب وقوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به
على معنى التسبيب اي قد نظرت إليها مرارا فانظر إليها مرة أخرى متأملا فيها
لتعاين ما أخبرت من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها والفطور
الشقوق والمراد الخلل من فطره إذا شقه ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين
أخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك

ولذلك

ولذلك أجاب الأمر بقوله ينقلب إليك البصر خاسئا بعيدا عن إصابة المطلوب
كأنه طرد عنه طردا بالصغار وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة
ولقد زينا السماء الدنيا أقرب السماوات إلى الأرض بمصابيح بكواكب مضيئة
بالليل إضاءة السرج فيها والتنكير للتعظيم ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة
في سماوات فوقها إذ التزيين بإظهارها إليها وجعلناها رجوما ٢ فائدة أخرى هي
رجم أعدائكم بانقضاض الشهب المسببة وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين
الإنس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم به وأعتدنا
لهم عذاب السعير في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم
من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وبئس المصير وقرئ بالنصب على أن للذين
عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا
كصوت الحمير وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق
غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز أن يراد غيظ الزبانية كلما
ألقي فيها فوج جماعة من الكفرة سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير يخوفكم هذا العذاب
وهو توبيخ وتبكيت قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل
الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير اي فكذبنا الرسل وأفرطنا في التكذيب
حتى نفينا الإنزال والإرسال رأسا وبالغنا في نسبتهم إلى الضلال فالنذير إما بمعنى
الجمع لأنه فعيل او مصدر مقدر بمضاف اي أهل إنذار او منعوت به للمبالغة
او الواحد والخطاب له ولأمثاله على التغليب او إقامة تكذيب الواحد مقام
تكذيب الكل او على أن المعنى قالت الأفواج قد جاء إلى كل فوج منا رسول فكذبناهم
وضللناهم ويجوز أن يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على إرادة القول

للشياطين وجعلنا لهام

يكون الضلال ما كانوا عليه في الدنيا وعقابه الذي يكونون فيه وقالوا لو كنا
نسمع كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم
بالمعجزات او نعقل فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا في اصحاب
السعير في عدادهم ومن جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار
عن معرفة والذنب لم يجمع لانه في الاصل مصدر او المراد به الكفر فسحقا لاصحاب
السعير فسحقهم الله سحقا اي ابعدهم من رحمة الله والتغليب للايجاز والمبالغة
والتعليل وقرأ الكسائي بالتثقيل ان الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون
عذابه غائبا عنهم لم تعاينوه بعد او غائبين عنه او عن اعين الناس او بالمخفي
منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير تصغر دونه لذائذ الدنيا
واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور بالضمائر قبل ان
يعبر عنها سرا او جهرا الا يعلم من خلق الا يعلم السر والجهر او جبلة الاشياء
حسبما قدرته حكمته وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما
بطن او لا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعي ان
يكون ليعلم مفعول ليفيد روي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بما يشاء فيخبر الله
به رسوله فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله تعالى على جهلهم هو
الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل لكم السلوك فيها فامشوا في
مناكبها في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو
عن ان يطأه الراكب ولا يتذلل له وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله تعالى واليه النشور
المرجع فيسألكم عن شكر ما انعم عليكم ءامنتم من في السماء يعني الملائكة
الموكلين على تدبير هذا العالم او الله تعالى على تأويل من في السماء امره وقضاؤه او على

زعم

زعم العرب فانهم زعموا انه تعالى في السماء وقرأ ابن كثير وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام
ما قبلها وامنتم بقلب الثانية الفا وقرأ نافع وابو عمرو ورويس ان يخسف بكم
الارض فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال فاذا هي تمور
تضطرب والمور التردد في المجيء والذهاب ام امنتم من في السماء ان يرسل
عليكم حاصبا اي يمطر عليكم حصباء فستعلمون كيف نذير كيف انذاري اذا
شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف
كان نكير انكاري عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول وتهديد لقومه اولم
يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن
اذا بسطنها صففن قوادمها ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد
وقت للاستظهار به على التحرك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة بين الاصيل
في الطيران والطارئ عليه ما يمسكهن في الجو على خلاف الطبع الا الرحمن الشامل
رحمته كل شيء بان خلقهن على اشكال وخصائص هيأهن للجري في الهواء انه بكل
شيء بصير يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب امن هذا الذي هو جند
لكم ينصركم من دون الرحمن عديل لقوله اولم يروا على معنى اولم ينظروا في امثال
هذه الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب
ام لكم جند ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه وهو كقوله ام لهم الهة
تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم
اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره والذي بصلته صفته وينصركم
وصف لجند محمول على لفظه ان الكافرون الا في غرور لا معتمد لهم امن هذا
الذي يرزقكم امن يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه

بالامساك المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم بل لجوا تمادوا في
عتو عناد ونفور شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى
يقال كببته فاكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فانقشع والتحقيق انهما من باب
انفعل بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعي كب وقشع بل المطاوع لهما
انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف
اجزائه ولذلك قابله بقوله امن يمشي سويا قائما سالما من العثار على صراط
مستقيم مستوي الاجزاء والجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين
والدينين بالمسالكين ولعل الاكتفاء بما في الكب والدلالة على حال المسالك
للاشعار بان ما عليه المشرك لا يستاهل ان يسمى طريقا كمشي المتعسف في مكان
متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يعتسف فينكب وبالسوي البصير
وقيل يمشي مكبا هو الذي يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذي انشأكم وجعل
لكم السمع لتسمعوا المواعظ والابصار لتنظروا صنائعه والافئدة لتتفكروا
وتعتبروا قليلا ما تشكرون في استعمالها فيما خلقت لاجلها قل هو الذي ذرأكم
في الارض واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد اي الحشر او ما وعدوا
من الخسف والحاصب ان كنتم صادقين يعنون النبي ص والمؤمنين قل انما
العلم اي علم وقته عند الله لا يطلع عليه غيره وانما انا نذير مبين والانذار
يكفي له العلم بل الظن بوقوع المحذور منه فلما رأوه اي الوعد فانه بمعنى الموعود
زلفة ذا زلفة اي قرب منهم سيئت وجوه الذين كفروا بان علتها الكآبة
وساءتها رؤية العذاب وقيل هذا الذي كنتم به تدعون به تطلبون
وتستعجلون تفتعلون من الدعاء او تدعون ان لا بعث فهو من الدعوى قل ارأيتم

ان

ان اهلكني الله اماتني ومن معي من المؤمنين او رحمنا باخير اجالنا فمن
يجير الكافرين من عذاب اليم اي لا ينجيهم احد من العذاب متنا او بقينا وهو
جواب لقولهم نتربص به ريب المنون قل هو الرحمن الذي ادعوكم اليه مولي النعم
كلها امنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق عليه والعلم بان غيره بالذات
لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار فستعلمون من هو في ضلال
مبين منا ومنكم وقرأ الكسائي بالياء قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا في الارض
بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به فمن يأتيكم بماء معين جار او ظاهر
سهل المأخذ عن النبي ص من قرأ سورة الملك فكانما احيا ليلة القدر

سورة ن مكية وآيها اثنتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

ن من اسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او اليهموت وهو الذي
عليه الارض والدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه شيء اشد سوادا من النقس
يكتب به ويؤيد الاول سكونه وكتبه بصورة الحرف والقلم وهو الذي خط
اللوح او الذي يخط به اقسم به لكثرة فوائده واخفى ابن عامر والكسائي ويعقوب
النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم
اذا اتصلت بها وقد روي ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كص
وما يسطرون وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم او با
المعنى الثاني على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الآلة واجرائه مجرى اولي
لاقامته مقامه او لاصحابه او للحفظة وما مصدرية او موصولة ما انت بنعمة
ربك بمجنون جواب القسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة و

وحصافة الراي والعامل في الحال معنى النفي وقيل بمجنون والباء لا تمنع عمله فيما
قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى وان لك لاجرا على الاحتمال او الابلاغ
غير ممنون مقطوع او ممنون به عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط
وانك لعلى خلق عظيم اذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله امثالك وسئلت عائشة
عن خلقه فقالت كان خلقه القران الست تقرا القران قد افلح المؤمنون فستبصر
ويبصرون بايكم المفتون ايكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم
الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود اي باي الفريقين منكم الجنون
ابفريق المؤمنين او بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم ان
ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو المجانين على الحقيقة وهو اعلم با
لمهتدين الفائزين بكمال العقل فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم على
معاصاتهم ودوا لو تدهن تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك او توافقهم
فيه احيانا فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف
اي ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن او للسببية اي
ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الان يدهنون
طمعا فيه وفي بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمني ولا تطع كل حلاف
كثير الحلف في الحق والباطل مهين حقير الراي من المهانة وهي الحقارة هماز
عياب مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية مناع للخير يمنع الناس
عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح معتد متجاوز في الظلم اثيم كثير
الاثام عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعدما
عد من مثالبه زنيم دعي ماخوذ من زنمتي الشاة وهما المتدليتان من اذنها

تمنوه

خلقها

وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل الاخنس
بن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى
عليه اياتنا قال اساطير الاولين اي قال ذلك حين تتلى لان كان متمولا مستظهرا
بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل
فيما قبله ويجوز ان يكون علة للا تطع اي لا تطع من هذا مثالبه لان كان ذا مال
وقرا ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر ان كان على الاستفهام غير ان ابن عامر
جعل الهمزة الثانية بين بين اي الان كان ذا مال كذب او اتطيعه لان كان ذا مال
وقرئ ان كان بالكسر على ان شرط الغنى في النهي عن الطاعة كالتعليل بالفقر كا
لنهي عن قتل الاولاد او ان شرطه للمخاطب اي لا تطع شارطا يساره لانه اذا اطاع
للغنى فكانه شرطه في الطاعة سنسمه بالكي على الخرطوم على الانف وقد اصاب
انف الوليد جراحة يوم بدر فبقي اثره وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال
كقولهم جدع انفه ورغم انفه لان السمة على الوجه سيما على الانف شين ظاهر
او نسود وجهه يوم القيمة انا بلوناهم اهل مكة بالقحط كما بلونا اصحاب
الجنة يريد بستانا كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان ينادي
الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطاه المنجل والقته الريح او بعد من البساط
الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان
يفعل ابونا ضاق علينا فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما
قال اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين اي ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون
ولا يقولون ان شاء الله تعالى وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج
به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه او لان معنى لا اخرج ان شاء الله ولا

ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد او لا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج ابوهم
فطاف عليها طائف بلاء طائف من ربك مبتدا منه وهم نائمون
فاصبحت كالصريم كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء فعيل بمعنى
مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها او كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا
بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال فتنادوا مصبحين ان اغدوا
على حرثكم اي اخرجوا او بان اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما لتضمنه
معنى الاقبال او لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء ان
كنتم صارمين قاطعين له فانطلقوا وهم يتخافتون يتشاورون
فيما بينهم وخفي وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها
اليوم عليكم مسكين ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهي
المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقوله لا ارينك ههنا
وغدوا على حرد قادرين وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة
اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم عزموا
ان ينكدوا على المساكين فنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها الا على النكد
او وغدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع
وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اي لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض
كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة قال اقبل سيل جاء من امر
الله يحرد حرد الجنة المغلة اي غدوا الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم
على صرامها وقيل علم للجنة فلما راوها اول ما راوها قالوا انا لضالون
طريق جنتنا وما هي بها بل نحن اي بعد ما تاملوا وعرفوا انها هي محرومون

حرمنا

حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم رايا او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون
لولا تذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد قاله حين ما عزموا على ذلك
ويدل على هذا المعنى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين او لولا تستثنون فسمي
الاستثناء تسبيحا لتشاركهما في التعظيم او لانه تنزيه عن ان يجري في ملكه ما لا يريد
فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك
منهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا
كنا طاغين متجاوزين حدود الله تعالى عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها
ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روي انهم ابدلوا خيرا منها وقرئ
يبدلنا بالتخفيف انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء
الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب مثل ذلك العذاب الذي بلونا
به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب في الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر اعظم
منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب ان للمتقين عند ربهم
اي في الاخرة او في جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم
الخالص افنجعل المسلمين كالمجرمين انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان
صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن
عليه في الدنيا ما لكم كيف تحكمون التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له
واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج راي ام لكم كتاب من
السماء فيه تدرسون تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون ان لكم ما تختارونه
ان لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جيئ
باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استئنافا وتخير الشيء واختاره

اخذ خبره ام لكم ايمان علينا بالغة عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية في التوكيد
وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين الى يوم القيمة متعلق بالمقدر في لكم اي
ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا تخرج عن عهدتها حتى نحكمكم في ذلك اليوم او ببالغة
اي ايمان تبلغ ذلك اليوم ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا
ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك زعيم بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه ام لهم شركاء
يشاركونهم في هذا القول فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم اذ لا
اقل من التقليد وقد نبه سبحانه في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن ان يتشبثوا به من
عقل او نقل يدل عليه لاستحقاق او وعد او محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب
النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة
كانه لما نفى ان تكون التسوية من الله نفى هنا ان تكون مما يشركون الله به يوم يكشف
يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك واصله تشمير المخدرات
عن سوقهن في الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت
عن ساقها الحرب شمرا او يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار
من ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على
بناء الفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال ويدعون الى السجود توبيخا
على تركهم السجود ان كان اليوم يوم القيمة او يدعون الى الصلوات لاوقاتها
ان كان وقت النزع فلا يستطيعون لذهاب وقته او زوال القدرة عليه
خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة تلحقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود
في الدنيا او زمان الصحة وهم سالمون متمكنون منه مزاحوا العلل فيه
فذرني ومن يكذب بهذا الحديث كله الي فاني اكفيكه سنستدرجهم سندنيهم

من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا
يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين و
املي لهم وامهلهم ان كيدي متين لا يدفع بشيء وانما سمي انعامه استدراجا بالكيد
لانه في صورته ام تسألهم اجرا على الارشاد فهم من مغرم من غرامة مثقلون بحملها فيعرضون
عنك ام عندهم الغيب اللوح المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون
به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب
الحوت يونس اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا في الضجرة فتبتلى
ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه يعني توفيق التوبة وقبولها وحسن تذكير
الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية
بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء بالارض الخالية عن الاشجار وهو
مذموم مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها
المنفية دون النبذ فاجتباه ربه بان رد الوحي اليه او استنبأه ان صح انه لم
يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان
عصمه من ان يفعل ما تركه اولى وفيه دليل على خلق الافعال والآية نزلت حين
هم رسول الله صلعم ان يدعو على ثقيف وقيل باحد حين حل به ما حل فاراد ان
يدعو على المنهزمين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ان
هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا
بحيث يكادون يزلون قدمك ويرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد
يصرعني اي لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ
روي انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلعم فنزلت وفي

وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص
بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك
اي ليهلكونك لما سمعوا الذكر اي القرآن اي ينبعث عند سماعه بغضهم
وحسدهم ويقولون انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر
للعالمين لما جننوه لاجل القرآن بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان
اكمل الناس عقلا وامتنهم رأيا عن النبي صلعم من قرأ سورة القلم اعطاه الله تعالى ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة مكية وآيها احدى وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة اي الساعة او الحالة التي يحق وقوعها او التي يحق فيها الامور او تعرف حقيقتها
اي تقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازي وهو مبتدأ
خبرها ما الحاقة واصله ما هي اي اي شيء هي على التعظيم لشانها والتهويل لها
فوضع الظاهر موضع الضمير لانه اهول لها وما ادريك ما الحاقة واي شيء
اعلمك ما هي اي انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان تبلغها دراية احد وما مبتدأ
وادريك خبره كذبت ثمود وعاد بالقارعة بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع
والاجرام بالانفطار والانتثار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف
شدتها فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة
وهي الصيحة والرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب
وغيره على انها مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله تعالى واما عاد فاهلكوا
بريح صرصر او شديدة الصوت او البرد من الصر او الصر عاتية شديدة العصف
او البرد من الحر كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم

يقدروا ردها سخرها عليهم سلطها عليهم بقدرته وهو استئناف او صفة
جيء به لنفي ما يتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر
لها والمسبب سبع ليال وثمانية ايام حسوما متتابعات جمع حاسم من حسمت
الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستأصلته او قاطعات
قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا والمصدر
لفعله المقدر حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز
من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان
عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعها الريح في الثامن فاهلكتها فترى القوم ان
كنت حاضرهم فيها في مهابها او في الليالي والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم
اعجاز نخل اصول نخل خاوية متآكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية من بقية
او نفس باقية او بقاء وجاء فرعون ومن قبله ومن تقدمه وقرأ البصريان
والكسائي ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه والمؤتفكات
قرى قوم لوط والمراد اهلها بالخاطئة بالخطاء او بالفعلة والافعال ذات
الخطاء فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها فاخذهم اخذة
رابية زائدة في الشدة زيادة اعمالهم في القبح انا لما طغى الماء جاوز حده
المعتاد او طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو يؤيد من قبله حملناكم
اي اباءكم وانتم في اصلابهم في الجارية في سفينة نوح لنجعلها لكم لنجعل
الفعلة وهي انجاء المؤمنين واغراق الكافرين لكم تذكرة عبرة ودلالة
على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته وتعيها وتحفظها وعن
ابن كثير تعيها بسكون العين تشبيها بكتف والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك و

والايعاء ان تحفظه في نفسها اذن واعية من شانها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره و
اشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه
مع قلته تسبب لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرا نافع اذن بالتخفيف فاذا نفخ
في الصور نفخة واحدة لما بالغ في تهويل القيمة وذكر مآل المكذبين بها تفخيما لشانها
وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد
بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم وحملت الارض والجبال رفعت من
اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة فدكتا دكة
واحدة فضرب الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء او فبسطتا
بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا امتا لان الدك سبب التسوية
ولذلك قيل ناقة دكاء لا سنام لها وارض دكاء للمتسعة المستوية فيومئذ
وقعت الواقعة قامت القيمة وانشقت السماء لنزول الملائكة فهي يومئذ
واهية ضعيفة مسترخية والملك والجنس المتعارف بالملك على ارجائها جوانبها
جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها
وحواليها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك ويحمل عرش ربك
فوقهم فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية لانها في نية التقديم
يومئذ ثمانية ثمانية املاك لما روي مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا كان
يوم القيمة ايدهم باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلمهم
عدتهم الا الله ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم
على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال يومئذ تعرضون تشبيها للمحاسبة
بعرض السلطان العسكر ليعرف احوالهم وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان

اليوم

اليوم اسما لزمان متسع تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال
اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية سريرة على
الله تعالى حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة في العدل
او على الناس كما قال تعالى يوم تبلى السرائر وقرا حمزة والكسائي بالياء للفصل فاما
من اوتي كتابه بيمينه تفصيل للعرض فيقول تبجحا هاؤم اقرؤا كتابيه ها اسم لخذ وفيه
لغات اجودها هاء يا رجل وهاء يا امراة وهاؤما يا رجلان او امراتان وهاؤم
يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين
ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه
وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب الوقف لثباتها
في الامام ولذلك قرئ باثباتها في الوصل اني ظننت اني ملاق حسابيه اي علمت
ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات
التي لا ينفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو في عيشة راضية ذات رضى على النسبة بالصيغة
او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم
في جنة عالية مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار
قطوفها جمع قطف وهو ما يجنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر دانية يتناولها
القاعد كلوا واشربوا باضمار القول وجمع الضمير للمعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا
او هنئتم هنيئا بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية
من ايام الدنيا واما من اوتي كتابه بشماله فيقول لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة
يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها يا ليت الموتة التي متها
كانت القاضية القاطعة لامري فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت

كانت الموتة التي قضيت علي كانت صادقتها امر من الموت فتمناه عليها او يا ليت حياة
الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عني ماليه مالي من المال والتبع وما نفي
والمفعول محذوف او استفهام انكار مفعول لاغنى هلك عني سلطانيه ملكي
وتسلطي على الناس او حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا وقرئ حمزة خذوه يقول الله
خزنة النار فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان
يتعظم على الناس ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا اي طويلة فاسلكوه
فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة
كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع ما يعذب به وثم لتفاوت ما
بينها في الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل على طريقة الاستيناف للمبالغة
وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها العظمة فمن يعظم فيها
استوجب ذلك ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه
فضلا ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه
المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص
الامرين بالذكر لان اقبح العقائد الكفر بالله واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب
فليس له اليوم ههنا حميم قريب يحميه ولا طعام الا من غسلين غسالة
اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون اصحاب
الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لا من الخطاء المضاد للصواب وقرئ الخاطيون
بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق
بالقسم او فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستانف بما تبصرون
وما لا تبصرون بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها

انه ان القران لقول رسول كريم يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لا يقول عن
نفسه هو الله وهو محمد او جبريل وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما
تؤمنون تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم ولا بقول
كاهن كما تزعمون اخرى قليلا ما تذكرون تذكرون تذكرا قليلا فلذلك يلتبس
الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لان عدم مشابهة
القران للشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف
على تذكر احوال الرسول ومعاني القران المنافية لطريق الكهنة ومعاني
اقوالهم وقرا ابن كثير ويعقوب بالياء فيهما تنزيل هو تنزيل من رب العالمين
نزله على لسان جبريل ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا
لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول
كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط
قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون
عليه وهو ان يؤخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل
اليمين بمعنى القوة فما منكم من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين
وصف لاحد لانه عام والخطاب للناس وانه وان القران لتذكرة للمتقين
لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة
على الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين به وانه لحق اليقين لليقين الذي لا ريب
فيه فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها عن الرضا بالتقول
عليه وشكرا على ما اوحى اليك عن النبي صـ من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وآيها اربع واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل سائل بعذاب واقع اي دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدي الفعل بالباء والسائل نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ابو جهل فانه قال فاسقط علينا كسفا من السماء سأله استهزاء او الرسول عم استعجل بعذابهم وقرأ نافع وابن عامر سال وهو اما من السوال على لغة قريش قال سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال واد بعذاب ومضي الفعل لتحقق وقوعه اما في الدنيا قتل بدر او في الاخرة وهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح ان السوال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على هذا لتضمين سال معنى اهتم ليس له دافع يرده من الله من جهته لتعلق ارادته به ذي المعارج ذي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم او في دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة يعرجون فيها تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة استيناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان في زمان يقدر خمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لان ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد من السموات

ال

السبع والكرسي والعرش كذلك حيث قال في يوم كان مقداره خمسين الف سنة يريد زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل في يوم متعلق بواقع او سال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته اما لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبرئيل وافراده لفضله او خلق اعظم من الملائكة وقرأ الكسائي يعرج بالياء فاصبر صبرا جميلا لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسال لان السوال كان عن استهزاء او تعنت وذلك مما يضجره او عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال سائل لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام انهم يرونه الضمير للعذاب او ليوم القيمة بعيدا من الامكان ونريه قريبا منه او من الوقوع يوم تكون السماء كالمهل ظرف لقريبا اي يمكن يوم تكون او لمضمر دل عليه واقع او بدل من في يوم ان علق به والمهل المذاب في مهل كالفلزات او دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا يبست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسال حميم حميما ولا يسال قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير ولا يسال على بناء المفعول اي لا يطلب من حميم حميم او لا يسال منه حاله يبصرونهم استيناف او حال يدل على ان المانع عن السوال هو التشاغل دون الخفاء او ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حال من احد الضميرين او استيناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه فضلا ان

يهتم بحاله ويسال عنها وقرأ نافع والكسائي بفتح ميم يومئذ وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ به لانه بمعنى تعذيب وفصيلته وعشيرته الذين فصل عنهم التي تؤويه تضمه في النسب وعند الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين او من الخلائق ثم ينجيه عطف على يفتدي اي ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد كلا ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه انها الضمير للنار او مبهم يفسره لظى وهو خبر او بدل او للقصة ولظى مبتدا خبره نزاعة للشوى وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول عن اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة او المتنقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الراس تدعوا تجذب وتحضر كقول ذي الرمة تدعو انفه الريب مجاز عن جذبها واحضارها لمن فرعتها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه من ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة وجمع فاوعى وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتاملا ان الانسان خلق هلوعا شديد الحرص قليل الصبر اذا مسه الشر الضر جزوعا يكثر الجزع واذا مسه الخير السعة منوعا يبالغ في الامساك والاوصاف الثلثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا الا المصلين استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الاجل على العاجل وتلك ناشية من الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليها الذين هم على صلوتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم حق معلوم كالزكوات والصدقات

الموظفة

الموظفة للسائل الذي يسال والمحروم والذي لا يسال فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في المثوبة الاخروية ولذلك ذكر الدين والذين هم على صلوتهم يحافظون من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم ان عذاب ربهم غير مامون اعتراض يدل على انه لا ينبغي لاحد ان يامن عذاب الله تعالى وان بالغ في طاعته والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون سبق تفسيره في سورة المؤمنين والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون حافظون وقرأ ابن كثير لامانتهم والذين هم بشهاداتهم قائمون لا يكتمون ولا يخفون ما علموه من حقوق الله وحقوق العباد وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع والذين هم على صلوتهم يحافظون فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا واخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفي نظم هذه الصلوات مبالغات لا تخفى اولئك في جنات مكرمون بثواب الله فما للذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلعم حلقا حلقا ويستهزؤن بكلامه ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح ما يقوله لنكونن فيها افضل حظا منهم كما في الدنيا كلا ردع لهم عن هذا الطمع انا خلقناهم مما يعلمون تعليل له والمعنى انكم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم

يتخلف بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها او انكم مخلوقون من اجل ما تعلمون
وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوأ في منازل الكاملين او استدل
بالنشاة الاولى على امكان النشاة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا
عندهم لبعد ردعهم عنه فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على
ان نبدل خيرا منهم اي نهلكهم ونأتي بخلق امثل منهم او نعطي محمدا بدلكم من هو
خير منكم وهم الانصار وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا فذرهم يخوضوا
ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون مر في اخر الطور يوم يخرجون
من الاجداث سراعا مسرعين جمع سريع كانهم الى نصب الى منصوب للعبادة او علم
يوفضون يسرعون وقرا ابن عامر وحفص نصب بضم النون والصاد وقرئ
بالضم على انه تخفيف نصب وجمع خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة مر تفسير
ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي صم من قرا سورة سال
سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح عم مكية وآيها ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان انذر اي بالانذار او بان قلنا
انذر ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة
القول قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم عذاب الاخرة والطوفان
قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون مر في
الشعراء نظيره فان يحتمل الوجهان يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم
وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به في الاخرة ويؤخركم الى

اجل

اجل مسمى هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة ان اجل الله ان الاجل الذي
قدره الله تعالى اذا جاء على الوجه المقدر اجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول لا يؤخر
فبادروا في اوقات الامهال والتاخير لو كنتم تعلمون لو كنتم من اهل العلم والنظر
لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم في حب الحيوة كانهم شاكون في الموت قال رب اني
دعوت قومي ليلا ونهارا اي دائما فلم يزدهم دعائي الا فرارا عن الايمان
والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم ايمانا واني
كلما دعوتهم الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم في اذانهم سدوا
مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني كراهة
النظر الي من فرط كراهة دعوتي او لئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب
للمبالغة واصروا واكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر
اذنيه واقبل عليها واستكبروا عن اتباعي استكبارا عظيما ثم اني دعوتهم
جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم مرة بعد اخرى
وكرة بعد اولى على اي وجه امكنني وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ
من الاسرار والتراخي بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه احد نوعي
الدعاء او صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا به والحال فيكون
بمعنى مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر انه كان غفارا
للتائبين وكانهم لما امرهم بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلا نتركه
وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم بما يجب
معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو اوقع في قلوبهم
وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة

واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله يرسل
السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات و
يجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء يحتمل المظلة
والسحاب والمدرار كثير الدر ويستوي في هذا البناء المذكر والمؤنث
والمراد بالجنات البساتين ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تاملون له توقيرا اي
تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونوا على حال تاملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان
للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وانما
عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة وقد خلقكم اطوارا حال
مقررة للانكار من حيث انها موجبة للرجاء فانه خلقهم اطوارا اي تارات اذ
خلقهم اولا عناصر ثم مركبات تغذي بها الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم
علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشاناهم خلقا اخر فانه يدل على انه
يمكنه ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة
تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده من ايات الافاق فقال الم تروا كيف
خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا اي في السموات
وهو في السماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة وجعل الشمس
سراجا مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج
عما حوله والله انبتكم من الارض نباتا انشاكم منها فاستعير الانبات
للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم انباتا فنبتم
نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين و
يخرجكم اخراجا بالحشر واكده بالمصدر كما اكد به الاول دلالة على ان الاعادة

محققة

محققة كالبدء وانها تكون لا محالة والله جعل لكم الارض بساطا تتقلبون
عليها لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ
قال نوح رب انهم عصوني فيما امرتهم به واتبعوا من لم يزده ماله
وولده الا خسارا واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم
بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الاخرة وفيه انهم انما اتبعوهم
لوجاهة حصلت لهم باموال واولاد ادتهم الى الخسار وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي
والبصريان وولده بالضم فيكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا
عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا كبارا كبيرا في الغاية فانه
ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على
اذى نوح عم وقالوا لا تذرن الهتكم عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا
ولا يغوث ويعوق ونسرا اي ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هي اسماء رجال
صالحين كانوا بين ادم ونوح فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال
الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب وكان ود لكلب وسواع لهمدان
ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرا نافع ودا بالضم وقرئ يغوثا
ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة وقد اضلوا كثيرا
الضمير للرؤساء او للاصنام لقوله انهن اضللن كثيرا ولا تزد الظالمين الا
ضلالا عطف على رب انهم عصوني ولعل المطلوب هو الضلال في
ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في امر دينهم او الضياع والهلاك
كقوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر مما خطيئاتهم اغرقوا بالطوفان
فادخلوا نارا المراد عذاب القبر او عذاب الاخرة والتعقيب لعدم الاعتداد

بما بين الاغراق والادخال او لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد
شرط او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران فلم يجدوا
لهم من دون الله انصارا تعريض لهم باتخاذ الهتهم من دون الله لا يقدر على
نصرهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اى احدا وهو
مما يستعمل فى العاجم فيعال من الدار والدور واصله ديوار ففعل به ما فعل
باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك
ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقرى احوالهم الف
سنة الا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم رب اغفر لى ولوالدى لمك
بن متوشلخ وشمخا بنت انوش وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتى منزلى او مسجدى
او سفينتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات الى يوم القيمة ولا تزد الظالمين
الا تبارا هلاكا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح

سورة الجن مكية وايها ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحى الى وقرئ واحى واصله وحى من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمها
ووحى على الاصل فاعله انه استمع نفر من الجن والنفر ما بين الثلثة
والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل
نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة
على انه عم ما راهم ولم يقرا عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض اوقات قراءته
فسمعوها فاخبر الله تعالى به رسوله فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا بديعا
مباينا لكلام الناس فى حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة

يهدى الى الرشد الى الحق والصواب فامنا به بالقران ولن نشرك بربنا احدا على ما
نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد وانه تعالى جد ربنا قراءة ابن كثير والبصريان
بالكسر على انه من جملة المحكى بعد القول وكذا ما بعده الا قوله تعالى وان لو استقاموا وان
المساجد وانه لما قام فانها من جملة الموحى به ووافقهم نافع وابو بكر الا فى قوله انه لما قام
عبد الله على انه فى استيناف او مقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على ان ما كان
من قولهم معطوف على محل الجار والمجرور فى به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد
ربنا اى عظمة من جد فلان فى عينى اذا عظم او سلطانه او غناه مستعار من الجد الذى
هو البخت والمعنى وصفه بالتعالى عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقوله
تعالى ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا بالتمييز وجد بالكسر اى صدق
ربوبيته كانهم سمعوا من القران ما نبههم على خطاء ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة
والولد وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن على الله شططا قولا ذا شطط وهو
البعد ومجاوزة الحد او هو شطط لفرط ما اشتد فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله تعالى
وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اعتذار عن اتباعهم السفيه
فى ذلك بظنهم ان احدا لا يكذب على الله وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول او
الوصف المحذوف اى قولا مكذوبا فيه ومن قرا لن تقول كيعقوب جعله مصدرا لان
التقول لا يكون الا كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فان الرجل
اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه فزادوهم فزادوا الجن
باستعاذتهم بهم رهقا كبرا وعتوا او فزاد الجن الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا
بهم والرهق فى الاصل غشيان الشى وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن او بالعكس
والايتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استيناف كلام من الله تعالى ومن فتح ان فيهما جعلهما

من الموحى به ان لن يبعث الله احدا سادٌّ مسد مفعولى ظنوا وانا لمسنا السماء وطلبنا
بلوغ السماء او خبرها كطلبنا اوطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا حراسا اسم جمع
كالخدم شديدا قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهو الشعلة
المتولد من النار وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع مقاعد خالية عن الحرس والشهب
او صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد فمن يستمع الان يجد له
شهابا رصدا اى شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوى شهاب راصدين
على انه جمع للراصد وقد مر بيان ذلك فى الصافات وانا لا ندرى اشر اريد بمن فى الارض
بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا وانا منا الصالحون المؤمنون
الابرار ومنا دون ذلك قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون كنا طرائق
ذوى طرائق اى مذاهب او مثل طرائق فى اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا
متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع وانا ظننا علمنا ان لن نعجز الله فى الارض
كائنين فى الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه فى
الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اى القران امنا
به فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق
نجاة المؤمن واختصاصها به بخسا ولا رهقا نقصا فى الجزاء ولا ان يرهقه ذلة او جزاء
بخس لانه لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما لان من حق الايمان بالقران ان يجتنب ذلك وانا
منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة فمن
اسلم فاولئك تحروا رشدا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون
فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا اى ان الشان
لو استقام الجن والانس او كلاهما على الطريقة المثلى لاسقيناهم ماء غدقا لوسعنا

عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفرانه ومن يعرض
عن ذكر ربه عن عبادته او موعظته او وحيه يسلكه يدخله وقراء غير الكوفيين
بالنون عذابا صعدا شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد
لله مختصة به فلا تدعوا مع الله احدا فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة
باللام علة للنهى الغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت
للنبى صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد
النهى عن السجود لغير الله واراب السبعة او السجدات على انه جمع مسجد وانه لما
قام عبد الله اى النبى صلى الله عليه وسلم وانما ذكر لفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه
والاشعار بما هو المقتضى لقيامه وقرا نافع وابو بكر بكسر الهمزة يدعوه يعبده كادوا
الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما راوا من عبادته
وسمعوا من قراءته او كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة
وهى ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهى لغة
وقرئ لبدا كسجد جمع لابد ولبدا كصبر جمع لبود قال انما ادعوا ربى ولا
اشرك به احدا فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على عداوتى وقرا
عاصم وحمزة قل على الامر للنبى ليوافق ما بعده قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا
ولا نفعا او غيا لا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الاخر باسم سببه او مسببه
اشعارا بالمعنيين قل انى لن يجيرنى من الله احد ان اراد بى سوءا ولن اجد
من دونه ملتحدا منحرفا او ملتجا الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك
فان التبليغ ارشاد وانواع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة او من ملتحدا
او معناه الا ان ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا

ومن الله صفته فان صلته عن كقوله بلغوا عنى ولو اية ومن يعص الله ورسوله
في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ فان على فجزاؤه ان
خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى حتى اذا راوا ما يوعدون في الدنيا كوقعة
بدر او في الاخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني او لمحذوف دل
عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له فسيعلمون من اضعف ناصرا
واقل عددا هو ام هم قل ان ادري ما ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له
ربي امدا غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون حتى اذا راوا ما يوعدون
قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن لا ادري وقته عالم الغيب
هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا اي على الغيب المخصوص به علمه
الا من ارتضى لعلم بعضه حتى يكون له معجزة من رسول بيان لمن واستدل به على
ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسل بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط
وكرامات الاولياء على المغيبات انما يكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا على احوال
الاخرة بتوسط الانبياء عليهم السلام فانه يسلك من بين يديه من بين يدي المرتضى
ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم
ليعلم ان قد ابلغوا اي ليعلم النبي الموحى اليه ان قد ابلغ جبرئيل والملائكة النازلون
بالوحي اي ليعلم الله ان ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا رسالات ربهم
كما هي محروسة من التغيير واحاط بما لديهم بما عند الرسل واحصى كل شيء عددا حتى
القطر والرمل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا وكذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة او عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي
وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها اي الذي زمله غيره او زمل نفسه
سمي به النبي صلى الله عليه وسلم تهجينا لما كان عليه لانه كان نائما او مرتعدا لما دهشه بداء الوحي
متزملا في قطيفة او تحسينا له اذ روي انه كان متلففا بمرط مفروش على عائشة
فنزلت او تشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل او من تزمل
الزمل اذا تحمل الحمل اي الذي تحمل اعباء النبوة قم الليل اي قم الى الصلوة او داوم
عليها وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع والتخفيف الا قليلا نصفه او انقص
منه قليلا او زد عليه استثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة
الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عليه كالثلث
او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث
فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف او للنصف والتخيير
بين ان يقوم اقل منه على البت وان يختار احد الامرين من الاقل والاكثر منه او الاستثناء
من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه
ورتل القرآن ترتيلا اقراه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع
من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا
يعني القرآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما
على الرسول صلى الله عليه وسلم اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها امته والجملة اعتراضية ليسهل عليه
التكليف بالتهجد ويدل على انه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس او رصين
لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتامل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية
للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه

لقول عائشة رضي الله عنها رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه
ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل
مستانف فان التهجد يعد للنفس ما به يعالج ثقله ان ناشئة الليل ان النفس
التي تنشا من مضجعها الى العبادة من نشا من مكانه اذا نهض قال نشانا الى خوص
بري نيها المسري والصوت منها مشرفات الفواحد او قيام الليل على ان الناشئة
له او العبادة التي تنشا بالليل اي تحدث او ساعات الليل لانها تحدث
واحدة بعد اخرى او ساعاتها الاول من نشات اذا ابتدات هي اشد وطأ
اي كلفة او ثبات قدم وقرا ابو عمرو وابن عامر وطاء اي مواطاة القلب اللسان
لها او فيها او موافقة لما يراد من الخضوع والاخلاص واقوم قيلا واشد مقالا او اثبت
قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات ان لك في النهار سبحا طويلا تقلبا في مهامك
واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجات الحق تستدعي فراغا وقرئ سبخا
اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر
اسم ربك ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح
وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة قرآن ودراسة علم وتبتل اليه تبتيلا وانقطع
اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذا الرمز ومراعاة الفواصل وضعه
موضع تبتلا رب المشرق والمغرب خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره لا اله
الا هو وقرا ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك
وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليلة
فان توحده بالالوهية يقتضي ان يوكل اليه الامور واصبر على ما يقولون من الخرافات
واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافيهم وتكل امرهم الى الله كما قال

وذرني والمكذبين دعني واياهم وكل الي امرهم فان بي غنية عنك في
مجازاتهم اولي النعمة ارباب التنعم يريد صناديد قريش ومهلهم
قليلا زمانا او امهالا ان لدينا انكالا وجحيما تعليل للامر والنكل القيد
الثقيل وطعاما ذا غصة طعاما ينشب في الحلق كالضريع والزقوم وعذابا اليما
ونوعا اخر من العذاب مؤلما لا يعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع
مما يشترك فيها الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى
مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة
غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلي انوار القدس فسر العذاب بالحرمان عن لقاء
الله تعالى يوم ترجف الارض والجبال تضطرب وتتزلزل ظرف لما في لدينا
انكالا من معنى الفعل وكانت الجبال كثيبا رملا مجتمعا كانه فعيل بمعنى
مفعول من كثبت الشيء اذا جمعته مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر انا ارسلنا
اليكم رسولا يا اهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيمة بالاجابة
والامتناع كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني موسى ولم يعينه لان المقصود
لم يتعلق به فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره فاخذناه اخذا وبيلا
ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرئ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف
تتقون ان كفرتم بقيتم على الكفر يوما عذاب يوم يجعل الولدان
شيبا من شدة هوله وهذا على الفرض او التمثيل واصله ان الهموم تضعف
القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصفا لليوم بالطول السماء منفطر
منشق والتذكير على تاويل السقف او اضمار شيء به بشدة ذلك اليوم على عظمها
واحكامها فضلا عن غيرها والباء للآلة كان وعده مفعولا الضمير لله عز وجل او لليوم

على اضافة المصدر للمفعول ان هذه الآيات الموعدة تذكرة عظة فمن شاء اتخذ
الى ربه سبيلا اى يتقرب اليه بسلوك التقوى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى
من ثلثى الليل ونصفه وثلثه استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشىء اقل بعدا
منه وقرأ هشام ثلثى الليل وقرأ ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا
على ادنى وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر
الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هى الا الله فان تقديم اسمه مبتدأ مبنيا
عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله تعالى علم ان لن تحصوه اى لن تحصوا تقدير
الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات فتاب عليكم بالترخيص فى ترك القيام
المقدر ورفع التبعة فيه فاقرؤا ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر عليكم من صلوة
الليل عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على
التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرؤا القرآن
بعينه كيفما تيسر عليكم علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الارض
يبتغون من فضل الله والضرب فى الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة و
تحصيل العلم وآخرون يقاتلون فى سبيل الله استئناف يبين حكمة اخرى
مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال فاقرؤا ما
تيسر منه واقيموا الصلوة المفروضة وآتوا الزكوة الواجبة واقرضوا الله قرضا
حسنا يريد به الامر بسائر الانفاقات فى سبيل الخير او باداء الزكوة على احسن
وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به فى قوله وما تقدموا لانفسكم
من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذى تؤخرونه
الى الوصية عند الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثانى مفعولى تجدوه وهو تاكيد

او فصل

او فصل لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء
والخبر واستغفروا الله فى مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط ان
الله غفور رحيم عن النبى من قرأ سورة المزمل رفع الله العسر فى الدنيا والآخرة

سورة المدثر مكية وآيها ست وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر اى المتدثر وهو لابس الدثار روى انه عم قال كنت بحراء فنوديت
فنظرت عن يمينى وشمالى فلم ار شيئا فنظرت فوقى فاذا هو على عرش بين السماء والارض
يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى فنزل جبريل
وقال يا ايها المدثر ولذلك قيل هى اول سورة نزلت وقيل تأذى من قريش
فتغطى بثوبه مفكرا او كان نائما متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر با
لنبوة والكمالات النفسانية او المختفى فانه كان بحراء كالمختفى فيه على سبيل الاستعارة
وقرئ المدثر اى الذى دثر هذا الامر وعصب به قم من مضجعك او قم قيام عزم
وجد فانذر مطلقا للتعميم او مقدر بمفعول دل عليه قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين
او قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر
وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روى انه
لما نزل كبر رسول الله وايقن انه الوحى وذلك ان الشيطان لا يأمر بذلك
والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكأنه قال وما يكن من شىء فكبر ربك
او الدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه
فان اول ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا
مقرين به وثيابك فطهر من النجاسات فان التطهير واجب فى الصلوة محبوب

فى غيرها وذلك بغسلها وبحفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو اول
ما امر به من رفض العادات المذمومة او طهر نفسك عن الاخلاق الذميمة والافعال الدنية
فيكون امرا باستكمال القوة العملية بعد امره باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه
او فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب
بالثبات على هجر ما يؤدى اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص
والرجز بالضم وهو لغة كالذكر ولا تمنن تستكثر ولا تعط مستكثرا نهى عن الاستغزار
وهو ان يهب شيئا طامعا فى عوض اكثر نهى تنزيه او نهيا خاصا به لقوله عم المستغزر يثاب
من هبته والموجب له ما فيه من الحرص والضنة او لا تمنن على الله بعبادتك مستكثرا اياها او
على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون
للوقف او الابدال من تمنن على انه من من بكذا وتستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على
اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روى
واحضر الوغى بالرفع ولربك ولوجهه او امره فاصبر فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق
التكاليف واذى المشركين فاذا نقر فى الناقور فى الصور فاعول من النقر على
معنى التصويت واصله القرع الذى هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قال
اصبر على اذاهم فبين ايديهم زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك ويلقى اعداؤك عاقبة
ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير فان معناه عسر الامر
على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير غير
يسير تاكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين
ذرنى ومن خلقت وحيدا نزلت فى الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء
اى ذرنى وحدى معه فانى اكفيكه او من التاء اى ومن خلقته وحدى لم يشركنى

فى خلقه

فى خلقه احدا ومن العائد المحذوف اى من خلقته فريدا لا مال له ولا ولد فذم انه كان
ملقبا به فسماه الله تعالى تهكما او ارادة انه وحيد ولكن فى الشرارة او عن ابيه لانه كان
زنيما وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء وكان له الزرع والضرع
والتجارة وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى سفر لطلب
المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج ان يرسلهم فى مصالحه لكثرة خدمه او فى المحافل
والاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فاسلم
منهم ثلثة خالد وعمارة وهشام ومهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه
العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اى باستحقاق الرياسة والتقدم ثم يطمع
ان ازيد على ما اوتيه وهو استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد على ما اوتى او لانه
لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال تعالى كلا انه كان
لآياتنا عنيدا فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف
بمعاندة آيات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول
هذه الآية فى نقصان ماله حتى هلك سارهقه صعودا ساغشيه عقبة
شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه عم الصعود جبل من نار يصعد
فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد
او بيان للعناد والمعنى فكر فيما يخيل طعنا فى القرآن وقدر فى نفسه ما
يقول فيه فقتل كيف قدر تعجب من تقديره استهزاء به او لانه اصاب
اقصى ما يمكن ان يقال عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اى بلغ فى الشجاعة
مبلغا يحق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روى انه مر بالنبى
وهو يقرأ حم السجدة فاتى قومه وقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من

كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله
لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقالت قريش صبأ الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه
فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فناداهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل
رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل
رايتموه يتعاطى شعرا قط فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل
واهله وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير
للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها ثم نظر اي في
امر القران مرة بعد اخرى ثم عبس وقطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول
او نظر الى رسول الله صلعم وقطب في وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق والرسول
واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة
على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر وقوله ان هذا
الا قول البشر كالتاكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها سأصليه سقر
بدل من سارهقه صعودا وما ادراك ما سقر تفخيم لشانها وقوله تعالى لا تبقي
ولا تذر بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقي
على شيء يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه لواحة للبشر مسودة لاعالي الجلد او لايحة للناس
وقرئت بالنصب على الاختصاص عليها تسعة عشر ملكا او صنفا من الملائكة يلون
امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية في النظرية والعمل
بسبب القوى الحيوانية الاثنتي عشرة والطبيعية السبع او ان جهنم سبع دركات
ست منها لاصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل
انواعا من العذاب تناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف يتولاه وواحدة لعصاة

الامة

الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك او صنف او ان الساعات
اربعة وعشرون خمسة منها مصروفة في الصلوة فيبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذ
به بانواع من العذاب يتولاه الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة
توالي الحركات فيما هو كاسم واحد وتسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن او تسعة
كل عشر جمع يعني نقيبهم او جمع عشر فيكون تسعين وما جعلنا اصحاب النار
الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقون لهم ولا يستروحون اليهم ولانهم
اقوى الخلق باسا واشدهم غضبا لله روي ان ابا جهل لما سمع عليها تسعة عشر
قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت وما جعلنا عدتهم
الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عددهم الا العدد الذي اقتضى فتنتهم
وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على انه لا ينفك منه وافتتانهم به استقلالهم
واستهزاؤهم به واستبعادهم ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين
ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله تعالى ليستيقن الذين اوتوا
الكتاب ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد صلعم وصدق القران لما راوا ذلك موافقا
لما في كتابهم ويزداد الذين امنوا ايمانا بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب
له ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون اي في ذلك وهو تاكيد
للاستيقان وزيادة الايمان ونفي لما يعرض المتيقن حيثما عراه شبهة وليقول
الذين في قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بمكة عما سيكون في المدينة
بعد الهجرة والكافرون الجازمون في التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا اي
شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا
انه مثل مضروب كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء مثل ذلك

المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين وما يعلم جنود
ربك جميع خلقه على ما هم عليه الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع
على حقايقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار
ونسبة وما هي وما سقر او عدة الخزنة او السورة الا ذكرى للبشر الا تذكرة
لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار لان يتذكروا بها والقمر والليل اذ ادبر
اي ادبر كقبل بمعنى اقبل وقرأ نافع وحمزة ويعقوب وحفص اذ ادبر على المضي و
الصبح اذا اسفر اضاء انها لاحدى الكبر لاحدى البلايا الكبرى البلايا الكبر
كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف منزلة
التاء كما الحقت قاصعاء بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم او تعليل
لكلا والقسم معترض للتاكيد نذيرا للبشر لاحدى الكبر اي انذارا تمييزا او حال عما
دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبرا لمحذوف
لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر اي نذيرا للمتمكنين من السبق الى
الخير والتخلف عنه او لمن شاء خبر لان يتقدم فيكون في معنى قوله فمن شاء فليؤمن
كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله مصدر كالشتيمة
ومن شاء فليكفر للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين الا اصحاب
اليمين فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملائكة والاطفال
في جنات لا يكتنه وصفها وهي حال من اصحاب اليمين او ضميرهم في قوله تعالى
يتساءلون عن المجرمين اي يسأل بعضهم بعضا او يسألون غيرهم عن حالهم
كقولك تداعيناه اي دعوناه وقوله تعالى ما سلككم في سقر بجوابه حكاية لما
جرى بين المسؤولين والمجرمين اجابوا بها قالوا لم نك من المصلين الصلوة
الواجبة ولم نك نطعم المسكين ما يجب اعطاؤهم وفيه دليل على ان

الكفار

الكفار مخاطبون بالفروع وكنا نخوض مع الخائضين نشرع في الباطل مع الشارعين
فيه وكنا نكذب بيوم الدين اخره لتعظيمه اي وكنا بعد ذلك كله مكذبين
بالقيامة حتى اتانا اليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين
اي لو شفعوا لهم جميعا فما لهم عن التذكرة معرضين كانهم حمر مستنفرة
فرت من قسورة اي اسد فعولة من القسر وهو القهر وقرأ نافع وابن عامر بفتح
الفاء بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ وذلك
انهم قالوا للنبي صلعم لن نتبعك حتى يأتي كلا منا بكتاب من السماء فيها من الله الى
فلان اتبع محمدا كلا ردع عن اقتراحهم الايات بل لا يخافون الاخرة فلذلك
اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع عن اعراضهم انه تذكرة
واي تذكرة فمن شاء ذكره فمن شاء ان يتذكر به وما يذكرون الا ان يشاء
الله ذكرهم او مشيتهم لقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وهو تصريح
بان فعل العبد بمشية الله وقرأ نافع تذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا
هو اهل التقوى حقيق بان يتقى عقابه واهل المغفرة حقيق بان يغفر عباده
سيما المتقين منهم عن النبي صلعم من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيمة مكية وايها تسع وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم للتاكيد شايع في كلامهم
كما قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر وقد مر الكلام
فيه في قوله فلا اقسم بمواقع النجوم وقرئ فلاقسم بغير الف بعد اللام وكذا
في الثاني ولا اقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم النفس المقصرة

في التقوى يوم القيمة على تقصيرها او التي تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت في الطاعة او
النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة او بالجنس لما روي انه عم قال ليس من نفس برة ولا فاجرة
الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتني
كنت قصرت او نفس ادم فانها لم تزل تتلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها الى القيمة
لان المقصود من اقسامها مجازاتها ايحسب الانسان يعني الجنس واسناد الفعل
اليه لان فيهم من يحسب او الذي نزل فيه وهو عدي بن ربيعة سال رسول الله صلعم عن يوم
القيمة فاخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام ان لن نجمع
عظامه بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول بلى نجمعها قادرين على ان نسوي
بنانه نجمع سلامياته وضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف
بكبار العظام او على ان نسوي بنانه الذي هو اطرافه فكيف بغيرها وهو حال من
فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اي نحن قادرون بل يريد الانسان
عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا لجواز ان يكون الاضراب
عن المستفهم وعن الاستفهام ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما يستقبل من الزمان
يسئل ايان يوم القيمة متى يكون استبعادا واستهزاء فاذا برق البصر تحير
فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو لغة او من
البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب اذا انفتح وخسف القمر
وذهب ضوءه وقرئ على بناء المفعول وجمع الشمس والقمر في ذهاب الضوء
او في الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك على
امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع استتباع الروح الحاسة
في الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل

لتقدمه

لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اين المفر اي الفرار يقول مقول الايس
من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر وهو المكان كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ مستعار
من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل الى ربك يومئذ المستقر اليه وحده استقرار
العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيته موضع قرارهم يدخل من شاء الجنة
ومن شاء النار ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر بما قدم من عمل عمله وبما اخر
منه لم يعمله او بما قدم من عمل عمله وبما اخر من سنة عمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق
به وبما اخر فخلفه او باول عمله واخره بل الانسان على نفسه بصيرة حجة بينة
على اعمالها لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز او عين بصيرة بها فلا يحتاج
الى الانباء ولو القى معاذيره ولو جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر
او جمع معذرة على غير قياس كالمناكير في المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه
نظر لا تحرك يا محمد به بالقران لسانك قبل ان يتم وحيه لتعجل به لتاخذه على
عجلة مخافة ان ينفلت منه ان علينا جمعه في صدرك وقرانه قراءته وتكرره فيه
حتى يرسخ في ذهنك ثم ان علينا بيانه بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو
دليل على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب واعتراض بما هو يؤكد التوبيخ على
حب العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور واصل الدين فكيف بها في غيره
او بذكر ما اتفق في اثناء نزول هذه الايات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى
انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل
به فان علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من اعمالك وقراءته فاذا قراناه فاتبع قرانه
بالاقرار او التامل فيه ثم ان علينا بيان امره بالجزاء عليه كلا ردع للرسول عم
عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار بالعاجل وقوله بل تحبون العاجلة وتذرون

الاخرة تعميم الخطاب اشعارا بان بني ادم مطبوعون على الاستعجال وان كان الخطاب
للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين
بالياء فيهما وجوه يومئذ ناضرة بهية متهللة الى ربها ناظرة تراه مستغرقة
في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا في كل الاحوال
حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه
وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى وقول الشاعر واذا
نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما بمعنى السؤال فان الانتظار لا يستعقب
العطاء ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب
في الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية تكسر الفقار
كلا ردع عن ايثار الدنيا على الاخرة اذا بلغت التراقي اذا بلغت النفس اعالي الصدر
واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها وقيل من راق وقيل حاضروا صاحبها
من يرقيه مما به من الرقية او قال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة
العذاب من الرقي وظن انه الفراق وظن المحتضر ان الذي نزل به فراق الدنيا ومحابها
والتفت الساق بالساق والتوت ساقه بساقه فلا يقدر تحريكهما او شدة فراق
الدنيا بشدة خوف الاخرة الى ربك يومئذ المساق سوقه الى الله تعالى وحكمه
فلا صدق ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله اي فلا زكوة ولا صلى ما فرض عليه
والضمير فيهما للانسان المذكور في ايحسب الانسان ولكن كذب وتولى عن الطاعة
ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المطا بان المتبختر يمد خطاه فان اصله
يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى ويل لك من الولي واصله
اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل

من ال

من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم
اولى لك فاولى اي يتكرر ذلك عليه مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان
يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة
عليه من حيث ان الحكمة تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف
لا يتحقق الا بمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الاخرة الم يك نطفة
من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره فعدله فجعل منه الزوجين
الصنفين الذكر والانثى وهو استدلال اخر بالابداء على الاعادة على ما مر تقريره مرارا
ولذلك رتب عليه قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى وعن النبي عم انه كان
اذا قراها قال سبحانك بلى وعنه عم من قرا سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة
انه كان مؤمنا به

سورة الانسان مكية وايها احدى وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى على الانسان استفهام تقريب وتقرير ولذلك فسر بقد واصله اهل
كقوله اهل راونا بسفح القاع ذي الاكم حين من الدهر حين من الدهر طائفة محدودة
من الزمان الممتد الغير المحدود لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور
بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع
والمراد بالانسان الجنس لقوله انا خلقنا الانسان من نطفة او ادم بين اولا
خلقه ثم ذكر خلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته
وجمع النطفة به لان المراد بها مجموع مني الرجل والمراة وكل منهما مختلفة الاجزاء في
الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو وقيل مفرد كاعشار
واكياش وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المراة اصفر فاذا اختلطا اخضرا

اواطوارا فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة نبتليه في موقع الحال
او مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال واستعار له
الابتلاء فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلايل واستماع الايات
فهو كالمسبب عن الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله
انا هديناه السبيل اى نصب الدلائل وانزال الايات اما شاكرا واما كفورا
حالان من الهاء واما للتفصيل او التقسيم اى هديناه في حاليه جميعا او مقسوما
اليهما بعضهم شاكرا بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه او من السبيل
ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا
ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان لا يخلو عن كفران غالبا و
انما المأخوذ به المتوغل فيه انا اعتدنا للكافرين سلاسل بها يقادون واغلالا
بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار
اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن وقرأ نافع والكسائي و
ابو بكر سلاسلا للمناسبة ان الابرار جمع بر كارباب او بار كاشهاد يشربون من
كاس من خمر وهي في الاصل القدح تكون فيه كان مزاجها ما يمزج بها كافورا لبرده
وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في رائحته وبياضه
وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فيكون كالممزوجة به عينا بدل من كافورا
ان جعل اسم ماء او من محل من كاس على تقدير مضاف اى ماء عين او خمرها او نصب
على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعدها يشرب بها عباد الله اى ملتذا
او ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة او بمعنى من لان الشرب مبتداء منها كما هو
يفجرونها تفجيرا يجرونها حيث شاؤا اجراء سهلا يوفون بالنذر استينافا ببيان

ما

ما رزقوه لاجله كانه سئل عنه فاجيب بذلك وهو ابلغ في وصفهم بالتوفر على اداء
الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه لله كان اوفى بما اوجبه الله عليه
ويخافون يوما كان شره مستطيرا فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار شدائده
الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم
عن المعاصي ويطعمون الطعام على حبه حب الله او الطعام او الاطعام مسكينا
ويتيما واسيرا يعني اسارى الكفار فانه عم كان يوتى بالاسير فيدفعه الى بعض
المسلمين فيقول احسن اليه او الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون
وفي الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة
القول بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافات المنقصة للاجر
وعن عائشة رض انها تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال المبعوث ما قالوا فان
ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصة عند الله لا نريد منكم
جزاء ولا شكورا اى شكرا انا نخاف من ربنا فلذلك نحسن اليكم او لا نطلب
المكافات منكم يوما عذاب يوم عبوسا تعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس
في ضراوته قمطريرا شديد العبوس كالذي يجمع ما بين عينيه من اقمطرت
الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة
فوقيهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة
وسرورا بدل عبوس الفجار وحزنهم وجزاهم بما صبروا بصبرهم على اداء الواجبات
واجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا ياكلون منه وحريرا
يلبسونه وعن ابن عباس رض ان الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما
رسول الله صم في ناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي

وفاطمة رضي الله عنهما وفضة جارية لهما صوم ثلاث ان برئا فشفيا وما معهم شيء
فاستقرض علي من شمعون الخيبري ثلاث اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا و
اختبزت خمسة اقراص فوضعوا بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه
وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام وقف
عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبرئيل
بهذه السورة وقال خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك متكئين فيها على
الارائك حال من هم في جزاهم او صفة لجنة لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا
يحتملهما وان يكون حالا من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء
معتدل لا حار محمي ولا بارد موذي وقيل الزمهرير القمر في لغة طي قال وليلة
ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان هواءها مضيء بذاته
لا يحتاج الى شمس ولا قمر ودانية عليهم ظلالها حال او صفة اخرى معطوفة
على ما قبلها او عطف على جنة اى وجنة اخرى دانية على انهم وعدوا
جنتين كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انها
خبر ظلالها والجملة حال او صفة وذللت قطوفها تذليلا معطوف على ما قبله
او حال من دانية وتذليل القطوف ان تجعل سهل التناول لا تمتنع على قطافها
كيف شاؤا ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب واباريق بلا عرى
كانت قواريرا قواريرا من فضة اى تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة و
شفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قواريرا من نون سلاسلا وابن كثير
الاولى لانها راس الاية وقرئ قوارير من فضة على هي قوارير قدروها تقديرا
اى قدروها في انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوا او قدروها

باعمالهم

باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها او قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطوف
شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها اى جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر
منقولا من قدرت الشيء ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا ما
يشبه الزنجبيل في الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به عينا
فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال
شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد به
ان ينفي عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا فسميت
به كتأبط شرا لانه لا يشرب منها الا من سال اليها سبيلا بالعمل الصالح ويطوف
عليهم ولدان مخلدون دائمون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا
من صفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض
واذا رأيت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك
اينما وقع رأيت نعيما وملكا كبيرا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة
منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف
اكبر من ذلك وهو ان تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فتستضيء
بانوار قدس الجبروت عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق يعلوهم
ثياب الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ ونصبه على الحال من هم في عليهم او
حسبتهم او ملكا على تقدير مضاف اى واهل ملك كبير عاليهم وقرأ نافع
وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر بالجر حملا على سندس
بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرأ ابو عمرو و
ابن عامر بالعكس وقرأهما نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائي بالجر وقرئ واستبرق

بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق وجعل علما لهذا النوع من الثياب
وحلوا اساور من فضة عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه قوله اساور من ذهب
لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلى اهل الجنة يختلف باختلاف اعمالهم
فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت
الذهب والفضة او حال من الضمير في عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون
هذا للخدم وذاك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا يريد به نوعا
آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله عز وجل ووصفه
بالطهورية فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما
سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي منتهى درجات
الصديقين ولذلك ختم به ثواب الابرار ان هذا كان لكم جزاء على اضمار القول
والاشارة الى ما عد من ثوابهم وكان سعيكم مشكورا مجازى عليه غير مضيع
انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير
مع ان مزيد لاختصاص التنزيل به فاصبر لحكم ربك بتاخير نصرك على كفار مكة
وغيرهم ولا تطع منهم آثما او كفورا اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي اليه
ومن الغالي في الكفر الداعي اليه واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان
والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين
مشعر بانه لهما وذلك يستدعي ان يكون المطاوعة في الاثم والكفر فان
مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور واذكر اسم ربك بكرة
واصيلا وداوم على ذكره او دم على صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل
يتناولهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعل المراد به صلوة

المغرب

المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلوة الليل من مزيد الكلفة والخلوص
وسبحه ليلا طويلا وتهجد له طائفة طويلة من الليل ان هؤلاء يحبون العاجلة
ويذرون وراءهم امامهم او خلف ظهورهم يوما ثقيلا شديدا مستعار
من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه نحن خلقناهم
وشددنا اسرهم واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا
امثالهم تبديلا واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في الخلقة وشدة
الاسر يعني النشاة الثانية ولذلك جيء باذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا
لتحقيق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة الاشارة الى السورة او الآيات
القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا تقرب اليه بالطاعة وما تشاؤن
الا ان يشاء الله وما تشاؤن ذلك الا وقت ان يشاء الله مشيتكم وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ~~الا ما يقتضي حكمه~~ يشاؤن بالياء ان الله كان عليما
بما يستاهل كل احد حكيما لا يشاء الا ما يقتضيه حكمته يدخل من يشاء في
رحمته بالهداية والتوفيق للطاعة والظالمين اعد لهم عذابا اليما
نصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد وكافا ليطابق الجملة المعطوف
عليها وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات مكية وآيها خمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات
فرقا فالملقيات ذكرا اقسم بطوائف من الملائكة ارسلهن الله باوامره متتابعة
فعصفن عصف الرياح في امتثال امره ونشرن الشرائع في الارض او نشرن النفوس

الموتى بالجهل بما اوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فالقين الى الانبياء ذكرا
عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين او بآيات القرآن المرسلة بكل عرف الى محمد صلى الله عليه وسلم فعصفن
سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب
وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين او بالنفوس الكاملة
المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن اثر ذلك في جميع
الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل في نفسه فيرون كل شيء هالكا الا وجهه
فالقين ذكرا بحيث لا يكون في القلوب والالسنة الا ذكر الله او برياح عذاب ارسلن
فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن فالقين ذكرا اي تسببن له فان
العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى او تذكر كمال قدرته وعرفا اما نقيض
النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف او بمعنى المتتابعة من
عرف الفرس وانتصابه على الحال عذرا او نذرا مصدران لعذر اذا محا الاساءة
وانذر اذا خوف او جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر
والمنذر ونصبهما على الاولين بالعلية او عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او البدلية
من ذكرا على ان المراد به الوحي او ما يعم التوحيد والشرك والايمان والكفر
وعلى الثالث بالحالية وقرئ عذرا نذرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص بالتخفيف
انما توعدون لواقع جواب القسم ومعناه اي الذي توعدونه من مجيء القيمة
كائن لا محالة فاذا النجوم طمست محقت او اذهب نورها واذا السماء فرجت
صدعت واذا الجبال نسفت كالحب ينسف بالمنسف واذا الرسل
اقتت عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله
فانه لا يتعين لهم قبله او بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وقرأ ابو عمرو

وقتت

وقتت على الاصل لاي يوم اجلت اي يقال لهم لاي يوم اخرت وضرب الاجل
للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثاني مفعول اقتت على انه
بمعنى اعلمت ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وما ادريك ما يوم الفصل
ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله ويل يومئذ للمكذبين اي بذلك اليوم وويل
في الاصل مصدر منصوب باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك
للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود
وقرئ نهلك من هلكه بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الآخرين اي ثم نحن نتبعهم نظراءهم
ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الآخرين المتاخرين من المهلكين
كقوم لوط وشعيب وموسى عليه السلام كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بكل
من اجرم ويل يومئذ للمكذبين بآيات الله وانبيائه فليس تكريرا وكذا ان
اطلق لتكذيب او علق في الموضعين بواحد لان الويل الاول لعذاب الآخرة
وهذا للاهلاك في الدنيا مع ان للتوكيد حسن شائع في كلام العرب الم نخلقكم — التكرير
من ماء مهين نطفة مذرة ذليلة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم الى قدر
معلوم الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله للولادة فقدرنا على ذلك
او فقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد فنعم القادرون
نحن ويل يومئذ للمكذبين ~~بامثال هذه النعم~~ بقدرتنا على ذلك او على الاعادة
الم نجعل الارض كفاتا كافتة اسم لما يكفت اي يضم ويجمع كالضمام والجماع
لما يضم ويجمع او مصدر نعت به او جمع كافتة كصائم وصيام او كفت وهو
الوعاء اجرى على الارض باعتبار اقطارها احياء وامواتا منتصبان على المفعولية
وتنكيرهما للتفخيم او لان الاحياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات او الحال

من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس او يجعل على المفعولية وكفاتا حالا او الحالية فيكون المعنى بالاحياء ما ينبت وجعلنا فيها رواسي شامخات جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم واشعار بان فيها ما لم يعرف ولم ير واسقيناكم ماء فراتا عذبا بان خلق الانهار والمنابع فيها ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم انطلقوا اي يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من العذاب انطلقوا خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار من امتثالهم للامر اضطرارا الى ظل يعني ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدي الى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل ولا يغني من اللهب وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر كالقصر اي كل شررة كالقصر في عظمها ويؤيده انه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة وهي الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج والهاء للشعب كانه جمالات جمع جمال او جمالة جمع جمل صفر فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود فان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها في امتداده والتفافه

ويل

ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق او بشيء من فرط الدهشة والحيرة وهذا في بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي ذكر واقع يومئذ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفي الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن واوهم ذلك ان لهم عذرا لكن لا يؤذن لهم فيه هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل جمعناكم والاولين تقرير وبيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين اذ لا حيلة لهم في التخلص من العذاب ان المتقين من الشرك لانهم في مقابلة المكذبين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون مستقرون في انواع الترفه كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون اي مقولا لهم ذلك انا كذلك نجزي المحسنين في العقيدة ويل يومئذ للمكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم ويل يومئذ للمكذبين حيث عرضوا انفسهم للعذاب الاليم بالتمتع القليل واذا قيل لهم اركعوا اطيعوا واخشعوا او صلوا او اركعوا في الصلوة روي انه نزل حين امر رسول الله صلعم ثقيفا بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة وقيل هو يوم القيمة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون لا يركعون لا يمتثلون واستدل به على ان الامر للوجوب وان الكفار مخاطبون بالفروع ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده يؤمنون اذ لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة قال عم من قرأ سورة المرسلات كتب له انه ليس من المشركين

تخصيصهم العذاب المخلد وتخصيص القرابين بكلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون
ما لا يخفى

سورة النبأ مكية وآيها اربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

عم يتساءلون اصله عن ما فحذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شان ما يتساءلون عنه كانه لفخامته خفي جنسه فيسال عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم او يسالون الرسول والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراءونهم اي يدعونهم ويرونهم او للناس عن النبا العظيم بيان للشان المفخم او صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل عليه قراءة يعقوب عمه الذي هم فيه مختلفون بجزم النفي والشك فيه او بالاقرار والانكار كلا سيعلمون ثم ردع عن التساؤل ووعيد عليه ثم كلا سيعلمون تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد الثاني اشد وقيل الاول للبعث والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا تذكير لبعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا وقرئ مهدا اي انها لهم كالمهد للصبي مصدر سمي به ما يمهد لينوم عليه وخلقناكم ازواجا ذكرا وانثى وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها او موتا لانه احد التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله القطع ايضا وجعلنا الليل لباسا غطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء وجعلنا النهار معاشا وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به او حيوة تبعثون فيها عن نومكم وبنينا فوقكم سبعا شدادا سبع سموات اقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور وجعلنا سراجا وهاجا متلالئا وقادا من وهجت النار اذا اضاءت او بالغا في الحرارة

من الوهج

الوهج وهو الحر والمراد الشمس وانزلنا من المعصرات من السحاب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او من الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب او الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدأ للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاجا ومثاجج الماء مصابه لنخرج به حبا ونباتا اي ما يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش وجنات الفافا ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال جنة لف وعيش مغدق او لفيف كشريف او لف جمع لفاء كخضراء وخضر واخضار او ملتفة بحذف الزوائد ان يوم الفصل كان ميقاتا في علم الله او في حكمه ميقاتا تحد به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ في الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتاتون افواجا جماعات من القبور الى المحشر روي انه عم سئل عنه فقال يحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلوبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لاصقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل السحت واكلة الربوا والجائرين في الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والموذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات

المانعين حق الله والمتكبرين البخلاء وفتحت السماء وشققت وقرأ الكوفيون بالتخفيف
فكانت أبوابا فصارت من كثرة الشقوق كأن الكل أبواب وسيرت الجبال أي في
الهواء كالهباء فكانت سرابا مثل سراب إذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها
لتفتت أجزائها وانبثاثها إن جهنم كانت مرصادا موضع رصد يرصد فيه خزنة النار
الكفار أو خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها في مجازهم عليها كالمضمار فإنه الموضع
الذي تضمر فيه الخيل ومجاز في ترصد الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ أن
بالفتح على التعليل لقيام الساعة للطاغين مآبا مرجعا ومأوى لابثين فيها وقرأ
حمزة وروح لبثين وهو أبلغ أحقابا دهورا متتابعة وليس فيه ما يدل على خروجهم
منها إذ لو صح أن الحقب ثمانون سنة أو سبعون ألف سنة فليس فيه ما يقتضي تناهي تلك
الأحقاب لجواز أن يكون المراد أحقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه آخر وإن كان
فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله
لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا حالا من المستكن في لابثين
أو نصب أحقابا بلا يذوقون احتمل أن يلبثوا فيها أحقابا غير ذائقين إلا حميما
وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب ويجوز أن يكون جمع حقب من حقب
الرجل إذا أخطأه الرزق وحقب العام إذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى
لابثين فيها حقبين وقوله لا يذوقون تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم
وينفس عنهم أو النوم وبالغساق ما يغسق أي يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير
وهو مستثنى من البرد إلا أنه أخر ليتوافق رؤوس الآي وقرأ حمزة والكسائي وحفص
بالتشديد جزاء وفاقا أي جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لأعمالهم أو موافقا
لها أو وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا إنهم كانوا لا يرجون حسابا

بيان

بيان لما وافقه هذا الجزاء وكذبوا بآياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد
شائع في كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله فصدقتها وكذبتها
والمرء ينفعه كذابه وإنما أقيم مقام التكذيب للدلالة على أنهم كذبوا في تكذيبهم
أو المكاذبة فإنهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم
فكان بينهم مكاذبة أو كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين
يجوز أن يكون حالا بمعنى كاذبين أو مكاذبين ويؤيده أنه قرئ كذابا جمع
كاذب ويجوز أن يكون حالا ~~بمعنى كاذبين~~ المبالغة فيكون صفة للمصدر أي تكذيبا
مفرطا كذبه وكل شيء أحصيناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر لأحصيناه
فإن الإحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط أو لفعله المقدر أو حال بمعنى
مكتوبا في اللوح أو صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله فذوقوا فلن نزيدكم
إلا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة الالتفات
للمبالغة وفي الحديث هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار إن للمتقين
مفازا فوزا أو موضع فوز حدائق وأعنابا بساتين فيها أنواع الأشجار المثمرة
بدل من مفازا بدل الاشتمال أو البعض وكواعب نساء فلكت ثديهن أترابا
لدات وكأسا دهاقا وادهق الحوض ملأه لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا
وقرأ الكسائي بالتخفيف أي كذبا أو مكاذبة إذ لا يكذب بعضهم بعضا جزاء
من ربك بمقتضى وعده عطاء تفضلا منه إذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من
جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به حسابا كافيا من أحسبه الشيء إذا كفاه
حتى قال حسبي أو على حسب أعمالهم وقرئ حسابا أي محسبا كالدراك
بمعنى المدرك رب السماوات والأرض وما بينهما بدل من ربك وقد رفعه

الحجازيان وأبو عمرو على الابتداء الرحمن بالجر صفة له في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب
بالرفع في قراءة أبي عمرو وفي قراءة حمزة والكسائي بجر الأول ورفع الثاني على
أنه خبر محذوف أو مبتدأ خبره لا يملكون منه خطابا والواو لأهل السماوات
والأرض لا يملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب أو عقاب لأنهم مملوكون له
والاعتراض عليه في ثواب أو عقاب لأنهم مملوكون له على الإطلاق فلا يستحقون
على الإطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لا ينافي الشفاعة بإذنه يوم يقوم
الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا تقرير
وتوكيد لقوله تعالى لا يملكون فإن هؤلاء الذين هم أفضل الخلائق وأقربهم من الله
إذا لم يقدروا أن يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى إلا بإذنه فكيف يملكه
غيرهم ويوم ظرف للا يملكون أو لا يتكلمون والروح ملك موكل على الأرواح
أو جنسها أو جبريل أو خلق أعظم من الملائكة ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة
فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا بالإيمان والطاعة إنا أنذرناكم عذابا قريبا
يعني عذاب الآخرة وقربه لتحققه فإن كل ما هو آت قريب ولأن مبدأه الموت
يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يرى ما قدمه من خير أو شر والمرء عام وقيل هو
الكافر لقوله تعالى إنا أنذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة
الذم وما موصولة منصوبة بينظر أو استفهامية منصوبة بقدمت أي ينظر أي شيء
قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف
أو في هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا
فيود الكافر حالها عن النبي صلعم من قرأ سورة عم سقاه برد الشراب يوم القيمة

سورة النازعات مكية وآيها ست أو خمس وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات
سبقا فالمدبرات أمرا هذه صفات ملائكة الموت فإنهم ينزعون أرواح
الكفار من أبدانهم غرقا أي إغراقا في النزع فإنهم ينزعونها من أقاصي الأبدان
أو نفوسا غرقة في الأجساد وينشطون أي يخرجون أرواح المؤمنين برفق من نشط الدلو
من البئر إذا أخرجها ويسبحون في إخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشيء من أعماق
البحر فيسبقون بأرواح الكفار إلى النار وبأرواح المؤمنين إلى الجنة فيدبرون
أمر عقابها وثوابها بأن يهيئوها لإدراك ما أعد لها من الآلام واللذات أو الأوليان
لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون في مضيها أي يسرعون فيه فيسبقون
إلى ما أمروا به فيدبرون أمره أو صفات النجوم فإنها تنزع من المشرق إلى المغرب
غرقا في النزع بأن تقطع الفلك حتى تنحط في أقصى الغرب وتنشط من
برج إلى برج أي تخرج من نشط الثور إذا خرج من بلد إلى بلد وتسبح في الفلك
فيسبق بعضها في السير لكونه أسرع حركة فتدبر أمرا نيط بها كاختلاف الفصول
وتقدير الأزمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركتها من المشرق
إلى المغرب قسرية وحركتها من برج إلى برج ملائمة سمى الأولى نزعا والثانية
نشطا أو صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فإنها تنزع عن الأبدان غرقا
أي نزعا شديدا من إغراق النازع في القوس فتنشط إلى عالم الملكوت وتسبح
فيه فتسبق إلى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات أو حال
سلوكها فإنها تنزع عن الشهوات وتنشط إلى عالم القدس فتسبح في مراتب الارتقاء
فتسبق إلى الكمالات حتى تصير من المكملات أو صفات أنفس الغزاة أو أيديهم
تنزع القسي بإغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر

يسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها تنزع في اعنتها نزعا
تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح في
جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر اقسم الله بها على قيام الساعة وانما
حذف لدلالة ما بعده عليه يوم ترجف الراجفة وهو منصوب به والمراد بالراجفة
الاجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض
والجبال او الواقعة التي ترجف الاجرام عندها وهي النفخة الاولى تتبعها الرادفة
التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة في موقع الحال
قلوب يومئذ واجفة شديدة الاضطراب من الوجيف وهي صفة القلوب
والخبر ابصارها خاشعة اي ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها
الى القلوب يقولون ائنا لمردودون في الحافرة في الحالة الاولى يعنون
الحيوة بعد الموت من قولهم رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها
فحفرها اي اثر فيها بمشيته على النسبة كقوله عيشة راضية او تشبيه القابل
بالفاعل وقرئ في الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي
وقرأ نافع وابن عامر والكسائي اذا كنا على الخبر
حفرة ائذا كنا عظاما نخرة بالية وقرأ الحجازيان وابو عمرو والشامي
وحفص وروح نخرة وهي ابلغ قالوا تلك اذا كرة خاسرة ذات خسران او
خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهو
استهزاء منهم فانما هي زجرة واحدة متعلق بمحذوف اي لا تستصعبوها فما هي
الا صيحة واحدة يعني النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء
على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية
سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة التي يجري ماؤها

وفي ضدها نائمة او لان سالكها يسهر خوفا وقيل اسم جهنم هل اتاك حديث موسى
اليس قد اتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه بان
يصيبهم مثل ما اصاب من هو اعظم منهم اذ ناداه ربه بالواد المقدس
طوى قد مر بيانه في سورة طه اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة القول
وقرئ ان اذهب لما في النداء من معنى القول فقل هل لك الى ان تزكى
هل لك ميل الى ان تتطهر من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى
بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته فتخشى باداء الواجبات
وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله تعالى
فقولا له قولا لينا فاراه الاية الكبرى اي فذهب وبلغ فاراه المعجزة
الكبرى وهي قلب العصا حية فانه كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته
باعتبار دلالتها كالاية الواحدة فكذب وعصى فكذب موسى وعصى الله تعالى
بعد ظهور الاية وتحقق الامر ثم ادبر عن الطاعة يسعى ساعيا في ابطال
امره او ادبر بعد ما راى الثعبان مرعوبا مسرعا في مشيه فحشر فجمع
السحرة او جنوده فنادى في المجمع بنفسه او بمناد فقال انا ربكم الاعلى
اعلى كل من يلي امركم فاخذه الله نكال الاخرة والاولى اخذا منكلا لمن راه
او سمعه بالاخرة في الاحراق وفي الدنيا بالاغراق او على كلمته الاخرة
وهي هذه وكلمته الاولى وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري او للتنكيل فيهما
او لهما ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله ان في ذلك لعبرة
لمن يخشى لمن كان من شانه الخشية ءانتم اشد خلقا اصعب خلقا
ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اي

اي جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب في العلو رفيعا فسواها
فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والتداوير
وغيرها من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه واغطش ليلها اظلمه منقول من غطش الليل
اذا اظلم وانما اضافه اليها لانه يحدث بحركتها واخرج ضحيها وابرز ضوء
شمسها كقوله تعالى والشمس وضحيها يريد النهار والارض بعد ذلك دحيها
بسطها ومهدها للسكنى اخرج منها ماءها بتفجير العيون ومرعيها ورعيها
وهو في الاصل لموضع الرعي وتجريد الجملة عن العاطف لانها حال باضمار قد او
بيان للدحو والجبال ارسيها اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء
وهو مرجوح لان العطف على فعلية متاعا لكم ولانعامكم تمتيعا لكم ولمواشيكم
فاذا جاءت الطامة الداهية التي تطم اي تعلو على سائر الدواهي الكبرى التي
التي هي اكبر الطامات وهي القيمة او النفخة الثانية او الساعة التي يساق
فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان ما
سعى بان يراه مدونا في صحيفته وكان قد نسيه من فرط الغفلة او طول المدة
وهو بدل من اذا جاءت الطامة الداهية التي تطم وما موصولة او مصدرية
وبرزت الجحيم واظهرت لمن يرى لكل راء بحيث لا تخفى على احد وقرئ
وبرزت ولمن راى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كقوله تعالى اذا راتهم من مكان
بعيد او انه خطاب للرسول ص اي لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف
دل عليه يوم يتذكر او ما بعده من التفصيل فاما من طغى حتى كفر واثر الحيوة
الدنيا فانهمك فيها ولم يستعد للاخرة بالعبادة وتهذيب النفس فان الجحيم
هي الماوى هي ماويه واللام فيه ساد مسد الاضافة للعلم بان صاحب الماوى
وهو الطاغي

هو الطاغي وهي فصل او مبتداء واما من خاف مقام ربه مقامه بين يدي
ربه لعلمه بالمبدا والمعاد ونهى النفس عن الهوى لعلمه بانه مرد فان الجنة هي
الماوى ليس له سواها ماوى يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها متى ارساؤها
اي اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهي
اليه وتستقر فيه فيم انت من ذكريها في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم اي ما
انت من ذكريها لهم وتبيين وقتها لهم في شيء فان ذكريها لا يزيدهم الا غيا
ووقتها مما استاثر الله تعالى بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكريها
مستانف معناه انت ذكر من ذكريها اي علامة من اشراطها فان ارساله خاتما
للانبياء امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب الى ربك منتهيها
اي منتهى علمها انما انت منذر من يخشيها انما بعثت لانذار من يخاف هولها
وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابي عمرو منذر
بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا اي في
الدنيا او في القبور الا عشية او ضحيها او عشية يوم او ضحاه كقوله تعالى
لم يلبثوا الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم واحد
عن رسول الله ص من قرا سورة والنازعات كان ممن حبسه الله في القيمة حتى يدخل الجنة قدر
صلوة المكتوبة

سورة عبس مكية وهي احدى واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله ص
وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله علمني
مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله ص قطعه لكلامه

وعبس واعرض عنه فنزلت وكان رسول الله صلعم يكرمه ويقول اذا راه مرحبا بمن
عاتبني فيه ربي فاستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة
وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف المذهبين وقرئ أان بهمزتين وبالف
بينهما بمعنى الان جاءه الاعمى فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار بعذره في الاقدام
على قطع كلام الرسول بالقوم والدلالة على زيادة الانكار
كانه قال تولى لكونه اعمى كالالتفات في قوله وما يدريك لعله يزكى اي واي
شيء يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الاثام بما يتلقف منك فيه ايماء بان اعراضه
كان لتزكية غيره او يذكر فتنفعه الذكرى او يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل
وقيل الضمير في لعله للكافر اي انك طمعت في تزكيته بالاسلام وتذكره بالموعظة
ولذلك اعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم بالنصب
جوابا للعل اما من استغنى فانت له تصدى تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى
وقرئ ابن كثير ونافع تصدى بالادغام وقرئ تصدى اي تعرض وتدعى الى التصدي
وما عليك الا يزكى وليس عليك باس في ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك
الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى
يسرع طالبا للخير وهو يخشى الله او اذية الكفار في اتيانك او كبوة الطريق
لانه اعمى لا قائد له فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لها عنه والتهى وتلهى ولعل
ذكر التصدي والتلهي للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغني وتلهيه عن
الفقير ومثله لا ينبغي له ذلك كلا ردع عن المعاتب عليه او عن معاودة مثله انها
تذكرة فمن شاء ذكره حفظه واتعظ به والضميران للقران او العتاب المذكور
وتانيث الاول لتانيث خبره في صحف مثبتة فيها صفة لتذكرة او خبر ثان او خبر

محذوف

محذوف مكرمة عند الله مرفوعة القدر مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين بايدي
سفرة كتبة من الملائكة او الانبياء ينتسخون الكتب من اللوح او الوحي او سفراء يسفرون
بالوحي بين الله تعالى ورسله او الامة جمع سافر من السفر او السفارة والتركيب للكشف
يقال سفرت المراة اذا كشفت وجهها كرام اعزاء على الله او متعطفين على المؤمنين
يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة اتقياء قتل الانسان ما اكفره دعاء عليه
باشنع الدعوات وتعجب من افراطه الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم
وذم بليغ من اي شيء خلقه بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدا حدوثه
والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله من نطفة خلقه فقدره فهياه
لما يصلح له من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا من نطفة الى ان تم خلقه
ثم السبيل يسره ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان
يتنكس او ذلل له سبيل الخير والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة
في التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه على
المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله ثم
اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره او عد الاماتة والاقبار في النعم لان الاماتة
وصلة في الجملة الى الحيوة الابدية واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة و
صيانة عن السباع وفي اذا شاء اشعار بان وقت النشور غير متعين في نفسه
وانما هو موكل الى مشيئته كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض ما
امره لم يقض بعد من لدن ادم الى هذه الغاية ما امره الله تعالى باسره اذ لا يخلو احد
من تقصير ما فلينظر الانسان الى طعامه اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية
انا صببنا الماء صبا استيناف مبين لكيفية احداث الطعام وقراء

اللوح م

وقراء الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال ثم شققنا الارض شقا اي
بالنبات او بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب فانبتنا فيها
حبا كالحنطة والشعير وعنبا وقضبا يعني الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه
لانها تقضب مرة بعد اخرى وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا عظاما وصف
به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار
من وصف الرقاب وفاكهة وابا ومرعى من اب اذا ام لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا
اذا تهيا له لانه متهيا للرعي او فاكهة يابسة تؤب للشتاء متاعا لكم ولا
نعامكم فان الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف فاذا جاءت
الصاخة اي النفخة وصف بها مجازا لان الناس يصخون لها يوم يفر المرء
من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله بشانه وعلمه بانهم
لا ينفعونه او للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم وتاخير الاحب فالاحب للمبالغة
كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه لكل امرئ منهم
يومئذ شان يغنيه يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه اي يهمه وجوه يومئذ
مسفرة مضيئة من اسفر الصبح ضاحكة مستبشرة بما ترى من النعيم ووجوه
يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة ترهقها قترة يعني يغشاها سواد و
ظلمة اولئك هم الكفرة الفجرة الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع
الى سواد وجوههم الغبرة قال عليه الصلوة والسلام من قرا سورة عبس جاء يوم
القيمة ووجهه ضاحكة مستبشرة سورة التكوير مكية وايها تسع وعشرون
بسم الله الرحمن الرحيم
اذا الشمس كورت لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب

اذا

اذا اريد رفعه لف او لف ضوءها فذهب انبساطه في الافاق وذا الاثر او القيت
عن فلكها من طعنه فكوره اذا القاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع
الشمس بفعل يفسره ما بعده اولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل واذا النجوم انكدرت
انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر او اظلمت من كدرت الماء فانكدر واذا
اذا الجبال سيرت عن وجه الارض او في الجو واذا العشار النوق اللاتي اتى
عليهن عشرة اشهر جمع عشراء عطلت تركت مهملة او السحائب عطلت عن المطر
وقرئ بالتخفيف واذا الوحوش حشرت جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص
ثم ردت ترابا او اميتت من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ
بالتشديد واذا البحار سجرت احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود
بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملاه بالحطب ليحميه وقراء ابن كثير وابو عمرو و
روح بالتخفيف واذا النفوس زوجت قرنت بالابدان او كل منها بشكلها او بكتابها
وعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين واذا الموءدة
المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من
اجلهن سئلت باي ذنب قتلت تبكيت الوائدها كتبكيت النصارى بقوله
تعالى لعيسى ءانت قلت للناس وقرئ سالت اي خاصمت عن نفسها وانما قيل قتلت
على الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية واذا الصحف نشرت صحف الاعمال
فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين اصحابها
وقراء ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد للمبالغة في النشر او لكثرة
الصحف او شدة التطاير واذا السماء كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب
عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير واذا الجحيم سعرت

او له نغض البازي اذا البازي كسر

او بعدت ابعادا شديدًا وقرء نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان وحفص ويس وروح بالتشديد وَاِذَا الْجَنَّةُ اُزْلِفَتْ قربت من المؤمنين عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا اَحْضَرَتْ جواب اذا وانما صح والمذكور في سياقها ثنتي عشر خصلة ست منها في مبادي قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها وللمجازاة النفوس على اعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة فَلَا اُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ بالكواكب الرواجع من خنس اذا تاخر وهي ما سوى النيرين من السيارات وكذلك وصفها بقوله الْجَوَارِ الْكُنَّسِ السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحشي اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر وَاللَّيْلِ اِذَا عَسْعَسَ اقبل ظلامه او ادبر وهو من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع اذا ادبر والصبح اذا تنفس اي اضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم اِنَّهُ اي القران لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ يعني جبرئيل فانه قاله عن الله ذِي قُوَّةٍ كقوله شديد القوى عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ عند الله ذي مكانة مُطَاعٍ في ملائكته ثَمَّ اَمِينٍ على الوحي وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثُمَّ تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ كما تبهته الكفرة واستدل ذلك على فضل جبرئيل على محمد عم حيث عد فضائل جبرئيل واقتصر على نفي الجنون عن النبي عم وهو ضعيف اذ المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما وَلَقَدْ رَاٰهُ ولقد راى رسول الله عم جبرئيل عم بِالْاُفُقِ الْمُبِينِ بمطلع الشمس الاعلى وَمَا هُوَ وما محمد عم عَلَى الْغَيْبِ على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب بِظَنِينٍ بمتهم من الظنة وهي التهمة وقراءة نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين من الظن وهو البخل اي لا يبخل بالتبليغ والتعليم والضاد من اصل

حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان ويساره والظاء من طرف اللسان واصول الثنايا العليا وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفي قولهم انه لكهانة وسحر فَاَيْنَ تَذْهَبُونَ استضلال لهم فيما يسلكونه في امر رسول الله عم والقران كقولك لتارك الجادة اين تذهب اِنْ هُوَ اِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ تذكير لمن يعلم لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ اَنْ يَسْتَقِيمَ بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وَمَا تَشَاءُونَ الاستقامة يا من يشاؤها اِلَّا اَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ الا وقت ان يشاء الله مشيتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم رَبُّ الْعَالَمِينَ مالك الخلق كله قال النبي عم من قرا سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة الانفطرت مكية واياتها تسع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

اِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ انشقت وَاِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ تساقطت متفرقة وَاِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدًا وَاِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ قلب ترابها واخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَاَخَّرَتْ من عمل او صدقة واخرت من سيئة او تركت ويجوز ان يكون المراد بالتاخير التضييع وهو جواب اذا يَا اَيُّهَا الْاِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ اي شيء خدعك وجراك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار وان محض الكرم لا يقتضي اهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت

فربك كريم لا يعذب احدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغترارا بكرمه اَلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك وقدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة بما يستعدها من القوى وقراء الكوفيون فعدلك بالتخفيف اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات فِي اَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ في اي صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطية وركبك في اي صورة شاء جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كَلَّا ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وقوله بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلي في اغترارهم والمراد بالدين الجزاء او الاسلام وَاِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ تحقيق لما يكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عند الله لتعظيم الجزاء اِنَّ الْاَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَاِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ بيان لما يكتبون لاجله يَصْلَوْنَهَا يقاسون حرها يَوْمَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها في القبور وَمَا اَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ تعجيب وتفخيم لشان اليوم اي كنه امره بحيث لا يدركه دراية دار يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْاَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين او الخبر المحذوف وقال عم من قرا سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء

حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين مختلف فيها واياتها ست وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف اي حقير روي ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوه وفي الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت وما طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر اَلَّذِينَ اِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ اي اذا اكتالوا من الناس حقوقهم ياخذونها وافية وانما ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم وَاِذَا كَالُوهُمْ اَوْ وَزَنُوهُمْ اي اذا كالوا للناس او وزنوا لهم يُخْسِرُونَ فحذف الجار واوصل الفعل كقوله ولقد جنيتك اكموءا وعساقلا بمعنى جنيت لك او كالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تاكيدا للمتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الاخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها ويستدعي اثبات الالف بعد الواو كما هو في خط المصحف في نظايره اَلَا يَظُنُّ اُولٰئِكَ اَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ فان من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبائح فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجيب من حالهم لِيَوْمٍ عَظِيمٍ عظمه لعظم ما يكون فيه يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده القراءة بالجر لِرَبِّ الْعَالَمِينَ لحكمه وفي هذا الانكار والتعجيب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله والتعبير عنه

برب العالمين مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه كلا ردع عن التطفيف
والغفلة عن البعث والحساب إن كتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم
لفي سجين كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال وما ادراك ما سجين
كتاب مرقوم اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه فعيل
من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس او لانه مطروح كما قيل تحت الارضين
في مكان وحش وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب
مرقوم فحذف المضاف ويل يومئذ للمكذبين بالحق او بذلك الذين يكذبون
بيوم الدين صفة مخصصة او موضحة او ذامة وما يكذب به الا كل معتد اثيم
متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله وعلمه فاستحال منه
الاعادة اثيم منهمك في الشهوات المخدجة بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على
الانكار لما عداها اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين من فرط جهله
واعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد النقل كما لم تنفعه دلائل العقل كلا
ردع عن هذا القول بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون رد لما قالوه
وبيان لما ادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك
فيه حتى صار ذلك صدا على قلوبهم فعمي عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة
الافعال سبب لحصول الملكات كما قال عم ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في
قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدأ وقرى حفص بل ران باظهار
اللام كلا ردع عن الكسب الرائن انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة
من يمنع عن الدخول على الملوك او قدر مضافا مثل رحمة ربهم او قرب ربهم ثم

انهم لصالوا الجحيم ليدخلون النار ويصلون بها ثم يقال هذا الذي كنتم به
تكذبون يقوله لهم الزبانية كلا تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب
بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء بر او ردع عن التكذيب
ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم الكلام
فيه ما مر من نظيره يشهده المقربون يحضرونه فيحفظونه او يشهدون على ما
فيه يوم القيمة ان الابرار لفي نعيم على الارائك على الاسرة في الحجال ينظرون
الى ما يسرهم من النعيم والمتفرجات تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة
التنعم وبريقه وقرأ يعقوب تعرف على بناء المفعول ونضرة بالرفع يسقون من
رحيق شراب خالص مختوم ختامه مسك اي مختوم اوانيه بالمسك مكان الطين
ولعله تمثيل لنفاسته او الذي له ختام اي مقطع هو رائحة المسك وقرأ الكسائي
خاتمه بفتح التاء اي ما يختم به ويقطع وفي ذلك يعني الرحيق والنعيم فليتنافس
المتنافسون فليرتغب المرتغبون ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها سميت تسنيما
لارتفاع مكانها او رفعة شرابها عينا يشرب بها المقربون فانهم يشربونها
صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله ويمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب عينا على المدح
او الحال من تسنيم والكلام في الباء كما في يشرب بها عباد الله ان الذين اجرموا
يعني رؤساء قريش كانوا من الذين آمنوا يضحكون كانوا يستهزؤن
بفقراء المؤمنين واذا مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم
واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين متلذذين بالسخرية منهم وقرأ حفص
فكهين واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون واذا رأوا المؤمنين نسبوهم
الى الضلال وما ارسلوا عليهم على المؤمنين حافظين يحفظون عليهم اعمالهم و
يشهدون

يشهدون برشدهم وضلالهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون
حين يرونهم اذلاء مغلولين في النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا
اليها فاذا وصلوا اغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم على الارائك ينظرون
حال من يضحكون هل ثوب الكفار هل اثيبوا ما كانوا يفعلون وقرأ حمزة
والكسائي بادغام اللام في الثاء قال النبي عم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم
يوم القيمة

سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت بالغمام كقوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام وعن علي عم عنه
تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت له اي انقادت له لتأثير قدرته حين
اراد انشقاقها انقياد المطواع الذي يأذن للآمر ويذعن له وحقت و
جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق
واذا الارض مدت بسطت بان تزال جبالها وآكامها والقت ما فيها
ما في جوفها من الكنوز والاموات وتخلت وتكلفت بالخلو اقصى جهدها
جهدها حتى لم يبق شيء في باطنها واذنت لربها في الالقاء والتخلية وحقت
للاذن وتكريرا اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة و
جوابه محذوف للتهويل بالابهام او الاكتفاء بما مر في سورة التكوير والانفطار
او بدلالة قوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه
عليه وتقديره لاقى الانسان كدحه اي جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه
او فملاقيه ويا ايها الانسان انك كادح الى ربك اعتراض والكدح اليه
السعي الى لقاء جزائه فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا

يسيرا سهلا لا يناقش فيه وينقلب الى اهله مسرورا الى عشيرته المؤمنين
او فريق المؤمنين او اهله في الجنة من الحور واما من اوتي كتابه وراء
ظهره اي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل
يسراه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه وهو
الهلاك ويصلى سعيرا وقرأ الحجازيان والشامي والكسائي ويصلى كقوله و
تصلية جحيم وقرئ ويصلى كقوله نصليه جهنم انه كان في اهله في الدنيا مسرورا
بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة انه ظن ان لن يحور لن يرجع الى الله
بلى ايجاب لما بعد لن ان ربه كان به بصيرا عالما باعماله بما يعمله بل يرجعه
ويجازيه فلا اقسم بالشفق الحمرة التي ترى في افق المغرب بعد الغروب و
عن ابي حنيفة انه البياض الذي يليها سمي به لرقته من الشفقة والليل وما وسق
وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال
مستوسقات لم يجدن سائقا او طرده الى اماكنه من الوسيقة والقمر اذا اتسق
اجتمع وتم بدرا لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال مطابقة لاختها في الشدة
وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة او مراتب من الشدة بعد المراتب هي
الموت ومواطن القيمة واهوالها او هي وما قبلها من الدواهي على انه جمع طبقة
وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار
اللفظ او الرسول على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال
ومرتبة او طبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب
النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا او حال من الضمير بمعنى مجاوزا
الطبق او مجاوزين له فما لهم لا يؤمنون بيوم القيمة واذا قرئ عليهم القرآن

لا يسجدون لا يخضعون او لا يسجدون لتلاوته لما روي انه عم قرأ واسجد واقترب
فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة
على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال
والله ما سجدت فيها الا بعد ان رايت رسول الله صم يسجد فيها بل الذين كفروا
يكذبون اي بالقران والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في صدورهم
من الكفر والعداوة فبشرهم بعذاب اليم استهزاء بهم الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات استثناء منقطع او متصل والمراد من تاب وآمن منهم لهم اجر
غير ممنون مقطوع او ممنون به عليهم عن النبي صم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج مكية وآيها اثنان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها
ويكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها
او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود
يوم القيمة وشاهد ومشهود ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما احضر
فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود ~~لا~~
~~يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه~~ لا يكتنه وصفها او للمبالغة
في الكثرة كما قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود والنبي وامته او امته
وسائر الامم او كل نبي وامته او الخالق والخلق او عكسه فان الخالق مطلع على خلقه
وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ والمكلف او يوم النحر او عرفة والحجيج
او يوم الجمعة والمجتمع فانه يشهد له او كل يوم واهله قتل اصحاب الاخدود قيل

انه

انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كانه قيل
انهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت
لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود
الخد وهو الشق في الارض ونحوهما بناء ومعنى الخق والحقوق روي مرفوعا
ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريقه
راهب فمال قلبه اليه فراى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ
حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها و
كان الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس الملك
وابراه فساله الملك عمن ابراه فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام
فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من
ذروته فدعا فرجف بالقوم فهلكوا ونجا واجلسه في سفينة ليغرق فدعا
فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى
تجمع الناس وتصلبني وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام
ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فمات وآمن الناس فامر باخاديد
اوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امراة معها
صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت
وعن علي رض ان بعض ملوك المجوس خطب بالناس وقال ان الله تعالى احل
نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار وطرح فيها من ابى وقيل
لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فاحرق في الاخاديد من لم
يرتد النار بدل من الاخدود بدل الاشتمال ذات الوقود صفة لها بالعظمة

وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام في الوقود للجنس اذ هم عليها على حافة النار
قعود قاعدون وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم لبعض
عند الملك بانه لم يقصر فيما امر به او يشهدون على ما يفعلون يوم القيمة
حين تشهد عليهم السنتهم وايديهم وما نقموا منهم وما انكروا الا ان يؤمنوا
بالله العزيز الحميد استثناء على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا
منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله الذي له ملك السموات والارض والله
على كل شيء شهيد للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد ان الذين
فتنوا المؤمنين والمؤمنات بلوهم بالاذى ثم لم يتوبوا فلهم عذاب
جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق العذاب الزائد في الاحراق بفتنتهم
وقيل المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود وبعذاب الحريق ما روي
ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير اذ الدنيا وما
فيها تصغر دونه ان بطش ربك لشديد مضاعف عنفه فان البطش
اخذ بعنف انه هو يبدئ ويعيد يبدئ الخلق ويعيده او يبدئ
البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الاخرة وهو الغفور لمن تاب الودود
المحب لمن اطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذي
العرش صفة لربك المجيد العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود و
تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائي صفة لربك او للعرش ومجده علوه وعظمته
فعال لما يريد لا يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره هل اتاك حديث الجنود

فرعون

فرعون وثمود ابدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد
عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك
وحذرهم مثل ما اصابهم بل الذين كفروا في تكذيب لا يرعوون عنه
ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم وراوا
اثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم والله من ورائهم محيط لا يفوتونه
كما يفوت المحاط المحيط بل هو قران مجيد بل هو الذي كذبوا به كتاب
شريف وحيد في النظم والمعنى وقرئ قران مجيد بالاضافة اي قران رب
مجيد في لوح محفوظ من التحريف وقرأ نافع بالرفع صفة للقران وقرئ في
لوح وهو الهواء يعني ما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح عن النبي صم من
قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة يكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وآيها سبع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق والكواكب البادي بالليل وهو في الاصل لسالك الطريق
واختص عرفا بالاتي ليلا ثم استعمل في البادي فيه وما ادراك ما الطارق
النجم الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه او الافلاك و
المراد الجنس او معهود بالثاقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسر بما
يخصه تفخيما لشانه ان كل نفس لما عليها اي ان الشان كل نفس لعليها
حافظ رقيب فان هي المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة وقرأ ابن عامر
وعاصم وحمزة لما على انها بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب القسم
فلينظر الانسان مم خلق لما ذكر ان كل نفس لها عليها حافظ اتبعه توصية

الانسان بالنظر في مبدائه ليعلم صحة اعادته فلا يملى على حافظه الا ما يسره في عاقبته
خلق من ماء دافق جواب الاستفهام ماء ودافق بمعنى ذو دفق وهو صب
فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين في الرحم لقوله يخرج من بين الصلب والترائب
من صلب الرجل وترائب المراة وهي عظام صدرها ولو صح ان النطفة تتولد
من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء وتقر بها وتلتقت
بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها
ولذلك تشبهه ويسرع الافراط في الجماع بالضعف فيه وله خليفة هي النخاع و
هو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المني و
لذلك خصا بالذكر وقرئ بالصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهي صالب انه
على رجعه لقادر والضمير للخالق ويدل عليه خلق يوم تبلى السرائر تتعرف
وتميز بين ما طاب من الضماير وما خفي من الاعمال وما خبث منها وهو ظرف
لرجعه فما له فما للانسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر يمنعه
والسماء ذات الرجع ترجع في كل دورة الى الموضع الذي تحرك عنه وقيل
الرجع المطر سمي به كما سمي اوبا لان الله يرجعه وقتا فوقتا او لما قيل من ان
السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسماء
السحاب والارض ذات الصدع ما تتصدع عنه الارض من النبات او الشق
بالنبات والعيون انه ان القران لقول فصل فاصل بين الحق والباطل
وما هو بالهزل فانه جد كله انهم يعني اهل مكة يكيدون كيدا في ابطاله
واطفاء نوره واكيد كيدا واقابلهم بكيدي في استدراجي لهم وانتقامي
منهم بحيث لا يحتسبون فمهل الكافرين فلا تشتغل بالانتقام منهم او لا تستعجل

باهلاكم

باهلاكم امهلهم رويدا امهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين
عن النبي من قرا سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة الاعلى مكية وايها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتاويلات الزايغة واطلاقه
على غيره زاعما انهما فيه سواء وذكره لا على وجه التعظيم وقرئ سبحان ربي الاعلى
وفي الحديث انه لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عم اجعلوها في ركوعكم
فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في
الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى
كل شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتاتى كماله ويتم معاشه والذي قدر
اي قدر اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها و
افعالها واجالها وقرئ الكسائي قدر بالتخفيف فهدى فوجهه الى فعله طبعا
واختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الايات والذي
اخرج المرعى انبت ما ترعاه الدواب فجعله بعد خضرته غثاء احوى
يابسا اسود وقيل احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى من شدة خضرته
سنقرئك على لسان جبرئيل او سنجعلك قاريا بالهام القراءة فلا تنسى
اصلا من قوة الحفظ مع انك امي ليكون ذلك اية اخرى لك مع ان الاخبار به
عما يستقبل ووقوعه كذلك ايضا من الايات وقيل نهي والالف للفاصلة
لقوله السبيلا الا ما شاء الله نسيانه بان ينسخ تلاوته وقيل المراد به
القلة والندرة لما روي انه عم اسقط اية في قراته في الصلوة فحسب ابي انها نسخت فسال

فقال نسيتها او نفي النسيان راسا فان القلة تستعمل للنفي انه يعلم الجهر وما يخفى
ما ظهر من احوالكم وما بطن او جهرك بالقراءة مع جبرئيل وما دعاك اليه من مخافة
النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء وانساء ونيسرك لليسرى ونعدك للطريقة
اليسرى في حفظ الوحي والتدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك
عطف على سنقرئك وانه يعلم اعتراض فذكر بعدما استتب لك الامر ان نفعت
الذكرى لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس عن
البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله وما انت عليهم بجبار الاية
او لذم المذكورين واستبعاد تاثير الذكرى فيهم للاشعار بان التذكير انما
يجب اذا امكن نفعه ولذلك امر بالاعراض عن تولى سيذكر من يخشى سيتعظ
وينتفع بها من يخشى الله فانه يتفكر فيها فيعلم حقيتها وهو يتناول العارف
والمتردد ويتجنبها ويتجنب الذكرى الاشقى الكافر فانه اشقى من الفاسق او الاشقى
من الكفرة لتوغله في الكفر الذي يصلى النار الكبرى نار جهنم فانه عم قال ناركم
هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم او ما في الدرك الاسفل منها ثم لا يموت
فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه قد افلح من تزكى تطهر من الكفر والمعصية او
تكثر من التقوى من الزكاء او تطهر للصلوة او ادى الزكوة وذكر اسم ربه
بقلبه ولسانه فصلى كقوله اقم الصلوة لذكري ويجوز ان يراد بالذكر تكبير التحريم
وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلوته بل تؤثرون
الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما يسعدكم في الاخرة والخطاب للاشقين على
الالتفات او على اضمار قل او للكل فان السعي للدنيا اكثر في الجملة وقرا ابو عمرو بالياء
والاخرة خير وابقى فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له ان

هذا

هذا لفي الصحف الاولى الاشارة الى ما سبق من قد افلح فانه جامع امر الديانة وخلاصة
الكتب المنزلة صحف ابراهيم وموسى بدل من الصحف الاولى قال عم من قرا سورة الاعلى
اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم السلام

سورة الغاشية مكية وايها ست وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتيك حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم
القيمة او النار من قوله وتغشى وجوههم النار وجوه يومئذ خاشعة ذليلة
عاملة ناصبة تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها في النار خوض الابل
في الوحل والصعود والهبوط في تلالها ووهادها او عملت ونصبت في اعمال
لا تنفعها يومئذ تصلى نارا تدخلها وقرا ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلى
من اصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة حامية متناهية في الحر تسقى
من عين انية بلغت اناها في الحر ليس لهم طعام الا من ضريع يبيس الشبرق يرعاه
الابل ما دام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم
والغسلين طعام غيرهم والمراد طعامهم مما تتحاماه الابل وتتعافاه لضره وعدم
نفعه كما قال لا يسمن ولا يغني من جوع والمقصود من الطعام احد الامرين وجوه
يومئذ ناعمة ذات بهجة او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رات ثوابه
في جنة عالية علية المحل والقدر لا تسمع يا مخاطب او الوجوه وقرا على بناء
المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس والتاء نافع فيها لاغية
لغوا اي كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم
فيها عين جارية يجري ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم فيها سرر مرفوعة

رفيعة السمك والقدر واكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة بين ايديهم
ونمارق وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي
وبسط فاخرة جمع زربية مبثوثة مبسوطة افلا ينظرون نظر اعتبار الى
الابل كيف خلقت خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال
الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها
طوال الاعناق لتنوء بالاوقار ترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا ليتاتى
لها قطع البوادي والمفاوز مع ما لها من منافع اخر ولذلك خص بالذكر لبيان
الايات المنبثة في الحيوانات التي هي اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند
العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة والى السماء كيف
رفعت بلا عمد والى الجبال كيف نصبت وهي راسخة لا تميل والى الارض كيف سطحت
بسطت حتى صارت مهادا وقرئ بالافعال الاربعة على بناء الفاعل المتكلم
وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط
والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث و
لذلك عقب به امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فذكر انما انت مذكر فلا عليك
ان لم ينظروا ولم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ لست عليهم بمصيطر بمتسلط وقرأ
الكسائي بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام الا من تولى وكفر لكن من تولى و
كفر فيعذبه الله العذاب الاكبر يعني عذاب الاخرة وقيل متصل فان جهاد
الكفار وقتلهم تسلط وكانه اوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في
الاخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من تولى واصر فاستحق
العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ الا على التنبيه ان الينا

ايابهم رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال
من الاوب قلبت واوه الاولى قلبها في ديوان ثم الثانية للادغام ثم ان علينا
حسابهم في المحشر وتقديم الخبر للتخصيص وللمبالغة في الوعيد عن النبي عم من قرأ
سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر اقسم بالصبح او فلقه كقوله والصبح اذا تنفس او بصلوته وليال عشر عشر
ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او عشر رمضان الاخير وتنكيرها للتعظيم
وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر والاشياء
كلها شفعها ووترها او الخلق لقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين والخالق
لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك والبروج والسيارات او شفع الصلوة
ووترها او بيوم النحر وعرفة وقد روي مرفوعا او بغيرهما فلعله افرد بالذكر
من انواع المدلول ما رآه اظهر دلالة على التوحيد او مدخلا في الدين او
مناسبة لما قبلها او اكثر منفعة موجبة للشكر وقرأ حمزة والكسائي والوتر
بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر والليل اذا يسر اذا يمضي كقوله والليل اذا
ادبر والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور
النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام اي صلى فيه وحذف الياء للاكتفاء
بالكسرة تخفيفا وقد خصه نافع وابو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها
ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق هل في
ذلك القسم او المقسم به قسم حلف او محلوف به لذي حجر يعتبره ويؤكد به ما
تحقيقه والحجر العقل يسمى به لانه يحجر عما لا ينبغي كما يسمى عقلا ونهية وحصاة

من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم
تر كيف فعل ربك بعاد يعني اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح قوم
هود سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم باسمه ارم عطف بيان لعاد على تقدير
مضاف اي سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمي اوائلهم وهو عاد
الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتانيث ذات العماد ذات البناء
الرفيع او القدود الطوال او الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد
وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت
له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها في بعض صحارى عدن جنة وسماها
ارم فلما تم سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى
عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها
التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة اخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة
او البلدة وثمود الذين جابوا الصخر بالواد قطعوه واتخذوه منازل كقوله
وتنحتون من الجبال بيوتا بالواد وادي القرى وفرعون ذي الاوتاد لكثرة
جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد
الذين طغوا في البلاد صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون او ذم منصوب
او مرفوع فاكثروا فيها الفساد بالكفر والظلم فصب عليهم ربك سوط
عذاب ما خلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانما سمي به الجلد المضفور
الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط
ما احل بهم في الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى ما اعد لهم في الاخرة من العذاب
كالسوط اذا قيس الى السيف ان ربك لبالمرصاد المكان الذي يترقب فيه

الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب
فاما الانسان متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل انه لبالمرصاد من الاخرة فلا
يريد الا السعي لها فاما الانسان فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها اذا ما ابتليه ربه
اختبره بالغنى واليسر فاكرمه ونعمه بالجاه والمال فيقول ربي اكرمن
فضلني بما اعطاني وهو خبر المبتدا الذي هو الانسان والفاء لما في اما من معنى
الشرط والظرف المتوسط في تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمن
وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه
اذ التقدير واما الانسان اذا ما ابتليه او بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه فيقول
ربي اهانن لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدي الى الكرامة الدارين
اذا التوسعة قد تفضي الى قصد الاعتداء والانهماك في حب الدنيا ولذلك ذمه
على قوليه وردعه عنه بقوله كلا مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه ولم يقل
فاهانه وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه ولان التوسعة تفضل والاخلال به
لا يكون اهانة وقرأ ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغير ياء في الوصل
والوقف وعن ابي عمرو مثله ووافقهم نافع في الوقف وقرأ ابن عامر فقدر
بالتشديد بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين اي بل فعلهم اسوأ
من قولهم وادل على تهالكهم بالمال وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة
ولا يحثون اهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم وقرأ الكوفيون ولا تحاضون
وتاكلون التراث الميراث واصله وراث اكلا لما ذا لم اي جمع
الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون
انصباءهم او يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك و

وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره وقرا ابو عمرو ولا يكرمون الى ويحبون
بالياء والباقون بالتاء كلا ردع لهم عن ذلك وانكار وما بعده وعيد عليه
اذا دكت الارض دكا دكا دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال او هباء منبثا
وجاء ربك اى ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور
السلطان من آثار هيبته وسياسته والملك صفا صفا بحسب منازلهم ومراتبهم
وجيء يومئذ بجهنم كقوله برزت الجحيم وفي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون
الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها يومئذ بدل من اذا دكت
والعامل فيهما يتذكر يتذكر الانسان اى يتذكر معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها
فيندم عليها وانى له الذكرى اى منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله واستدل
به على عدم وجوب قبول التوبة كان هذا التذكر توبة غير مقبولة يقول يا ليتني
قدمت لحياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة وليس في هذا
التمني دلالة على استقلال العبد بفعله فان المحجور عن الشيء قد يتمنى ان كان ممكنا
منه فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله تعالى
اى لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيمة سواه اذ الامر كله له او للانسان اى لا يعذب
احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقراهما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول
يا ايتها النفس المطمئنة على ارادة القول وهى التى اطمأنت بذكر الله فان
النفس تترقى في سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر دون
معرفته وتستغنى به عن غيره او الى الحق بحيث لا يريبها شك او الآمنة
التى لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بهما ارجعي الى ربك الى امره او موعده
بالموت ويشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس قبل الابدان موجودة في عالم

القدس او بالبعث راضية بما اوتيت مرضية عند الله فادخلي في عبادي وادخلي
في جملة عبادي الصالحين وادخلي جنتي معهم او في زمرة المقربين فتستضيء بنورهم
فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة او ادخلي في اجساد عبادي التي فارقت
عنها وادخلي دار ثوابي عن النبي عم من قرا سورة الفجر في الليالي العشر
غفر له ومن قراها في ساير الايام كانت له نورا يوم القيمة الى الدين

سورة البلد مكية وآيها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد اقسم الله سبحانه بالبلد الحرام وقيده
بحلول الرسول عم فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله
وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد في غيره او حلال لك ان تفعل فيه
ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح ووالد عطف على هذا
البلد والوالد آدم او ابراهيم وما ولد ذريته او محمد عليه الصلوة والسلام
والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما في قوله والله اعلم بما وضعت
لقد خلقنا الانسان في كبد تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت
كبده ومنه المكابدة والانسان لا يزال في شدائد مبداها ظلمة الرحم ومضيقه
ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول عم مما كان يكابده من قريش و
الضمير في ايحسب لبعضهم الذي كان يكابد منه اكثر او يغتر بقوته كابي الاشد بن كلدة
فانه كان يبسط تحت قدمه اديم عكاظي ويجذبه عشرة فينقطع ولا تزل قدماه
او لكل احد منهم او للانسان ان لن يقدر عليه احد فينتقم منه يقول اى في
ذلك الوقت اهلكت مالا لبدا كثيرا من تلبد الشيء اذا اجتمع والمراد ما انفقه

سمعة ومفاخرة او معاداة للرسول عم ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق
او بعد ذلك فيسأله عنه يعني ان الله يراه فيجازيه او يجده فيحاسبه عليه ثم
قرر ذلك بقوله الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين
يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين
طريقي الخير والشر او الثديين واصله المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اى
فلم يشكر تلك الايادي باقتحام العقبة وهو الدخول في امر شديد والعقبة
الطريق في الجبل استعارها لما فسرها به من الفك والاطعام في قوله وما ادريك
ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او
مسكينا ذا متربة لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن وقوع
لا موقع لم فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما
او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب
في النسب وترب اذا افتقر وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك رقبة او اطعم
على الابدال من اقتحم وقوله وما ادريك ما العقبة اعتراض معناه انك لم تدر كنه
صعوبتها وثوابها ثم كان من الذين آمنوا عطف على اقتحم او فك وثم لتباعد
الايمان عن العتق والاطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط ساير الطاعات
به وتواصوا بالصبر واوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة
بالرحمة على عباده او بموجبات رحمة الله اولئك اصحاب الميمنة اليمين
او اليمن والذين كفروا باياتنا بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة او
بالقرآن هم اصحاب المشأمة الشمال او الشؤم ولتكرير ذكر المؤمنين بحكم
باسم الاشارة والكفار بالضمير شان لا يخفى عليهم نار مؤصدة مطبقة من اوصدت

الباب اذا اطبقته واغلقته وقرا ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته
عن النبي عم من قرا لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيمة

سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحيها وضوئها اذا اشرقت وقيل الضحى ارتفاع النهار والضحى فوق
ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تليها
تلاها طلوعه طلوع الشمس اول الشهر او غروبها ليلة البدر او في الاستدارة و
كمال النور والنهار اذا جليها جلى الشمس فانها تنجلى اذا انبسط النهار او
الظلمة او الدنيا والارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها والليل اذا
يغشيها يغشى الشمس فيغطي ضوءها او الآفاق والارض ولما كانت واوات العطف
نوائب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من
حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف
المقدمين ربط الواو لما بعدها في قولك ضرب زيد عمروا وبكر خالدا
على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين والسماء وما بنيها
ومن بناها وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والشيء
القادر الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناها وكذلك الكلام
في قوله والارض وما طحيها ونفس وما سويها وجعل
الماآت مصدرية يجرد الفاعل عن الفعل ويخل بنظم قوله فالهمها فجورها
وتقويها بقوله وما سويها الا ان يضمر فيها اسم الله للعلم به وتنكير نفس
للتكثير كما في قوله علمت نفس او للتعظيم والمراد نفس آدم والهام الفجور

والتقوى او افهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الاتيان بهما قد افلح من زكيها
انماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول وكانه لما اراد به الحث
على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب
ذاته وكمال صفاته الذى هو اقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظايم
الائه ليحملهم على الاستغراق فى شكر نعمائه الذى هو منتهى كمالات القوة العملية
وقيل استطراد بذكر بعض احوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن
الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا وقد
خاب من دسيها نقصها واخفاها بالجهالة والفسوق واصل دسى دسس
كتقضى وتقضض كذبت ثمود بطغويها بسبب طغيانها او بما اوعدت
به من عذابها ذى الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية واصله طغيان وانما
قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى اذ انبعث
حين قام ظرف لكذبت او طغوى اشقيها اشقى ثمود وهو قدار بن سالف
او هو ومن مالاه على قتل الناقة فان افعل التفضيل اذا اضفته صلح للواحد
والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر فقال لهم رسول الله ناقة الله
اى ذروا ناقة الله واحذروا عقرها وسقيها فلا تذودوها عنها فكذبوه
فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا فعقروها فدمدم عليهم
ربهم واطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها
الشحم بذنبهم بسببه فسويها فسوى الدمدمة بينهم او عليهم فلم يفلت
منها صغير ولا كبير او ثمود بالاهلاك ولا يخاف عقبيها اى الدمدمة او
عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقى بعض الابقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا

على العطف عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والشمس فكانما تصدق بكل شىء طلعت عليه الشمس والقمر

سورة الليل مكية وآيها احدى وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى اى يغشى الشمس او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار
اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين بطلوع الشمس وما خلق الذكر
والانثى والقادر الذى خلق صنفى الذكر والانثى من كل نوع له توالد او
آدم وحواء وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى ان مساعيكم لاشتات مختلفة
جمع شتيت فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى تفصيل مبين لتشتت
المساعى والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهى
ما دل على حق الكلمة التوحيد فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخلة التى تؤدى
الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذا هياه للركوب بالسرج واللجام
واما من بخل بما امر به واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى
بانكار مدلولها فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية الى العسر والشدة
كدخول النار وما يغنى عنه ماله نفى او استفهام انكار اذا تردى
هلك تفعل من الردى او تردى فى حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى
للارشاد الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة
الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل وان لنا للآخرة والاولى فنعطى فى
الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب الهداية للمهتدى او فلا يضرنا ترككم
الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصليها لا يلزمها مقاساة شدتها
الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه اشقى

ووصفه بقوله الذى كذب وتولى اى كذب الحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها
الاتقى الذى اتقى الشرك والمعاصى فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها
ويصليها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا
يلزمه ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق الذى يؤتى ماله يصرفه فى مصارف
الخير لقوله يتزكى فانه بدل من يؤتى او حال من فاعله وما لاحد عنده
من نعمة تجزى فيقصد بايتائه مجازاتها الا ابتغاء وجه ربه الاعلى
استثناء منقطع او متصل من محذوف مثل لا يؤتى الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة
نعمة ولسوف يرضى وعد بالثواب الذى يرضيه والايات نزلت فى ابى
بكر رضه حين اشترى بلالا فى جماعة يؤذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد
بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ والليل اعطاه الله حتى يرضاه
وعافاه من العسر ويسر له لليسر

سورة الضحى مكية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى وقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه او لان فيه
كلم موسى ربه والقى السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله تعالى ان يأتيهم باسنا ضحى
فى مقابلة بياتا والليل اذا سجى سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا
اذا اسكنت امواجه وتقديم الليل فى السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم
النهار ههنا باعتبار الشرف ما ودعك ربك ما قطعك قطع المودع وقرئ
بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم وما قلى وما ابغضك وحذف
المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روى ان الوحى تأخر عنه
اياما لتركه الاستثناء كما مر فى سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا او لان جروا ميتا

كان تحت سريره او لغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت
ردا عليهم وللآخرة خير لك من الاولى فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه
فانية مشوبة بالمضار كانه لما بين انه تعالى لا يزال يواصله بالوحى والكرامة
فى الدنيا وعد له ما هو اعلى واجل من ذلك فى الاخرة او لنهاية امرك خير من
بدايته فانه لا يزال يتصاعد فى الرفعة والكمال ولسوف يعطيك ربك
فترضى وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين
ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف
المبتدا والتاخير ولانت سوف يعطيك لا القسم فانها لا يدخل على المضارع
الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان العطاء كائن لا محالة
وان تأخر لحكمة الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه
كما احسن اليه فيما مضى يحسن فيما يستقبل ويجدك من الوجود بمعنى العلم
ويتيما مفعوله الثانى او المصادفة ويتيما حال ووجدك ضالا عن علم
الحكم والاحكام فهدى فعلمك بالوحى والالهام والتوفيق للنظر وقيل
وجدك ضالا فى الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام او حين فطمتك
حليمة وجاءت لتردك على جدك فازال ضلالك عن عمك او جدك
ووجدك عائلا فقيرا ذا عيال فاغنى بما حصل لك من ربح التجارة
فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اى فلا
تعبس فى وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجر واما بنعمة ربك فحدث
فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع وعشر حسنات يكتبها له

له بعد دكل **سورة الم نشرح مكية وآيها ثمان** يتيم وسائل

بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق وكان غائبا
حاضرا او الم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا
لك تلقي الوحي بعد ما كان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ما روي ان جبريل
اتى رسول الله صلعم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملاه ايمانا وعلما
ولعله اشارة الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام انكار نفي الانشراح مبالغة
في اثباته ولذلك عطف عليه قوله ووضعنا عنك وزرك عبأك الثقيل
الذي انقض ظهرك الذي حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض
من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله بالحكم والاحكام
او حيرته او تلقي الوحي او ما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم
او من اصرارهم وتعديهم في ايذائه حين دعاهم الى الايمان ورفعنا لك ذكرك
بالنبوة وغيرها واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته
في طاعته وصلى عليه في ملائكته وامر المؤمنين بالصلاة عليه وخاطبه
بالالقاب وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد مبالغة فان
مع العسر كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم
يسرا كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح
الله اذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما في ان مع من المصاحبة
المبالغة في معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقاربين ان مع
العسر يسرا تكرير للتأكيد او استئناف وعده بان العسر مشفوع بيسر آخر

كثواب

كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحتين اي فرحة عند الافطار
وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله صلعم لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف
فلا يتعدد سواء كان للعهد او للجنس واليسر منكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد
يغاير ما اريد بالاول فاذا فرغت من التبليغ فانصب فاتعب في العبادة
شكرا لما عددنا عليك من النعم السالفة ووعدنا بالنعم الآتية وقيل فاذا فرغت
من الغزو فانصب في العبادة او فاذا فرغت من الصلاة فانصب بالدعاء والى
ربك فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغب
اي رغب الناس الى طلب ثوابه عن النبي صلعم من قرأ سورة الم نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة التين مختلف فيها وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون خصهما من الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فضل له
وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين
ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن وفي الحديث انه
يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن
لطيف كثير المنافع مع انه قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد
بهما جبلان من الارض المقدسة او مسجدا دمشق وبيت المقدس او البلدان
وطور سينين يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وسينين وسينا اسمان
للموضع الذي هو فيه وهذا البلد الامين اي الآمن من امن الرجل امانة
فهو امين او المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة لقد خلقنا
الانسان يريد به الجنس في احسن تقويم تعديل بان خص بانتصاب القامة

وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات ثم
رددناه اسفل سافلين بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل السافلين
وهو النار وقيل هو ارذل العمر فيكون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
منقطعا فلهم اجر غير ممنون لا ينقطع او لا يمن به عليهم وهو على الاول حكم
مرتب على الاستثناء مقرر له فما يكذبك يا محمد دلالة او نطقا بعد بالدين
بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان
على الالتفات والمعنى فما الذي يحملك على هذا التكذيب أليس الله
باحكم الحاكمين تحقيق لما سبق والمعنى أليس الذي فعل ذلك من
الخلق والرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا
على الاعادة والجزاء على ما مر مرارا عن النبي صلعم من قرأ سورة والتين اعطاه
الله العافية واليقين ما دام حيا فاذا مات اعطاه من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة
وهو اول سورة نزلت **سورة العلق مكية وآيها تسع عشرة** وقيل الفاتحة ثم هذه

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك اي اقرأ القرآن مفتتحا باسمه او مستعينا به الذي خلق اي الذي
له الخلق او الذي خلق كل شيء ثم افرد ما هو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا او ادل على وجوب
العبادة المقصودة من القراءة فقال خلق الانسان او الذي خلق الانسان فابهم
اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته من علق جمعه لان الانسان في
معنى الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى نزل اولا ما يدل على وجوده
وفرط قدرته وكمال حكمته اقرأ تكرير للمبالغة او الاول مطلق والثاني للتبليغ او في
الصلاة ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرأ و

وربك الاكرم الذي الزائد في الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا عوض ويحلم من
غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة الذي علم بالقلم اي الخط بالقلم وقد
قرئ به ليقيد به العلوم ويعلم به البعيد علم الانسان ما لم يعلم بخلق القوى
ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلمك القراءة وان لم تكن قاريا وقد عدد سبحانه
مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخس المراتب الى اعلاها
تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرامه واشار اولا الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه
على ما يدل سمعا كلا ردع لمن كفر بنعمة الله بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام
عليه ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ان رأى نفسه واستغنى مفعوله الثاني
لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد وقرئ رأه وقيل
بقصر الهمزة ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا
من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا
صلى نزلت في ابي جهل قال لو رأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على
عقبيه فقيل له ما لك فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ
العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال عبودية المنهي أرأيت ان
كان على الهدى او امر بالتقوى أرأيت تكرير للاول وكذا الذي في قوله أرأيت ان
كذب وتولى ألم يعلم بان الله يرى والشرطية مفعوله الثاني وجواب الشرط محذوف
دل عليه جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسيم له والمعنى اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله
عن صلاته ان كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه او آمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة
الاوثان كما يعتقد او ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الصواب كما يقول الم
يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله وقيل المعنى أرأيت الذي

ينهى عبدا يصلى والمنهى على الهدى امر بالتقوى والناهي يكذب متول فما اعجب من
ذا وقيل الخطاب في الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب
هذا مرة والاخر اخرى كانه قال يا كافر ان كان صلوته هدى ودعاء الى الله تعالى
امر بالتقوى انتهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى في التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له في النهى
لان النهى كان عن الصلوة والامر بالتقوى واختص على ذكر الصلوة لانه دعوة بالفعل
او لان نهى العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة
في تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة كلا ردع للناهي لئن لم ينته
عما هو فيه لنسفعا بالناصية لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار
والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولا
سفعن وكتبته في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم
بان المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز
لوصفها وقرئت بالرفع على ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطاء
وهما لصاحبها على الاسناد المجازي للمبالغة فليدع نادية على اهل ناديه ليعينوه
وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم روى ان ابا جهل مر برسول الله صلعم وهو يصلي فقال
الم انهك فاغلظ له رسول الله صلعم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت
سندع الزبانية ليجروه الى النار وهو في الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن
وهو الدفع او زبني على النسب واصلها زباني والتاء معوضة عن الياء كلا ردع ايضا
للناهي لا تطعه واثبت انت على طاعتك واسجد ودم على سجودك واقترب وتقرب
الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلعم من قرا سورة
العلق اعطي من الاجر **سورة القدر مختلف فيها وهي خمس ايات** كانما قرا المفصل كله

بسم الله الرحمن الرحيم
انا انزلناه في ليلة القدر الضمير للقران فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة
المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذي انزل فيه بقوله وما
ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر وانزاله فيها بان ابتدا
بانزاله فيها او انزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبرئيل ينزله
على رسول الله صلعم نجوما في ثلاث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه في فضلها
وهي في اوتار العشر الاخير من رمضان ولعلها السابعة منها والداعي الى اخفائها
ان يحيي من يريدها ليالي كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها
لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير او لما روي انه عم ذكر اسرائيليا
لبس السلاح الف شهر فتعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير
من مدة ذلك الغازي تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم بيان لما له
فضلت على الف شهر وتنزلهم الى الارض او الى السماء الدنيا وتقربهم الى المؤمنين
من كل امر من اجل كل امر قدر في تلك السنة وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان
سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة ويقضي في غيرها السلامة
والبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت
مطلعه اي طلوعه وقرا الكسائي بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كا
المشرق عن النبي صلعم من قرا سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة البينة مختلف فيها ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد

في صفات الله ومن للتبيين والمشركين وعبدة الاصنام منفكين عما كانوا عليه من دينهم
والوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول حتى تاتيهم البينة الرسول او القران
فانه مبين للحق او معجزة الرسول باخلاقه والقران بافحامه من تحدى به رسول
من الله بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدا يتلو صحفا مطهرة
صفته او خبره والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي
لها وقيل المراد جبرئيل وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا ياتي ما فيها وانه لا يمسها
الا المطهرون فيها كتب قيمة مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق
الذين اوتوا الكتاب عما كانوا عليه بان امن بعضهم او تردد في دينه او
عن وعدهم بالاصرار على الكفر الا من بعد ما جاءتهم البينة فيكون كقوله
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد
اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم
لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى وما امروا اي في كتبهم بما فيها
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لا يشركون به حنفاء مائلين عن العقائد
الزائغة ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ولكنهم حرفوا وعصوا وذلك دين
القيمة دين الملة القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في
نار جهنم خالدين فيها اي يوم القيمة او في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك و
اشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف
لتفاوت كفرهما اولئك هم شر البرية اي الخليقة وقرا نافع وابن ذكوان
البريئة بالهمزة على الاصل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم
خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار

خالدين فيها ابدا فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان ما منحوا
في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها
اضافة ووصفها بما يزداد لها نعيما وتاكيد الخلود بالتابيد رضي الله عنهم
استيناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى امانيهم
ذلك اي المذكور من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية ملاك الامر
والباعث على كل خير عن النبي صلعم من قرا لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزلة مختلف فيها تسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم
اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن
لها او اللائق بها في الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس في الابنية فعلال الا في المضاعف
واخرجت الارض اثقالها ما في جوفها من الدفائن والاموات والاثقال جمع ثقل وهو
متاع البيت وقال الانسان ما لها لما بهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان
الكافر فان المؤمن يعلم ما لها يومئذ تحدث اخبارها تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها
ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل
من اذا وناصبها تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر بان ربك اوحى لها اي تحدث
بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون
بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها في ذلك
تشفي من العصاة يومئذ يصدر الناس من مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا
متفرقين بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم وقرئ بفتح الياء فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا

ولذلك قرئ يره بالضم وقرئ هشام باسكان الهاء ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب والعقاب وقيل الاية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهباء عن النبي صلعم من قرا اذا زلزلت الارض اربع مرات كان كمن قرا القران كله

سورة والعاديات مختلف فيها احدى عشر ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة فالموريات قدحا والتي تورى النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى فالمغيرات تغير اهلها على العدو صبحا اى في وقته فاثرن به فهيجن بذلك الوقت نقعا غبارا او صياحا فوسطن به فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع او ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء روى انه عم بعث خيلا فمضت اشهر لم يات منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات بافكارهن انوار المعارف والمغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهن مثل انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين ان الانسان لربه لكنود لكفور من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة كندة او لبخيل بلغة بني مالك وهو جواب القسم وانه على ذلك وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده لشهيد فيكون وعيدا وانه لحب الخير المال من قوله ان ترك خيرا لشديد لقوي مبالغ فيه افلا يعلم اذا بعثر بعث ما في القبور من الموتى وقرئ بحثر وحصل ما في الصدور جمع محصلا في الصحف او خبر ما في الصدور من خير وشر وتخصيصه لانه الاصل ان ربهم بهم يومئذ

وهو يوم القيمة لخبير عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم وانما قال بهم لاختلاف شانهم والحالين وقرئ بالفتح خبير بلا لام عن النبي صلعم من قرا والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية عشر ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة سبق بيانه في الحاقة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة وتكون الجبال كالعهن كالصوف ذي الالوان المنفوش المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها في الجو فاما من ثقلت موازينه بان ترجحت مقادير انواع حسناته فهو في عيشة راضية ذات رضا او مرضية واما من خفت موازينه بان لم يكن له حسنة يعبا بها او ترجحت سيئاته على حسناته فامه هاوية فماويه النار والهاوية من اسمائها ولذلك قال وما ادريك ما هيه نار حامية ذات حمى عن النبي صلعم من قرا القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر مختلف فيها وايها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الهيكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اذا غفل التكاثر التباهي بالكثرة حتى زرتم المقابر اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر روى ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم عبد مناف فقال بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه الهيكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب

الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعي لاخرتكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي له ان لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة سوف تعلمون خطا رايكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد وفي ثم دلالة على ان الثاني ابلغ من الاول او الاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اى لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اى كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله لترون الجحيم جوابا لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما وقرا ابن عامر والكسائي بضم التاء ثم لترونها تكرير للتاكيد او الاولى اذا رايتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردتموها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار عين اليقين اى الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين او الرؤية التي هي نفس اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم الذي الهاكم والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه والنعيم مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله من حرم زينة الله كلوا من الطيبات وقيل يعمان اذ كل يسال عن شكره وقيل الاية مخصوصة بالكفار عن النبي صلعم من قرا الهيكم لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا و اعطي من الاجر كانما قرا الف اية

سورة العصر مكية ثلاث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر اقسم بصلوة العصر لفضلها او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفي ما يضاف اليه من الخسران ان الانسان لفي خسر ان الناس لفي خسران

في مساعيهم وصرف اعمارهم في مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم اشتروا الاخرة بالدنيا ففازوا بالحيوة الابدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق بالثابت الذي لا يصح انكاره من اعتقاد او عمل وتواصوا بالصبر عن المعاصي او على الحق او ما يبلو الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ما عدا ما عد يؤدي الى خسر ونقص حظ او تكرما فان الابهام في جانب الخسر كرم عن النبي صلعم من قرا سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وايها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة لمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذي ياتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها في الاخنس بن شريق فانه كان مغتابا او في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلعم الذي جمع مالا بدل من كل او ذم منصوب او مرفوع وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير وعدده وجعله عدة للنوازل او عده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام يحسب ان ماله اخلده تركه خالدا في الدنيا فاحبه كما يحب الخلود او حب المال اغفله عن الموت او طول امله حتى حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعي للاخرة كلا ردع له عن حسبانه لينبذن ليطرحن في الحطمة في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يطرح فيها وما ادريك ما الحطمة ما النار التي لها هذه الصفة

نار الله تفسير لها الموقدة التي اوقدها الله وما اوقده لا يقدر ان يطفيه غيره
التي تطلع على الافئدة تعلو اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لان
الفواد الطف ما في البدن واشده تالما او لانه محل العقايد الزايغة ومنشا الاعمال
القبيحة انها عليهم موصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته قال تحن الى اجبال
مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء موصدة في عمد ممددة اي موثقين في اعمدة ممدودة
مثل المقاطر الذي تقطر فيها اللصوص وقراه الكوفيون غير حفص بضمتين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد واصحابه سورة الفيل
مكية وخمس ايات بسم الله الرحمن الرحيم
الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يشهد تلك الوقعة
لكن شاهد اثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكانه راها وانما قال كيف ولم يقل ما لان
المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله
فانها من الارهاصات اذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم وقصتها
ان ابرهة الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنا كنيسة بصنعاء وسماها القليس
واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف
ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيا للدخول وعبا
جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى
هرول فارسل الله طيرا كل منها في منقاره حجر وفي رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فترميهم
فيقع الحجر في راس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرى الم تر جدا في اظهار اثر الجازم وكيف
نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام الم يجعل كيدهم في تضليل في تضييع وابطال
بان دمرهم وعظم شانها وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات جمع ابالة وهي الحزمة

تضليل الكيد جعله ضايعا

١١

الكبيرة شبهت بها الجماعات من الطير في تضامها وقيل لا واحد لها كعبابيد وشماطيط
ترميهم بحجارة وقرى بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك من
سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير والاسجال وهو الارسال او
من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون فجعلهم كعصف ماكول كورق زرع
وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب
وراثته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل اعفاه الله ايام حيوته من الخسف والمسخ سورة
قريش مكية واربع ايات بسم الله الرحمن الرحيم
لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط
اذ نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل ايلافهم رحلة الشتاء
والصيف اي الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون
... ذا التمر اي جعلهم كعصف ماكول لايلاف
...

ارايت استفهام معناه التعجب وقرى اريت بلا همزة الحاقا بالمضارع ولعل تصديرها بحرف الاستفهام
سهل امرها او ارايتك بزيادة الكاف الذي يكذب بالدين بالجزاء او الاسلام
والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله فذلك الذي يدع اليتيم يدفعه
دفعا عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه او ابو سفيان نحر
جزورا فساله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل وقرى يدع اي يترك
ولا يحض اهله وغيرهم على طعام المسكين لعدم اعتقادهم بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب
بالفاء فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون غافلون غير مبالين بها
الذين هم يراءون يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون
الزكوة او ما يتعاور في العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم
من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلوة التي هي عماد الدين والرياء
الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام ...
رتب عليها الويل اولى

لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه
ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله
او المسيح ابن الله او ليطابق قوله ولم يولد وذلك لانه لا يفتقر الى شيء ولا يسبقه
عدم ولم يكن له كفوا احد اي ولم يكن احد يكافيه اي يماثله من صاحبة
ولا غيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة لكن لما كان المقصود نفي المكافية
عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن في كفوا
او خبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلاث بالعطف لان المراد
منها نفي اقسام الامثال فهي كجملة واحدة منبهة عليها بالجمل وقرا حمزة ويعقوب
ونافع في رواية كفوا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال
هذه السورة مع قصرها جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء في
... ا ثلث القران فان مقاصده محصورة في بيان العقايد و
... المتوعن النبي

ظلمة الليل فكذو عن العايذ ما يخافه ولفظ الرب ههنا اوقع من ساير اسمائه لان
الاعاذة من المضار تربية مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لا
لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختياري لازم ومتعد كالكفر
والظلم وطبيعي كاحراق النار واهلاك السموم وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ ليل عظم
ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله الامتلاء من قوله غسقت العين اذا
امتلاءت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق
العين سيلان دمعه اِذَا وَقَبَ دخل ظلامه في كل شيء وتخصيصه لان
المضار فيه تكثر وتعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد
به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ
فِي الْعُقَدِ ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط
وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي ان يهوديا سحر النبي
عليه الصلوة والسلام في احدى عشرة ...
وال... ...